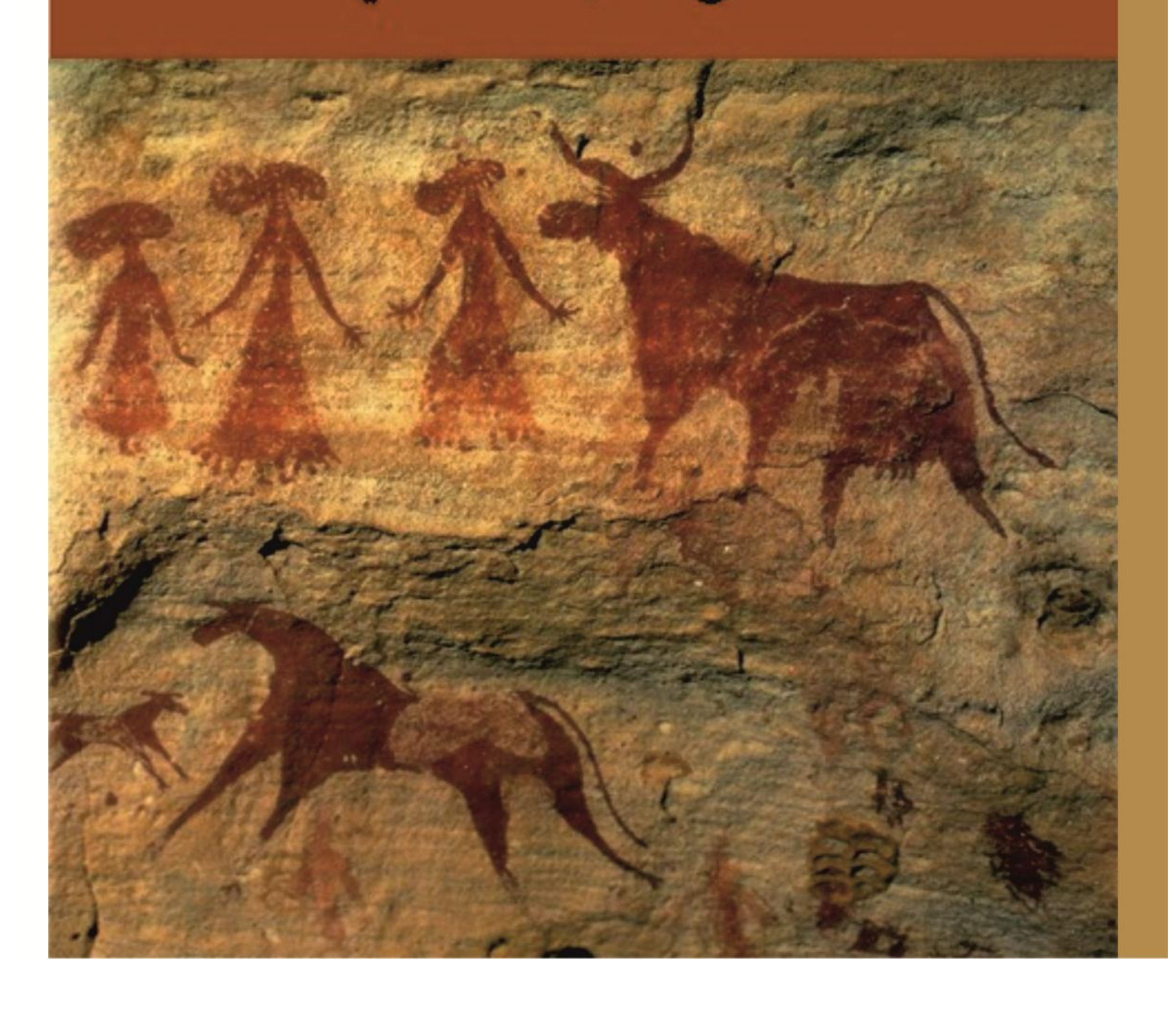
تأريخ الدول المغاربية
منذ أقدم العصور إلى فجر التاريخ

الدكتور
صلاح رشيد الصالحي



تاريخ الدول المغاربية
منذ أقدم العصور وإلى فجر التاريخ

الدكتور صلاح رشيد الصالحي

بغداد
الطبعة الاولى / 2019

عنوان الكتاب: تاريخ الدولة المغاربية منذ أقدم العصور والى فجر التاريخ

المؤلف : د. صلاح رشيد الصالحي

عدد الصفحات : 422

الطبعة الاولى: 2019م

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية (2758) لسـ2019ـنة

البريد الالكتروني : salah_r49@yahoo.com

الإهداء

لا يكتمل العمل العلمي إلا بجهود عدد كبير من الباحثين الذين قدموا انتاجهم الفكري في خدمة الإنسانية من جهة، وحبهم للدول التي ولدوا فيها أو عاشوا بين جنباتها فترات زمنية من جهة أخرى، كما ان التطور الكبير في الاتصالات عبر الانترنيت ونقل المعلومات ساعدت في نشر الثقافة بين الشعوب الاجنبية والعربية وسهلت الوصول إلى المصادر فازدادت كمية المعلومات، واختصر الزمن، وارتفع المستوى الثقافي، وتقاربت الدول والشعوب أكثر فأكثر، كما ان الروح الطيبة التي يمتلكها سكان شمال افريقيا جعلت التواصل معهم مستمرا فكثيرا ما وصلتني مؤلفات ساعدتني في تجديد معلوماتي وزيادتها، ولهذا اشكر الجميع على تواصلهم معي ومن بينهم الدكتور الفاضل حمزة بكوش من ليبيا، كما أقدم شكري للباحثين في جمهورية الجزائرية الذين تفضلوا بنشر رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه وبحوثهم العلمية لتكون في متناول جميع الباحثين في الوطن العربي، كما قدمت لي المكتبات في بغداد يد العون واخص بها مكتبة المتحف العراقي بقسمية العربي والاجنبي، كذلك المكتبة الوطنية، ومكتبة الدراسات العليا في جامعة بغداد، كما أشكر الأستاذ الفاضل اسامة عبدالله الملاح وزوجته اختي الأستاذة الفاضلة نهاد رشيد الصالحي لمساعدتهم القيمة لي ، فلهم جميعاً شكري وتقديري.

الأستاذ المساعد الدكتور

صلاح رشيد الصالحي

تخصص تاريخ قديم

المحتويات

المقدمة

لم يكن التاريخ القديم للدول المغاربية غريب عن ثقافتي فانا مدين بالسنوات الجميلة التي قضيتها في التعليم في المملكة المغربية، والجمهورية الجزائرية، وليبيا، وكان لي الشرف ان التقي مع المغاربة فوجدت فيهم الطيبة والأخلاق والكرم والثقافة والتعاليم الإسلامية، وخلال تلك السنوات استطعت ان اجمع الكثير من المعلومات التي استفدت منها كثيرا في تأليف هذا الكتاب، كما ان المكتبات الرقمية الالكترونية قدمت لي رسائل وأطاريح حديثة تناولت فترة فجر التاريخ وأيضا وجدت طريقها إلى مكتبتي الخاصة، كما ان اتصالي بزملائي الأساتذة وعدد من طلبتي الأعزاء في الدول المغاربية ارسلوا لي بحوث قيمة وكثيرا ما أطلب منهم كتب لا تتوفر في مكتباتنا العراقية وأدى هذا نقص فيما يخص تاريخ دول شمال افريقيا في العصور القديمة بل استطيع القول ان فترة فجر التاريخ شبه مجهولة لدى طلبتنا في الجامعات العراقية، ولهذا سعيت جاهدا ان اضع كتابي عن فترة فجر التاريخ في الدول المغاربية ليسد فراغ في المكتبة العراقية.

أن دراسة تاريخ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب القديم يمكن ان نقسمه إلى فترات زمنية: **الأول:** من أقدم العصور وحتى فجر التاريخ وهي فترة غنية بالتنقيبات الاثرية، وعثر على الشيء الكثير من المواقع الاثرية وذلك بفضل جهود الباحثين الفرنسيين منذ بداية القرن الثامن عشر واستمرت حتى الاستقلال عندما تولى الباحثين المغاربة عمليات التنقيب بأنفسهم أو بمساعدة من البعثات الأجنبية، وكسر الحصار الثقافي الفرنسي، فنرى بعثات المانية وبريطانية وامريكية وبالتالي ظهرت البحوث في الآونة الأخيرة لتسد فجوات تاريخية، ولكن الفترة فجر التاريخ من الصعب تحديد فترة انتهائها وبداية الفترة التي تليها فلكل باحث راي خاص متى انتهى عصر فجر التاريخ؟ **الثاني**: يمكن تحديده من الوصول الفينيقي التجاري إلى غرب البحر المتوسط واعقبها تأسيس قرطاج ومن ثم ظهور الممالك البربرية مثل موريتانيا الطنجية، وموريتانيا القيصرية، ومملكة نوميديا، ورافق ظهور هذه الممالك نهوض قوة روما الفتية التي سيطرة على حوض المتوسط، فاختفت قرطاج كما اختفت الممالك أو تبعيتها الكاملة للنفوذ الروماني فيما بعد، **ثالثا:** خضوع شمال افريقيا لسيطرة الدولة البيزنطية وشملت مصر وليبيا وتونس، بينما سيطر (الوندال) حكام اسبانيا على المغرب والجزائر، وقد اضمحلوا نهائيا بعد طردهم من شمال افريقيا على يد السكان المحليين بمساعدة البيزنطيين.

هناك ثلاث أسماء متداولة تشمل تاريخ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب استعملت حسب الظرف السياسي لتلك الدول التي تتحد اجتماعي بشعب يضم

الامازيغ (البربر)، والعرب وهناك تقارب لغوي وتقاليد مشتركة فيما بينهم ومن الأسماء المتداولة هي:

1- دول شمال افريقيا: وهو مصطلح جغرافي استخدم منذ القرن التاسع عشر الميلادي في مؤلفات المثقفين الفرنسيين والحكومة الفرنسية ويراد به تونس والجزائر والمغرب أما ليبيا فكانت خاضعة للسيطرة العثمانية ومن ثم الإيطالية فهي بعيدة عن مناطق النفوذ الفرنسي، أما مصر فلا تدخل ضمن التقسيم الفرنسي لان مصر ضمن دائرة النفوذ البريطاني، ومن جهة أخرى تاريخ مصر يدرس لوحده فهو تاريخ عريق مستقل بذاته، أما موريتانيا فصحيح انها خاضعة للاستعمار الفرنسي إلا انها فقيرة بالتنقيبات الاثرية فغالبية أراضيها صحراء قاحلة ولم يعطى لها الحيز الكبير في البحوث الفرنسية أو عمليات التنقيب الاثري.

2- الدول المغاربية: بعد استقلال دول شمال افريقيا ظهرت نزعة للتوحد بين تونس والجزائر والمغرب واضيفت ليبيا فيما بعد، وأصبح هذا المصطلح ذو طابع سياسي قد يؤدي إلى تحقيق الوحدة أو على الاقل التعاون فيما بينهم، وهو حلم من الصعب تحقيقه، وهذا المصطلح متداول في رسائل الجامعات في تونس والجزائر والمغرب وهي بعيدة عن التفكير السياسي الحديث.

3- دول المغرب العربي: هذا المصطلح شائع في الدول العربية الشرق أوسطية استخدم في التعليم والاعلام ولم أجد له صدى كبير في الدول المغاربية، وليس له صدى في شمال افريقيا، فالشائع استخدام تعبير الإسلام فله الفضل في الحفاظ على المجتمع المغاربي وحافظ على لغته العربية لحد الان.

هذه المصطلحات الثلاث ادخلتها في كتابي فيجد القارئ تعبير شمال افريقيا وأحيانا أخرى الدول المغاربية أو بلاد المغرب أو المغرب القديم وأيضا أدخلت اصطلاح دول المغرب العربي وبمجموعها اقصد (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ولم ادخل موريتانيا لان معلوماتي ضئيلة جدا عنها، ومهما يكن الامر ليس هناك خلط بالأسماء انما استخدمت ما هو متداول.

وبخصوص المصادر فهي متنوعة بعضها يعود إلى بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر أو المغرب وتونس وكان الرعيل الأول من ضباط الجيش أو الأطباء العاملين في شمال افريقيا، وهؤلاء يفتقدون للجانب العلمي الاثاري ومع هذا القليل منهم كتب ما شاهده أو ما وجده في المقابر التي تعود لعصور ما قبل التاريخ، اما الجيل الثاني من البحاثة الفرنسيين فقد تولى البحث والتنقيب في القرن الماضي واتسمت بحوثهم بالجدية والدقة ومنهم الباحث الكبير (Gabriel Camps:) له عدة مؤلفات منها: (في أصول البربر: الاثار والطقوس الجنائزية فيما قبل التاريخ) صدر عام (1961)، وكتاب آخر لنفس الباحث ترجم إلى العربية تحت اسم: (البربر ذاكرة وهوية) طبع عام

(2014)، وكتاب ثالث بعنوان (في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ)، وأيضا الباحث الفرنسي (Stéphane Gsell) حيث أصدر موسوعة من ثمانية أجزاء باسم (تاريخ شمال أفريقيا القديم) ترجمة (محمد التازي سعود)، ويجد القارئ قائمة من المصادر العربية والأجنبية، كذلك لا ننسى الباحثين الاجلاء من ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب ومنهم : (محمد حسين فنطر)، والباحث (محمد الصغير غانم)، وعبد اللطيف محمود البرغوثي وكتابه (التاريخ الليبي القديم) (1971)، إلى جانب الباحث محمد مصطفى بازامة وكتابه (تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ) والباحث (رجب عبد الحميد الاثرم) (محاضرات في تاريخ ليبيا القديم)، والباحث محمد الهادي حارش (التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي) وغيرهم من الباحثين لم يبخلوا في مؤلفاتهم بمعلوماتهم القيمة.

انقسم كُتاب الاستعمار الذين تناولوا دراسة سكان المغرب القديم قبل الحرب العالمية الثانية إلى مدرستين: **المدرسة الأولى** اعتبروا سكان المغرب القديم ينتمون إلى الأصل الأوربي ، وقد روج هذه النظرية عسكريون وموظفون ورحالة فرنسيون، **المدرسة الثانية**: وهم المتخصصون بالتاريخ القديم واعتبروا سكان المغرب القديم ينتمون إلى الشرق، وذلك من خلال دراسة لغتهم وحضارتهم ومنهم الباحث (غوتيه) في كتابه (ماضي شمال إفريقيا)، والباحث (ليونيل باللو) في كتابه (إفريقيا الشمالية قبل التاريخ)، ومن الواضح ان أصحاب المدرسة الأولى لا يستندون في اطروحاتهم إلى حقائق علمية، بل كانوا مدفوعين أساسا بدوافع سياسية من أجل دمج منطقة المغرب القديم بالكيان الأوربي، وخاصة فرنسا، وليس من قبيل الصدفة ان تظهر هذه النظرية مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830) وقد عبر عن هذه الفكرة الباحث محمد الميلي في كتابه (المسألة الثقافية)، ص57، أما أصحاب مدرسة الأصول الشرقية، فإنهم تبنوا هذه النظرية بناء على شواهد قديمة وأخرى حديثة ومنها علوم الآثار والأنثروبولوجيا واللسانيات أكدت جميعها صحة هذه الشواهد والقرائن، وقد لاحظ هؤلاء العلماء أن منطقة المغرب القديم كانت حلقة الوصل ما بين جنوب الصحراء الكبرى والهضبة الاستوائية الافريقية في الجنوب، وجنوب غرب آسيا في الشرق، وسهلت عملية الربط عدم وجود عوارض وحواجز طبيعية تمنع هذا الاتصال.

عندما بدأت في الكتابة كانت لدي فكرة بان اغلب المؤلفات الأجنبية التي تناولت التاريخ المغاربي ارجعت اللقى الاثرية إلى تأثيرات اوربية في شبه جزيرة ايبيريا (اسبانيا والبرتغال) وجزيرتي صقلية وسردينيا وإيطاليا وهذه المناطق في عصر فجر التاريخ كانت متخلفة حضاريا عن مناطق أكثر حضارة مثل مصر وبلاد الرافدين ولهذا شعرت ان التأثيرات انتقلت من الشرق الأدنى إلى شمال افريقيا، ومن ثم حاولت وانا أتحدث عن الاثار المكتشفة في الدول المغاربية بان لها نظائرها في العراق ومصر وسوريا

وبلاد الاناضول والمملكة العربية السعودية والبحرين والامارات وعمان ومصر واثار هذه الدول اقدم عهدا من اثار شمال افريقيا وحتى اثار ايبيريا لذا التأثير والتأثر بدول الشرق الأوسطية اكثر ملائمة من اوربا.

وقد قسمت الكتاب الى سبعة فصول وبالشكل التالي : **الفصل الأول** خصص في شرح البيئة والانسان في دول شمال افريقيا، ثم **الفصل الثاني** تطرقت إلى العصور الحجرية القديمة في شمال افريقيا ،اما **الفصل الثالث** تناولت فيه الحفائر الاثرية في فجر التاريخ، و **الفصل الرابع** فيه العمارة الدينية والدنيوية في فجر التاريخ، وقسم **الفصل الخامس** الى مبحثين الأول شرحت فيه الفخار في عصر فجر التاريخ ، بينما المبحث الثاني تناولت فيه الاثار الحجرية والمعدنية في فجر التاريخ، وفي **الفصل السادس** كان لابد من تقسيمه إلى ثلاث مباحث فكان المبحث الأول ضمن الرسوم الصخرية في شمال افريقيا، بينما المبحث الثاني خصص في شرح الأفكار المستنبطة من الرسوم الصخرية، والمبحث الثالث وفيه الفكر الديني في النقوش الصخرية، اما **الفصل السابع** فهو من مبحثين : المبحث الأول شرحت الطرق المقترحة التي سلكها أقوام فجر التاريخ إلى غرب البحر المتوسط، بينما المبحث الثاني ذكرت فيه تأثيرات حضارة الشرق الأدنى على دول شمال افريقيا.

ولا يكتمل البحث برمته إلا بوجود الأشكال التي تدعم ما ورد في الشرح ولهذا سعيت جاهدا البحث عن تلك الاشكال ووضعها في المكان المناسب لها، كما يجد القارئ خرائط توضح انتشار المواقع الاثرية أو المقابر أو الطرق التي سلكها المهاجرين والتجار والبحارة توضح وباتفاق الكثير من المهاجرين الانتقال الحضاري من الشرق نحو الغرب، كما يجد بين الصفحات جداول توضح الكثير من الاثار واللقى وما يعاصرها في الشرق الأدنى القديم، وأتمنى ان يجد كتابي فسحة في المكتبة العراقية خاصة والعربية عامة، وان يهتم الباحثين في الدراسات العليا في المشرق بتشجيع الطلبة بالاهتمام بتلك الزاوية من وطننا العربي الكبير، وأخيرا يكون كتابي مكمل لجهود اخوتي الباحثين في (ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب) في مؤلفاتهم وبحوثهم القيمة ومن الله التوفيق.

الأستاذ المساعد الدكتور
صلاح رشيد الصالحي
تخصص تاريخ قديم

الفصل الاول

البيئة والانسان في الدول المغاربية

المقدمة

من بين الإشكاليات التي تطرح بشأن تاريخ المغرب العربي إشكالية فترة فجر التاريخ (La Protohistoire) التي دامت مدة طويلة نسبيا، كما تعتبر مرحلة انتقالية وفاصلة بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، والسبب الذي أدى إلى دراسة هذه المرحلة هو اكتشاف المعالم الميجاليثية وشبه الميجاليثية المنتشرة بكثرة في شمال افريقيا وذلك باعتماد على المعطيات والتأثيرات الحضارية والمتوسطية [1].

وقد أدى ذلك إلى اختلاف الآراء بين الباحثين فيما يخص تعريفاتها، وتسمياتها، وتصنيفاتها، وتحديدها أثريا وانتشارها الجغرافي، ولم يكن هناك اتفاق سوى الاعتراف بوجود هذه الفترة بشمال افريقيا، وأصبحت بعد ذلك من أصعب الفترات في البحث الاثري، وتكمن الصعوبة خاصة في تحديدها الزمني ويرجع ذلك إلى النقص الكبير في المعطيات الاثرية والتنقيبات في شمال افريقيا [2]

بناء على الشواهد الأثرية المختلفة وكثرة المعالم الجنائزية (البازينات، والمصاطب ...) والفخاريات، وبعض الشواهد المعدنية، والفن الصخري، وكذلك المخلفات الزراعية التي عثر على بقاياها من خلال كسر الفخاريات، والمساكن باختلاف أنماطها (المغارات، والكهوف، والمصاطب الحجرية، والاكواخ ...)، وآثار مخلفات تنظيم الحياة الاجتماعية في فجر التاريخ والتي يستدل عليها من خلال المعالم الجنائزية العديدة بحيث تمدنا بشهادات مهمة حول المجتمعات الأولى [3].

يرى الباحث (Bourdier) بانه من المنطقي جعل فترة وسيطة بين فجر التاريخ والعصر التاريخي، ولهذا اقترح بأن فجر التاريخ بدأ مع ظهور الفن التصويري في العصر الحجري القديم الأعلى الذي سبق الكتابة التصويرية والكتابة، كما أن التاريخ هو فترة الكتابة بينما فجر التاريخ هي الرسوم الصخرية التي مهدت للكتابة [4]، وفي نفس الاطار عبر الباحث (Dechelette) بأن مرحلة فجر التاريخ هي انتقال أو فاصل بين عصر ما قبل التاريخ والذي يعرف باسم العصر الحجري وبين العصر التاريخي والتي عرف فيها الإنسان الكتابة أي بما يتناسب مع عصري البرونز والحديد، بمعنى الالفية الثانية ق.م [5]، أما الباحث الكبير (Camps) فقد عرف فجر التاريخ في الدول المغاربية بعلم أصول البربر وشكل من علم الآثار الريفي، وان فجر

---

(1) عويسي سمية: (2015-2016)، ص5

(2) مصطفى رميلي: (2002)، ص 32

(3) عزيز طارق ساحد: (2008-2009)، ص 52-90 // عويسي سمية: (2015-2016)، ص5

(4) Franck Bourdier: (1950). p. 551

(5) Joseph Dechelette: (1913). p. 529

التاريخ لا يتعلق بما قبل التاريخ ولا بالتاريخ، ورغم هذا يتمتع فجر التاريخ المغاربي بخاصية مفروضة ناجمة عن الاختلافات الكبيرة التي تميز ما قبل التاريخ عن بلاد البربر التاريخية [1]، وأن هناك مرحلة انتقالية بين العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ عندما استعمل الإنسان الحجارة والنحاس في وقت واحد والتي نطلق عليها العصر الحجري-المعدني [2].

يمكن القول ان فترة فجر التاريخ تحدد من اكتشاف وتصنيع المعادن وخاصة النحاس إلى ظهور الكتابة، ومع هذا يمكن ان نعرف فجر التاريخ بانه علم يشمل معارف حول الشعوب التي لم تعرف الكتابة والتي رافقت الحضارات التاريخية الأولى، فهي مرحلة عادية لانتقال الإنسان من عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية حيث عرف فيها صناعة المعادن [3].

ان فترة فجر التاريخ مرحلة انتقالية برزت فيها ظواهر ثقافية وحضارية مختلفة ومتنوعة تتمثل في تنظيم نمط عيش بسيط، حيث استخدمت فيه أدوات جديدة مثل الفخار والأدوات المعدنية كما عرفت هذه الفترة الفن الصخري، والزراعة، وإقامة المساكن، وظهور عادات جديدة لم تكن معروفة من قبل، فمن دون شك أن بلاد المغاربية عرفت الفترة موالية للعصر الحجري الحديث وسابقة أو معاصرة للوجود (البوني) (القرطاجي) [4].

هناك إشكالية أخرى بشأن إشكالية التسمية يعتقد الباحث (Camps) بعد دراسته للمعالم والطقوس الجنائزية لفترة فجر التاريخ بان اعطى طابعا أوسع بإدماج مجموعة المباني الجنائزية المحلية بما فيها تلك المعاصرة للقرون الأولى التاريخية (المدغاسن، والضريح الموريتاني، لجدار)، واستعمل من جهته (معالم جنائزية ليبية بربرية) دون التفكير بان هذه أشكال تنتشر في مناطق غير تلك المنسوبة للبربر، ثم اختار فيما بعد مصطلح (فجر التاريخ)[5] التاريخ)[5] ، وقد استعملت الباحثة مليكة حشد مصطلح (فترة قبل البربر) أو (الفترة البربرية القديمة) [6] .

أما التحديد الزمني لفترة فجر التاريخ نجد هناك اختلاف في آراء الباحثين في ظل عدم تمييز بداية العصر الحجري الحديث عن نهايته، وكذلك نقص الوثائق المتعلقة بهذه الفترة بسبب النقص الكبير في الأبحاث العلمية

---

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 8

(2) العصر الحجري-المعدني وهي الفترة التي استعمل فيها الإنسان معدن النحاس والحجارة ويطلق عليه بالمصادر الاوربية الكالكوليتية وتعني (khalkos) باليونانية نحاس، و (lithos) تعني حجارة.

(3)عويسي سمية: (2015-2016)، ص8

(4) عزيز طارق ساحد: (2008-2009)، ص37

(5) عويسي سمية: (2015-2016)، ص11

Gabriel Camps: (1986). Pp. 1-2

(6) Malika Hachid: (2000). p. 314

والتحاليل المخبرية [1]، وأجريت أبحاث على عينات عضوية التي عثر عليها في المعالم الجنائزية لفترة فجر التاريخ، وبطريقة كاربون 14 فقد أعطت تواريخ لا تفوق معظمها القرن الرابع ق.م [2] ونذكر من بينها تلك التي أجريت بمدافن شرق ووسط الجزائر:

جبل مستيري: 540 ق.م، تيديس: 250 ق.م، بو نوارة (جبل مازيلا): 250 ق.م (تم التأريخ على عظام وجدت في المجموعة الثانية من مدافن البازينات)، بني مسوس: 150 ق.م [3]، أشير (بالقرب من المدية): 570 و425 ق.م (بالنسبة للمدافن والبازينات) [4].

أما في الصحراء في موقع لوني بأتاكور (الهكار)، أرخت مدفن بسيطة (3105) ق.م، في حين أرخت مقابر تيت: (1270) و (1370) ق.م، وكذلك مقابر سيلات (1530) ق.م [5]، ومن خلال هذه التواريخ المختلفة يمكن يمكن القول إنه من الواجب مراقبة نتائج الحفريات التي أجريت على المعالم الجنائزية وبموازاة مع أماكن السكن للحصول على صورة دقيقة لشعوب فترة فجر التاريخ، ومن المؤسف أن مساكن فجر التاريخ غير معروفة ومن المستحيل ايجادها ظاهرة بين المخلفات وهذا يعد سببا آخر في عدم القدرة على تحديد امتداد فترة فجر التاريخ [6].

على أية حال من أجل تحديد عصر فجر التاريخ في دول المغاربية القديمة، لابد من معرفة عصر ما قبل التاريخ حيث سادت الصناعات الحجرية والتي صقلت بعدة طرق، وارتبط بهذا العصر صناعات أخرى مثل الفخار، وتدجين الحيوان، ومعرفة الزراعة، كما اشتهر بالرسوم الصخرية، إضافة إلى بداية صناعات معدنية كالنحاس والبرونز وفيما بعد الحديد.

يتوسط مصطلح فجر التاريخ نهاية عصور ما قبل التاريخ بما فيها العصر الحجري الحديث وبداية الفترة التاريخية في المرحلة الليبية-الفينيقية وما بعدها، فالمعروف في العصر الحجري الحديث صقلت الحجارة وصنعت رؤوس السهام أما العصر التاريخي فقد مارس الانسان الكتابة وأسس القرى الزراعية، وشيد المدن، ولذلك فان ما قبل الكتابة وفترة معرفة الانسان الكتابة يمكن ان نطلق عليها فجر التاريخ، ومثل هذا الموضوع صعب تحديده في ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب، لان الفترة التاريخية وصلت سواحل شمال افريقيا مع وصول الفينيقيين حيث شيدوا المستوطنات على طول السواحل المتوسطية والاطلسية، بينما بقيت المناطق الداخلية ضمن عصر ما قبل

---

(1) مصطفى رميلي: (2002)، ص36// عويسي سمية: (2015-2016)، ص17

(2) مراد زرارقة: (2005-2006)، ص 17

(3) مصطفى رميلي: (2002)، ص38

(4) Abd el-Kader Haddouche et Smail Iddir: (2007). p. 181

(5) Jean Pierre Maitre: (1971). p. 75

(6) Gabriel Camps: (1960). p. 92

التاريخ حتى قيام السلطة النوميدية، ومن ثم فان صناعة الفخار، وممارسة الزراعة، وتربية الحيوانات لم تكن في وقت واحد، بل متدرجة زمنيا [1].

إننا نعاني من نقص في الوثائق المدونة التي تعود للعصر الفينيقي، ولو أن بعض الباحثين يرى بان المستوطنات الفينيقية – القرطاجية على الساحل الشمالي لأفريقيا لا علاقة لها بفجر التاريخ انما هي ضمن الفترة التاريخية، وفي الواقع فإن الدول المغرب العربي مترامية الأطراف وحتى في فترة العصر الحجري الحديث مرتبطة إلى حد ما بما يجري في الصحراء من حيث المناخ وتحرك الإنسان، غير أن الفترة الفينيقية في المغرب العربي يلاحظ بروز لمسة حضارية متوسطية تعم المنطقة الساحلية دون النفوذ إلى الداخل فيما عدا بعض المناطق القريبة من السواحل المتوسطية والاطلسية [2].

هناك ظاهرتين هامتين مرتبطتان بعصر فجر التاريخ هما المناخ الجاف الذي سيطر على المنطقة الصحراوية حيث ازدهرت الصناعات العصر الحجري الحديث وثانيها تطور الصناعات الخشبية وإدخال القار في طلي القوارب والسفن [3]، والملاحظ وجود تغيرات في عادات الدفن والمتمثلة في إبعاد جثث الموتى عن سكن الأحياء، وهذا دليل آخر على بداية مرحلة فجر التاريخ في المغرب العربي، فالطقوس الجنائزية تعكس وبصدق حياة الناس ولذا لابد من التنقيبات في المقابر الجنائزية ومقارنة أثاثها مع تلك التي وجدت في مناطق الاستقرار المعروفة، ولو ان هذه الطريقة لا توضح طبيعة الناس الذين عاشوا في فجر التاريخ خاصة إذا عرفنا بان المقابر استعملت منذ فترة زمنية قديمة وحتى الفترة الرومانية [4]، ولهذا من الصعب تحديد تأريخ مقابر فجر التاريخ اعتمادا على الأثاث الجنائزي الذي استخرج منها.

أن تركيبة المجتمع القديم كانت ريفية ذات طابع بدوي، إلى درجة أن نسبة المتحضرين كانت ضعيفة بين السكان المحليين الخارجيين على مجال السيادة القرطاجية، ومن المعروف خارج المدن الفينيقية التي أسسها القرطاجيون على السواحل الإفريقية وبعض الجزر القريبة منها، كان يسودها نوع من الفراغ العمراني فيما عدا بعض المدن النوميدية التي ذكرها المؤرخين القدماء منذ القرن الثالث ق.م [5]، وكانت المدن التي أسسها السكان المحليون هي أقرب إلى تجمعات وحصون يلتجئون إليها وقت الحاجة، ولم يبق من آثارها إلا المدن الرومانية التي بنيت واستمرت في نفس المواقع مثل مدينة دوحة، ومكثر، وتبسة، وقالمة، وسيرتا التي تعتبر كلها ذات نشأة محلية

---

(1) رشيد الناضوري: (1966)، ص123

(2) محمد الصغير غانم: (2006)، ص 6-7

(3) Gabriel Camps: (1961). p. 29

(4) محمد الصغير غانم: (2006)، ص 11

(5) Maurice Euzennat: (1957). Pp. 199-229

نوميدية[1]، وحتى بناء الاضرحة الكبيرة لابد وان كانت هناك ايدي عاملة شاركت في بناء الاضرحة الضخمة [2] المتأثر بالعمارة الإغريقية والتراث الحضاري من الشرق، وهذا يدل على ان دول المغاربية لم تكن منطقة مغلقة على نفسها منذ القرن الثالث ق.م على أقل تقدير، وان السكان كانوا يؤلفون تجمعات بشرية يرأسها أشخاص أقوياء لهم مكانتهم في المجتمع سواء أكان ذلك في شكل رؤساء قبائل أو أغاليد [3] .

أن فكرة الترتيب التاريخي لفترة فجر التاريخ تبقى دائما مقتصرة على ما وجد في المقابر الميجاليثية وعلى نوعية هندسته المعمارية الجنائزية، وهي القاعدة الضرورية التي تقدم افتراض نسبي لأنها غير كافية لذا على الباحثين دراسة شكل تلك المقابر وطريقة بنائها وتنظيمها من حيث الانتشار في المنطقة، وبالمناسبة أن معظم المنقبين الذين نقبوا في مقابر الدولمن والبازينا كانوا مهتمين بدراسة فترة ما قبل التاريخ أكثر من اهتمامهم بالآثار الكلاسيكية، وقد توصل الكثير منهم بان مقابر الدولمن في دول المغرب العربي لا يتجاوز القرن الثالث ق.م [4] .

لا نعرف هوية سكان دول المغاربية القدماء أثناء الفترة التاريخية، بل بقيت لغزا كبيرا، فلا الكتابات القرطاجية ولا الثقافة الاغريقية التي تعرضت للتشوية على يد الرومان كلاهما دخولهم إلى المنطقة كان متأخرا، فلابد مثل هذه الحالة دراسة بقايا مخلفات الإنسان القفصي والايبيرو-المغربي ممثلا في إنسان مشتى العربي ثم فيما بعد الإنسان العصر الحجري الحديث وبقايا فجر التاريخ، أن القفصيين من سكان البحر المتوسط وقد عثر على بقايا عظمية متفرقة في المنطقة القفصية بتونس، لاسيما في الشمال الشرقي الجزائري، وشمال غرب تونس، وتم مقارنة بقايا رؤوس القفصيين الذين عثر عليهم في مواقع مساكنهم بالشرق الجزائري برؤوس الطوارق وأتضح بان القفصيين ذوي ملامح زنجية [5]، أما الايبيرو-المغاربي فليس لدينا شواهد هامة فيما عدا عدا تلك التي عثر عليها في أطراف بلاد المغرب القديم وهي بقايا عظمية في موقعي كهف العقاب (Kef El-Agab) بتونس ودار السلطان في المغرب،

---

(1) محمد الصغير غانم: (2006)، ص12

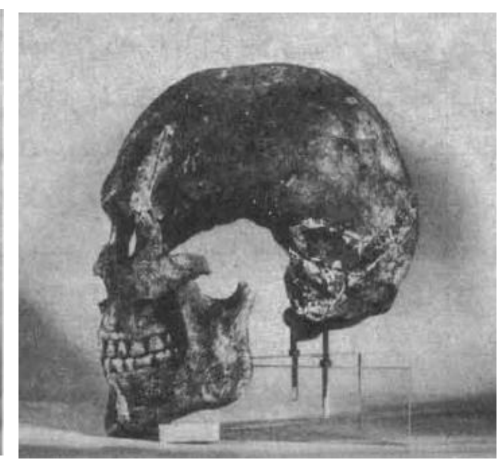
(2) راجع الفصل الرابع (العمارة الدينية والدنيوية في فجر التاريخ في دول المغرب العربي).

(3) الإغليد: هو حاكم عسكري ومدني وهو يقابل منصب (الشفيط) (Šufetes) في قرطاج القديمة، ففي خلال القرن الخامس ق.م حدث تطور كبير فقد تناقصت خلاله قوة الملوك، وبرزت نشأة سلطة الشفيط وهو عبارة عن قاضي وحاكم، وكان كل من سيفاقس وماسينيسا يحملان لقب إغليد وملك في نفس الوقت: محمد الصغير غانم: (2006)، ص 15

(4) Gabriel Camps: (1955). Pp. 225-264 // Stéphane Gsell: (1913). 232-236

(5) Lionel Balout: (1954)

ففي كهف العقاب اتضح بان عظام المواقع البشرية التي تنتمي إلى الجنس الأبيض وليس بينها ما ينتسب إلى الجنس الزنجي، أما بقايا إنسان مشتى العربي أو ما يعرف (الانسان المشتوي) فقد عثر على بقاياهم في المناطق الساحلية وفي جبال التل وبعض المناطق الداخلية مثل ملاجئ الضباع وجبل الفرطاس بالاوراس، وكدية الخروبة بالقرب من العاصمة الجزائر، وفي موقع (باسمة) شرق الجزائر، ولا يستبعد وجود مثل هذه النوعية البشرية لعصر الحجري القديم كان قد تواصل حتى فجر التاريخ [1].




شكل 1: جمجمة إنسان من نوع مشتى العربي (من موقع باسمة، شرق الجزائر)، وهو يشبه إنسان كرومانيون، شكل الجمجمة من الأمام (اليمين)، ومن الجهة الجانبية (اليسار)

بصفة عامة كانت بقايا العظام الإنسانية التي اكتشفت في المقابر الميجاليثية العائدة إلى فجر التاريخ قريبة من عظام انسان الحالي، ولم تظهر عليها علامة ثقب عظام الرأس مثل ما كان يعمل به في فترة العصر الحجري الحديث ولم يعثر في مقابر الدولمن على فؤوس حجرية مصقولة أو أي أدوات أخرى معدنية تعود إلى العصر النحاسي أو البرونزي [2]، وعلى ما يبدو ان عظام الإنسانية التي عثر عليها في المقابر الميجاليثية متطورة إلى حد ما إذا قيست بتلك العائدة إلى العصور الحجرية السابقة، ويعتقد بان تلك العظام تشمل الإنسان الأبيض والانسان المحلي الليبي الذي امتزجت عظامه مع الانسان الزنجي مما يوكد على وجود هجين بين هؤلاء السكان [3].

عند دراسة الطقوس الجنائزية والفخار نعرف وجود سكان مستقرين وآخرين متنقلين في مناطق مختلفة لاسيما في المنطقة الشرقية من الجزائر

---

(1) محمد الصغير غانم: (2006)، ص21

(2)Georges Souville: “Les Grottes à ossements et industries préhistoriques del’oust d’Alger” Libyca t.I. 1953. Pp. 17-53

(3) محمد الصغير غانم: (2006)، ص22

والتي كان تستوطن من قبل القبائل النوميدية، والسهول على ساحل المحيط الأطلسي التي تقطنها القبائل المورية، وبرهنت بقايا آثار فجر التاريخ على وجود تركيبة اجتماعية جديرة بالاهتمام (1).



شكل 2: صورة مدخل موقع تيديس(Tiddis) في شرق الجزائر ذات الدفن الجماعي

واخيرا يمكن أن نتساءل عن الشروط التي يمكن بواسطتها تحديد بصمات انتهاء فجر التاريخ في دول شمال افريقيا (ماعدا مصر)، ذلك لأن أدواته الأثرية كانت لا تختلف عن أدوات الآثار الريفية أثناء الفترة التاريخية، فالآثار التاريخية الريفية كانت تتطور ببطء، أضف إلى ذلك أن الباحثين الأثريين والمؤرخين كانوا قد وجهوا عنايتهم في بداية الأمر إلى النمو، لاسيما ذلك الذي لم يكن فينيقيا أو رومانيا، بل بقي أصحابه يعيشون على هامش التاريخ، وعلى هذا الأساس فإن الحديث عن وضع شروط معالم تحدد فجر التاريخ وفقا للدراسات الحالية يصبح ضربا من الخيال ولا يخضع للمقاييس العلمية، غاية ما هنالك أن التسمية تبقى مستمرة حتى يظهر ما يدعم الربط تلك التي تقترن بالمصادر المادية التي تنتمي إلى ما قبل التاريخ (فترة العصر الحجري الحديث)، وأيضا المصادر التاريخية التي تعتمد على النصوص الكتابية والمصادر المادية للفترة التاريخية (2).

على أية حال الحضارة في أوسع مجالات مفهومها هي انتاج تفاعل الانسان مع البيئة، فقد ظل الانسان يترقب البيئة وملاحقة مظاهرها المختلفة الأرضية والجوية والمائية والنباتية والحيوانية ويكتسب الكثير من التجارب التي تعاونه في دفع عجلة التحول والتطور والاختراع والإنتاج، وليس للعنصر البشري من حيث انتماؤه إلى جنس معين أية صلة بالتفوق الحضاري.

الموقع

تقع دول المغرب العربي في شمال القارة الافريقية وهي (المغرب والجزائر وتونس وليبيا)، وتظهر هذه على شكل رباعي غير منتظم (3)، يحدها

---

(1) Mounir Bouchenaki: (1978). p.114

(2) محمد الصغير غانم: (2006)، ص23

(3) محمد الهادي حارش: (1992)، ص13

من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلسي وشرقا مصر، وبذلك فهي تمتد بين خطي (18°–38°) شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 25° شرقا و 10° غرب خط غرينيتش، وهو ما أعطاها موقعا استراتيجيا فهي تنتمي إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط، و تشكل الجزء الشمالي من القارة الإفريقية مما مكنها أن تكون حلقة ربط بين المنطقتين، كما أنها ذات وحدة جغرافية وتضاريسية وبشرية واحدة [1].

أـ التسمية

تعددت المصطلحات التي أطلقت على بلاد المغرب العربي أي شمال افريقيا أو شمال غربي افريقيا تحديدا، وذلك بحسب الأزمنة والأقوام البشرية سواء أصلها من المنطقة أو المجاورة لها أو الوافدة إليها من بعيد، وإذا كان التصور الجغرافي في أذهاننا يرتبط دوما بما ينطبق على ما توفره دقة الخرائط التي أنجزها التقدم العلمي، إلا أن الأمر لم يكن بمثل هذا الوضوح في القديم، إذ كانت الأقاليم تحدد بجنس سكانها، وهذا يقف عائقا أمام الباحث في التاريخ أو الجغرافيا السياسية، إذ لا يمكن أن نجد حدا بين الحدود الإثنولوجية للشعوب إلا إذا فصَل بينها فاصل طبيعي كبير كالبحر أو الصحراء [2].

2ـ بلاد الغرب

هناك من الباحثين الذين اهتموا بتاريخ ليبيا في فترة فجر التاريخ ويُعتقد بان الكتابات حول تاريخ ليبيا قبل هيرودوتس (480-420) ق.م لا يعتبر تاريخا بالمعنى المفهوم [3]، ومن المعروف الكتابات اليونانية حول افريقيا لم تهتم إلا بما يحيط بقورينة (المستعمرة الاغريقية في منطقة برقة في ليبيا) متجاهلين بما كان في عمق البلاد المغربية، لذا اعتمد اليونانيين على الفينيقيين لمعرفة شعوب غرب شمال افريقيا، فالمؤرخ اليوناني هيرودوتس اهتم بمصر كما ورد في كتابه الثاني، وفي كتابه الرابع خصص (30) فقرة لبلاد المغرب، وكثيرا ما يميل إلى المبالغة ويربط أحيانا بين ما يراه في البلدان التي زارها وما يسمعه من الاخرين فتصل المعلومات مزيفة، وحتى بالنسبة للصحراء الافريقية فانه يجهل كل شيء عنها.

لم تكن منطقة شمال افريقيا معروفة في فجر التاريخ الفرعوني بأي اسم يختص بها، وأقدم ما جاء في نقوش المصريين للدلالة على الغرب هي كلمت (أمنت) (IMNT) التي تدل على ريشة النعام كحلية تقليدية لازمت رأس

---

(1) محمد الصغير غانم: (2003)، ص9

(2) محمد مصطفى بازامة: (1975) ، ص64 //قعر المثرد السعيد: (2007-2008)، ص 6

(3) Oric Bates: (1914). p. 210

الليبي في التاريخ الفرعوني [1]، ومعنى (أمنت) الغرب الذي يقع غرب وادي النيل مباشرة وهو الذي تجتمع فيه الأرواح وتعيش فيه، أو هي أرض غروب الشمس التي سمى العرب المحيط المحاذي لها من الغرب(بحر الظلمات) وهو المحيط الأطلسي [2].

نتيجة للاتصالات والاحتكاك عرف المصريون القدماء بلاد الغرب وسكانها بأسماء وجدت في النصوص الهيروغليفية ومنذ عصر ما قبل الأسرات حوالي منتصف الألف الرابعة ق.م، ربما يكون المقبض العاجي لسكين جبل العرق، قد صور الليبيين بشعور طويلة عراة إلا من حزام لستر العورة، وهذا اللباس هو الأساس عند معظم القبائل الليبية (تحنو، وتمحو، والمشواش) باستثناء قبيلة الريبو، لذلك اختلف الأثريون حول مسألة ارتداء هذه القطعة من الثياب وعلاقتها بعملية الختان، فاعتبروا أفراد قبيلة الريبو غير مختتنين لعدم ارتدائهم جراب العورة، ولكن الرأي الأصح بان الفرعون رعمسيس الثالث عاقب المتحالفين الريبو والمشواش على السواء بقطع عضو التذكير، وهو عقاب يسلط على النجسين غير المختتنين، على الرغم من أن المشواش كانوا يرتدون جراب العورة [3].

أما الرداء الخارجي (العباءة) فكانت عبارة عن عباءة فضفاضة تغطي الكتف الأيمن وأعلى الذراع ثم تعقد على الكتف الأيسر بعقدة عريضة في حين يترك الذراع مكشوفا، وتحتها يظهر جراب العورة، ويعتقد بانهم قبيلة المشواش لأن الريبو لا يرتدون جراب العورة، ويلاحظ في نقش من وادي الملوك بالأقصر أربعة رجال ذوي بشرة بيضاء ولحية وشارب بالإضافة إلى الريشتين على الرأس [4]، ومن خلال الرسوم نجد الريشات شامخة فوق رؤوس سكان المنطقة منذ مرحلة الصيد ولغاية مرحلة العربات والفرسان، ولهذا نجدها منتشرة بكثرة في رسوم الصحراء الوسطى، وفي مرتفعات الاطلس الصحراوي، والريش ليست للزينة استنادا للنصوص المصرية القديمة، ونجد في الكتابة المصرية القديمة أولى العلامات الدالة على الغرب صورة الرأس عليه ريشة كرمز يدل على الكلمة المصرية القديمة (إمنت) وتعني الغرب(كما ذكرنا سابقا)، وتؤكد النصوص المصرية في السطر السادس من لوحة إسرائيل في عهد الفرعون مرنبتاح (الأسرة التاسعة عشرة) الذي انتصر على الأمير الليبي (مري بن دد) ورد في النص: (الرئيس

---

(1) أن مصادر تاريخ ليبيا في الألف الثانية ق.م، سواء كانت نقوشا أو رسوما هي مصادر مصرية الطابع أساسا، وتتعلق بالسكان الليبيين المحتكين بمصر الذين استطاعوا الاستيطان في الشمال الغربي من الدلتا قبل توحيد وادي النيل: إبراهيم أحمد زرقانة: (1948)، ص152

Gadallah, Fawzi F: (1971). Pp. 43-76

(2)محمد مصطفى بازامة: (1975)، ص69

(3) أم الخير العقون: من مصادر ...، ص96

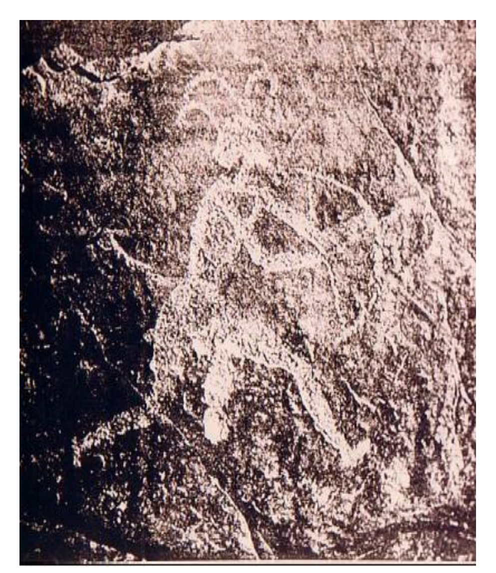
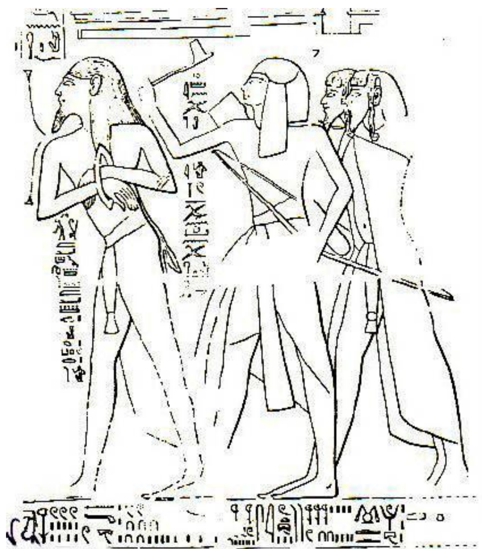
(4) Karl Heinz Striedter et Tauveron, M: (1994). p. 65

الخسيس الليبو الذي فر تحت جنح الليل، وحيدا بغير ريشة فوق رأسه) [1]، وفي موضع آخر: (إن الحظ اختطف من الزعيم مري بن دد ريشته) [2]، والنصان يشيران إلى هزيمة العدو، ولما انهزم المشواش أمام رعمسيس الثالث نكسوا الريشة فوق رؤوسهم، فأصبحت افقية، وبقي الليبيون متمسكين بتقاليدهم فحافظوا على الريشة فوق رؤوسهم، وقد أشار الملك الكوشي (بي عنخ) لأمراء الأسرة الثالثة والعشرين الليبية (الامراء الليبيون الذين على رأسهم ريش) [3].

ولا سبيل إلى التأكد من هوية الليبي في الصور المرسومة قبل ظهور الاسم الأول الذي أطلقه المصريون على الليبيين وهو (التحنو) وطبقا للباحث (Hölscher) [4] فقد ظهر هذا الاسم على جزء من لوحة من الشست تنتمي إلى الملك (العقرب)، ثم ظهرت بعد ذلك على أسطوانة عاجية (رأس دبوس) من هيراكونيوليس (باليونانية Hierakonpolis) (الكوم الأحمر شمال ادفو) (بالمصرية القديمة نخن) مؤرخة بعهد الملك نعرمر (نارمر) أول ملوك الأسرة الأولى (3400-3200) ق.م وهو يضرب جماعة من الأسرى نقش فوقهم اسم تحنو [5]، ولكن النقش الضئيل البروز على معبد (ساحو رع) الجنائزي (الأسرة الخامسة عام 2500 ق.م) يلقي لنا الأضواء على بنية (التحنو) الجسدية وملابسهم، فقد كان هؤلاء الرجال طوالا، لهم ملامح جانبية حادة، شفاههم غليظة، لحاهم كثة، ولهم شعر مميز كثيفا على مؤخرة الرقبة تصل خصلة إلى الاكتاف، مع خصلة صغيرة من الشعر فوق الجبهة، وإلى جانب الحزام المثبت به ستر العورة كانوا يرتدون وشاحا عريضا مميزا حول الكتفين بتقاطع طرفاه على الصدر، وعقدا تتدلى منه حلي، وقد سكنوا الصحراء الليبية وواحاتها خلال الألف الثالثة[6].

---

(1) أم الخير العقون: ص 98 // ألن جاردنر: (1987)، ص301
(2) ألن جاردنر: (1987)،ص 427
(3)أم الخير العقون: ص 99
(4) Wilhelm Hölscher: (1955). p. 12
(5) هناك نقش آخر الملك (دجر) يقمع أسيرا تعلو صورته اسم تحنو، وتكرر الاسم في عهد الأسرتين الثانية والثالثة (2778-2723) ق.م، وهناك إشارة للملك (سنفرو) مؤسس الاسرة الرابعة، وهو يشن حملة ضد التحنو وأسر منهم (1100) أسيرا واستولى على (13100) رأس من الماشية والاغنام: رجب عبد الحميد الاثرم: (1998)، ص 51
(6) جيهان ديزانج: (1985)، ص439

شكل 3: زعيم المشواش (مششر) في الأمام واثنان من رجاله في الخلف، يرتدون جراب العورة (معبد مدينة هابو) (اليمين)، شكل ليبي يرتدي جراب العورة وعلى راسه ريش، مسلح بالقوس (جبال تاسيلي-ازجر)

ربما التحنو هو من مصدر الاسم (التحينو) (Tehenu) أو التمحو أو التميحو (Temehu) [1]، أما التمحو فقد ورد ذكرهم في نقوش الأسرة السادسة (2625-2465) ق.م ولم يكن هؤلاء فرعا من (التحنو) كما ذهب إلى ذلك الباحث (Bates) [2] بل كانوا جماعة عرقية جديدة، لون بشرتها فاتح، وعيون زرقاء، بينهم نسبة كبيرة من الشعر الأشقر[3]، ويلبسون عباءة جلدية تغطي إحدى الكتفين دون الأخرى، وطبقا لوصف رحلة حرخوف الثالثة يبدو أن أرضهم كانت قريبة من النوبة السفلى بواحة الخارجة [4]، ويقال إنهم كانوا يشبهون شعب الذين استوطنوا النوبة خلال الدولة الوسطى وبداية الإمبراطورية الحديثة، وهذا الفرض يدعمه تشابه فخار هذه المجموعة مع الفخار الذي عثر عليه في وادي حوار على بعد (400) كم من جنوب غرب الشلال الثالث [5]، وقد أشار الملك (بين) الأول (الاسرة السادسة المصرية) إلى وجود فرقة من التمحو عندما ذهب وزيره أوني لمقاتلة قبائل آسيا [6]، كما أشير إلى التمحو في قصة سنوهي في عهد امنمحات الأول (معنى اسمه فاتح

---

(1) رجب عبد الحميد الاثرم: (1998)، ص 51-53

(2) Oric Bates: (1914). p. 46

(3) Georg Möller: (1924). p. 38

(4) Oric Bates: (1914) Pp. 49-51

(5) جيهان ديزانج: (1985)، ص439

(6) جيمس هنري برستد: (1996)، ص 87

القطرين) من الدولة الوسطى فقد كان ولده ولي العهد سنوسرت الأول يقاتل التمحو وحقق انتصارا عليهم واستولى على جزء كبير من أرض ليبيا [1].

أما الآثار المصرية فقد احتفظت لنا بصورة هؤلاء التمحو منذ فترة الأسرة الرابعة (2680-2560) ق.م وظهرت إحدى زوجات الفرعون (خوفو) على جدران مقبرة ابنها الأمير (خوفو شاف) بنفس مواصفات التمحو [2]، ويخبرنا الباحث (جون ويلسون) بأن الأميرة (حتب حيرس) الثانية ابنة الملك العظيم (خوفو) كانت شقراء ذات عينين زرقاوين، ويتخلل شعرها الأصفر الذهبي خطوطا حمراء دقيقة، بينما باقي سيدات المقبرة وفي سائر الجبانة باللون الأسود المعتاد [3]، وكذلك ظهرت ابنة (حتب حيرس) الثانية بلون بشرة بيضاء ناصح وشعر أشقر وهي تحلي جبينها بخصلة شعر قصيرة مثل التمحو[4] .



شكل 4: رسم جداري يمثل رؤساء التمحو (الليبيين) في رسم من قبر الفرعون سيتي الأول (الأسرة التاسعة عشرة) حوالي (1300) ق.م .

---

(1) أمدتنا نقوش الفرعون سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشر (1350-1205) ق.م بصور مكنتنا من معرفة ملابس التمحو وسماتهم البشرية فهم بيض البشرة ينتسبون إلى البربر ولا صله لهم مع التحنو ذوي بشرة سمراء: جيمس هنري برستد: (1996)، ص 116// رجب عبد الحميد الاثرم: (1998)، ص 53 هامش 21

(2) Ahmed Fakery: (1942). p. 7

(3)جون ولسون: (1955)، ص177

(4) Alan Gardner: (1945). p. 115

ويذكر الباحث محمد مصطفى بازامة ان اسم (التمحو) ظل يرد بين الفينة والأخرى حتى عهد الدولة الحديثة (1582-1085) ق.م، وهكذا نصل إلى أن (التحنو) و (التمحو) من الأسماء التي عرف بها اللوبيون القدامى [1]، ويبدو أن هؤلاء (التمحو) كانوا محاربين اشداء وكثيرا ما اضطر ملوك الدولة الوسطى إلى مطاردتهم، وقد رسمت صورهم أثناء عصر الإمبراطورية الحديثة، ومن السهل التعرف عليهم بضفائرهم التي تتدلى أمام الاذن ويطرحونها للخلف على الاكتاف، وكانوا عادة يضعون ريشا في شعرهم، ويلبسون أحيانا العباءات، وكان سلاحهم هو القوس وأحيانا السيف أو العصي المعقوفة، وهذه الملامح ذكرها هيرودوتس عن الليبيين في القرن الخامس ق.م، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن (التمحو) هم أحفاد الليبيين الذين عرفهم الاغريق في برقة (Cyrenaica)، وأصبحت غزوات (التمحو) أشد خطرا خلال الأسرة التاسعة عشرة، فبعد أن طردهم الفرعون (سيتي الأول) سنة (1317) ق.م ضم رعمسيس الثاني الفرق الليبية إلى الجيش المصري ونظم خطا دفاعيا على امتداد ساحل البحر المتوسط حتى منطقة العلمين [2].

2ـ (لوبة، الريبو، ليبو) = ليبيا

أطلق أسم الليبو (Libou) [3] على كامل القبائل التي عاشت في دول المغرب العربي منذ فترة فجر التاريخ وتنتشر من سرت الكبير بما فيها الصحراء الكبرى إلى سواحل المحيط الأطلسي [4]، وجذر ليبو (L.B.W) ورد في النصوص الهيروغليفية للدلالة على شعوب تسكن غرب نهر النيل [5]، كما اشتق اسم اللوبيين من كلمة (لوبه) وهو الاسم القديم الذي أطلق على

---

(1) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص57// محمد المختار العرباوي: (2002)، ص 42

(2)جيهان ديزانج: (1985)، ص440

(3) ورد أول نص مدون لكلمة ليبيا لدى المصريين القدماء منذ الالف الثانية ق.م، على شكل ليبو أو ريبو، وكانوا يقصدون بهذا الاسم إحدى المجموعات السكانية الليبية، التي تقع أراضيها إلى الغرب من مجرى وادي النيل: محمد علي عيسى: (2012)، ص86

(4) ذكر الباحث محمد حسين فنطر حول أصل السكان في كتابه تحت عنوان (اللوبيون أسلاف البربر) بان اللوبيون أصل البربر، بينما يعتقد الباحث التونسي محمد المختار العرباوي بان هذا الرأي غير صحيح بل هو مخالف تماما لما اصبحنا نعرف عن سكان المنطقة منذ الألف الثاني ق.م. وإذا كان اليونان ومن بعدهم الرومان يطلقون اسم (اللوبيين) على سكان شمال افريقيا فلا يعني ذلك فعلا أنهم كانوا يسمون بهذا الاسم أو أنهم لا يحملون أسماء تخصهم. فاسم اللوبيين ورد في النصوص المصرية من عهد رعمسيس الثاني (الأسرة التاسعة عشرة) ومن بعده مرنبتاح (1227) ق.م (الأسرة التاسعة عشرة) وذكروا انتصاراتهم على اللوبيون وحلفائهم (القهق و المشاوش)، ثم ذكر رعمسيس الثالث (1198-1166) ق.م انتصاره على هجمات القبائل من الغرب وهم (الليبو والسبد والمشاوش) وبمؤازرة شعوب البحر، ومن هذه النصوص أخذ اليونانيين تلك التسمية ثم أخذ الرومان هذه التسمية المعممة، واصبح اللوبيون سلف البربر: محمد المختار العرباوي: (1997)، ص103-104

(5) محمد علي عيسى: (2011)، ص3

شمال افريقيا، أو أصل تسمية (لوبه) يعتقد انها اسم ملكة كانت تحكم شعبا يستوطن غرب وادي النيل ثم أطلق الاسم على الشعب كله نسبة اليها، ورأي آخر انها إلهة عبدة بالمنطقة منذ قديم الزمان وتعمقت اسطورتها على أيدي الاغريق، أو لعل الاسم يعطي معنى (أرض السباع) وتعطي معنى اللبؤة، أو معنى لوبة بالعربية العطش والجفاف أو الحر[1].

ذكر مصطلح (الريبو) (R.B.W) في المصادر المصرية من الالفية الثانية ق.م على نقش يعود إلى عهد رعمسيس الثاني (1298-1222) ق.م، ثم في عهد الفرعون مرنبتاح (Mineptah) (1224-1194) ق.م في السنة الخامسة من حكمه أمر بإقامة الصلوات في سائر أنحاء المملكة، وتقديم قرابين لم يسبق لها نظير إلى الآلهة التي تقوم على حماية أرض الإله بتاح (Ptah)، وتقديمها إلى بتاح نفسه وقرابين خاصة إلى آمون رع (Amon Râ) وإلى الإلهتين الطيبتين، إزيس (Isis) ونفتيس (Nephtys).

لم يسبق للأرض المحبوبة من رع أن تعرضت لخطر بذلك الحجم الكبير، فلأول مرة يتحالف البربر(Barbares) الشمال القادمون من الجزر والأراضي التي يغمرها (تري فرت) (Très-Verte) (البحر المتوسط) وبرابرة الغرب قاطنو الصحراء، تحت قيادة مُري (Meryey) ابن دد (Ded)، ملك الليبو (Lebou) (الليبيين Libyens) الملعون من آمون، ويجتاحون أراضي حورس (Horus)، فقد صعدت سفن الشماليين الفرع من النيل، وانتشر الآخرون بأعداد هائلة كأنهم حبات رمل الصحراء في الدلتا، مرادهم ممفيس (Memphis)، ولم يكن (مُري) وأتباعه من الليبو أول البربر الذين ورد ذكرهم في التاريخ، فمنذ قرون بل منذ آلاف السنين اتصل المصريون بعلاقات حربية وعلاقات سلمية بجيرانهم من الغرب، وبذلك عبارات مرنبتاح قصد بها تعيين شعوب البحر والقبائل التي تستوطن إلى الغرب من نهر النيل [2].

اما أسلحة الريبو فكانت الخنجر وعصا الرماية [3] وكان الريبو والمشواش يقاتلون على عرباتهم الحربية وقد غنم رعمسيس الثالث (92) عربة، وهي تشبه العربات المصرية إلى حد ما مع وجود بعض الفوارق الطفيفة، وكانت بسيطة لم تدخل المعادن في صنعها، كما نشاهدها في رسوم جبال تيبستي التي يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث، وكانت تجرها في الغالب الثيران، وقد رسم الفنان المصري العربات الليبية على نسق العربات المصرية، ولا يستبعد ان أدخلت التحسينات في صناعة عرباتهم بعد احتكاكهم بشعوب البحر أو بالمصريين، سيما وانهم استعانوا بالخيل عن الثيران في جرها، وكان جنود الريبو يعسكرون في خيام مصنوعة من الجلد

---

(1)خلفة عبد الرحمان: (2008)، ص 13

(2) غابرييل كامبس: (2014)، ص 43

(3) Oric Bates: (1914). Pp. 142ff

ويحفظون المياه في قرب من الجلد، ويضعون سهامهم في جعاب من الجلد كذلك[1]، وعموما كانت أسلحتهم هجومية ولم تكن دفاعية، أذ لا تظهر في الصور المصرية الدروع أو الخوذات أو غيرها من وسائل الدفاع عن النفس[2]

مما يكشف عن بعض مظاهر الحضارة المادية للريبو، ما جاء بصدد غزوة مُري بن دد من أنه (فر تاركا أثاث زوجه وعرشه...) وهذا يعني أنه كان للريبو في مساكنهم في ليبيا أثاث، وأنهم كانوا يعرفون الكراسي إذ كان رئيسهم يتخذ لنفسه عرشا [3]، وقد عثر في غدامس أو (ردامس) وتسمى قديما (سيداموس)على صورة ربما كانت معاصرة لأواخر الدولة الحديثة في مصر، وتمثل الصورة السيدة وهي جالسة على مقعد غير ذي ظهر، وقد وضعت قدميها على مسند للأقدام، وتلبس ثوبا طويلا، وشعرها مرسل إلى الخلف بطريقة غريبة، ويدها اليمنى ممتدة إلى الأمام ممسكة بسعفة نخل أو ريشة نعام، وخلفها تقف سيدة أخرى أقل منها حجما لعلها وصيفة أو تابعة وأمام السيدة الجالسة نصف قوس، واللوحة مهشمة فيما يلي القوس ولا يظهر غير ساعد لشخص ما، ربما الصورة قد رسمت للتعبير عن غرض ديني [4]، ويبدو أن مساكنهم كانت لا تخلو من الأواني الفخارية أو المعدنية وقرب المياه وكان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية، مثل المخارز وأواني لحفظ اللحم المجفف [5] .



شكل 5: لوح حجري يمثل السيدة وهي جالسة عثر على اللوح في غدامس (غرب ليبيا)

---

(1)سليم حسن: (1950) ، ص 53

(2) Oric Bates: (1914). p. 150

(3) Ibid: p. 153

(4) مصطفى كمال عبد العليم: (1966)، ص 43-44

(5)المصدر نفسه: ص 44

كمــا ورد اســم الليبييــين فــي التــوراة باســم (ليهــابيم) (Lehabim) أو (Loubim)، فقد ذكرت التوراة بـان الليبيين اشتركوا ضـمن جيوش الفرعون شيشنق الذي أسس الأسرة الثانية والعشرين عام(935) ق.م لغزو فلسطين ضد الملك رحبعام واستولى على خزائن سليمان [1]، وقد شاعت تسمية اللوبيين منذ الألف الأولـى ق.م ولغايـة القرن الخـامس ق.م، وعنـدما بـدأ الاغريـق يـدونون معتبرين السكان المغاربة القدماء وحدة عرقية على غرار النظرة المصرية فقد حـرف اليونــانيين اسـم(الريبو)(Rebu) إلــى (ليبــو) (Lebu) ومنــه أشــتق أســم ليبيا[2].

يمكن القول بـأن الاغريـق عرفـوا الليبيين عن طريـق مصـر أو عنـدما أسسوا مستوطنة (قورينـة) فـي برقـة فـي القرن السـابع ق.م، فقد وردت تسمية ليبيا والليبيين كثيرا فـي مصـادرهم منذ أيـام هـوميروس حيث اشـادوا بخيـرات ليبيـا، ففـي نبـؤه للإلـه ابولـو أو أبلـن (Apollo) فـي معبـد دلفـي وعلـى لسـان الكاهنة بيثيا قال: (ان كل من يتلكأ في النزوح إلى ليبيا الفاتنـة ولا يضـع يـده على نصيب من أراضيها فانه سيعض يديه نـدما لا محالـة) [3]، وكـان البحـارة الايجيون والكريتيون يطلقـون علـى السـكان المحـاذين للشـاطئ المتوسطي اسم (ليبوس) (Libus)، كما أطلق هيرودوت مصـطلح ليبيـا علـى القـارة الافريقيـة بكاملها [4]، وأما المؤرخ (Pline) الكبير فقد استخدم مصـطلح الليبيين للدلالـة علـى سـكان دول المغاربيـة، ووصـف (الليبيـة) لـبعض المنتجـات الأصـلية فـي المنطقة [5]، وإذا كان هيرودوت [6] وهوميروس وسترابون يعنون بـاللبيين كل كل القبائل التـي تستوطن السواحل الشـمالية لأفريقيـا مـن مصـر حتـى المحيط الأطلسي [7]، فأن المؤرخ بوليبيوس وهو يونـاني الأصل عاش في القرن الثالث الثالـث ق.م يعنــي بــالليبيين السـكان الأصـليين الخاضـعين لقرطاجـة[8]، وهـذه الآراء الغيـر موحـدة تعـود إلـى تقسيم الاغريـق العـالم إلـى ثـلاث قـارات هـي: اوربا وآسيا وليبيا، وانهم اعتبروا أن مصر تمتد حتى دلتا النيل فقط، وأن نـهر

(1) سفر التكوين (1:10 -22) و سفر دانيال (11: 43)

(2) محمد حسين فنطر: (2002)، ص47// فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 14

(3) سعى ملك جزيرة ثيرا اليونـانية ويدعى غرينوس أن يسأل الوحي في معبد الإلـه ابولـو في انشاء مستوطنه في ليبيا فجاء الرد سريعا بانهـا أرض خير وفير، فتم انشـاء مدينـة قوريني، وقد يكون هذا الاسم ليبي الأصل، أو يونـاني الأصل، فالاسم الاول كيـرا تعنـي إلهة النحلة ويعتقد إنهـا شيدت فـي عـام (636) ق.م: صـلاح رشيد الصـالحي: (2000-2001)، ص 18// رجب عبد الحميد الأثرم: (1998)، ص 95-104

(4) Hérodote: (1972). IV , 197

(5) محمد الهادي حارش: (1992)، ص 21-23// خلفة عبد الرحمان: (2008)، ص 13

(6) رجب عبد الحميد الاثـرم: (1998)، ص 12 // عبد العزيـز طـريح شـرف: (1971)، ص 7

(7) محمد المختار العرباوي: (1997)، ص109

(8) Polybe: Histoire 1.77 trad. D. Roussel . (ed.) Gallimard. Paris. 1970

النيل يبدأ من حيث تنتهي مصر وتبدأ ليبيا امتدادا حتى رأس سولوجوس في المغرب، ومعنى ذلك أن أسم ليبيا كان يعني لدى الاغريق كل ما كان معروفا من قارة افريقيا آنذاك، لان اسم افريقيا نفسه لم يكن قد عرف بعد [1].

أما المصادر المحلية المادية فقد عثر على بعض النقوش والنصب البونية في معبد صلامبو(Salambo) بقرطاج(Carthage) ومعبد الحفرة بسيرتا (Cirta) كتبت باللغتين البونية والبونية الحديثة، وحملت المصطلحين (L.B.T)و (L.B.Y) وكذلك في موقع مكثر بتونس، تمكن الباحث (Février) من ترجمة نقش حمل المصطلح (BSD LBYM) بما معناه : (في بلاد الليبيين) وفي موقع إقليم طرابلس الغرب ترجم الباحث (Clermont-Ganneau) نقش حمل جملة (RB MHNT BSD LBYM (إلى: رئيس الجيوش في بلاد الليبيين) [2] .

سعت الدراسات الفرنسية كثيرا إلى فصل البربر عن العرب بمعنى أنهم غير ساميين، وسار على هذا النهج الكثير ممن لديه نزعة طائفية بربرية، اما البحاثة ومنهم الالماني (Rössler) [3] فقد صرح بان (اللوبية ذات علاقة متينة مباشرة بالسامية) و (التصريف لاسم اللوبية برهن على أنها جد سامية)، اما الباحث (Hons Stumme) فيعتقد بان البربرية أقرب بكثير إلى السامية من المصرية، والباحث الإنجليزي (Neman) يرى بان البربرية سامية، كما ابرز الباحث محمد المختار السوسي أوجه الشبه بين العربية والشلحية (البربرية) وبذلك فان البربرية والعربية من أصل واحد وأرومة واحدة [4].

3ـ افريقيا

في أواخر القرن الثالث ق.م ظهر مصطلح آخر تعود بداياته إلى الكتبة الرومان الذين أطلقوه على الأراضي التي احتلوها بعد سقوط قرطاج (146) ق.م (Pro-vincia Africa) [5]، وقد اشتق الاسم من إحدى القبائل التي كان اسمها (افري) في تونس [6]، ثم توسع المصطلح ليشمل من طرابلس إلى المحيط الأطلسي حتى أصبح يطلق على كل القارة بدلا من اسم ليبيا، ويعتقد أنه مشتق من جذر (F.R.G) التي تعبر عن فكرة تفريق المستوطنات أو من

---

(1) Herodotus: II. 16-17

(2)راجع الباحثان (Decret) و (Fantar) في بحثهما (شمال أفريقيا في العصور القديمة):

François Decret et Mhamed Fantar: (1998). p.16

(3) Otto Rössler: (1952). Pp. 121-50

(4)محمد المختار العرباوي: (1997)، ص109

(5) راجع الباحث (Camps) في بحثه (أصول البربر، الملك ماسينيسا أو بداية التاريخ ليبيا):

Gabriel Camps: (1960). p. 24

(6)محمد عبد الهادي شعيرة: (1958)، ص 8 // رجب عبد الحميد الاثرم: (1998)، ص 12

كلمـة (Frigi) أو (Pharikia) التـي تعنـي بـلاد الفواكـه [1]، أو إفـري (Ifri) وتعني الكهف [2]، أو أفر (Afer) بمعنى سكان الكهوف، أو إفرو (Ifru) الإلـه المحلي الذي ورد اسمه على نقش كتب باللاتينية شرق مدينة قسنطينة [3]، لقد طبقت الصفة (أفريكانوس) على نباتات ذات أصل إفريقي ففي مؤلفه الزراعي ذكر (كاتو) (Cato) [4] الذي زار قرطاج وعند عودته إلى روما حمل معه (تين) أطلق عليه تسمية التين الإفريقي (Figus africanus)، كما اشتهرت بعض الشخصيات بهذه الصفة مثل ترانتيوس أفريكانوس (Trentius Africanus)[5]، يبدو أن هذه الصفة استعملت لتعني ما كان خاضعا لإدارة قرطاج، وأصبح من المألوف أن يدعى المكان افريقيا (Africa) [6] .

لم يتردد المؤرخون العرب في العصور الوسطى من إيجاد بطل اسطوري (افريقش) أخذت هذه المنطقة اسمها منه [7]، كما أطلق العرب الذين هاجروا من الشرق على كل البلاد الواقعة غرب مصر تسمية (جزيرة المغرب) وبصفة أدق سموا أقصى غرب المغرب باسم المغرب الأقصى [8].

3- البربر

هناك الكثير من الفرضيات حول تسمية السكان باسم البربر، فبعض المؤرخين العرب أشاروا بان التسمية تعود إلى الجد الأول (بر) (Ber)، بينما أشار ابن خلدون إلى أن افريقش عندما سمعهم يتحدثون قال: (ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر) بمعنى كثرة الأصوات الغير مفهومة [9]، وعند العرب أيضا معنى البربر هو اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يقال بربر الأسد إذا

---

(1) محمد الهادي حارش: (1992) ، ص 24

(2) نجد دلالات محلية تمثلت في مشتقات الكلمة إفري (Ifri) بمعنى مغارة مثل قبيلة (بني إفران) و (إيفيرا) و (إيفري) بمنطقة القبائل في الجزائر، وكان سكن المغارات ولا يزال يمارس إلى اليوم في بعض مناطق بلاد المغرب، كذلك لا يزال بعض سكان منطقة سكان شنين بولاية تطاوين على الحدود اللّيبية يستعملون سكنات تحفر في التربة الصلبة، وتشكل مأوى يتميز بالدفء شتاء او البرودة صيفا:

François Decret et Mhamed Fantar: (1998). p. 25

(3) محمد الهادي حارش: (2001)، ص 24-25

(4) عضو مجلس الشيوخ الروماني كاتو (234-149) ق.م من مشاهير الخطباء ورجال الدولة في روما، دعا إلى التقشف و القضاء على قرطاج، وكان ينهي خطبه بعبارته الشهيرة (لتدمر قرطاج).

(5) ترانتيوس أفريكانوس (155-125) ميلادي نشأ على الوثنية ثم تنصر واستمسك بالمسيحية، كتب قصصا في الاخلاق وهي: فتاة انديرسن، والخصي، ومعذب نفسه، وفرميون، والحماة، والاخوان.

(6) قعر المثرد السعيد: (2007-2008)، ص10 الهوامش 5 و 6

(7) عبد الرحمان ابن خلدون: (2000)، ص87

(8) شارل اندري جوليان: (1969)، ص 11

(9) ابن خلدون : (2000)، ص 87

زأر بأصوات غير مفهومة [1]، وهكذا تختلف التسمية في أصلها ومدلولها وتاريخ استعمالها عن تسمية التي أطلقها الرومان على الأجانب خارج نطاق حضارتهم وينعتونهم بالهمج (بربري) (Barbari) المشتقة من الكلمة اللاتينية (Barbaru) والتي أطلقها الرومان كما يظهر ذلك في ادبيات المصادر اللاتينية، كما يحدد الباحث (Gsell) لـ (للدلالة على الأهالي الذين بقوا مستعصيين على الحضارة اللاتينية) [2]، واجتهد البعض من الباحثين على ربط تسمية البربر ببعض الأسماء والمواقع في الهند أو في وادي النيل وهو ما اعتبره الباحث (Fantar) بمثابة هذيان مفتعل علقوا عليه افتراضات أخرى متعلقة بأصل السكان [3].

أما الأوربيون فقد ظلوا يطلقون على دول المغاربية اسم بلاد البربر (Barbarie) أو الدول البربرية (Etats Barbaresques)، وإلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ولما احتكوا بأهالي المغرب والجزائر سمعوا منهم اسم (برابر) (فنقلوه إلى لغاتهم (Berbéres et Berbers) [4]، إن مصطلح بربر هي مسألة ارتبطت بتسمية الغريب الذي لا تفهم لغته، فكما كان للعرب عجمهم ولليونانيين والرومان عجمهم، فقد كان للمغاربة القدامى عجمهم أيضا وهم (إكناون) ويتجلى ذلك فيما تفرع عن التسمية من أسماء لبلدان إفريقية مع قلب حرف (ك) إلى (غ) مثل غينيا وغانا [5].

وهكذا حظي البربر، من دون غيرهم، بسلسلة طويلة من النظريات لم يتوقف مبدعوها عن الابتكار والتجديد، فكانت هناك نظرية (الأصل الأوروبي) بأن اصولهم من اسبانيا وصقلية هاجروا في فترة ما قبل التاريخ واستوطنوا ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب، ونظرية (جنس البحر المتوسط) لان مواقعهم تطل على البحر المتوسط وهناك خصائص جسمية تجمع سكان البحر المتوسط منها لون البشرة البيضاء، والشعر المتجعد، والانف المستقيم ... الخ، و(النظرية الحامية) على اعتبار اصولهم من مصر هاجروا نحو الغرب، و(النظرية الأنثروبولوجية) من شكل الرأس، والجسم من خلال ما عثر عليه من الهياكل العظمية في المواقع الاثرية، وهذه النظرية يعاد إحياؤها من داخل المعهد الوطني للتراث في باريس، حيث يتم التركيز في أصل البربر على أساس أنثروبولوجي قديم، وليس جديد، ولم تهمله المدرسة الاستعمارية إلا إنها تخلت عنه لعدم جديته.

---

(1)بن قيطون حمزة: (2014-2015)، ص 14

(2) خلفة عبد الرحمان : (2008) ، ص14// فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 14
Stéphane Gsell: (1899). Pp. 308-323

(3) François Decret et Mhamed Fantar: (1998) .Pp. 26-27

(4) محمد شفيق: (1988)، ص 19

(5) لا يزال بعض سكان المغرب من أصول إفريقية يسمون(كناوة) أو(قناوة): محمد شفيق: شفيق: (1988)، ص16

4. إمازيغن

هذا الاسم أطلقه قدامى المغاربة على أنفسهم، وإمازيغن هي جمع ومفردها إيمازيغ ومؤنثه تمازيغت، ومعنى الاسم (الاحرار أو النبلاء)، أما جذر هذا المصطلح (MZK) أو (MZG) هو الذي جعل بعض المؤرخين يذهبون إلى اعتباره الاسم الحقيقي لبلاد المغرب القديم نظرا لتواجده في العديد من أسماء القبائل، وفي عدة مناطق من بلدان المغاربة، ويطلق عليهم هيرودوتس اسم ماكسيس (Maxyes) الذين استقروا كما يقال بالجنوب التونسي [1]، ولعله اسم يطلق على الطوارق في الهكار (الصحراء الافريقية) ضمن الجزائر وليبيا والنيجر ومالي، فقد كانوا يطلقون على أنفسهم (موشاغ) أو (أمشغ) وتنتشر هذه القبائل في ليبيا وتونس ومن المحتمل ابعد من هذا إلى الجزائر وجنوب المغرب [2]، أما المؤرخ هيكاتايوس فيطلق عليهم إيموساغ (Imusagh) الذي نجده في غرب منطقة فزان، وفي جبال الاوراس، وجبال الريف والاطلس أسم إمازيغن (Imagighen) [3]، وفي جبال الهكار [4] عند الطوارق هو إيموشار (Imoshar)، ويطلق على اللهجات التوارقية (التماشق) (Tamashaq)، ويمكن تقريب (تماشق) مع (تمازيغت) [5]، وعند المصريين نجد المصطلح وقد حرف لغويا ليصبح (مشوش) (Mashwaesh) أو المشواش، الذين ذكروا في عهد الفرعون مرنبتاح سنة (1227) ق.م

---

(1)من رأي الباحث محمد حسين فنطر الذي ربط بين الماكسيين (MAXYANS) الذين ذكرهم هيرودوتس مع المشواش أو المشاوش وهم مجموعات كبيرة ورد اسمهم في سجلات تحتمس الثالث (1504-1450) ق.م (الاسرة الثامنة عشرة) حيث ذكر الاسم على جزء من آنية فخارية من قصر امنحتب الثالث حيث جاء في السطر الأول ما يدل على وصول أوان تحتوي على دهن طازج من ابقار المشاوش، وفي نص رعمسيس الثالث خدموا في الجيش كمقاتلين وصدوا هجوم التحنو كما ورد في النص: (... وانقض المشاوش على التحنو واصبحوا رمادا وقد خربت مدنهم ولم يعد لهم وجود...)، وقد استقر المشواش في مصر واصبحوا فراعنة مصر (الثانية والعشرين والثالثة والعشرين)، ولذا فالإيهام بأنهم من أصل طروادي لا أساس له من الصحة: محمد المختار العرباوي: (1997)، ص 106// فوزي فهيم جاد الله: (1968)، ص 59 هامش 2

(2) Archibald Henry Sayce: (1925). p. 62

(3) راجع الباحث (Gsell) في كتابة (تاريخ شمال أفريقيا القديم) وهو مترجم في خمسة أجزاء وقام بترجمته الدكتور محمد التازي سعود، الرباط ،2007

Stéphane Gsell: (1913). p. 119 // Gabriel Camps: (1960). Pp. 26-27

(4) يغطي إقليم الهكار أكثر من (500.000) كلم2، فهو يمتد على حوالي (1000) كلم من الشرق إلى الغرب، و (760) من الشمال إلى الجنوب، كما يمتد إلى دولة مالي بسلسلة أدغاغ نفوغاس الجبلي إلى الجنوب الغربي وسلسلة الأيير بدولة النيجر إلى الجنوب الشرق.

(5) غابرييل كامبس: (2014) ، ص44

باعتبارهم الجيران الغربيين لليبو ويبدو أن كلا من الليبو والمشوش كونوا جزءا من جماعة حدود التمحو، ولكن الرسوم تبين أن المشوش يلبسون الحزام الذي يستر العورة (لا شك أنهم كانوا مختونين) كما أشرت سابقاً بينما يرتدي الليبو الملابس الأيونية وعندما غزت القبائل المتحدة واحتي البحرية والفرافرة، منيت بالهزيمة على يد المصريين في غرب ممفيس (منف) [1]، كما ذكرهم الفرعون رعمسيس الثالث (وسر ماعت رع. مرى آمون) (1183-1152) ق.م في بردية (هاريس) الكبرى، وفي النقوش البارزة على معبد هذا الفرعون الجنائزي في مدينة هابو باسم (الماشواش) (Mashuash) ويختصر الاسم احيانا بكلمة (الما) [2]، وكانوا من أكبر القبائل الليبية وأخطرها على مصر واشتهرت بقدرتها القتالية العالية فقد كانت طول سيوفهم غير عادي واستخدامها بكميات كبيرة لدرجة أن الفرعون مرنبتاح وضعها في مقدمة قائمة الغنائم، ومن المحتمل بأن المشوش اقتبسوا السيف الطويل من (شعوب البحر) فإن استخدام هذا السلاح لم ينتشر انتشارا واسعا على ما يبدو[3]، وكانوا يتخذون الريشة فوق رؤوسهم ويلونون أجسامهم [4]، ولقد حاول الليبو أولا ثم المشوش دون جدوى أن يتغلبوا على المقاومة المصرية عند دلتا مصر، وهزموا المرة بعد الأخرى، وقد أرغم عديد من الأسرى على الانضمام لجيش فرعون، حيث كانت كفاءتهم العسكرية تحظى بتقدير عظيم لدرجة أن الضباط الليبيين – قرب نهاية الإمبراطورية الحديثة- كان لهم نفوذ مسيطر فيها، وقد جاء ذكر الاسبت (Esbet) والبقن (Beken) بين الليبيين الذين شن عليهم رعمسيس الثالث الحرب، ولكن ربط (الاسبت) بالجماعة العرقية الاسبتيين (Asbytes) و (البقن) بالمجموعة العرقية البكاليين (Bakales) الذين ذكرهم المؤرخ الاغريقي هيرودوتس هو مثار خلاف بين الباحثين ولن نصل إلى نتيجة حاسمة [5].

ومنذ القرن السادس ق.م ذكر هيكاتي مليتوس (Hécaté de Miletus) إمازيغن [6] باسم مازيس (Mazyces)، ودخل في اللغة اللاتينية فذكروا باسم

---

(1) Geoffrey Avery Wainwright: (1962). Pp. 89-99

(2) Rosalie F. Baker and Charles F. Baker: (2001). p. 175

(3) Gabriel Camps: (1960). Pp. 112

(4) رجب عبد الحميد الاثرم : (1998)، ص 57

(5) صلاح رشيد الصالحي: (2000-2001)، ص19

(6) نقل الأجانب هذا الاسم في صور شتى، فجعله المصريون مشوش، وجعله الإغريق مازيس (Mazyes)، أو ماكسيس (Maxyes)، وجعله اللاتين مازيس (Mazices) وماديس (Madices)، وذكر المؤرخ ابن خلدون أن فرعا من البربر هم البرانس، ينحدر من مازيغ، وليس من الغريب في شيء أن يكون بعض سكان إفريقيا في العصور القديمة قد رجعوا بسلاسل أنسابهم إلى أسلاف يتسمون بمازيغ أو ماديغ، وليس ببعيد أن تكون هذه التسمية هي التي جاء منها اسم (الميديين) أسلاف الموريين : غابرييل كامبس: (2014)، ص58-59

إيتيكوس (Ethicus) وهونوريوس (Honorius) مما يدل على وجود الكثير من الاحرار أو المازيكاس [1]، وأشار ابن خلدون في ذكر نسب سكان بلاد المغرب القديم بان نسبهم يعود إلى ابيهم (مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام) [2].

يعتقد الباحث (جوليان) بان معنى كلمة (إمازيغن) (Imazighen) ومفردها(أمازيغ) (Amazigh) أو (مازيغ) وتعني (النبلاء) و(الرجال الاحرار) [3]، لان سكان المنطقة وعلى مر العصور كانوا لا يخضعون لأية قوة غازية تستوطن بلادهم بما في ذلك العرب الذين حملوا راية الإسلام تطلب منهم عدة حملات على مدى عشرات السنين قبل اقتناعهم بان الفاتحين يبشرونهم بدين يحررهم من بقايا الغزو الروماني، والوندال، وأخيرا البيزنطيين [4].

ب-أصل السكان

لدينا مصدران عن أصل السكان، أحدهما المصادر الأدبية، وثانيهما اللقى الاثرية والانثروبولوجية، فبالنسبة للمصادر الكتابية يذكر هيرودوتس سلسلة طويلة من الأقوام التي كانت تقطن في المناطق من مصر وحتى بحيرة تريتون (Tritonis) [5]: (لقد تحدثت عن الليبيين الرحل القاطنين على امتداد البحر، ومن فوقهم في الأراضي الداخلية توجد ليبيا حيث الحيوانات المتوحشة... لكن في غرب بحيرة تريتونيس (أي في الشمال، بسبب خطأ في تحديد الساحل من أراضي قرطاج) يسكن الليبيون المقيمون، فقد تركوا حياة الترحال وتخلوا عن عادات الرحل... بل صاروا من المزارعين ... فهم يؤوون إلى منازل، ويعرفون بالمكسيس (Maxyes) [6]، وذكر هيرودوتس بأن المكسيس الذين يمكن اعتبارهم من البربر المقيمين والمزارعين يزعمون أنهم ينحدرون من الطروادبين (Troyens)، وكانت هذه الرواية شائعة في العالم الكلاسيكي ولها أصداء في تأكيدات كثيرة، فهذا هيكاتي (Hecatée) يتحدث عن مدينة تسمى كوبوس (Cubos) بناها الأيونيون (Ioniens) على

---

(1) قعر المثرد السعيد: (2007-2008)، ص12

(2) كتب ابن خلدون في هذا المعنى (وقال سالم بن سليم المطماطي وصابي بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لو، وهم نسابة البربر : البرانس بتر، وهم من نسل مازيغ بن كنعان): عبد الرحمن بن خلدون : (2000)، ص 117

(3) شارل اندري جوليان: (1969)، ص 12

(4) استغرق فتح بلاد المغرب (70) سنة من خلال حملات متعددة، بينما لم يستغرق فتح مصر مثلا سوى سنتين ومن خلال حملة واحدة هي حملة عمرو بن العاص.

(5) بحيرة تريتون: وهي بحيرة كانت توجد في ليبيا القديمة، أو في مكان ما جنوب تونس اليوم، ومن المحتمل أن تكون هي شط الجريد، ويجعل هيرودوتس مساحة البحيرة (2300) كم2.

(6) شارل اندري جوليان: (1969)، ص 61

مقربة من هيبو أكرا(Hippou Akra) في منطقة عنابة حاليا، وفي المنطقة نفسها جعل موقع مدينة مشالة (Meschela) التي قال ديودوروس الصقلي (Diodore de Sicile) إن من بناها الإغريق عند عودتهم من طروادة، ويستمر هيرودوتس بالحديث ويقدم لنا مقارنة بين (ليبيا الشرقية حيث يقطن الرحل، وهي أرض منخفضة ورملية تمتد حتى نهر تريتون، وليبيا الواقعة غرب هذا النهر، ويسكنها المزارعون وهي أرض كثيرة الجبال والغابات) (1)، وهكذا فأن الليبيين الذي عاشوا في قارة افريقيا مع الاثيوبيين في جنوبها هم السكان الاصليون، أما الفنيقيين والاغريق فهم أجانب وافدون، ووصف الليبيين بأنهم رعاة متنقلين ويشكلون قبائل عديدة تعيش بين مصر شرقا وبحيرة تريتون غربا، أما الليبيين المزارعين ساكني البيوت فينتشرون في المنطقة الممتدة غرب بحيرة تريتون حتى رأس سولويس المطل على المحيط الأطلسي (2)، وفي موضع آخر يقول هيرودوتس: (المنطقة الساحلية من ليبيا الممتدة من مصر إلى رأس سوليس الذي يسجل نهاية القارة الليبية إلى الغرب آهلة بالليبيين (3) الذين عرفوا بـ(الرحل) (Nomades)، وبذلك ظهرت تسميات جديدة في العصر الروماني أطلقت على القبائل ومناطق سكناهم ومنها:

1- المور (Maures)

يشير المصطلح الأكدي امورو على السكان القدماء للشرق الأدنى، ذوو جنس ولغة ومنطقة جغرافية وبنيان اجتماعي متشابه وموحد تغيرت بمرور الزمن خلال الألف الثاني قبل الميلاد، ومناطق سكناهم في سوريا، ثم توسع المصطلح فأطلق على البحر المتوسط اسم بحر امورو، وعلى منطقة الغرب امورو، وهناك دولة امورو في سوريا يعتقد انها في سهل البقاع وذلك في النصف الثاني من الالف الثانية ق.م، لذا اصطلاح مورو أو امورو مبهم لأنه يحدد قومية، ومنطقة جغرافية، وأسم مملكة، واتجاه جغرافي (4)، ويبدو أخذ مصطلح مورو عن الفينيقيين ليعني سكان الغرب، ثم اشتق الإغريق فيما بعد كلمة (موريزيا)، وانتقل الاسم ليدخل في ادبيات الرومان باسم (موري)، ففي اسطورة سالوستيوس (Sallustius) (5) بان الموريين مزيجا من اللوبيين

(1) غابرييل كامبس: (2014)، ص56-57

(2) Herodotus: (1920). Book IV. 197

(3) Herodotus: “The Histories”, Book II. 32

(4) Itamar Singer: (1991). Pp. 69–74

(5)ذكر سالوستيوس هذه الأسطورة بانه نقلها عن الكتب البونيقية للملك هيمبسال (Hiempsal) الملك النوميدي، ويعتقد بأن الملك هيمبسال هو مؤلف تلك الأسطورة، ومن المحتمل ان هرقليس هو الإله، أو ملقارت (Melqart) الإله القرطاجي الذي سادت عبادته في تونس وليبيا وشرق الجزائر، وربما أخطا سالوستيوس فذكر الإله هرقليس :

والميديين (Mèdes) والارمن (Arméniens) والفرس (Perses) وفي وقت لاحق تحت قيادة هرقليس (Hercule) انتقلوا إلى إسبانيا ثم جازوا إلى إفريقيا، واختلط الميديون والأرمن بالليبيين، واختلط الفرس بالجيتول، فأما الميديون والليبيون فسرعان ما صاروا يعرفون بالموريين (Maures) دون تمييز، واستوطنوا القسم الغربي من الشمال الافريقي الممتد من وادي ملوشة (الملوية) وإلى المحيط الأطلسي [1]، وأقاموا لهم في وقت مبكر بعض المدن، وصاروا يتبادلون منتجاتهم مع إسبانيا، وأما الجيتول والفرس فقدر عليهم أن يظلوا يحيون حياة الترحال، فسموا بالرحل (Nomades)، لكن سرعان ما تعاظمت قوة هؤلاء الأخيرين، فأمكن لهم أن يبسطوا سيطرتهم على سائر تلك البلاد، وصولا إلى مشارف قرطاج، وصاروا يعرفون باسم النوميديين (Numides)[2]، ومن اسم مورو اشتق اسم موريتانيا، واطلق على المسلمين في اسبانيا بعد سقوط غرناطة تسمية الموريسكيين، كما اطلقت الدول الاوربية التي خاضت الصراع ضد العرب والمسلمين في فترة الحروب الصليبية أو الحروب ضد المغاربة والجزائريين تسمية (عبيد المور)، وهكذا اشتقت عدة مصطلحات من هذا الاسم .



Sallistius: “Bellum Iugurthinum XVII" (1966)

(1) خلفة عبد الرحمان : (2008) ، ص 15

(2)غابرييل كامبس: (2014) ، ص 55-56

شكل 6: رسم يمثل سكان شمال افريقيا البدائيين

2ـ النوميديون

ذكـرت أول إشـارة إلـيهم عنـد هيـرودوتس بصـيغة (نومـاداس) (Nomadés) قاصدا بها الليبيين البدو الرحل [1]، ثم اخذ مصطلح نوميديا يتسع أكثر في القرن الثالث ق.م، ليعطي مدلولا جغرافيا يطلق على المنطقة الممتدة من قرطاجة شرقا إلى وادي ملوشة (Mulucha) أو (الملوية) غربا، كما سميت القبائل التي تسكن تلك المنطقة بالنوميديين [2].

3ـ الجيتول (Gétules)

وردت عند سالوست (Salluste) أول إشارة إليهم [3] بأنهم يستوطنون في مناطق السهوب والمرتفعات الجنوبية والحواف الشمالية للصحراء فيما بين المحيط الأطلسي وحتى فزان شرقا، وقد اشتهروا بممارسة الرعي [4]، وخلال العصر القديم من شعوب التي ذكرت بانها تنتمي للسلالات المتوسطة: الجيتوليون السود (Melano Getulas)، والاثيوبيون البيض (Leuco Ethiopia)، وقد وصف الجرمانتيون أو الجرامنتيس (Garamantes) (نسبة إلى جرمة في غرب ليبيا) بانهم سود نوعا ما أو حتى شديدو السواد واحيانا وصفوا بانهم قليلو السواد وانهم على الأرجح اثيوبيون، ووصف عبد جرمانتي بأن جسمه في (لون القار) [5]، ويؤكد مسح أنثروبولوجي أجري في مدافن الجرمنت أن صفاتهم الجنسية ذات طبيعة مختلطة، ومن المحتمل أن الهياكل العظمية المكتشفة في مقابر الجرمنت هي هياكل عبيد نجمت عن تجارة الرقيق [6]، وقد ورد في الفقرة (182) من الكتاب الرابع (Libykoi Logoi) المؤرخ هيرودوت وهو يصف الجرامنتيس (بانهم كثير العدد، يضعون التراب على الملح ثم يزرعونه، وثيران الجرامنتيس ترعى وهي تسير القهقري، وسبب ذلك انحناء قرونها إلى الأمام، ولذلك فهي تسير متجهة إلى الخلف أثناء رعيها وهي لا تستطيع أن تسير إلى الأمام لأن قرونها تنغرس في الأرض، وجلدها سميك وشديد الصلابة عند لمسه، ويستقل هؤلاء الجرامنتيس عرباتهم التي تجرها أربعة من الخيول اثناء مطاردتهم سكان الكهوف الاثيوبيين لأن هؤلاء عندما يجرون على اقدامهم، يكونون أسرع من

---

(1) محمد البشير شنيتي: (1984)، ص 163
(2)محمد البشير شنيتي: (1984)، ص 163-164
(3) خلفة عبد الرحمان: (2008)، ص 16
(4) محمد الهادي حارش: (1992) ، ص27 -29
(5) Franciscus Buecheler et Alexander Riese (ed.): (1894). Pp. 155-156
(6)جيهان ديزانج: (1985)، ص437-438

أي رجال، وهم يقتاتون على الثعابين والسحالي وغيرها من الزواحف، ولا يشبه حديثهم أي شعب آخر في العالم) [1].

الليبيون القدماء من خلال المصادر الاغريقية والرومانية والبيزنطية

وردت في المصادر الاغريقية الرومانية والبيزنطية الكثير من المعلومات حول الجماعات الليبية القديمة، وكان على رأس الكتاب الاغريق (هيرودوت) من القرن الخامس ق.م، و (سكيلاكس) من القرن الرابع ق.م، و(سالوست) من القرن الأول ق.م، و(استرابون) و(بليني الأكبر) من القرن الأول الميلادي ...الخ، ومن أسماء المجموعات البشرية التي ذكرت :

1- **الادروماخيداي:** ذكرهم هيرودوت بأنهم يقيمون قريبا جدا من مصر، واخذوا عن المصريين أغلب عاداتهم، باستثناء ملابسهم التي كانت لا تختلف عن بقية الليبيين [2].
2- **الجليجاماي:** حدد هيرودوت أراضي هذه القبيلة بانها تلي قبيلة الأدروماخيداي مباشرة وتمتد نحو الشرق حتى جزيرة (إفروديسياس)(جزيرة كرسة) إلى الغرب من مدينة درنة الحالية وان أرض نبات السلفيوم تبدأ من أرض هذه القبيلة وحتى مدخل خليج سرت [3].
3- **الأسبوستاي:** أشار هيرودوت إلى هذه القبيلة حيث ذكر بان أراضيهم تقع إلى الغرب من قبيلة الجليجاماي إلى الداخل من مدينة قورينا، وان هذه القبيلة تشتهر بالعربات التي تجرها أربعة خيول[4].
4- **المارماريداي:** أول إشارة لهذه القبيلة كانت عند (سكيلاكس) بان أراضيهم تقع غرب قبيلة الأدروماخيدي وهي الأراضي الداخلية لمدينة برقة (المرج)، وتمتد حتى خليج سرت، ويبدو ان أراضي هذه القبيلة توسعت في الشرق في العهد الروماني حتى وصلت مرسي مطروح (في مصر حاليا) [5].
5- **الأوسخيساي:** ذكر هيرودوت بان أراضيهم تقع في المناطق الداخلية من مدينة برقة (المرج)، وتمتد نحو الغرب حتى تصل مدينة يوسبيريدس (بنغازي)، ثم تتصل أراضيهم بالبحر عند مدينة توخيرا (توكرة)[6] .

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم: (1966)، ص52

(2) Herodote: Histoire, IV. 186

(3) محمد علي عيسى: (2012)، ص130

(4) Herodote: Histoire, IV. 170

(5) علي فهمي خشيم: (1967)، ص120

(6) Herodote: Histoire, IV. 171

6- **النسامونيس:** أشار هيرودوت بان موطنهم في غرب قبيلة الأوسخيساي، دون أن يحدد إلى أي مدى يمتد موطنهم نحو الغرب، وذكر بأنهم يجنون التمر من النخيل الذي ينمو هناك بكثرة [1].

7- **المكاي:** تقع أراضيهم إلى الغرب من قبيلة النسامونيس وتنتهي عند نهر كبنييس (وادي كعام)، وذكر هيرودوت بان نهر كينييس يجري عبر أراضيهم نحو البحر في الشمال وهناك غابة كثيفة بعكس بقية ليبيا خالية من الأشجار، وقد أغرت هذه المنطقة أحد المغامرين الاغريق في تأسيس مستوطنة عليها، وقد كان ذلك على يد (دوريوس) ابن ملك اسبارطة عام (520) ق.م، وان القرطاجيين بعد ثلاث سنوات من تأسيس هذه المستعمرة استطاعوا بمساعدة قبيلة المكاي من طرد المغامر الاغريقي [2] .

الجانب الاثري لأصل السكان

أن حياة السكان القدماء في دول المغاربية القديمة اعتمدت على ما هو متوفر في بيئتهم فمثلا عادة استخدام وتزين بيض النعام التي كانت إحدى خصائص الحياة القفصية حسب تعبير الباحث (Camps) استمرت خلال العصر الحجري الحديث حتى الوقت الذي ذكرت فيه الشعوب الليبية في السجلات التاريخية، مثل الجيتول والجرمانتيين، فهؤلاء طبقا للوكيانوس (Lucianus) [3] قد استخدموا البيض لأغراض لا تحصى، وقد تأكد هذا بالحفائر التي أجريت في أبو نجيم (في أقليم طرابلس) [4]، أما من حيث الجانب الاثري فيعتقد الكثير من الباحثين أن يكون الليبيون والبربر ذرية الانسان مشتا العربي الذي أطلقت عليه هذه التسمية نسبة إلى موقع مشتى العربي إلى الغرب من سلغوم العيد بالشرق الجزائري، ويتميز بطول قامته (172) سم في المتوسط عند الرجال، وسعة الجمجمة (1650) سم^3 مستطيل الرأس وشفاهه طويلة، ومحجر العين مستطيل، وعرف صناعة أطلق عليها (الإيبيرية المورية) (Ibéromauruien) وله انتشار واسع في المناطق الساحلية والتلية، ويعتقد أن أصل هذا الانسان محلي أي شمال إفريقيا نفسها، وربما كانوا أول سلالة منحدرة من نوع (الانسان العاقل) تتخذ لها موطنا في المغرب، ثم بدأ يظهر عليه تحول نحو قصر الرأس ونحافة الجسم كما يظهر ذلك في أماكن تواجد بقاياه العظمية التي تؤرخ إلى (6000) ق.م في كولومناتا (Columnata) بالغرب الجزائري [5]، وأيضا من ذرية الانسان القفصي نسبة إلى قفصة بالجنوب التونسي، وهو يرتبط بمجموعة البحر المتوسط،

---

(1) محمد علي عيسى: (2012)، ص133

(2) عبد اللطيف محمود البرغوثي: (1971)، الجزء الاولؤ، ص691

(3) René Rebuffat: (1970). p. 12

(4) جيهان ديزانج: (1985)، ص432

(5) المصدر نفسه: ص 431-432

ويمثل دون شك الأصل الأول للامازيغ الحاليين، ويصنف ضمن إنسان مشتى العربي الذي صنع الحضارة القفصية (7350-4390) ق.م، ويبلغ طوله (175) سم، ويتميز عن إنسان مشتى العربي بتناسق جمجمته المستطيلة مع وجهه المرتفع والمائل إلى الضيق، ومحاجر العين شكلها مربع وأنفه أضيق، أطلق عليه ما قبل المتوسطي (Protoméditerranéen) وله شبه كبير مع النطوفيون في فلسطين، وفي مختلف البلدان المتوسطية، ويعتقد أنه ينحدر من نوع كومب كابل (Combe-Capelle) الذي يسمى في اوربا إنسان برنو (Brno)، وبذلك فهو يختلف عن إنسان كرومانون [(1)] الذين وجدوا المنطقة منذ عصر الحجارة المصقولة وعاشا فيها طوال العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث [(2)].

على الرغم من اختلاف مصطلحات التسمية إلا إنها تعني مكانا جغرافيا واحدا ومجموعة بشرية اندمجت وتفاعلت مع من حولها في حركية أكدت التواصل الإنساني في كل الظروف سلما أو حربا، وهذه الحركية هي التي شكلت على مر العصور صيرورة المجتمع المغاربي الذي كان ملتقى للعديد من الحضارات منذ بدايات التاريخ وهذا ما فرضه الموقع الجغرافي للشمال الإفريقي الذي هو قلب قارات العالم القديم، وقد توّج اكتمال الشخصية المغاربية بدخول أهم عناصر الاندماج والوحدة والمتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية اللذين طبعا شمال افريقيا بمصطلح المغرب العربي الذي امتزجت دماء أبنائه منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرن وهي التسمية التي أكدها التاريخ رغم محاولات المسخ الذي مارسه الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث[(3)].

بالمناسبة ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي تسمية استعمارية للمنطقة وهي (شمال افريقيا الفرنسية)، وهي تسمية ذات طابع سياسي بالمقابل تسمية جغرافية في نفس الفترة (افريقيا الصغرى)، أو النبلاء، وبذلك فهم يرفضون اسم (البربر)، بينما يتقبلون إطلاق أسم الأمازيغ على قبائل عديدة قبيل الاحتلال الروماني [(4)].

البيئة والانسان في دول المغاربية

أن تضاريس الدول المغاربية ليست كتلة منسجمة بالرغم من تضامنها المادي والبشري، وهي اقطار لا تطابق حدودها مطابقة تامة مع الحدود التي تفرضها الجغرافية، ولا شك فأن خصائص هذه الأقطار (المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا) تنمحي في بعض الأحيان ضمن ما تشيده السياسة من صروح

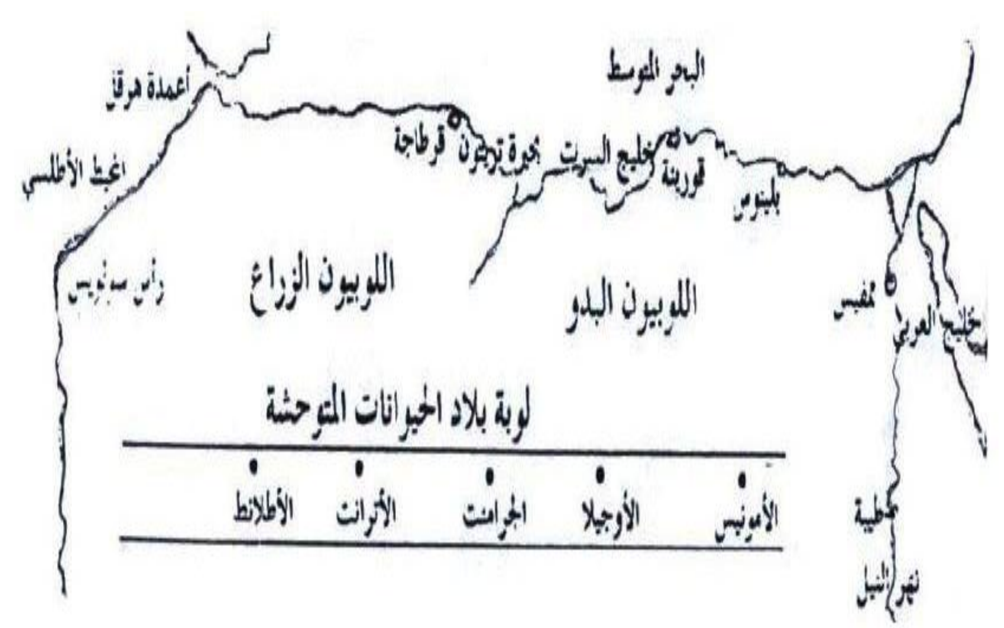
(1) بالو ليونال: (2005)، ص 100-101

(2) خلفة عبد الرحمان: (2008)، ص 16

(3) قعر المثرد السعيد: (2007-2008)، ص 14

(4) شارل اندري جوليان: (1969)، ص11-12// جين بوترو و(آخرون): (1986)، ص366// إبراهيم أحمد زرقانة: (1960)، ص1-2

تندمج فيها هذه الخصائص وتشوه، ولذلك فالوحدة الجغرافية واضحة في معالم تلك الأقطار:



خريطة 1: توزيع ونشاط القبائل القديمة في شمال افريقيا

1ـ المغرب

يقع المغرب في الركن الشمالي الغربي لأفريقيا ما بين خطي عرض 21-36 شمالا وخطي طول 2-17 غربا، وبذلك كان معبرا للحضارات والثقافات، فالمغرب لا يفصله عن اوربا الغربية سوى مضيق جبل طارق الذي لا يتعدى عرضه بضعة أميال، ومن أهم مميزات الطبوغرافية لسطح المغرب هي السلاسل الجبلية والسواحل وهما اللذان يلعبان الدور الرئيس في مسار الحضارة بالبلاد.

السلاسل الجبلية: يخترق المغرب سلسلتان رئيسيتان من الجبال الأولى منهما شمالية وتدعى جبال الريف التي تسير بمحاذاة ساحل البحر المتوسط وتمتد إلى الغرب قليلا من السهل الساحلي الواقع بالقرب من مصب وادي الملوية، ويمتد حتى المحيط الأطلسي عند (رأس سبارتل) في طنجة و يترك أحيانا سهلا ساحليا ضيقا يفصله عن البحر أودية صغيرة تمتلئ بالمياه عند سقوط الأمطار على الرغم من امتدادهما الطويل إلا أن الممرات التي تخترقها سواء من النواحي الغربية أو الشرقية كانت دوما معبرا للمجموعات البشرية منذ العصور القديمة، ومن السفوح الجنوبية لهذه المرتفعات تنبع بعض روافد وادي (سبو) ووادي (ليكسوس) .

أما السلسلة الأخرى من الجبال فهي المجموعة الأطلسية ويفصلها عن جبال الريف كتلة من الأرض المرتفعة ولو أنها بطبيعة الحال أقل ارتفاعا من السلاسل الجبلية المحيطة بها من الشمال (جبال الريف) ومن الجنوب (المجموعة الأطلسية) [1]، وتعرف باسم ممر تازة، ويبدأ ضيقا في ناحيته الشرقية إلا أنه لا يلبث أن يتسع كلما اتجهنا غربا حتى يتصل بسهول الغرب.

تتكون المجموعة الأطلسية من ثلاث مجاميع متعاقبة تتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وهي على التوالي من الشمال إلى الجنوب:

- الاطلس الأوسط
- الاطلس الكبير
- الاطلس الصغير

ترجع أهمية هذه المجموعة إلى الدور الهام الذي لعبته في تاريخ المغرب منذ أقدم العصور، ذلك لأنها كانت وما زالت منابع أهم المجاري المائية التي قامت عليها حياة الانسان والحيوان، فعلى السفوح الشرقية والغربية للأطلس المتوسط تقع منابع وادي الملوية الذي ينحدر شمالا في واد ضيق ليصب في البحر المتوسط ، وبما أن الوادي سريع التيار لذا لم يستغل كطريق للملاحة، ومن الاطلس المتوسط تنبع روافد هامة من وادي سبو الذي يعتبر من أهم انهار المغرب ويتسع مجراه نظرا للروافد الكثيرة التي تصب فيه ويلتوي في سيره قرب مصبه في المحيط الأطلسي، وهناك تشابه بين وادي سبو ونهر الفرات والنيل من حيث الفيضان إذ أنه كثيرا ما يفيض على جانبيه مغرقا الحقول والمراعي، والمجرى الأدنى لنهر سبو صالح للملاحة، ومن الاطلس المتوسط ينبع أيضا وادي (بورقراق) ورافده وادي (جرو) الذي يصب في المحيط الأطلسي عند مدينة الرباط وسلا.

اما الاطلس الكبير فانه يعد منبعا للكثير من الاودية الهامة مثل وادي أم الربيع، ووادي تنسيفت، ووادي السوس، وجميعها تصب في المحيط الأطلسي، أما السفوح الجنوبية والشرقية للأطلس الكبير فيه منابع أودية (دادس) و (أيمن) و (وادي درعه) أطول اودية المغرب وهو يصب في المحيط الأطلسي عبر الصحراء مغيرا اتجاهه الجنوبي إلى الجنوب الغربي ثم إلى الغرب، كما تقع في سفوحه الشمالية الشرقية منابع (وادي غير) و (وادي زيز) وهي أودية تضيع مياهها في احواض داخلية مغلقة في الصحراء، وترتفع قمم الاطلس الكبير لتصل إلى ثلاثة عشر ألف قدم [2]، وأكثر سفوح هذه الجبال رواسب جيرية، وتمتد سلسلة الاطلس الكبير حتى سواحل المحيط الأطلسي قرب (اغادير) .

---

(1) سميت جبال الاطلس لاعتقاد اليونانيين أن الههم اطلس يسكن هذه الجبال: إبراهيم احمد زرقانة: (1960)، ص2

(2) يقع خط الثلج في فصل الشتاء في جبال الاطلس الكبير فوق (8000) قدم، وليس بها خط ثلج دائم، كما لم تتكون الثلاجات في العصور الجليدية: المصدر نفسه : ص 10

تمتد جبال الاطلس الصغير للغرب من الاطلس الكبير ويفصل بينهما تلال منخفضة تمتد من (ورزازات) و (تاسناخت) و (اكدير ملول) وهو أقل ارتفاعا لتعرضه لعوامل التعرية الجوية ولا يختلف الاطلس الصغير عن السلاسل الجبلية الاطلسية في انها تعود إلى النظام الألبي الألتوائي ويرجع تكوينها أيضا لنفس الزمن الثالث الذي تكونت فيه الجبال الاندلسية في اسبانيا.

السهول الساحلية: تعتبر من أهم المميزات الطبوغرافية للمغرب فمن الشمال إلى الجنوب توجد سهول الغرب وهي سهول (المعمورة) و(الشاوية) و(دوكالة) و(عبدة) و (السوس)، وهي من أخصب البقاع وتشتهر بتربتها السوداء المكونة من الصلصال الأسود والذي يسمى بـ(التيرس)، ويتراوح اتساع هذه السهول بين (60-80) كيلومتر تتخللها بعض المرتفعات وهي (زعير) و (زيان) ومرتفعات الرحامنة وهضبة الفوسفات في تادله، وقد كانت هذه السهول موضع دراسة علماء الجيولوجيا نظرا لأهميتها، ففي اجزائها السفلى صخور قديمة تغطيها ترسبات الاودية النهرية والرسوبيات البحرية، وقد كانت تلك السهول قديما مرتعا ومرعى للحيوانات البرية والمدجنة، وكانت الغابات تكتنف بعض تلك السهول (1).

أما ساحل المحيط الأطلسي فقد تميز بثلاث أنواع متباينة من التضاريس: **أولها** صخري متآكل نتيجة لاصطدامه بأمواج البحر التي حفرت فيه عددا كبيرا من الكهوف التي سكنها الصيادون منذ العصر الحجري القديم، **وثانيها** شاطئ رملي ارتفعت فيه كثبان عالية من الرمال بفعل المياه والرياح وبلغت درجة حجبت الساحل عن السهول الفيضية للأودية الجارية، أما **الثالث** فقد تكونت منخفضات امتلأت بمياه الاودية أو الامطار أو ماء البحر المنبعث من الأرض، وكانت تلك المنخفضات تكون مستنقعات وسبخات عانى منها البحارة الفينيقيون عند وصولهم إلى سواحل الأطلسي لغرض انشاء المستوطنات القرطاجية (2).

الصحراء الغربية: تعتبر الصحراء المظهر الأخير في طبوغرافية المغرب، وهي تمتد خلف جبال الاطلس من الناحية الشرقية كما وانها تمتد إلى الجنوب من وادي درعه ويطلق عليها حمادة درعة، وحتى حدود السنغال، لذا فهي جزء لا يتجزأ من الصحراء الافريقية التي كانت تحظى بقسط وافر من الامطار في العصور الجليدية، وهذا ما نلاحظه في الاودية الجافة أو الوديان بلا ماء كما يسميها البدو الان، وكانت هذه المساحات الشاسعة من النطاق الصحراوي مسرحا للحيوانات المفترسة الضخمة والحيوانات ذات الظلف، كما وتغطيها الحشائش والأشجار وخلد سكان الصحراء نقوش في جبال تبستي (بين تشاد وليبيا) وجبال الهكار (جنوب الجزائر) وجبال أطلس، وكانت رسومهم تصور صيد الحيوانات البرية التي كانت ترعى في تلك المناطق والتي اختفت في الوقت الحاضر (3).

---

(1) راجع الباحث (Célérier) في بحثه (جغرافيا تاريخ المغرب):
Jean Célérier: (1928). Pp. 159-173

(2) Brian Herbert Warmington: (1960). p. 75

(3)محمد رشيد الفيل: (1968)، ص 240

المنـاخ: ينتمـي منـاخ المغـرب إلـى منـاخ البحـر المتوسـط، لـذا يتميـز بـالاعتـدال علـى ساحل بحرين (المحيط الأطلسي والبحـر المتوسـط)، وقـد عملـت التيـارات البحريـة علـى تلطيـف درجـات الحـرارة، وتعتبـر نسبـة سقـوط الامطـار بطنجـة اعلى من باقي المنـاطق المغربيـة سـواء الواقعـة منهـا علـى سـاحل الأطلسـي أو البحـر المتوسـط وتقـل نسبـة سـقوط الامطـار كلمـا اتجهنـا للـداخل إلا أن نسـبة سقوطها على سلاسل جبال الريف وجبال الاطلس المتوسط اعلى من المنـاطق المجـاورة، وتقـل التسـاقطات المطريـة فـي الاطلـس الصـغير لتغلـب التـأثيرات الصحـراوية عليه، ولذا تنمو نباتات البحر المتوسط على طول سواحل المغـرب الشمالية والغربية وعلى الجبال تظهر الغابات النفضية والصنوبرية.

استمر سكان المغـرب القديم ردحـا طـويلا مـن الزمـان حتـى فـي عصـر متأخر يحصلون على جزء هام من طعـامهم بالصـيد، لذا فقد استمرت مرحلـة العصـر الحجـري الحـديث إلـى فتـرة متـأخرة بعكـس منطقـة الشـرق الأدنـى القـديم(1)، ورغـم أن أغلـب الاوديـة كانـت دائمـة الجريـان إلا أن الأدلـة الاثريـة تشير إلى ان سكان المغرب القدماء لم يمارسوا الزراعة في فجر التـاريخ علـى نطـاق واسـع بـل كانـت ضـفاف الاوديـة هـي مكـانهم المفضـل لرعـي قطعـانهم وخيولهم واغنامهم وظلت حرفة الرعي هي الغالبة حتى العصـر الرومـاني (2)، وإلـى جـوار المراعـي والمـروج التـي كانـت تلجـأ اليهـا الطـرائد كانـت سـواحل المغـرب غنية بالأسماك فكان الصيد البحري يلعب دورا هاما في اقتصـاد الـبلاد منذ عصر ما قبل التاريخ إذ قامت مصانع لتجفيف السمك واستخراج زيتـه فـي نـواحي مختلفـة مـن المغـرب (3)، وإذا كنـا لا نعـرف علـى وجـه التحديـد مـدى النشاط البحـري للمغاربـة فـي المحيط الأطلسـي قبـل ان يصـل الفينيقيـون إلا ان إشارة الملاح القرطاجي (حنون) إلى الاستعانة بأدلاء ومترجمين مـن المغاربـة مـن أهـالي وادي ليكسـوس لإرشـاد اسـطوله اثنـاء ارتيـاده لسـواحل المغـرب الجنوبية وصولا إلـى الكـاميرون عند خط الاسـتواء (4)، وكـذلك اسـتعان الملـك الموريتاني (يوبا الثاني) الذي عاش في أواخر القرن الأول الميلادي بالبحـارة

(1) رشيد الناضوري: (1981)، ص144

(2) Brian Herbert Warmington: (1960) .p. 76

(3)راجـع الباحثـان (Ponsich) و (Tarradell) فـي بحثهمـا (الصـناعات القديمـة فـي سالايسو في غرب البحر المتوسط) :

Michel Ponsich et Miguel Tarradell: (1965) .p. 130

(4) حنون ابن هاميلكار من اسرة مـاجو التـي حكمت قرطـاج، وكـان حنـون قائدا انيط بـه مهمـة اخضـاع القبائـل البربريـة السـاكنة فـي تـونس، وفـتح مجـال للتجـارة القرطاجيـة والمستوطنات على السواحل الجنوبية للمحيط الأطلسي : صلاح رشيد الصالحي : رحلة حنـون القرطـاجي نحـو سـواحل غـرب افريقيـا الاطلسـية ، مركـز إحيـاء التـراث العلمـي العربي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 2018 ، ص3-7 .

Donald Harden: (1971). Pp. 162-164

المغاربة لارتياد جزر الخالدات (جزر الكناري) [1]، وهذان دليلان قويان على وجود سفن مغربية كانت تسير بين مختلف الموانئ والخلجان في السواحل الأطلسية للمغرب القديم .

خلافا للعراق القديم ومصر لم تقم بالمغرب القديم مدن زراعية بل أكثرية المدن التي ظهرت في فجر التاريخ هي مواني بحرية مثل طنجة، برسدير (مليلية)، وليكسوس، مما يدل على أن العامل البحري لدى المغاربة كان أقوى من العامل الزراعي في تشكيل حضارة عصر مل قبل التاريخ بل وفجر التاريخ أيضا [2].

2ـ الجزائر

تقع الجزائر بين تونس والمغرب في شمال افريقيا، وأكثر من أربعة اخماسها صحراء [3]، وتوجد على طول الجزائر منطقة وسطى وهي منطقة السهول الكبرى والتي تتميز بارتفاعها، وتضم في الجنوب والشمال على سلسلة جبال اتجاهها من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي وهما أطلس الصحراوي في الجنوب وأطلس التل في الشمال وتتسع جبال التل لتصل إلى (100) كيلومتر، ولفظة التل عربية وليس تلوس (Tellus) اللاتينية التي تعني الأرض الصالحة للزراعة [4]، ولذلك تقسم الجزائر جغرافيا إلى اربعة مناطق من الشمال حتى الجنوب هي:

1- منطقة أطلس التل
2- منطقة الاطلس الصحراوي
3- منطقة الهضاب العليا
4- الصحراء.

بالنسبة **السلسلتين الجبليتين الاطلسيتين** (**التل والصحراوي**) لهما خصائص متباينة ففي أطلس التل تبدو الالتواءات عنيفة وعظيمة، اما الاطلس الصحراوي فان الالتواءات ابسط بكثير وفيه تدرج بسيط نحو الصحراء، وتكونت تلك الجبال في ازمنة جيولوجية مختلفة، فالسلسلة التلية [5] تطل على

(1) يوبا الثاني ملك موريتانيا الطنجية تربى في روما تحت رعاية القيصر أغسطس وتثقف بالثقافة الرومانية، وتميز حكمه بالاستقرار السياسي وولعه الشديد بالبناء والاثار والادب والشعر: شارل اندري جوليان: (1969)، ص 172

(2) راجع الباحث (Gruvel) في بحثه (صناعة صيد الأسماك في المغرب) في (مجلة جمعية العلوم الطبيعية بالمغرب رقم 3):

Abel Gruvel: (1923).

(3) أخذ اسم الجزائر من الجزر الصغيرة التي كانت موجوده سابقا في الميناء على ساحل البحر المتوسط.

(4)اصطيفان اكصيل : (2007)، الجزء الأول، ص 19

(5)أعلى قمة في جبال الاطلس التل هي (لالة خديجة) ارتفاعها (2308) م وينبع منها انهار صغيرة تصب في البحر المتوسط ماعدا وادي الشلف الذي ينبع من جبال الاطلس الصحراوي.

البحر وتترك مجالا ضيقا للسهول الساحلية أو تصطدم بالبحر المتوسط، وتبدأ غربا بجبال تلمسان وفي جنوبها جبال الضاية وسعيدة، ثم جبال الونشريس والظهرة، و زكار التي تتميز بشدة التوائها، وتتواصل بجبال الأطلس البليدي ثم جرجرة، ثم جبال البابور فجبال القل ثم إيدوغ، وإلى الجنوب توازيها جبال التيطري، فالبيبان ثم جبال نوميديا و قسنطينة وسوق أهراس، وتتخلل هذه السلسلة التلية سهول داخلية سبق ذكرها [1] .

أما السلسلة الأطلسية الصحراوية فتمتد جنوب الهضاب العليا في كتل موازية للأطلس التلى تقريبا ويمكن تقسيمها إلى: سلسلة الاطلس الصحراوي الغربية فيها جبال القصور وعمور وأولاد نايل، أما الشرقية فتتكون من جبال الأوراس والنمامشة، وبين القسمين تضمر الجبال كثيرا فتبدو جبال الزاب، قبل أن تختفي عند عتبة بسكرة التي تسمى عتبة الصحراء، وهي ممر طبيعي بين الشمال والجنوب ويعود الارتفاع فجأة شرق بسكرة لتبدأ الأوراس [2].

تنحصر **الهضاب العليا** بين السلسلتين (التل والصحراوي) ويمكن تميز مجموعتان من السهول: فمن جهة غور الشليف الساحلي المتصل غربا بسهل سيغ وسبخة وهران، ومن جهة أخرى غور أواسط فيه سهول بسكرة وسيدي بلعباس وتلمسان، وقد أحاطت به جبال أطلس التل الصغيرة وهي جبال ساحل وهران والظهرة شمالا وجنوبا، وجبال تسالة وخاصة جبل الونشريس وهو أعظم جبل يحف بوادي شليف في غرب مدينة الجزائر[3]، وتظهر في الهضاب العليا عدد من الشطوط مثل شط الجريد، والفرسا، والماجيرالزاغر، والحضنة، وفي الشرق ينبع نهران كبيران هما السيغ (Sig) والهبرة (Habra) ويكونان مستنقعات تغطيها الرسوبيات وكانت تربتها في العهود القديمة غير صالحة للزراعة حيث لا نجد خرائب أثرية ولذا كانت حدودا للإمبراطورية الرومانية، أما سهل متيجة القريب من مدينة الجزائر فقد كان سابقا خليجا ثم تحول إلى بحيرة يفصلها عن البحر خط من التلال ثم امتلأ بترسبات الأنهار الاتية من الجنوب والغالب على الظن أن وسط السهل كان فيه مستنقعات اثناء القرون الثلاث بعد الميلاد لذا لا نجد خرائب للآثار رومانية إلا بجنبات سهل متيجة[4] .

تمتد **الصحراء** إلى الجنوب من الأطلس الصحراوي ولمسافة (1500) كيلومتر حتى حدود النيجر ومالي، وتشكل عمق المجال الجزائري بتوغلها في القارة السمراء، ويغلب عليها طابع الرتابة مع احتوائها لكل أشكال التضاريس:

---

(1) حليمي عبد القادر: (1968)، ص47-50
(2) المصدر نفسه، ص 54-55
(3) شارل اندري جوليان: (1969)، ص15
(4) اصطيفان اكصيل: (2007)، ص20-21

- الأحواض والمنخفضات: هي مساحات شاسعة تغطيها الكثبان الرملية حيث ترتفع من مترين وإلى خمسة امتار وحتى (40) مترا ترسبت بفعل التعرية والنحت والنقل أهمها العرق الشرقي والعرق الغربي وعرق مرزوق [1].
- السهول الصحراوية: وتسمى الرق وتغطيها الحصى نتيجة الرواسب الصخرية من جراء السيول الجارفة قديما [2].
- الهضاب الصحراوية: تشغل أكبر مساحة من الصحراء وهي نوعان: الحمادة وهي هضاب جيرية تنحدر من سفوح الأطلس الصحراوي الجنوبية مثل تادمايت وقير والحمادة الحمراء، وهضاب رملية مثل التاسيلي حفرتها الرياح عن طريق النحت [3].
- الجبال: تشغل مساحة قليله وهي بركانية قديمة التكوين على شكل قباب بلورية فوقسطح هضاب قديمة بدورها أهمها الهكار التي يصل ارتفاعها إلى (2000) متر وتحيط بالهكار هضاب من الحجر الرملي مقطعة على شكل أعمدة من قبل الأنهار قديما، وغرب جبال الهكار صحراء من الحصى تمتد حتى حدود مالي [4].

تعتبر شمال الصحراء أقل جفافا من جنوبها ولذلك فان معظم الواحات تقع في الجزء الشمالي من الصحراء وأشهر الأنهار وادي ميزاب حيث استقرت فيه قبائل موزابيت، بينما المنطقة الجنوبية للصحراء فهي شبه قاحلة تماما ولا يسكنها سوى الطوارق الرحل مع وجود بعض أجزاء من الهكار وتاسيلي-ازجر[5] فيها تربة غرينيه تسمح بالزراعة المروية [6].

لقد كانت الصحراء الافريقية الكبرى في أواخر عصر الباليستوسين تعج بالنباتات والحيوانات والبشر وكانت تكسو معظم بقاعها أدغال تكفي نباتاتها وأشجارها لتغذية أضخم الحيوانات التي عاشت على وجه البسيطة وبات من المؤكد تواجد حيوانات مثل الفيل والزرافة ووحيد القرن وفرس النهر والنعامة وقد كسا سكان هذه المنطقة سفوح الجبال وكهوفها برسوم لحيوانات منطقتهم عثر على عدد كبير منها وما يزال يعثر على المزيد في مناطق متباينة من الصحراء وتلك الرسوم في معظمها حيوانات انقرضت في الصحراء، وهى تعيش الآن في المناطق الاستوائية الوفيرة المياه، إن عثور الباحثين على أدوات حجرية من الصخور المختلفة في مناطق الصحراء يؤكد

---

(1) حليمي عبد القادر: (1968)،ص57
(2) حليمي عبد القادر: ص 59
(3) قعر المثرد السعيد: (2007-2008)، ص19
(4) حليمي عبد القادر: (1968)،ص5 5
(5) معنى اسم تاسيلي (طاسيلي) السلسلة الجبلية التي يغطيها السواد، أما ازجر فهي تعني جلد (الثور المسلوخ) أو (رأس الأقرع)، أو ربما تعني ازجر (نهر) أو (بحيرة):
Claude Leredde: (1957) .p.47
(6) قعر المثرد السعيد: (2007-2008)، ص19

علـى أن أحـوال المنـاخ التـي كانـت عليهـا منطقـة الصـحارى فـي دهـر البلايستوسين من وفرة المياه قد مكنت الانسـان القديم من العيش فيهـا وتكـون هذه الادوات الحجريـة فـي مجموعهـا فؤوسـا حجريـة مـن أقـدم أدوار العصـر الحجري وجدت على هيئة ملتقطات سطحية في الاجزاء المختلفة من منطقة الصحارى وعلى ضفاف الوديان والانهار الجافة القديمة التي عاش عندها صيادو العصر الحجري القديم يوم كانت وفيرة المياه ومحطات صيد غنية [1]

لقد كانت الاتصالات بين الشعوب سهلة بسبب التجاور، وعدم وجود العوائق المتمثلة في الكثبان الرملية التي تشكل اليوم العروق، والاراضي القاسية مثل الحمادة، وقد أكد علماء الجيولوجيا بوجود مجاري مائية هامة في منطقة الصحراء الكبرى والتي كانت تنبع من سلسلة جبال الأطلسي ومن الهكار، ولا تزال الوديان الجافة من منطقة تشهد على ذلك رغم ما أصابها من ردم فمجرى وادي جرات كان نهرا كبيرا يشبه وادي النيل [2].

كانت الصحراء مركزا حضاريا كبيرا وبفضل موقعها الجيد كانت تربط بين المنطقة الشمالية والعمق الافريقي، كما أنه علينا تصور المناخ التضاريس مختلفين على اليوم، فالعروق الكبيرة التي تمثل حاجزا رمليا يصعب الاتصالات الحضاري، لا وجود لها في مرحلة ما قبل التاريخ بل على العكس فقد كانت مروجا خضراء، فلا وجود للعرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير، أما الحمادة الحمراء وحمادة تانزروفت فقد كانت سهول خضراء، ومنطقة الساحل الافريقي التي يصيبها الجفاف اليوم كانت تعج بالحياة، وفي ظل ذلك الجو المناسب وفي ظل الأمان والسلام بين مختلف المجموعات السكانية، أصبحت المنطقة جاذبة للسكان القادمين من الجنوب بفعل امتداد الغابات الاستوائية او القادمين من الشمال، وهذا ما يفسر التنوع البشري الذي نجد ما يؤكده في الرسوم الصخرية فقد ساهمت الاتصالات بين الشعوب في خلق حضارة مزدهرة في الصحراء الكبرى، كان الفخار واستئناس الأبقار قديم جدا والزراعة ابرز معالمها، ولكن أيضا تراث فنيا هو الأغنى في العالم من رسوم ونقش ونحت لتماثيل [3].

كان الاستقرار البشري في الصحراء الوسطى كثيفا مشابها للهلال الخصب فقد قامت حضارة مزدهرة قد لا تختلف عن الحضارات العظيمة في العصور القديمة، شهدت عصرها الذهبي في العصر الحجري الحديث، وان كانت شواهدها اليوم هي الفخار والفن الصخري بارزة، فلعل رمال الصحراء قد دفنت معالم حضارية أخرى، ويمكن أن يكون نوع من الزراعة قد ظهرت،

(1) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 4

Henri J. Hogot: (1981). Pp. 585 - 605 // Frederick Roelker Wulsin: (1968). Pp. 3 – 8

(2) Gerard Jacquet: (1999). p 19

(3) بن بو زيد لخضر: (2018)، ص80-81

لكن الشيء الأكيد هو استئناس مبكر للأبقار أقدم من منطقة الهلال الخصيب، فالانتقال إلى الاقتصاد الإنتاجي المتمثل في الفخار وتربية الأبقار كان قديما جدا (1).

المنـــاخ

تقع الجزائر في المنطقة المعتدلة وتتمتع بمناخ متوسطي معتدل، وهناك تفاوت في درجات الحرارة بين الصيف الذي يتصف بارتفاع درجات الحرارة لتصل إلى (42) درجة مئوية وبين شتاء معتدل تصل درجات الحرارة إلى (12) درجة مئوية، وفي فصل الربيع تهب العواصف الترابية من المنطقة الصحراوية حتى تصل إلى جبال الاطلس، والمعروف ان منطقة (توريد) في اقصى جنوب الجزائر تقع على مدار السرطان ولهذا درجات الحرارة في فصل الشتاء نهارا تكون مرتفعة وساخنة جدا والهواء جاف بينما ليلا تنخفض الحرارة وبذلك فهناك تفاوت في درجات الحرارة بين الليل والنهار، لذا فهي تمتاز بجفافها الشديد في الوقت الحاضر وانها كانت كذلك حسب روايات الكلاسيكيين منذ مطلع الالف الأول ق.م أو أواخر الالف الثاني ق.م إلا أن هناك أدلة جيولوجية واثرية تثبت بانها لم تكن جرداء قاحلة في عصور ما قبل التاريخ (2).

تصل التساقطات المطرية في فصل الشتاء على الأجزاء الساحلية المتوسطية بين (400 إلى 670) ملم وتزداد التساقطات كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق حيث تصل الى (1000) ملم في بعض السنوات وكلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب تقل التساقطات بشكل واضح، ومن ثم تغطي الأشجار الدائمة الخضرة السائدة في إقليم حوض البحر المتوسط معظم السهول الساحلية، وعلى العموم الصفة العامة لكمية الامطار مختلفة فمثلا سجلت في الجلفة كمية الامطار الهابطة سنة (1913) بمقدار (99) ملم بينما في عام (1893) وصلت إلى (775) ملم ولا شك أن الأمطار تتوزع تقريبا على أيام الشتاء دون سواه، ولكنها تتهاطل بغزارة أحيانا في بضع ساعات فسرعان ما تتضخم الوديان بالمياه الممزوجة بالطين بعد الجفاف (3).

3- تونـــس

تقع تونس شرق جزيرة المغرب، وتعد من أصغر الأقطار بالمغرب العربي، وتتميز بموقع فريد فهي تقع على أحد ضفتي مضيق صقلية فلا تبتعد عن جزيرة صقلية أقل من (140) كلم، وعن جزيرة سردينيا أقل من (200) كلم جعلها مطمع للغزاة الفينيقيين والرومان، ويمر بها خط عرض (37) شمال خط الاستواء، وتمتد سواحلها على (1300) كلم فالسواحل الشمالية تمتد فيها

---

(1) Andréa dué: (1994). p.34

(2) تقي الدباغ: (1988)، ص 18

(3) شارل اندري جوليان: (1969)، ص11

السواحل الصخرية، اما الشرقية فهي سواحل رملية ويكثر فيها الخلجان ومنها خلجان تونس والحمامات وقابس [1].

تشكل السهول نصف مساحة البلاد وأكثرها انتشارا سهول ساحلية مثل مجردة والجفارة والجريد ونفزاوة، بينما لا تشكل المرتفعات سوى مساحة قليلة وهي سلسلة التلية الشمالية كتلة صخرية تعود لعصر الإيوسين من الحقب الجيولوجي الثالث، وهي امتداد طبيعي للتل الجزائري، ويشق التل التونسي وادي المجردة وروافده وهذه السلسلة ارتفاعها متوسط لا يزيد عن (1200) م، وتضم جبال خمير ومقعد، وأما الظهرية التونسية أو الاطلس التونسي فهي سلسلة جبلية متقطعة متباينة، تتعاقب فيها كتل جبلية ضئيلة الارتفاع مع سهول منبسطة تحيط بها الجروف الصخرية، تتخللها بعض المنخفضات، وهي امتداد لجبال الاطلس الصحراوي تشق البلاد متجهة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ثم تنحدر شيئا فشيئا حتى هضاب شبه جزيرة الوطن القبلي وتفصل هذه السلسلة الجبلية بين تونسيين تونس التل وتونس السباسب، ثم جبال مطماطة بالجنوب وهي سلسلة اقل ارتفاعا من السلاسل أعلاه ويكون اتجاهها من الجنوب حتى البحر المتوسط ونظرا لان الصحراء في جنوبها الأمر الذي يجعل الهواء فيها أقل حرارة [2].

إلى الجنوب أكثر تظهر الصحراء التونسية، المترامية الأطراف التي تمثل كتلة قاسية حافظت على استقرارها منذ الحقبة الجيولوجية الثانية، وهي تشكل أرض منبسطة مستوية وسطحاً طبوغرافياً منبسطاً، تغطيه طبقة رقيقة من الأنقاض والرواسب الحديثة، تقطعها بعض الأودية القديمة التي تملؤها المياه استثنائياً عقب الزخات المطرية المفاجئة التي تضيع في رمال العرق الشرقي الكبير أو في الحفرة التي يحتلها شط الجريد. وتتألف الصحراء من صخور حجرية يطلق عليها (الحمادة) والصحراء الحصوية (السرير) والصحاري الرملية أو العروق.

إلا أنه بينما يتجه المغرب الأقصى اتجاها معاكسا لما ظل عليه تاريخ العالم حتى القرون الخمسة الأخيرة نرى تونس المتصلة اتصالا مباشرا بحوض البحر المتوسط والبعيدة عن أوروبا بـ(140) كلم بحيث تتأثر بمؤثرات آتية من الشرق والغرب على التناوب وبنفس السهولة [3]

المناخ

تقع الأراضي التونسية في نطاق التقاء المؤثرات البحرية المتوسطية والمؤثرات الصحراوية، والمناخ التونسي متوسطي، الفصل الجاف فيه طويل ويتطابق مع الفصل الحار، والفصل الماطر القصير ينطبق على فصل الشتاء، ولكنه في الوقت نفسه مناخ شبه جاف، وللصحراء تأثير واضح فيه ويزداد

---

(1) محمد الهادي الشريف: (1993)، ص 8-9

(2) شارل اندري جوليان: (1969)، ص16-17

(3)المصدر نفسه: ص 17

جفافاً باتجاه الجنوب،وهو مناخ شديد التباين مكانياً وزمانياً يمتاز بزخات مطرية إعصاريه شديدة التركيز، تؤدي لانجراف التربة، وهناك تباين كبير بكميات الأمطار بين المناطق يصل أقصاه بين (1534) ملم سنوياً في جبل خمير و(89)ملم في قبلي، كما تتباين درجات الحرارة تبايناً كبيراً بين المناطق الساحلية والمناطق الداخلية، إذ تصل درجة الحرارة أحياناً إلى (50) درجة مئوية في جنوب ققصة، في حين لا يندر حدوث الصقيع في بعض الأحيان، أما معدلات التبخر فهي عالية دوماً تصل إلى 64% في جفارة و70% في سوق الأربعاء.

أن أغلب الأنهار في تونس هي أنهار سيلية يطلق على كل منها اسم واد، بعضها يصب في البحر، والبعض الآخر ينتهي في أحواض داخلية أو يضيع في رمال الصحاري، وأهم أنهار تونس نهر المجردة الذي ينبع قرب قسنطينة في الجزائر، ويجري في إقليم التل الأعلى يبلغ طوله (460) كم ومساحة حوضه (22000) كم [1].

على اية حال يمكن القول بأن كمية الامطار التي تسقط على الساحل التونسي تشجع على قيام الزراعة ونمو الغابات كما تحصل المناطق الجبلية على كفايتها من الامطار لزراعة الحبوب ورعاية الماشية، أما النطاق الشرقي في شرق تونس فهو لا يتلقى ما يكفيه من الامطار وهذا ما يجعل تربية الاغنام هي الاكثر نشاطا في هذا النطاق [2].

4. ليبيــــا

تمتد ليبيا ما بين خطي طول (9 و25) شرقا واقصى امتداد لها من ناحية الشمال يصل إلى خط عرض (33) شمالا في برقة [3]، وتقع ليبيا على شواطئ البحر المتوسط، في شرق المغرب العربي، وبذلك فهي على اتصال وثيق بأعظم الحضارات القديمة وهي مصر، ويصل طول الساحل الليبي إلى (1850) كلم، وتشكل الصحاري القسم الأعظم من الأراضي الليبية [4] ويمكن تميز جغرافية ليبيا إلى:

1. السلاسل الجبلية

عندما تنتهي جبال الاطلس عند خليج قابس في تونس وبمسافة غير بعيدة تظهر منطقة جبلية أخرى تلك هي مرتفعات (نفوسة) في إقليم طرابلس وهي على شكل هلال أو قوس طرفه الغربي في قابس وطرفه الشرقي عند (فندق النقازة) القريب من مدينة (الخمس) مكونه بينها وبين الساحل سهل (الجفارة) الشهير ما بين تونس وليبيا [5]، وبعد مسافة قصيرة من نهاية الطرف

---

(1) لدراسة أنواع النباتات وانتشارها في تونس: زينب غرابي قمار: (2011)، ص31-35

(2) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 5

(3) عبد العزيز طريح شرف: (1971) ، ص 9

(4) المصدر نفسه: ص 13

(5) طه باقر: (1968)، ص6

الشرقي من ذلك القوس تأتي شقة ساحلية لها ميزتها الخاصة وهي ساحل (سرت) الاجرد الذي يبلغ طوله نحو (800) ميل، ويفصل ما بين إقليم طرابلس واقليم برقة، وتعتمد السكنى في هذه المنطقة على الآبار والمراعي، ثم تأتي منطقة الجبل الأخضر التي هي رغم كونها اقل ارتفاعا وسعة من جبال الأطلس إلا انها تكون آخر منطقة خصبة في الساحل الليبي إلى أن نصل إلى وادي النيل [1]، إلا أنه من بعد سفوح الجبل الأخضر في جهة الشرق وقبل وادي النيل تأتي رقعة جغرافية أخرى شبه صحراوية ولكنها أقل يبسا وقحولة من صحراء ساحل (سرت) وتمتد مسافة نحو (600) ميل [2].

من الناحية الطبوغرافية تكون جبال الاطلس العالية ابرز عارضة جغرافية في الشمال الافريقي في الحدود الشمالية من الصحراء الكبرى، ومن بعد جبال الاطلس تأتي منطقتان مرتفعتان أخريان وان كانتا دون جبال الاطلس في الارتفاع ونعني بذلك منطقة الجبل الأخضر التي سبقت الإشارة اليها، والمنطقة المرتفعة الأخرى تقع في الصحراء وهي تتكون من مرتفعات جبال (الهكار) وجبال (التبستي)، وتوصل ما بينهما التلال الأقل ارتفاعا العائدة إلى مرتفعات (تومو) و (تاسيلي) ومرتفعات (تدرارت-أكاكوس)، وتبلغ اعلى نقطة في الهكار ما بين (9800) و (10.000) قدم واعلى نقطة في جبال التبستي زهاء (10.000) و (11.000) قدم ويرجع الجيولوجيون أصل هذه المناطق الجبلية الداخلية إلى فعل البراكين الحديثة العهد من الناحية الجيولوجية، حيث يرجع زمن تكوينها إلى دهر (البلايستوسين) قبل اكثر من مليون عام، أما جبال الاطلس فيعود تاريخ تكوينها إلى زمن النظام الالبي (Alpine) أي إلى أواخر الدهر الجيولوجي الثالث المسمى (Tertiary) وأوائل الدهر الرابع (Quateruary) [3].

الصحراء

من أبرز المظاهر الجغرافية في شمال افريقيا هي منطقة الصحراء التي تمتد من سواحل المحيط الأطلسي غربا وإلى ساحل البحر الأحمر شرقا بمسافة (3500) ميل، وعرضها من الشمال إلى الجنوب زهاء (1800) ميل وبذلك تكون مساحتها (4) مليون ميل مربع وتنحصر بين خطي عرض (20 و35) شمال خط الاستواء، ويمكن تقسيم الصحراء الكبرى إلى:

أ – **الصحراء الغربية الكبرى:** في اقطار (المغرب والجزائر وتونس) وتبتدئ تقريبا من ساحل الأطلسي غربا وتمتد شرقا إلى خط طول (18).

ب – **الصحراء الليبية:** وهي تلي الصحراء الغربية أي أنها تمتد من خط طول (18) إلى حدود نهر النيل تقريبا، ويمكن اعتبار الحد الفاصل ما بين

(1) طه باقر : ص26

(2) طه باقر: (1968)، ص6

(3)المصدر نفسه: ص7

الصحراء الغربية والصحراء الليبية الخط الممتد من خليج (سرت) الكبير (خليج السدرا) إلى منطقة التبستي و (بوركو)، والجدير بالذكر ان الصحراء الليبية بدورها يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين، هما الصحراء الشرقية من الممكن تحديدها بالمثلث المحصور بين منطقة طرابلس والخرطوم والقاهرة، ثم الصحراء الغربية والتي يمكن أن نطلق عليها اسم الصحراء الفزانية [1].

ج-الصحراء العربية والنوبية: المحدودة ما بين النيل وبين البحر الأحمر.

قبل الحديث عن أحوال الصحراء الكبرى في عصور ما قبل التاريخ لابد من معرفة احوالها في الوقت الحاضر حيث الجفاف المطلق تقريبا، وأن الجزء الأكبر من سطحها ليس كما يتبادر إلى الذهن مكونا من الرمال بل انه عبارة عن أرض صخرية عرتها وصقلته الرمال، وتغطي أجزاء من هذا السطح الرمال والحصى والحجارة السوداء، وتؤلف مناطق الرمال العروق الواسعة المشهورة ومنها مساحة العرق الكبير في الصحراء الليبية، وهو العرق الفاصل ما بين وادي النيل والصحراء الغربية وتعادل مساحته فرنسا كلها تقريبا، ويبلغ امتداد كل من العرقين الكبيرين جنوبي الجزائر نحو(300) كم طولا و(150) كم عرضا، ومع سعة امتداد هذه العرق الرملية فإنها تعد أجزاء صغيرة بالنسبة إلى مساحات الصحراء الكبرى الشاسعة التي تقع فيها[2].

يبقى جانب آخر كيف كانت الصحراء في عصور ما قبل التاريخ، أوضحت الدراسات الاثرية بان الصحراء الليبية كانت مختلفة جدا فقد كانت تتلقى امطارا غزيرة وهذا واضح جدا في مجاري الوديان الجافة التي تكونت بفعل السيول، كما عثر على بقايا حيوانات استوائية في مناطق الصحراء وأيضا عثر على الأدوات الحجرية مثل الفؤوس اليدوية حيث عثر عليها عند ضفاف الوديان الجافة القديمة أو ملتقطات سطحية في الصحراء مع رسوم صخرية نقشت في الكهوف او الحقاف ويظهر فيها حيوانات لا وجود لها الان مثل الأسد والزرافة والنعام ... الخ [3]، وهذه الصحراء لم تكن طيلة عمرها صحراء قاحلة على الرغم أن روايات الكتاب الكلاسيكيين تجمع على أن هذه الصحراء بمساحتها الشاسعة كانت مثلما هي عليه الآن منذ بداية العصور التاريخية في الشمال الافريقي عند مطلع الالف الأول أو أواخر الالف الثاني ق.م، ولكن لدينا أدلة جيولوجية وأثرية قوية تحمل على الاستنتاج بأن الصحراء لم تكن كذلك في عصور ما قبل التاريخ بل كانت تتمتع بمناخ دفئ

---

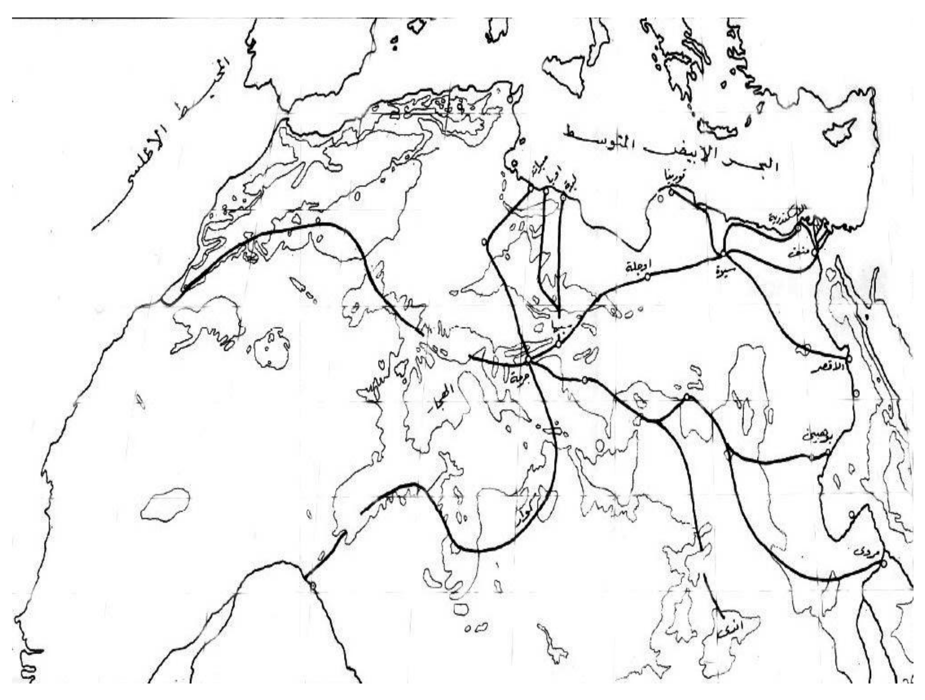
(1) محمد سليمان أيوب: (1969)، ص 9

(2)تعرف الأجزاء المختلفة من المناطق بمصطلحات محلية مثل: (1) الحمادة (تاسيلي في البربرية) وقوامها الحجارة الخشنة. (2) السرير وهو الأرض المكونة من الحصى الدقيقة والرمال. (3) العرق والدهان أو ادهان وهي الصحراء الرملية: طه باقر: (1968)، ص 8 والهامش (1)

(3)صلاح رشيد الصالحي: (2000-2001)، ص 1-3

ممطر مما جعلها مليئة بالحياة النباتية والحيوانية، فقد تم العثور على عدد من بقايا لغابات متحجرة كانت تعيش فيها حيوانات قديمة منذ ملايين السنين ونذكر منها موقع (قصر الصحابي) والذي عثرت فيه البعثة الأمريكية على مجموعة كبيرة جدا لأنواع من الحيوانات منها بقايا كاملة لفيل الماموث والهيكل العظمي موجودا حاليا بقسم علوم الأرض بكلية العلوم جامعة قاريونس، وحوت البال، وبالقرب من (جالو) منطقة تسمى سبخة القنين لا تزال آثار وبقايا الغابات المتحجرة واضحة للعيان إلى اليوم [1].

ان اكتشاف النفط فيها هو خير دليل على ذلك إذ أنه من المعروف أن النفط ناتج عن مواد عضويـــــة نباتية وحيوانية غمرت في باطن الأرض منذ ملايين السنين فتحولت إلى نفط نتيجة لعوامل معينة من الضغط والحرارة عبر العصور الجيولوجية هذه وغيرها تعد من الأدلة الجيولوجية والاثرية التي تؤكد وضع الصحراء في الأزمنة الجيولوجية المختلفة عما هي عليه الآن [2]، ولهذا كانت القوافل تنطلق من مدن على ضفاف النيل في مصر والسودان مخترقتا الصحراء الكبرى لتلتقي في جرمة (في ليبيا) ومنها تسير شمالا نحو ساحل المتوسطي، وطريق آخر يتجه غربا نحو سواحل المحيط الأطلسي، والطريق الثالث يتجه جنوبا نحو بحيرة تشاد .



(1) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 4// مفتاح عثمان عبد ربه وصالح رجب العقاب: (2005)، ص3

Barbara E. Barich and Grunert, J: (1997). Pp. 165-200

(2) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 2-3

خريطة 2: طرق القوافل القديمة بالصحراء الكبرى

المناخ

حدث تغير مناخي في ليبيا يمكن تحديد فترته منذ (50.000) ألف سنة وإلى الآن بناء على تحديد أعمار بعض العينات بواسطة الكاربون المشع (C 14) وعلى النحو التالي:

1- من (50.000) سنة وإلى (20.000) سنة كانت فترة مطيرة ذات مناخ رطب أكدت عليها الدراسات التي أجريت في كل من تشاد وإدرار بوس والحجاج ...الخ.

2- من (20.000) سنة وإلى (12.000) سنة جفاف تدريجي بلغ ذروته بعد (15.000) ألف سنة ثم بدء نسبيا وقد أدى إلى هجرات سكانية كبيرة خارج منطقة الصحراء الكبرى.

3- من (12.500) سنة وإلى (5000) سنة من الان بداية ظهور فترة رطبة وانتشار واسع للفن الصخري وقد دللت الأبحاث التي أجراها الباحث (Close) في الصحراء الشرقية إلى هجرة راجعة من المناطق المجاورة إلى منطقة الصحراء.

4- من (5000) سنة وإلى (4000) سنة مضت بداية ظهور جفاف نسبي ولكن ظروف الصحراء ظلت أفضل مما هي عليه الآن بكثير حيث أن انحصار البحيرات كان بسيطا.

5- من (1000) سنة تقريبا بدء الجفاف يضرب معظم الصحراء الكبرى رغم أن نسبته لم تكن كما هي عليه الآن كانت المياه متوفرة في بعض المناطق وهناك عدة أنواع من الحيوانات الاستوائية عاشت في الصحراء لفترة طويلة [(1)].

تخضع ليبيا الآن في جملتها للمناخ الصحراوي الحار الذي يسود في معظم القسم الشمالي من القارة الافريقية، ولا يستثنى من ذلك إلا الشريط الساحلي الضيق الذي يمتد على طول البحر المتوسط، وكذلك المناطق الجبلية المتاخمة لهذا الشريط في برقة وطرابلس، ثم بعض الجبال الواقعة على أطراف البلاد، ومن اعظمها جبال تبستي وتاسيلي، ففي هذه المناطق المحددة التي لا يزيد مجموع مساحتها على 2% من المساحة الكلية للبلاد تسقط الامطار بكميات تكفي لنمو حياة نباتية طبيعية تختلف في كثافتها وفي أهميتها بالنسبة لقيام الحياة الحيوانية والبشرية على حساب كمية المطر، فمن هذه المناطق ما تكفي أمطاره لنمو غابات واحراش من الأنواع التي تنمو في البحر

---

(1) مفتاح عبد ربه الشلماني: (2007)، ص 69-90

المتوسط كما هو الحال في الجبل الأخضر، ومنها مالا تكفى أمطارها إلا لنمو حشائش موسمية سرعان ما تختفي باختفاء آخر أمطار الموسم كما هو الحال في منطقة سهل الجفارة [1].

الواقع أن مناخ ليبيا يمثل خليطا من المناخ البحري والمناخ الصحراوي، فاذا ما تركنا الشريط الساحلي الذي يسود فيه تأثير البحر وهو شريط ضيق لا يزيد عرضه على بضعة كيلومترات واتجهنا نحو الجنوب في المناطق التي تقترب من نطاقات الجبال على الساحل ومنها القسم الغربي من سهل الجفارة والمناطق المحيطة بخليج سرت، فسوف نصل إلى نطاق متسع قد يزيد عرضه في بعض المواضع عن (100) كلم وفيه لا يمثل نوع مناخي واحد محدد بل يختلط فيه المناخ البحري بالمناخ الصحراوي، وهكذا يمكن القول بأن مناخ ليبيا بالاعتدال في الربيع والخريف ويكون الصيف حارا والشتاء باردا نسبيا، وهو متنوع يغلب عليه مناخ البحر المتوسط وشبه الصحراوي في الشمال الأوسط، والمناخ الصحراوي في الجنوب أي بارد شتاءً وحار صيفا ونادر الأمطار، بينما حال الجبل الأخضر يختلف فتجد في فصل الصيف درجة الحرارة لا تتعدى (30) مئوية والشتاء أحياناً تصل لدرجة التجمد مما ينتج على ذلك سقوط الثلوج في بعض المدن، ونجد معدلات الحرارة العظمى في اشهر الصيف تتراوح ما بين (23-25) درجة مئوية على الشريط الساحلي، وبين (25-28) درجة مئوية في النطاق شبه الصحراوي الذي يليه من ناحية الجنوب، ثم تزيد عن (30) درجة مئوية في قلب الصحراء [2].

---

(1)عبد العزيز طريح شرف: (1971) ، ص92

(2) صلاح رشيد الصالحي: (2000-2001)، ص 3

الفصل الثاني

العصور الحجرية القديمة في الدول المغاربية

مقدمة عن العصور الحجرية

قسم العلماء تاريخ حضارة الانسان إلى قسمين رئيسين، قسم ساعدت فيه الوثائق المدونة على استجلاء غوامض التأريخ وبطبيعة الحال وجدت هذه الوثائق بعد معرفة الانسان التعبير عن أفكاره بالكتابة، وقسم آخر وفيه استعاض العلماء عن تلك الوثائق المدونة بالمخلفات الصناعية التي وجدت في الحفائر، تلك المخلفات التي ترجع لما قبل معرفة الانسان الكتابة، وأطلقوا على القسم الأول العصر التاريخي وعلى القسم الثاني عصر ما قبل التاريخ، وإذا كانت المدونات المكتوبة من الوثائق مثل الرقم الطينية والبردي والمدونات على الجلد وما اليها أو من أحجار منقوشة تغلب الدور الرئيسي في تاريخ احداث وفترات العصر التاريخي فإن العلماء قد وجدوا صعوبة بالغة في تفسير أحوال ما قبل معرفة الانسان للكتابة، وإذا وضعنا في الاعتبار ان أقدم الوثائق المكتوبة التي بين أيدينا انما ترجع للألف الرابع ق.م وأن ظهور الأنواع الأولى من الانسان صانع الآلة ترجع ($1^{1/2}$-2) مليون سنة لعرفنا مدى الاتساع الزمني لعصر ما قبل التاريخ .

أن علم ما قبل التاريخ من العلوم الحديثة التي لم يكتمل عناصره إلا في أواسط القرن الماضي، ومع ذلك فانه يعد من أكمل العلوم المعروفة الان ذلك ان استعانته وتعاونه مع العلوم الأخرى ذات التقنية الحديثة قد مكنه من أن يخطو خطوات واسعة خلال زمن وجيز، وتعد الجيولوجيا من أهم العلوم التي عاونت علم ما قبل التاريخ ذلك أن أغلب مخلفات الانسان القديم انما وجدت في طبقات رسوبية بعضها في أغوار عميقة من الطبقات الجيولوجية، ومن المسلم به الان أن عمر الأرض ينوف عن بضع آلاف الملايين من السنين تم خلالها وصول سطح هذا الكوكب للحالة التي نراها عليها الآن، ولقد مرت الأرض بمراحل مختلفة تكون خلالها وفي زمن يناهز الملايين الصخور والجبال والاودية والبحار والانهار وغيرها من المظاهر الطبوغرافية التي نشاهدها اليوم، ولا يعني علم ما قبل التاريخ بدراسة الجيولوجيا كتاريخ لكوكب الأرض، ولكن المهم في علم الجيولوجيا الناحية التي لها علاقة بالإنسان وبالبيئة التي ظهر فيها الانسان ومارس نشاطه فيه، كما يهمه بصفة خاصة موقع ذلك الانسان من تاريخ الأرض ذلك الامر الذي يلجأ فيه عالم الآثار إلى دراسة الطبقة أو الطبقات من الرسوبيات أو الصخور التي وجدت فيها المخلفات التي تركها انسان ما قبل التاريخ، وكان من حسن حظ علماء ما قبل التاريخ ان المخلفات البشرية انما دفنت في طبقات دنيا من الأرض (وهي التي يطلق عليها القشرة الأرضية تمييزا لها عن باطن الأرض) .

تقول الكثير من النظريات العلمية التي تفسر تكوين القشرة الأرضية أن الأرض كانت كره ملتهبة أخذت تبرد رويدا رويدا وان سطحها الخارجي قد برد أولا مكونا قشرة من الصخور الصلبة ومن المعروف أن أقدم الصخور التي تكونت خلال العصور الجيولوجية يمكن تمييزها بسهولة إذ أن الطبقات السفلى تمثل القديمة والعليا الحديثة، كما وان دراسات الجيولوجيين قد وضحت

المدة التي تكونت فيها تلك الطبقات، وبدراسة تلك الطبقات وتعاقبها لاحظ العلماء تعاقب أنواع مختلفة من المتحجرات النباتية والحيوانية بدأت بأنواع ذات بنية بدائية بسيطة ثم بتعاقب الطبقات وبالتوالي الزمن ظهرت متحجرات أنواع أخرى من الحياة النباتية والحيوانية، وكانت كل هذه الدراسات مدعاة إلى أن يقسم علما الجيولوجيا تاريخ الحياة النباتية والحيوانية على الأرض بصفة رئيسية إلى خمس مراحل زمنية رئيسة وهي:

1- حقبة ما قبل الكمبري (Pre-Cambarian) وهي تشمل الطبقات العميقة من الصخور والتي لا يوجد بها أي أثر لمتحجرات الكائنات الحية.
2- حقبة الحياة القديمة (Palaeozoic) وهي تشمل الطبقات التي توجد بها متحجرات تمثل الحياة البدائية للنبات والحيوان وتدرج أنواع هذه الحيوانات من البساطة إلى التعقيد.
3- حقبة الحياة الوسطى (Mesozaic) وهي تشمل الطبقات التي تلي السابقة وبها متحجرات تمثل فترة ظهور الحيتان الضخمة في البحار والزواحف الكبرى على الأرض والطيور الضخمة.
4- حقبة الحياة الحديثة (Caenozoic) وتشمل الزمن الثالث (Tertiary)، والزمن الرابع (Quaternary) وهو يشمل الطبقات التي بها متحجرات تمثل الكائنات المتطورة والتي كونت في النهاية الكائنات المألوفة لدينا ومن بينها الانسان نفسه [1].

في الحقيقة أن المتحجرات (Fossils) تلعب دورا رئيسيا في علم ما قبل التاريخ ذلك أن الكائنات الحية لاسيما الحيوانات كان كثيرا ما يجرفها الفيضان أو تغرق في إحدى الأنهار ويحملها التيار إلى القاع أو تنغرس قوائمها في الطين ولا يستطيع الخروج ويهلك وفي كل الحالات كان يغطى جسم الضحية طبقة من الطمى أو الغرين ومع الزمن تتآكل الأجزاء اللينة كاللحم، ولا يتبقى سوى العظم أو الشوك أو الصدف (إذا كانت محارة) ثم تأخذ تلك المواد الصلبة في الفناء أيضا ولكن بعد أن تكون قد طبعت شكلها على الصلصال، وبفعل العوامل التكتونية أو الجوية ترتفع قيعان البحيرات والانهر ليجف الماء ويكتسب الغرين أو الصلصال صفة الصخور الصلبة فاذا جاء عالم الجيولوجيا إلى أحدى تلك الصخور وكسرها لوجد اشكال تلك الحيوانات أو هياكلها مطبوعة على الصخور وهي التي تعرف باسم المتحجرات [2].

أدت دراسة هذه المتحجرات إلى معرفة الكثير عن الحياة النباتية والحيوانية قديما وإلى أن هناك أنواع بادت وأنواع أخرى قد هاجرت إلى حيث توجد اليوم وذلك بفعل عدة عوامل ومن ناحية أخرى أدت مقارنة بقايا الهياكل العظمية والمتحجرات إلى معرفة العلماء للتغيرات الجسدية التي صاحبت تحول تلك

(1) Herbert Harold Read and Janet Watson: (1977). Pp. 119-146
(2) Ibid: Pp. 134ff

الدواب من حيوانات البرية إلى مستأنسة، وأدت بالتالي إلى الاستنتاج بأن الانسان قد توصل في بقاع معينة من الأرض إلى استئناس الحيوان بينما ظل في نواحي أخرى صيادا يتابع الاوابد.

ولا يقل علم الحياة (Palaeontology) تأثيرا على علم ما قبل التاريخ عن علم الجيولوجيا، ذلك أن النظرية التي نادى بها داروين (Erasmus) عن ان الانسان قد انحدر من أنواع حيوانية أخرى قد أثار موجه من الجدل بين العلماء منذ عام (1859) م [1]، ولو أن العلم قد اثبت بأن داروين كان مخطئا في اعتقاده اذ لم نعثر إلى اليوم على مثال واحد يدعم ما ذهب اليه، إلا أن دراسة الهياكل العظمية للإنسان والجماجم البشرية قد وضح وجود بعضا من الكائنات الحيوانية (اكثرها لم يعد لها وجود الان) تشترك مع النوع الإنساني الذي ننتمي نحن اليه في الكثير من الصفات التشريحية كما وانه يتمتع ببعض قدرات الانسان على التصرفات المبينة على التفكير، وعلى أساس توافق الصفاة التشريحية (Anatomical Structure) والتشابه في وظائف الأعضاء (Physiological Functions) وتماثل التفاعلات الكيماوية في اجسامها (Biochemical Functions) وقسم العلماء الكائنات التي يطلق عليها اسم القردة العليا (Apes) ومن ضمنها الانسان إلى عدة فصائل وأنواع.

ساعدت الدراسات والبحوث المقارنة بين مختلف الحفائر حفائر التي جرت منذ أوائل النصف الثاني من هذا القرن على توسيع دائرة المعارف المتعلقة بأصل الانسان، وأدت عملية البحوث المقارنة بين مختلف الحفائر بالقارات الخمس والتي نوقشت نتائجها في مؤتمرات عالمية [2]، وقد اتفق العلماء بأن أقدم أنواع الكائنات القريبة من البشر هو النوع من القردة العليا المسمى بثِكوس (Pithecus)[3] والتي تعود حفرياته إلى (3-2) مليون سنة مضت، ويشمل هذا النوع من بثكس على فصيلتين هما : رامابثِكوس (Ramapithecus) [4]، واسترالوبثِكوس

---

(1) Charles Darwin: (1859)

(2) Yakimov, V.P: (1972). Pp. 50-52

(3) يعتبر بارابيثكس (Parapithecus) أقدم نوع من فصيلة البثكس، وهو قرد من الرئيسيات عاش منذ (40 إلى 33) مليون سنة مضت، اكتشفت بعض عظامه في سويسرا واسبانيا، اعتبر في وقت مبكر جدا أنه يشبه قرد الجيبون الحديث (Gibbon)، فالايدي طويلة بشكل غير مناسب مع جسمه الصغير، عثر على عظامه المتحجرة لأول مره عام (1834): صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص 52

(4)من القردة الرئيسيات، يعتبر للآن من قبل العديد من المختصين بانه أقدم أسلاف الإنسان بشكل مباشر، عاش منذ حوالي (14 إلى 12) مليون سنة مضت، ربما لا يزال يعيش على الأشجار ويشبه اسلاف القردة أكثر من الإنسان، وأنه تفرع من القردة منذ (14) مليون سنة مضت، عثر على عظم الفك في شمال الهند وشرق افريقيا عام 1934: المصدر نفسه، ص 54

(Australopithecus) [1]، ومن المؤسف ان البقايا التي وجدت من هاتين الفصيلتين لا تتعدى قطعا صغيرة من عظام الفك وبعض الاسنان، ويرجع أهمية هذه الفصائل إلى العثور على ما يمكن أن نطلق عليه اسم الأداة الحجرية والتي يعتقد انها من صناعته، ويرى مكتشفها (Leakey) [2] فيها بداية معرفة الكائنات الراقية لاستعمال الآلة وهو دليل مادي على وجود كائن عاقل يتصرف طبقا لتفكير عقلي وليس بدافع من الغريزة البحتة، وكان العثور على جماجم بها فراغ المخ اكبر من تلك التي لدى البثكس سببا في التعرف على وجود الانسان العاقل الذي يسير منتصب القامة وهو المسمى (Homo) وقد قسم العلماء هذا النوع الأخير طبقا لاتساع فراغ المخ بالجمجمة وطبقا لانتصاب قامته إلى أنواع ثلاث هي:

1- هومو هابيليس Homo Habilis [3]
2- هومو ايركتوس Homo Erctus [4]
3- هومو سابينس Homo Sapians [5]

وقد وجد مع هذه الأنواع أدوات راقية من الحجر والعظم.

---

(1)من القردة الرئيسيات، عاش منذ (1.2) مليون سنة مضت، وهو قريب إلى جنس الهومو (Homo) أو الانسانيات، طوله (1.2 إلى 1.5) سم، وزنه (30-55) كغم، وحجم المخ (600) سم3، عاش في جنوب افريقيا وشرق اسيا، ويسير على قدميه، والاسنان خلف الانياب كبيره نسبيا، ويظهر بانه أصل إنسان ايروكتوس، اكتشفت أدواته البدائية في شرق افريقيا، ولكن لا يعتقد بانه صنعها، وعرفت باسم ثقافة الحصاة ، وادواته هي الحجارة الصغيرة مع عدد قليل من رقائق الحصى: المصدر نفسه : ص 54

(2) Louis Seymour Leakey: (1965)

(3) معنى اسمه العلمي (الانسان المفيد)، عاش منذ (2.1 و1.5) مليون سنة مضت، استخدم أدوات حجرية منحوته بشكل بدائي، عاش في عصر البيلستوسين طول هذا العصر (2.5) مليون سنة مضت، عثر على عظامة في تنزانيا (افريقيا): صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص51

(4) معنى اسمه العلمي (الانسان المنتصب)، ويعتبر أول انسان حقيقي من جنس الهومو (Homo)، عاش منذ (1.8) مليون سنة مضت، وهو من سلالة هومو هابيليس، عثر على عظامه في المغرب (محاجر سيدي عبد الرحمن) والصين وجزيرة جاوة (إندونيسيا)، عرف النار وصنع الفأس الحجرية، وأطلق على صناعته الحجرية اسم ثقافة ابفيليان (Abbevillian) (نسبة إلى موقع ابفييل عند نهر السوم في فرنسا حيث اكتشفت الأدوات الحجرية أول مره عام (1836)، وكان أو إنسان منتصب القامة: المصدر نفسه: ص 55

(5) الإنسان الحالي الذي ينتمي اليه جميع البشر الآن، عاش منذ (200) الف سنة مضت، حول أصول هذا حول أصول هذا الجنس حاليا هناك مدرستان فكريتان اليوم فيما يتعلق بأسلاف الإنسان الحديث في الآونة الأخيرة، يعتقد الأحادية المركز بان الاجناس اليوم في الكره الأرضية تعود إلى سلف مشترك، ويرى متعددي المراكز انحدار من خطوط اسلاف مختلفة: المصدر نفسه: ص57

لاحظ العلماء منذ أواخر القرن الماضي ان المستوى الحالي لخط الجليد فوق جبال الالب حاليا أكثر ارتفاعا عن الخط الأبيض الظاهر على صخور السفوح الجبلية مما يدل على أن مستوى الجليد قديما كان اكثر انخفاضا في ذلك المكان عن ما هو عليه الان وقد دفع هذا الامر العلماء إلى المزيد من الدراسات، وكانت دهشتهم بالغة حين وجدوا رواسب تنتمي لمناخ دافئ تلي رواسب أخرى لمناخ بارد قطبي مما يوحي بتعاقب مناخ بارد ومناخ حار [1]، وفي منتصف القرن الماضي قام العالم (Milankovitch) [2] بدراساته المناخية ليصل إلى نفس النتائج التي وصل اليها العلماء الجيولوجيين السابقون، ورغم نظرية تعاقب أربعة أو ثلاثة عصور جليدية يفصل بينهما عصور دفيئة فأن عالم المحيطات (Emiliani) [3] أكد من خلال دراساته على درجات الحرارة بالمحيطات تعاقب تلك الفترات، وقد سميت تلك الفترات الجليدية والدفيئة بأسماء المواقع التي جرت الدراسات فيها كما حددت على وجه التقريب بداية ونهاية تلك الفترات، ووجدت بان تلك العصور التي تركت آثارها بأمريكا الشمالية واوربا وشمال آسيا لم يكن لها وجود بأفريقيا وآسيا الجنوبية أو الغربية بل كان يعاصر الفترات الجليدية بالأولى فترات مطيرة بالثانية بينما كان يعاصر الفترات الدفيئة الأولى فترات جافة بالثانية [4].

كانت الأنواع البشرية سواء البثكس أو الهومو قد عاشت في هذه الفترات المناخية بمختلف نواحي الأرض والتي عاصرت كلا من الزمن الجيولوجي الثالث (Tertiary) والزمن الرابع (Quaternary) فانه جرى التنسيق للربط بين العصور المناخية والازمنة الجيولوجية، ولتعريف تلك الفترات الجليدية اتفق العلماء على توحيد المسميات التي أطلقت عليها وحصرها في ثلاثة مجاميع **اولاها** بأمريكا وهي مرتبة حسب تتابع الطبقات من الأعلى إلى الأسفل:

---

(1)راجع الباحثان (Penck) و(Bruckner) في بحثهما (جبال الألب في العصر الجليدي): Albrecht Penck and Eduard Bruckner: (1909)

(2) الجيوفيزيائي الصربي والفلكي ميلوتين ميلانكوفيتش عاش في عشرينيات القرن الماضي، تصف دورات ميلانكوفيتش آثار التغيرات في حركات الأرض واثرها على المناخ على مدى الاف السنين، وأوضح الاختلاف في الانحراف والميل المحوري ومدار الأرض كلها أدت إلى تغير في الاشعاع الشمسي الذي يصل إلى الأرض، وان هذا التأثير المداري اثر بشدة على الأنماط المناخية على الأرض:

Frederick E. Zeuner: (1962). Pp. 141-142

(3) قيصر إميلياني (Cesare Emiliani) (1922-1995) ميلادي عالم إيطالي-امريكي في الجيولوجيا وعلم الاحياء الدقيقة ومؤسس علم المحيطات، قال إن العصور الجليدية في النصف الأخير من المليون سنة أو نحو ذلك هي ظاهرة دورية وبذلك اعطى دعم لنظرية (Milankovitch) وأيضا احدث ثورة في الأفكار حول تاريخ المحيطات وانتشار قاع البحر وتكتونيات الصفائح :

Cesare Emiliani: (1992)

(4) Ian W. Cornwall: (1964). Pp. 64-96

1- الزمن الجليدي (Wisconsin) (فترة جليدية)
- الزمن الوسيط (Sangamon) (فترة دافئـــة)
2- الزمن الجليدي (Illinois) (فترة جليدية)
- الزمن الوسيط (Yarmouth) (فترة دافئـــة)
3- الزمن الجليدي (Kansan)
- الزمن الوسيط (Aftonian) (فترة دافئــة)
4- الزمن الجليدي (Nebraskan)
- الزمن الحالي

وثانيها بالدنمارك وألمانيا وهي أيضا مرتبة من الأحدث للأقدم:

1- الزمن الجليدي (Weichsel)
- الزمن الوسيط (Eam) (فترة دافئة)
2- الزمن الجليدي (Saale)
- الزمن الوسيط (Holstein) (فترة دافئة)
3- الزمن الجليدي (Elester)
- الزمن الحالي

وثالثهما وأشـهرها جميعـا وهـو الخـاص بسويسـرا وهـي حسـب ترتيبهـا مـن الأحدث للأقدم:

1- العصر الجليدي (Wurm)
- الزمن الوسيط بين (Wurm) و (Riss) (فترة دافئة)
2- الزمن الجليدي (Riss)
- الزمن الوسيط بين (Riss) و (Mindel) (فترة دافئة)
3- الزمن الجليدي (Mindel)
- الزمن الوسيط بين (Mindel) و (Gunz) (فترة دافئة)
4- الزمن الجليدي (Gunz)
- الزمن الحالي (1)

أدت دراسـة الأدوات التـي هـي مـن صـنع الانسـان وبقايـا هياكـل ذلـك الانسان نفسه وبقايا الحيوانات التي وجدت معه في الرسوبيات التـي تعـود لهـذه الازمـان إلـى رسـم صـورة كاملـة لحيـاة الانسـان مـن ناحيـة الزمـان والمكـان وتأثيرات البيئة وبالتالي على نتاجه الحضاري بل والفكري فـي بعـض الأحيـان فضلا عن تحديد مكان تلك الحضارة من الزمن.

ثبت من دراسة تعاقب الأزمنة الجليدية والدفيئة وجود تغيرات جوهريـة حدثت على شواطئ المحيطات والبحار نتيجة إلى أن مساحات كبيرة من الميـاه تجمدت خلال الأزمنـة الجليديـة ممـا أدى إلـى انخفـاض مستوى المياه والبحـار والمحيطـات الأمـر الـذي كـان سـببا فـي اتسـاع الشـواطئ وانخفـاض الأرصـفة

(1) Frederick E. Zeuner: (1962). Pp. 145-203

القارية بينما حدث العكس خلال الأزمنة الوسيطة والدفيئة إذ أن ذوبان الجليد كان سببا في ارتفاع منسوب البحار وبالتالي إلى اغراق الكهوف الساحلية التي كانت مسكن الانسان القديم في الزمن الجليدي السابق ويعود لمعرفة العلماء لتأثير الأزمنة الجليدية والدافئة على شواطئ البحار والمحيطات الفضل في تحديد السلم الزمني للمخلفات التي وجدت بالرسوبيات العائدة لتلك الأزمنة، وقد أمكن للعلماء من متابعة خط الساحل في كثير من الأماكن خلال الأزمنة الجليدية المختلفة وتاريخ العديد من الوقائع التي وجدت هناك [1].

نظرا لعدم وجود ما يمكن أن يعاون العلماء على ترتيب حضارات الانسان في عصر ما قبل التاريخ ترتيبا زمنيا فقد افترض البحاثة أن أقدم الأدوات التي استعملها الانسان كانت من الحجر، وبما أن الصناعة الحجرية لدى الانسان البدائي تتفاوت بين الخشونة والتهذيب، لذا افترض أن الأولى أقدم من الثانية وقد عزز صحة هذا الفرض التنقيبات الاثرية، فالصناعة الحجرية الخشنة أقدم من الثانية.

تعد الكرات الحجرية المسماة بالإنجليزية (PebbleTools)، وبالفرنسية (Pebble Core) أقدم أداة عرفها الانسان إذ وجدت في أسفل الطبقات الجيولوجية بحفائر اولدافي [2] بتنزانيا (Tanzania)، وسيدي عبد الرحمان بالدار البيضاء [3]، ومن المحتمل ان يكون الانسان قد وجد هذه الأداة الحجرية كما هي واستعملها دون تهذيب ولربما تناولها لتهذيب بسيط، وتعد الفأس الحجرية المعروفة في الإنجليزية (Hand Axe) وبالفرنسية (Coup de poing) أولى الأدوات التي هذبها الانسان بطريقة بدائية وخشنة ثم نجح الانسان في صقل ناحية من الحجر صقلا جيدا سواء بالطرق أو الحك وفي النهاية نجده يشحذ سكينا بنصل واحد أو نصلين حادين (Blade) (Lame)، ثم ظهرت المثقاب (Graver) (Burin) وتنوعت الأشكال بعد ذلك لتغطي احتياجات الانسان المتعددة في الحياة [4].

كانت الأدوات الحجرية وغالبيتها مما يستعملها الانسان سواء في الصيد أو الدفاع أو العمل تنتمي من حيث الشكل وأسلوب الصناعة والجودة إلى أنواع يمكن تمييز اشكالها بيسر وسهولة، فقد تمكن رجال الاثار من تبويب جداول تضم كل منها الأنواع المتماثلة في الشكل والصنع والأماكن التي عثر عليها فيه، وأطلقوا على كل منها اسم الموقع الذي جاءت منه الأداة الحجرية، ولا تعني تلك التسميات فترة زمنية معينة بل تعني مرحلة في اتقان الصناعة

---

(1) Charles Brian Montagu McBurney: (1960). Pp, 24-45

(2) Desmond J. Clark: (1952). Pp. 403-417

(3)راجع الباحث (Biberson) في بحثه (الاثار الأولى على وجود " الثقافة الكرات الحجرية في المغرب):

Pierre Biberson: (1953b). Pp. 232-236

(4) Kenneth P. Oakley: (1972). Pp. 40-60

الحجريـة وهو مـا يعبر عنـه بالثقافة (Culture)، أمـا من الناحيـة الزمنيـة فقد قسم الأثريون عصر ما قبل التاريخ إلى أربعة فترات رئيسة وهي:

1- فترة ما قبل العصر الحجري القديم (Elolithique)
2- فترة العصر الحجري القديم (Palaeolithic) وهـــــي تنقسم إلى الفترات التالية:
   أ- فترة العصر الحجري القديم الأسفل (Palaeolithic Ancient Early)
   ب- فترة العصر الحجري القديم الأوسط (Palaeolithic Middle)
   ت- فترة العصر الحجري القديم الأعلى (Palaeolithic Upper)
3- فترة العصر الحجري الوسيط (Mesolithic)
4- فترة العصر الحجري الحديث (Neolithic)

قام علماء ما قبل التاريخ بعمل سلم زمنـي للثقافـات التـي وجدت فـي اوربـا وربطهـا بـالأنواع البشـرية التـي أوجـدتها والفتـرات المناخيـة التـي عاصـرتها ويمكـن ان نعـد الجـدول التـالي يمثـل هـذه المعادلـة مـع ربطهـا بسـلم التـاريخ الميلادي.

الفترة الحضارية	الاسم الثقافي	الانواع البشرية	الزمن	
ما قبل الحجرى القديم EIOLOTHIC	PEBBLE- CULTURE	(لايوجد بأوربـــــا)	جليد GUNZ الفترات الدفيئة التي تخللته	ق.م 60.000 50.000
الحجرى القديم الاسفل PALEOLITHIQUE ANCIEN	ABBEVILLIAN OU CHELLEAN بريطانيا ACHEULIAN TAYACIAN CALECTONIAN	HIDELBERG SWANESCOMBE FONTECHEVADE	من الفترة الدافئة بين RISS و MINDEL حتى الفترة الدافئة بين WURM و RISS	
الحجرى القديم الاوسط PALEOLITHIQUE MOYEN	LEVALLOISIAN MOUSTERIAN	NEANDARTHAL	من الفترة الدافئة بين WURM و RISS حتى وسط الفترة الجليدية WURM	40.000 35.000
الحجرى القديم الاعلى PALEOLITHIQUE SUPERIEUR	AURGANICIAN SOLUTREAM MAGDALENIAN	M.HABILIS CRO-MAGNON	قرب نهاية فترة الجليد WURM	25.000 20.000
الحجرى الوسيط MESOLITHIQUE	AZILIAN TARDONOISIAN MAGLEMOSIAN	GRIMALDI	قرب بداية الفترة الدفيئة الحالية	15.000 8000 الى 6000
الحجرى الحديث NEOLITHIQUE	CAMPINIAN KITCHEN- MIDDEN ROBENHAUSIAN	H. ERECTUS H. SAPIENS		6000 الى 2000

جدول 1: توزيع الأنواع البشرية والفترات الحضارية

لا أعنـي مـن مـا سـبق أن أقـول بـان الانسـان الأول لـم يسـتعمل سـوى الحجر لصنع ادواته، بل استعمل مواد أخرى كذلك مثل بيض النعام (إذ عثر على بعض شقاف منها ضمن مخلفات ما قبل التاريخ) والقش والقصب (يرجح انه صنع منها السلال) كذلك العظام (ومنها صنع الابر ونصال بعض أدوات الصيد) وربما الجلد (الذي صنع منه الملابس)، ولكن يرجع سبب اهتمام العلماء بالصناعات الحجرية عن غيرها إلى كون أن الصناعات الحجرية أقدر على البقاء من المواد الأخرى، وفعلا عثر العلماء على قدر كاف منها مكنهم من ان يخلقوا تسلسلا زمنيا لتلك الأدوات الحجرية عرفت باسم الثقافات (Culture) اما ما وجد من بقايا غير حجرية فلم يكن لها شأن يذكر في تمييز الثقافات المختلفة.

واجه العلماء منذ البداية بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ مشكلة عويصة وهي مشكلة التاريخ اذ لم يصل الينا من تلك العهود السحيقة ما يفيد وجود نقطة بداية لتاريخ الاحداث أو المخلفات الحضارية وكان ترتيب الثقافات التي تنتمي للعصور الحجرية الثلاث المعروفة وهما (القديم، والوسيط، والحديث) هي أولى الخطوات نحو عمل سلم تاريخي لها، ومن ثم كان أمر دراستها مع الحفريات التي وجدت معها من عظام الحيوان والانسان وكذلك الرسوبيات التي وجدت فيها وهو التاريخ عن طريق الاستعانة بالجيولوجيا، ثم كان الاستعانة بعلم المناخ وعن طريق الرسوبيات المختلفة التي ترجع للعصور الجليدية أو المطيرة والعصور الدفيئة أو الجافة امكن عمل مقياس زمني للعصر الذي تنتمي اليه تلك المخلفات.

لعل أقدم الوسائل العلمية التي استخدمت لقياس عمر الحضارات القديمة، كانت طريقة قراءة الدوائر الموجودة في جذوع الشجر واسمها العلمي (Dendrochronology) وتعتمد هذه الطريقة على حقيقة علمية وهي ان الأشجار الحية تجدد لحاء سيقانها وجذوعها كل عام، ويتكون هذا اللحاء في جذع الشجر على هيئة دائرة، وبتوالي السنين تتوالى الدوائر وهكذا تظل تتكاثر حتى تموت الشجرة أو بقطع الفرع فتتوقف هذه الدوائر عن التكاثر، ولا تشير هذه الدوائر إلى عمر قطعة الخشب فحسب بل انها تشير أيضا إلى السنين الممطرة والسنين المجدبة التي عاشتها الشجرة التي جاءت منها وذلك طبقا لاتساع حلقات الدوائر أو ضيقها ويلاحظ أن مجال عمل هذه الطريقة محدود للغاية ولا تنجح إلا في حالة الأشجار الطويلة العمر [(1)].

من الطرق الحديثة المستعملة في تاريخ عمر بعض القطع والشقاف الفخارية طريقة قياس فرق الانحراف المغناطيسي للأرض في وقت الذي بردت فيه القطعة الفخارية عندما أخرجت من فرن المصنع أول مرة والانحراف المغناطيسي للأرض اليوم وذلك بالاستفادة من الظاهرة العلمية بأن

(1) Martin Douglas: (1965)

الفخار الرطب عندما يوضع في الفرن ترتفع درجة حرارة الصلصال المصنوع منه الفخار وبالتالي تسخن المواد المعدنية التي تكون المادة الصلصالية لدرجة السيولة، ولما كانت المعادن تتأثر بالمجال المغناطيسي وتترتب طبقا له، فأن المعادن الموجودة بالفخار الساخن تأخذ ترتيبها في اتجاه المجال المغناطيسي لذلك اليوم الذي طبخت فيه وتظل محتفظة بذلك المجال بعد أن تبرد دون ان تغيره بعد ذلك رغما عن الانحراف الذي يحدث لخطوط الطول المغناطيسية نتيجة لتغير وضع القطب المغناطيسي [(1)]، ويمكن الاعتماد على هذه الطريقة في تأريخ شقاف الفخار الذي يرجع لما بعد (5000) عام مضت.

ومن المناهج الحديثة أيضا في قياس عمر القطع الفخارية عن طريق حساب الاشعاع الناتج من الاحتراق الفسفوري (Thermoluminescent Dating of Pottery) وذلك ان أي فخارة إذا سخنت لدرجة عالية جدا (500^0) مئوية مثلا فإنها خلافا لتوجهها لدرجة الاحمرار فانه ينبعث منها ضوء قد لا يمكن رؤيته بالعين المجردة وذلك نتيجة لاحتراق بعض المعادن الموجودة بالمادة التي يتكون منها الفخار ويعرف هذا الوميض بالإشعاع الفسفوري، وعن طريق حسابات معقدة تعتمد على قياس ذلك الوميض يمكن الاستدلال على عمر الفخارة [(2)].

بطبيعة الحال هناك التأريخ المعروف عن طريق تحليل الكربون 14 وغيره من الوسائل التكنولوجية الحديثة التي مكنت العلماء من وضع الحضارات والثقافات في مكانها الصحيح من التاريخ.

ان السطور التي سبق ذكرها والتي أشير فيها إلى وسائل التأريخ المختلفة بالكثير من الاختصار والتي يستدعي الاسهاب فيها إلى عشرات المجلدات لا محل للدخول في تفاصيلها في هذا المؤلف ولكن كان ذكرها من قبيل إيضاح الوسائل التي لجأ اليها علماء الآثار في تحديد عمر الحضارات المختلفة.

وإذا كان تعريفنا لعصر ما قبل التاريخ والعصور الجيولوجية والانسان القديم الذي صنع المخلفات التي وصلت الينا والتي عن طريقها توصل العلماء إلى استنتاج الثقافات التي انتجتها قرائح تلك الجماعات قد جعل من دراساته بأوربا مثالا يحتذى به في باقي القارات إلا أن هذا لا يعني مطلقا أن اوربا هي أقدم القارات من حيث نشأة حضارة الانسان.

---

(1) Nagata Takesi, Arai, Y and Momose, K: (1963). Pp. 5277-5281
(2) Martin Jim Aitken, Tite, M. S and Reid, J: (1963). Pp. 65-75

فترات العصور الحجرية

1- العصر الحجري القديم

تطورت دراسة تاريخ العصور القديمة في المغرب العربي، فبعد عام (1930) احرز التاريخ المغاربي القديم تقدما كبيرا بفضل (Gsell) ومن بعده (Balout) [(1)]، عموما لاحظ الباحثين أن العصور الجليدية والدفيئة بأوربا كانت تقابلها في بلدان المغاربية القديمة عصور مطيرة (Pluvial) وأخرى جافة ذلك الطقس المطير كان يقابله بأوربا العصر الجليدي بينما كان الطقس الجاف كان يعاصره بأوربا فترة دافئة، وتمتاز السواحل الأطلسية والمتوسطية بوجود دليل آخر ساعد على تاريخ المواقع التي عثر بها على البقايا الحيوانية والنباتية والبشرية، ذلك الدليل هو جيولوجية البحر أعنى اختلاف مستوى سطح البحر بالنسبة للرصيف القاري [(2)].

بدأ بحث علماء الحياة (Palaeontologists) بحوثهم في أواسط القرن التاسع عشر عقب بداية الاستعمار الفرنسي، ذلك أن العلماء الفرنسيون الملحقون بقسم المساحة الجيولوجية قد نشروا بحوثهم عن بعض الحفائر الحيوانية وكان على رأسهم الباحث (Pomel) عام (1899) م [(3)]، ثم الباحث (Boule) عام (1900)[(4)]، وقد كان للعالم الأخير الفضل في عمل جدول للحفائر الخاصة بالحيوانات التي عاشت في المغرب العربي خلال حقبة (Pleitocene) وكانت البحوث التي أجراها في موقع بحيرة كراد (قرب مدينة تلمسان بغرب الجزائر) أولى البحوث المثمرة في ذلك الميدان [(5)]، كما وكان له الفضل في اظهار العلاقة بين الحيوانات التي عاشت خلال حقبة البليستوسين ونظائرها التي ما زالت اليوم في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

---

(1) اسطيفان قزال من العلماء الفرنسيين الأوائل له الفضل الكبير في الدراسات التاريخية للمغرب القديم ونشر له كتاب (التاريخ القديم لأفريقيا الشمالية) نشر عام (1913)، وقد اعتبر من المصادر الأساسية في تاريخ دول شمال افريقيا، والعالم لفرنسي بالوت عرف بالتنقيبات الاثرية في الجزائر (بوسعادة، وسطيف، وقسنطينة، وبني صاف، ومعسكر) وحدد انتشار انسان مشتى العربي شرق الجزائر وله كتاب نشر عام (1955) باسم (Préhistore de L'Afrique du Nord) .

(2) Charles Brian Montagu McBurney: (1960). Pp. 88-89

(3) راجع الباحث (Pomel) في بحثه (الخريطة الجيولوجية للجزائر-علم الحفريات، دراسات في تاريخ الجزائر) :

Auguste Pomel: (1893)

(4) راجع الباحث (Boule) في بحثه (الثدييات في الجزائر، طبقا لأعمال بوميل) :

Marcellin Boule: (1899)

(5) راجع الباحث (Boule) في بحثه (دراسة آثار العصر الحجري القديم لبحيرة كرار بالجزائر) :

Marcellin Boule: (1900)

لـم يـؤدي فحـص متحجـرات الحيوانـات القديمـة التـي عاشـت فـي فتـرة البليستوسين إلى معرفة التغيرات التي حدثت في الطقس فقط، بل انها وضحت كذلك مدى التغيرات التي حدثت لتلك الحيوانات حتى وصلت للحالة التي نراها عليـه اليـوم كمـا عرفنـا مـن بعـض تلـك المتحجـرات اشـكال أنـواع بائـدة مـن الحيوانات عاشت يوما ما في دول المغاربية.

ومما هو جدير بالملاحظة ان البقايا الحيوانية التي وجدت في مواقع مختلفة من ليبيا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا تشير إلى أن تلك الحيوانات من الأنواع التي يلائمها المطر الغزير والغطاء النباتي الكثيف الذي يساعد على توفير المناخ الملائم والغذاء الكافي لحياتها، وتعتبر المتحجرات التالية خير مثال لأكلات العشب التي وجدت في حفائر في المغرب العربي:

1- مـن الفيلـة: أنـواع (Elephant Planifrons) و (Anancus) و (Elephant Recki)
2- مـن فـرس النهـر: نـوعي (Stegodon) و (Amphibius Hippopotamus)
3- مـن فصـيلة الخيـول (Equus): وأنـواع (Chalcotherium) و(Atylohipparion) و (Zebra Quagga)
4- مـن الخرتيـت: نـوع (Equus) وأنـواع (Chalcotherium) و (Stylohipparion) و (Zebra Quagga)
5- من الخرتيت نوعي (Sinus) و (Mercki) ولم يعثر على أنواع من الخرتيت ذات الفراء كتلك التي عثر عليها بالمواقع الاوربية.
6- نوع بدائي من الأبل اسمه (Camelus Thomasi) اختفى خلال العصر الحجري القديم.
7- ثيران من عدة أنواع مثل: (Primigenius) و (Taurus) و (Bubalis Antiquus).
8- أنواع عدة من الغزلان منها: (Dorcas) و (Cervus) و (Cuvieri) و (Crassicornis) و (Algericus).

اما آكلات اللحوم فقد وجد الكثير من مخلفات الفصائل التالية:

1- الضباع: (Hyaena Crocuta) و (Hyaena Striata).
2- القطط البرية: أهم ما وجد منها نوع: (Genetta Afra).
3- الدببة منها نوعين: (Ursus Aractus) و (Spelaeus).

من الملاحظ ان هذه الأنواع لم يعد لها وجود الان بالشمال الافريقي فبعضها قد باد وبعضها هاجر إلى حيث وجد الظروف الملائمة لحياته، وقد حدث هذا التحول في نهاية العصر الحجري الوسيط أو بداية العصر الحجري الحديث، فقد حدث خلال تلك الفترة هجرة كثيفة قدم فيها العديد من البشر من المشرق حيث استقروا في المناطق المغاربية وجلبوا ثقافتهم في انتاج الطعام (بمعنى تدجين الحيوانات و الزراعة) وبأسلحتهم المتطورة أبادوا الكثير من

الحيوانـات المتوحشـة والعديمـة الفائـدة ودجنـوا الأنـواع المفيـدة منهـا وأزالـوا الكثير من الغابات لتحل الزراعة مكان الغابات أو الأراضـي المكسوة بـالمروج والمراعـي الخضـراء، وقد أدى هـذا الأمـر إلـى فقدان آكـلات العشـب لمـوارد غذائها مما كان سببا في انقراضها أو فرارها إلى مناطق تجد فيها ما يكفيها من الطعام [1].

المغرب في عصر ما قبل التاريخ :

نظـرا لان البحـوث الاثريـة لمـا قبـل التـاريخ لا سـيما فـي المغـرب والجزائر كانت مرتبطـة مـع بعضـها وذلك لتشـابه البيئـة ممـا نـتج عنـه بالتـالي تشابه في النتاج الحضاري والتطور البشري ومن ثم فان المواقع الاثريـة فـي المغرب تشابه المواقع المعاصرة أو المماثلة لها في الجزائر.

لقـد سـبق المغـرب بـاقي دول المغاربيـة فـي اهتمـام البحاثـة الاوربيـين بمواقعه التي ترجع لعصـر مـا قبل التـاريخ فقد قـام كل من الباحـث (Tissot) وزميله (Bleicher) عام (1875) برحلة إلى شمال المغرب خصـا فيـه بعض المواقع الاثرية في منطقة طنجة [2]، وفي عام (1906) و (1909) قام كل من الباحث (Buchet) [3] والباحث (Biarnay) [4] بالبحـث فـي المغـارات الكائنـة في منطقة طنجة، وقام الباحـث (Campardou) عـام (1917) بفحص بعض الكهوف في النواحي الشرقية من المملكة المغربية [5].

وابتداء من عام (1930) نالت منطقة الدار البيضاء عناية خاصة من العلمـاء الفرنسـيين إذ بـدأ (Antoine) سلسـلة مـن التحريـات عـن الصـناعات الحجرية لعصر ما قبل التاريخ في مواقع مختلفة بدأها بموقع العنق [6] وبعدها وبعدها بموقع تيت مليل [7] وقد أدت الحفائر التـي جـرت فـي محـاجر (مفسـور جديس) في قبيبات الرباط [8] ومحـاجر سيدي عبد الرحمان بالـدار البيضـاء [9] (9)

وكـذلك حفـائر البعثـة الامريكيـة فـي المغـارة العاليـة [10] بنـواحي طنجـة إلـى العثـــور علـــى بقايـــا انســـان اركتـــوس (Homo Erectus) وانســـان

(1) Charles Brian Montagu McBurney: (1960). p. 93
(2) Charles-Joseph Tissot: (1878). Pp. 139-322
(3) Gaston Buchet: (1912). Pp. 391-394
(4) Samuel Biarnay et Péretié, A: (1912). Vol. XVIII. Pp. 397-400
(c5) Lieutenant Compradou, J: (1917). Pp. 5-26
(6) Maurice Antoine: (1930). Pp. 59-117
(7) Ibid: Pp. 80-110
(8) Maurice Antoine: (1938). Pp. 3-95
(9) Jean Marçais: (1934). Pp. 579-583 // Camille Arambourg et Pierre Pierre Biberson: 1955. Pp. 1661-1663
(10) Camille Arambourg et Pierre Biberson: (1955). Pp. 1661-1663

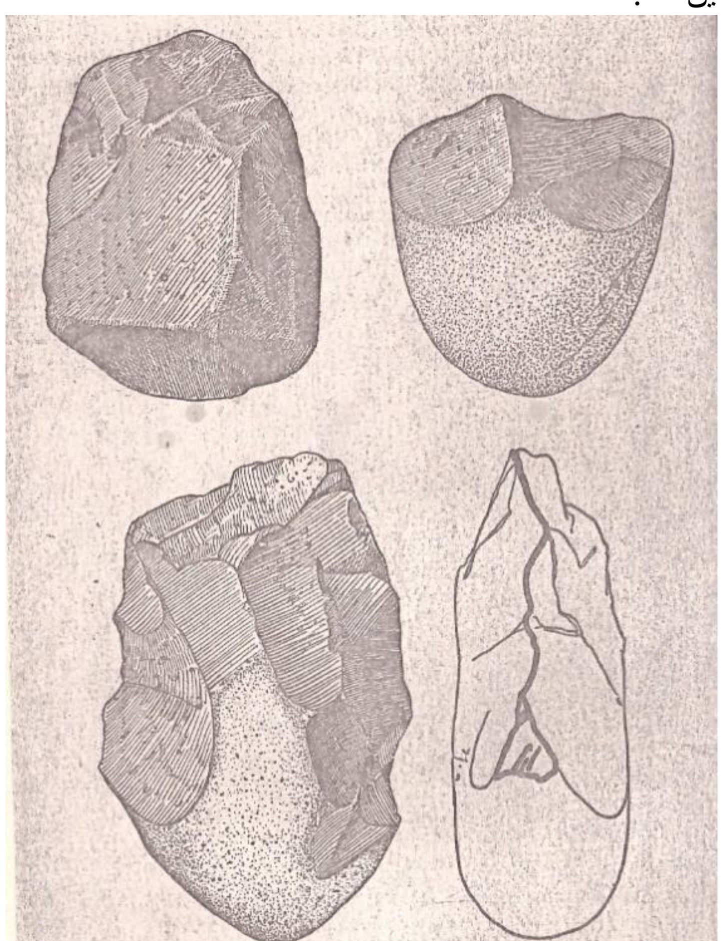
نيانــدرتال (Neanderthal) وهــي أنــواع بشــرية ســابقة لنوعنــا الحــالي (Homo Sabiens) فضـلا عـن أن اكتشـاف الأدوات الحجريـة البدائيـة التـي كانـت تسـتعملها تلك الكائنـات دليل قـوي علـى أن الأنـواع البشـرية القديمـة قد صنعت الأدوات الحجرية واستعملتها قبل نوعنـا الحـالي، وعزز العثور علـى الحفائر الحيوانية من الأدلة المثبتة للمناخ قديما ورغم ذلك الامر أيضـا الأدلـة الماديـة المسـتمدة مـن مسـتوى مـاء المحيط قديما خـلال عصـر البليوستوسـين والذي يختلف كليا عن ما هو عليه الان[1].

يعتبر الكشف الاثري للعصر الحجري القديم بـالمغرب متقدم وهو يعد بحث مفاخر الاكاديمية المغربية والفرنسية إذ ان الفروق والاختلاف سـواء فـي التاريخ أو في تفسير المواد التي عثر عليهـا والثقافـات التـي تنتمـي اليهـا ضـئيلة للغايـة رغم وفرتهـا وكثرتهـا ممـا جعـل العلمـاء يرجحـون النتـائج التـي وصـلوا اليها حتى وصلوا ببعضها إلى مرتبة تقرب من اليقين.

قـدمت حفـائر سـيدي عبـد الرحمـان أقـدم الأمثلـة علـى تواجـد الأنـواع البشرية القديمة، والمواقع عبارة عن حجر كبير تستخدمه الشركة التـي تولـت عمليـة بنـاء ارصـفة مينـاء الـدار البيضـاء، ويقـع هـذا الحجـر للجنـوب قليلا مـن مصيف انفا وعلى مسافة حوالي ميلين منه ويبعد عـن سـاحل المحيط الأطلسـي بحوالي الميل ونصـف للداخل، وقد استرعت الطبقـات المتتابعـة مـن الصـخور والتي ظهرت واضـحة انظـار علمـاء الجيولوجيا مـن الفرنسيين فجـاؤوا اتباعـا إلـى هذا الموقـع للدراسـة، ثم ازدادت أهميـة هـذه الدراسـة عنـدما لاحظ العلمـاء وجـود بعض المتحجرات البحرية التي أدت دراستها إلـى معرفـة أن هـذا الحجـر كان يقع يوما ما مباشرة على ساحل المحيط الأطلسي بينما يبعد عنه اليـوم كمـا سبق وان قلنـا قرابة ميل ونصف، وهذا يعنـي بـأن تلـك المتحجـرات كانـت علـى قيـد الحيـاة عنـدما كـان الموقـع علـى السـاحل أي عنـدما كـان مسـتوى المـاء فـي سطح المحيط اعلـى ممـا هـو عليـه الان أي فـي احـدى الفتـرات الدفيئـة السـابقة بمعنى أن هـذا الموقـع أقـدم مـن العصـر الجليـدي الأخيـر وانـه ينتمـي علـى أقل تقدير إلى الفترة الدافئة بين (Mindel-Gunz) وقد يكون الامـر أقـدم مـن ذلـك بكثيــر فلربمــا ينتمــي إلــى عصــر دفــيء آخــر مثــل (Mindel-Riss) أو (Riss-Wurm)، ويعبــر الباحــث (Mc Burney) عــن أهميــة موقــع سـيدي عبـد الرحمـان بقولـه: (أن اكتشـافات الـدار البيضـاء رائعـة بشـكل كبيـر جـدا، ومـن بـين العديـد مـن وجهـات النظـر يجـب أن تصـنف بانهـا الأكثـر أهميـة فـي اكتشـافات العصـر الحجـري القـديم الأسـفل فلـم يسـبق لـه مثيل)[2].

(1) René Neuville et Armand Ruhlmann: (1941). Pp. 122-124
(2) Charles Brian Montagu McBurney: (1960). p. 114

كمـا وان الباحـث (Biberson) يعبـر عـن نفـس الفكـرة بقولـه: هـذه الرواسب حققت شهرة وله ما يبرره تماما لأنه من النادر أن تجد كما هو الحال فـي سـيدي عبـد الرحمـان، مجموعـة متنوعـة مـن الطبقـات والحفريـات، وهـو تنوع مهم لعصور ما قبل التـاريخ، ويمكن للمرء ومن دون مبالغة، ان يقـارن فـي أهميتـه لمعرفـة سـواحل الأطلسـي، مـع أن المحـاجر اوضـحت مجمـوع التسلسـل الزمنـي للعصـر الحجـري القـديم التـي تشـبه مـا هـو موجـود فـي شمال فرنسـا، أو خـانق أولـدوفاي (Olduvai Gorge) (تنزانيـا فـي افريقيـا)، أن موقـع سـيدي عبـد الرحمـان هـو بحـد ذاتـه دراسـة تطـور المنـاخ لعصـر مـا قبـل التـاريخ فـي شـمال غـرب أفريقيـا خـلال فتـرة طويلـة مـن عصـر البلستوسين [1].



(1) عصـر البلستوسـين: هـي الفتـرة الأولـى مـن الـزمن الرابـع وهـي الأطـول تبـدأ مـن بدايـة الزمن الرابع حوالي (3) مليون سنة مضت وتنتهي في حدود (9800) ق.م وينقسم إلـى ثلاث فترات هي البليستوسين الأسفل والأوسط والأعلى : بن بو زيـد لخضـر: (2018)، ص20

Pierre Biberson: (1956). p. 39

شكل 7: مخلفات سيدي عبد الرحمن (الدار البيضاء بالمغرب)

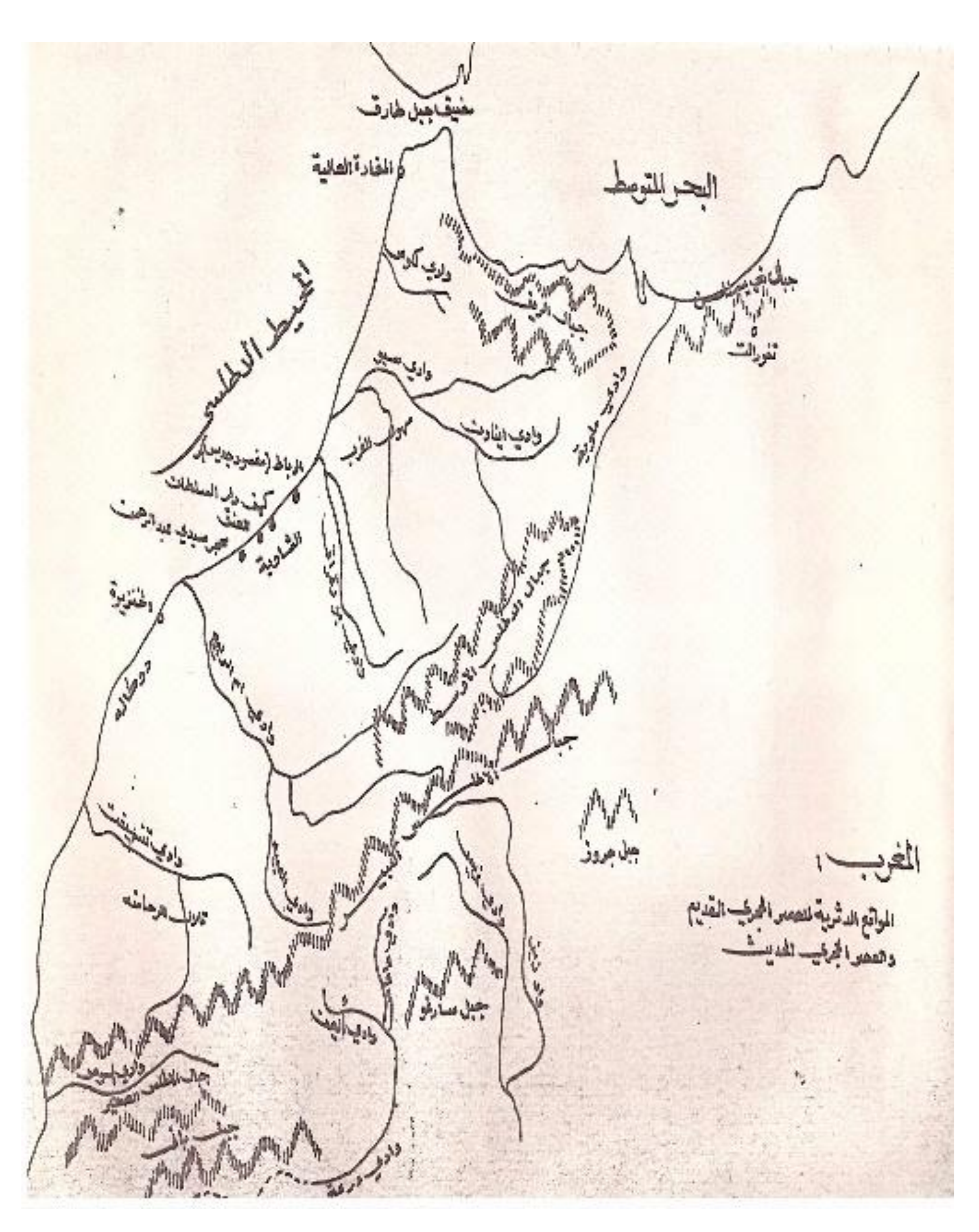
يمكن أن نبسط التكوين الجيولوجي لمحجر سيدي عبد الرحمن في السطور التالية: في خلال العصر الدافئ (رس-مندل) كان سطح الماء على السواحل المغربية للمحيط الأطلسي ترتفع عن مستواها الحالي (30) مترا، فكان الموقع الحالي الذي يقع فيه المحجر يقع على الساحل مباشرة وحدث بعد ذلك ان قل سطح الماء عن المستوى الأول ربما لتجمد مساحات كبيرة من المياه خلال عصر الجليد التالي أو لأسباب أخرى نجهلها، وكان نتيجة ذلك انحسار المياه عن مساحة كبيرة من الساحل كانت قبل تحت سطح الماء، وبطبيعة الحال كان شكل الساحل مدرجا بفعل عمل الأمواج الساحلية عليه، فتراكم على ذلك الساحل رسوبيات بحرية وكثبان من الرمال التي سرعان ما جمدت وتحجرت مكونة صخور رملية، وقد تمت هذه التكوينات خلال فترة البليستوسين الأوسط والبليستوسين الأعلى [1]، وعثر في رسوبيات تلك التكوينات على الأدوات الحجرية التي هي من صنع الانسان كما عثر فيها على المتحجرات الحيوانية والإنسانية، وفي قائمة المتحجرات الحيوانية للطبقة (G O) في الرسم البياني للموقع والذي رسمه الباحث (Biberson) نرى أسماء الحيوانات التالية :

- فيل: نوع (Elephant Recki)
- الخرتيت: نوع (Rhinocéros Simus)
- فرس النهر: نوع (Hippopotamus Amphibius)
- من فصيلة الخيول: (Equus Mauritanicus)
- غزال: نوع (Atlantica)
- الضباع: (Hyaena Crocuta)
- الدب: نوع (Ursus Aractus)
- ثور: نوع (Bubalis Alcelaphus) [2]

أما في الطبقة (G I) فقد عثر على حفائر من ستة أنواع سابقة فقط ونرى أن النوع الفيل (Elephant Recki) لا يظهر في الحفائر بعد الطبقة (G I)، ومن قائمة الحفائر نرى أن جل تلك الحيوانات من التي يتطلب بقائها مناخ يمتاز بغزارة في الماء مما يرجح معه ان تكون من البليستوسين الأسفل (600000-1500000) عام مضت.

---

(1) René Neuville et Armand Ruhlmann: (1941).Pp. 92-124
(2) Pierre Biberson: (1956). Pp. 61-64



خريطة 3: المواقع الاثرية لعصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث في المغرب

عثر في نفس الموقع مصاحبا الحفائر تلك الحيوانات على صناعات حجرية بدائية من النوع المسمى بالنواة الحجرية (Pebble-Core) وكلمة

صناعة (Industrie) تعني هنا المفهوم الذي يعبر به رجال الآثار عن الآلات المختلفة التي توجد عادة ضمن المخلفات التي يعثر عليها في طبقة واحدة والتي تصنع من مادة واحدة كالحجر مثلا، وهذه الآلات لكي يطلق عليها أسم صناعة يجب أن تتواجد في عين المكان الذي تركها فيه صانعوها [1].

أن دوام الإنسان في صناعة الأدوات الحجرية قد جعلته بمرور الوقت يصنعها طبقا لطراز خاص متعارف عليه فأصبحت للأدوات الحجرية هيئات واشكال معينة واستمر الإنسان على انتاجها ثم أخذ يطورها إلى أنواع ارقى، وكان لكل مجموعة منها اشكالها الخاصة أيضا، فأصبحت الأدوات الحجرية بصفة عامة تعمل بإحدى طريقتين: **اولاها** بتهذيب الكتلة الرئيسية وذلك بطرقها أو حكها وإزالة بعض جوانبها حتى تأخذ الحجرة الرئيسية الشكل المطلوب للآلة وتسمى الآلة في هذه الحالة بـ(النواة الحجرية)، اما **الطريقة الثانية** فإنها بالطرق أيضا ولكن بدلا من الكتلة الرئيسية تهذب الشظية أو الشظايا المتخلفة منها وفي هذه الحالة تسمى الآلة بالشظية (Flake) [2] .

تعتبر الآلات الحجرية من نوع (النواة الحجرية) التي عثر عليها في موقع أومو (Omo Valley) بأثيوبيا قرب بحيرة رودلوف من أقدم الأنواع المعروفة من هذا الطراز [3]، ومن المحتمل أن يكون الإنسان قد وجد قرب مجاري المياه بعضا من الأحجار التي صقلت بفعل عوامل التعرية المائية بعض جوانبها مما جعلها صالحة لأداء بعض الخدمات له فأخذ يعمل بنفسه على تقليد الطبيعة وذلك بتهذيب بعض القطع الحجرية بنفس الطريقة وذلك بإزالة الزوائد من سطحها وبطرقها لخلق سطح حاد يشبه حد الموس وما يسمى عادة بالرتوش (Retouch)، وقد عثر على أنواع من الأحجار الكروية الصغيرة الحجم والتي يبدو عليها تهذيب يد الانسان في موقع اولدافي (Olduvai) في تنزانيا [4]، وقد قدر العلماء تاريخ المخلفات التي عثر عليها في كل من أومو واولدافي بنحو (5-3) مليون سنة مضت أي في أواخر عهد البليوسين (Pliocene) ومن المحتمل ان هذه الصناع قد انتشرت من هناك حتى وصلت إلى المغرب في عصر البليستوسين الأسفل، هذه الكرات المسماة (Pebble Tools) عثر على الكثير منها في الطبقة (G O) و (G I) بسيدي عبد الرحمان، وعثر معها أيضا صناعات حجرية أخرى من النوع المسمى بالفأس الحجرية(Stone Hand Axe) أو بالفرنسية (Biface[5].

---

(1) Robert John Braidwood: (1975). p. 40
(2) Kenneth P. Oakley: (1972).p. 9
(3) Ibid: p. 4,
(4) Leakey, R. E. F, Anna K. Behrensmeyer, Fitch, F. J, Miller, J. A and Mary D. Leakey: (1970). Pp. 223-2300
(5) Pierre Biberson: (1953b). p. 8

تعتبر الفأس الحجرية تطور لسابقتها النواة الحجرية ذلك أن الانسان قد وجد بأنه لو قام بتهذيب هذا الحجر إلى شكل شبه بيضاوي وتوخى في نفس الوقت أن يهذب وجهين منها فانه يحصل على آلة لها وجهان حادان ونصل أمامي يمكن ان يستخدم كرأس حربة لصيد الحيوان أو كموس لسلخ جلده.

أطلق العلماء الفرنسيون على هذا النوع من الصناعات الحجرية (Abbevilliens) ونظرا لانهم عثروا على العديد من هذه الأحجار في موقع سانت ايشيل (St Achel) بنواحي اميان بفرنسا وذلك في أوائل ظهور علم ما قبل التاريخ بفرنسا لذا فقد اطلقوا على هذه الصناعة الاشيلية (Acheuleen)، ثم اطلقوا عليها اسم (Abbevilliens) نسبة إلى أن الأنواع القديمة من الصناعات الاشيلية هي تلك التي عثر عليها في موقع قرب (Abbeville) في وادي السوم بفرنسا، وقد أوضح العثور على الفأس الحجرية (Biface) أن النواة الحجرية قد تطورت محليا بالمغرب حتى تمكن الصانع من الوصول إلى هذا الشكل الجديد [1].

في عام (1955) توجت البحوث التي سبق أن جرت في محاجر سيدي عبد الرحمان بالعثور على شقفتان من الفك الأسفل لنوع بشري وتحتوي إحدى الشقفتين على ثلاث من الضروس بينما تحوي الشقفة الأخرى ضرسا واحدا، وارسلت هذه النماذج للفحص في متحف التاريخ الطبيعي بباريس وجاءت النتيجة ان هذه البقايا انما تنتمي لإنسان أطلس وهو الاسم الذي سبق ان أطلقه العلماء الفرنسيون على النوع المغربي اوسترالوبثكس (Australopithcus) أو كما سمي فيما بعد هومو اركتوس (Homo Erctus).

من الكشوف الاثرية السابقة يمكننا ان نقدم الصورة التالية: في زمن ما يتراوح ما بين مليونين من السنين ومليون ونصف سنة مضت هاجرت جماعات من النوع البشري المسمى هومو اركتوس (Hamo Erctus) من شرق افريقيا إلى تونس والجزائر والمغرب وتركت نماذج من صناعتها الحجرية التي اصطلحنا على تسميتها بالنواة الحجرية (Pebble Core) والفأس الحجرية (Biface) في سيدي الزين (تونس) [2]، وفي وادي ترنيفين (الجزائر)[3]، وفي سيدي عبد الرحمان (الدار البيضاء في المغرب) وتعرف

---

(1) Pierre Biberson: (1953a). Pp. 1742-1744

(2) تعرضت عدد من المواقع الأثرية في تونس إلى الهدم والتخريب وعدم الصيانة والترميم حتى ان بعضها أتلف تماما أمام صمت الجهات المعنية، ففي مدينة الكاف التي تعرف بمواقعها الأثرية الكبرى حدثت تجاوزات كبيرة حيث تم الاعتداء على موقع (سيدي الزين) الواقع بين مدينتي الكاف وتاجروين وتم تحويله إلى مقلع رمل، دون ان تحرك الجهات الرسمية ساكنا رغم استغاثة الأهالي في تلك المنطقة.

(3) حسب الاكتشاف الذي تم التوصل إليه بوادي ترنيفين في منطقة وهران لبقايا هياكل عظمية وأدوات صخرية هومو اركتوس، وهو الرجل البدائي، الذي يمثل أول تواجد إنساني بالجزائر يعود إلى (400000) سنة ق.م، كما تواجد صيادو العصر الحجري

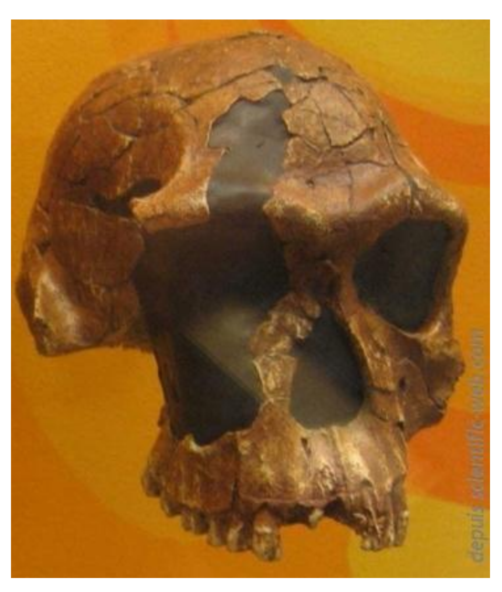
تلك المخلفات الحجرية اليوم لدى علماء الاثار بالثقافة الاشيلية، وهي إحدى الثقافات التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم (Paleolithique) حدث ذلك خلال الفترة المناخية المعروفة بالبلستوسين الأسفل، وقد دل فحص طبقات الحجر انه في خلال الفترة الزمنية التي نحن بصددها ان المغرب كان يمر بفترة مطيرة تعاصر الزمن الجليدي (Basal) وما يتخلله من عصور دافئة وعلى ساحل المحيط قرب الموقع المسمى حاليا بسيدي عبد الرحمان كانت ترتع أنواع من الفيلة البائدة والخرتيت وفرس النهر وأنواع شتى من الغزلان وغيرها من آكلات العشب والتي إلى جوارها عاشت حيوانات أخرى من آكلات اللحوم من ضمنها نوع من القطط البرية ذات انياب مقوسة تستقر خارج أفواهها، وكان انسان هومو اريكتوس الذي يعيش هناك يقطن الحقاف الصخرية عند الساحل ويستعمل ادواته الحجرية الحادة في قبض الحيوانات وأكل لحومها ولا يوجد بالموقع أي دليل ينم عن ان الهومو اريكتوس في هذا الموقع كانوا يعرفون استعمال النار.

يرى الباحث (Arambourg) ان الهومو اريكتوس الذين سكنوا موقع عين الحنش شرق بلدة سطيف بالجزائر [1] أقدم عهدا من سكان باليكاو [2] و وادي ترنيفين قرب وهران بغرب الجزائر، وهؤلاء

القديم سنة (200000) ق.م، وفي الألفية السابعة قبل الميلاد، انتشر مجموعة سكانية، وهم أجداد النوميديين المغاربة، وبدأت الحضارة في الجزائر من قبل الأمازيغ= =(البربر) خلال الفترة بين (1500 و 1000) ق.م، وعرفت مرحلة (1100 و 800) ق.م مجيء الفينيقيين، وبين سنة (800 و 500) ق.م تأسست جمهورية قرطاج.

(1) موقع عين الحنش أو عين حنش يقع في ولاية سطيف ويبعد حوالي (35) كلم عن مدينة سطيف اكتشف الباحث الاثري (Arambourg) عام (1947) هذا الموقع هو أقدم آثار للإنسان في الجزائر وتعود لحوالي (1.8) مليون سنة مضت حيث عثر على عدة أدوات من حجر الصوان وبعض عظام الحيوانات المنقرضة اصطادها ليأكلها ويستخدم عظامها كأداة إلى جانب سكاكين حجرية ويتزامن هذا انسان عين حنش مع مثيلاته بموقع اولدافي (تنزانيا) وكوبي فورا (Cobe furu) (كينيا) وقد استقرت هذه المجموعات البشرية الأولى في السهول النهرية وبمحاذاة الأودية والمنابع المائية بصحبة حيوانات السافانا: فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 6 .

(2) انسان باليكاو: ينسب إلى مدينة تيغنيف (معنى اسمها باللغة البربرية البركتين) بولاية معسكر غرب الجزائر، وقد اكتشف الموقع عام (1952)، ويمتاز بصغر جمجمته، وبفك قوي، واعتمد على اقتصاد الصيد وقدر كاربون 14 تاريخ (800000 إلى 250000) ق.م .



شكل 8: جمجمة انسان باليكاو في ولاية معسكر بالجزائر

بدورهم أقدم من سكان موقع سيدي عبد الرحمان وذلك استنادا إلى تطور الصناعة الحجرية من فترة ثقافة النواة (Pebble Culture) إلى الفأس الحجرية التي تنتمي للثقافة الاشيلية أو الابفيلية.

إذا كان ما ذهب اليه الباحث (Arambourg) صحيحا وفي غياب أية أدلة من البلاد الواقعة جنوب المغرب مباشرة يمكننا ان نقول بأن أنواع (Australopithicus) الذين تركوا بقاياهم وادواتهم في موقع (اومو) قرب بحيرة رودلف (3-2) مليون عام مضت قد اتجهوا في هجرتين أحدهما للجنوب حيث عثر على عظامهم وأدواتهم في اولدافي بتنزانيا [1] ، وفي مواقع عدة بجنوب افريقيا، أما المهاجرون نحو الشمال فقد مروا عبر الصحراء الكبرى خلال العصور المطيرة الباكرة حيث تركوا مخلفاتهم في موقع سيدي الزين [2] بتونس، وعين الحنش [3] ووادي ترنيفين [4] وبحيرة كرار [5] بالجزائر، وموقع سيدي عبد الرحمان بالمغرب .

---

(1)رشيد الناضوري: (1977)، ص 54-59// محمد مصطفى بازامه: (1973)، ص90 // رالف لنتون: (1988)، ص 48// Mary D. Leakey: (1971)

(2) Ernest-Gustave Gobert: (1950)

(3) Camille Arambourge: (1953)

(4) Camille Arambourge: (1954). Pp. 393-395

(5)يقع موقع بحيرة كرار على مسافة كيلومتر واحد من جنوب مدينة الرمشي في ولاية تلمسان وتحتوي على ملاجئ تحت الصخور، وأيضا موقع المويلح الواقع على بعد (5)

كانت محاجر سيدي عبد الرحمان هي المكان الوحيد الذي عثر فيه صناعات حجرية ترجع للعصر الحجري القديم الأسفل ومن الناحية الجيولوجية لفترة البيلستوسين الباكر وكانت تلك الصناعة مصاحبة لأجزاء من فك النوع البشري المسمى (Australobithicus) أو كما يطلق عليه اليوم فصيلة هومو اريكتوس فانه عثر في جهات أخرى على صناعات حجرية مماثلة أي من نوع الاشيلي (Acheuleen) أو الابفيلي (Abbevillien) فقد عثر أيضا في مواقع أخرى على صناعات مماثلة ولو أنه لا يوجد معها أية عظام بشرية وعلى ذلك فقد اعتبرت تلك المواقع من واقع تلك الأدوات الحجرية من مواقع العصر الحجري القديم الأسفل وعلى سبيل المثال لا الحصر اذكر منها: موقع هضبة سلا التي عثر بها على صناعات حجرية شبيهة بتلك التي وجدت في سيدي عبد الرحمان فقد كتب عنها كل من (Abbé Roche et Choubert G) بأنها ترجع نسبة للرسوبيات الجيولوجية التي وجدت مدفونة فيها إلى أواخر العصر الجاف الأول أو أوائل العصر المطير الثاني الموافق للفترة الجليدية مندل (Mindel) [1] .

كما لعبت المصادفة دورها في العصور على صناعة حجرية قديمة مصاحبة لشقاف لهومو ايركتوس في محاجر سيدي عبد الرحمان في الدار البيضاء كذلك كان العثور على صناعات حجرية مصاحبة لبقايا انسان قديم في محاجر مفسود جديس في منطقة القبيبات بمدينة الرباط عام (1933) فقد أبلغ عمال للمحجر المسؤولين بالآثار عن عثورهم على شقاف من الفك الأسفل لنوع بشري قديم فتوجه مراقب الاثار (Marçais) إلى الموقع [2] وارسل المخلفات البشرية للدراسة بباريس، وقد ظن في بادئ الامر أن هذه البقايا لإنسان من نوع انسان أطلس الذي عثر عليه في سيدي عبد الرحمان[3] ولكن اثبت بعد الدراسة والبحث بانها تعود لبقايا انسان نيادرتال (Neanderthal) [4] وهو نوع بشري متقدم جدا عن هومو ايركتوس وجاء بعده بكثير ويحتمل أنه جاء من الشرق لا من اوربا.

بعد البحث الذي انتهى عام (1947) والذي قام به علماء جامعة هارفارد الامريكية في المغارة العالية أكثر الدراسات التي جرت لعصر ما قبل

كلم من مغنية في شمال تلمسان، وكلا الموضعين من أقدم مناطق الاستقرار للإنسان البدائي لفترة طويلة بالجزائر : Marcellin Boule: (1900)

(1) Choubert, G et Roche J. Abbé: (1956). P. 35

(2) Jean Marçais: (1934). Pp. 579-583

(3) Armand Ruhlmann: (1945). Pp. 35-50

(4) يختلف إنسان نيادرتال عن الانسان العاقل فهو الأول من حيث الزمن كما أن قدرته العقلية محدودة مقارنة بالإنسان العاقل، وهو لا يعيش في مجموعات كبيرة كما أن له عادات وحشية على عكس الانسان العاقل، ويتميز أيضا انه قصير القامة مفتول العضلات وأشعري الجسم : محمد سحنوني: (1990)، ص61

Briggs L. Cabot: (1948). Pp. 105-114

التاريخ بالمغرب دقة نظرا لما توفر لها من وسائل الحفائر الحديثة وأساليب التاريخ باستعمال البوتاسيوم –ارجون [1].

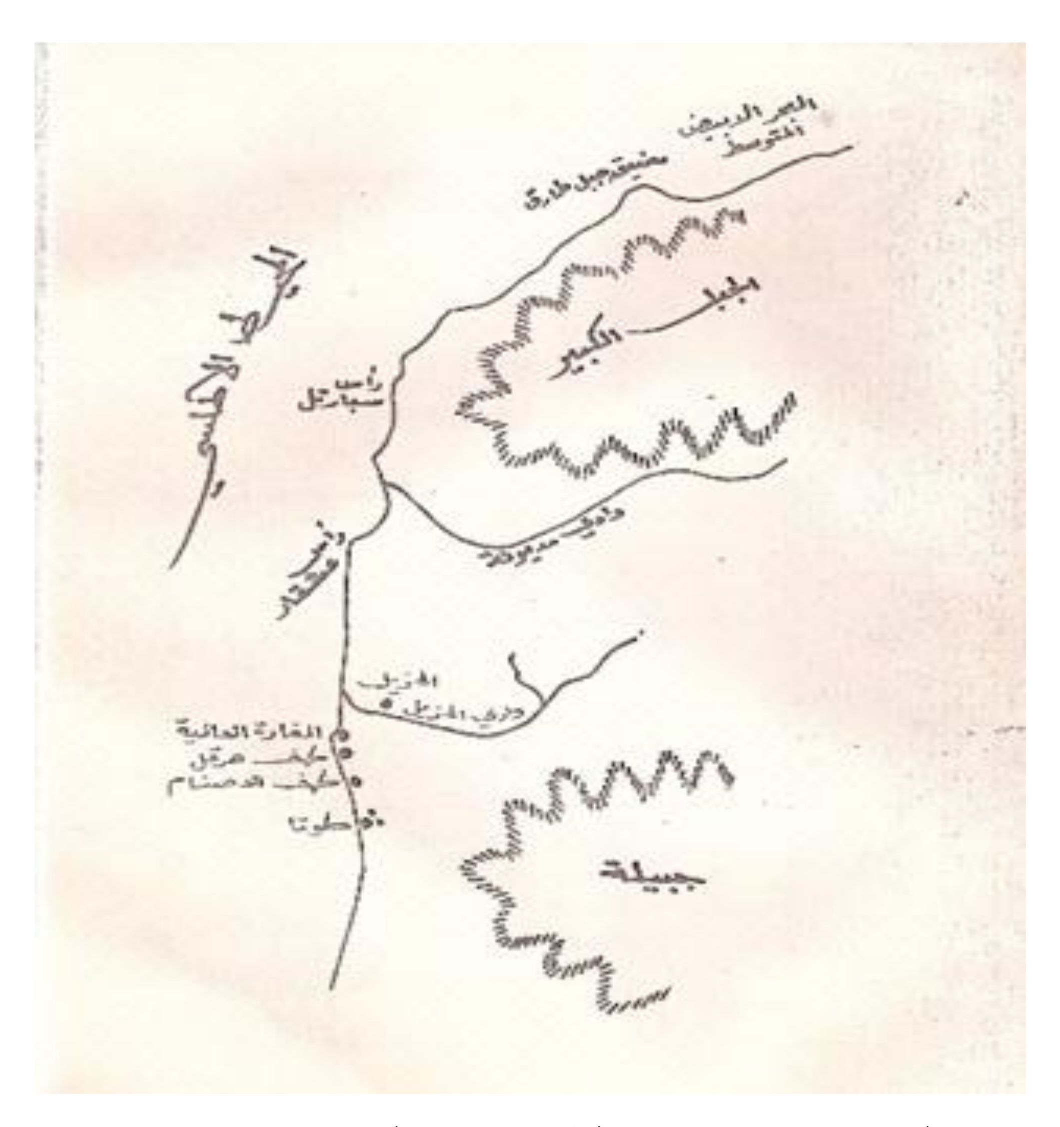
تقع المغارة العالية على ساحل المحيط الأطلسي على بضعة أميال جنوب غرب مدينة طنجة ومن مجموعة الكهوف المعروفة بكهوف هرقل بجهة رأس عشقار، وقد سبق البعثة الامريكية إلى هذا الموقع الباحث (Koehler) الذي قام بتحريات ما بين (1928 و1931) [2]، وقد كان نشاطه هو الذي لفت أنظار الباحث (Coon) للموقع عام (1939) إلا أن قيام الحرب العالمية الثانية أعاق البحث غير أنه ما لبث أن نشط عام (1947) نظرا لاهتمام جامعة هارفارد ومتحفها بالموقع وتمكن البحاثة أخيرا من نشر المعلومات التي حصلوا عليها من حفائرهم في هذا الموقع في كتاب بعنوان (العصر الحجري القديم بطنجة المغرب) صدر عام (1967) [3] .

---

(1) تأريخ البوتاسيوم – أرجون: وهي طريقة قياس الإشعاع الصادر من عنصر الأرجون، بواسطة التحلل النووي من البوتاسيوم إلى الأرجون، وتعتمد هذه الطريقة على شق العينة إلى نصفين: نصف لتعيين البوتاسيوم ونصف الاخر لتعيين الأرجون، وهناك طريقة احدث لتحديد التأريخ بواسطة (أرجون-أرجون) لا تستدعي كسر العينة إلى نصفين، وتكفي عينة واحدة أو قطعة واحدة لتحديد عمرها، وتتم الطريقة بقياس نسبة نظائر الأرجون.

(2) Henry Koehler: (1931)

(3) Bruce Howe: (1967). Pp. 1-200



خريطة 4: مواقع العصور الحجرية في نواحي طنجة

هنـاك مجموعـة كهـوف تقـع علـى سـاحل البحـر مباشـرة (4) اميـال للجنوب من رأس سباتل في منخفض ساحلي يشرف عليه الجبل الكبير ويلاحظ ان السـاحل الصـخري قد حفرت فيـه العوامـل التحاتيـة مجموعـة مـن الكهـوف اذكـر منهـا حسـب ترتيبهـا مـن الشـمال إلـى الجنـوب كهـف الخزيـل ثـم المغـارة العاليـة ويليهـا كهـف هرقـل ثـم كهـف الصـافية ثـم كهـف التماثيـل (Idol)، وقـد أماطـت الحفـائر عـن إحـدى عشـرة طبقـة تمثـل الرابعـة منهـا العصـر الحجـري الحديث بينمـا تمثـل الطبقـات السـفلى العصـر الحجـري القـديم [1]، وهـي طبقـات

(1) Ibid: Pp. 101-110

(5) وما تحتها وهي تمثل فترتان من فترات الثقافة المعروفة بالعطرية (العتيرية) (Atrien) [1] فقد عثر في العديد من الأماكن على أدوات حجرية كالصوان وبقايا رسوم ملونة على حيطان الكهوف كما تركت هذه الحضارة عددا من شواهد القبور المرسومة، كما كان الإنسان يستغل حيوانات ونباتات كغذاء ودواء له ويستعمل خشب غاباتها لبناء المساكن وصناعة الأدوات.

تمتد الحضارة العطرية من المحيط الأطلسي بالمغرب إلى شمال السعودية ومن شواطئ البحر المتوسط إلى شمال تشاد وأطلق على الإنسان العطري بالحلزوني نسبة إلى اعتماده على الحلزون في غذائه، وتعتبر الحضارة العطرية هي الأقدم من بين حضارات أخرى بالمنطقة مثل الحضارة القفصية (تعتبر من ثقافة العصر الحجري القديم الأعلى)، فقد كان الباحثون على قناعة بأن شمال أفريقيا كانت المعبر الموصل إلى جنوب غرب أوروبا، ولكن هذا الاعتقاد ترك كليا فيما بعد ذلك أن المخلفات الشمال أفريقية للعصر الحجري القديم بالمغرب الأقصى والتي تنسب إلى ما يسمى بالثقافة القفصية الجليدية المتأخرة، وحسب الأدلة الراديو كربونية لا يمكن أن تؤرخ قبل (10000) ق.م علما بأن المراحل الأخيرة في التقاليد القفصية تؤرخ (6500 إلى 6000) ق. م، وقد تتواصل في بعض المناطق حتى حوالي 3000 ق.م [2].

إن أصول النوع البشرى المسئول عن ثقافة العصر الحجري القديم الأعلى وفنان الرسوم الشهيرة في كهوف إسبانيا وفرنسا يمكن البحث عنها في غرب أو وسط آسيا ولهذا يقترح أن تكون بداية انتشار هذا العنصر البشرى في اتجاه أوروبا غربا والساحل الجنوبي لحوض البحر المتوسط كانت حوالي منتصف الفترة الجليدية الأخيرة **ورم** (Wurm) إن التواريخ المتاحة في أوروبا بواسطة راديو كربون (Radio-Carpon) رقم قلتها تعزز هذا الرأي وتشير إلى هجرات حدثت قبل (30000) عام قبل الآن [3] والثقافة الوهرانية

(1) الثقافة العطرية (العتيرية): نسبة إلى بئر العطر وهو أسم موقع في تونس قرب حدود الجزائر، يؤكد علماء الاثار بان مرحلة جديدة دخلت التاريخ القديم عندما بدا الانسان يستعمل ادوات مصنوعة لقضاء حوائجه، وتحول من صياد إلى إنسان متحضر ذا ثقافة عالية ومتطورة، وهذا التطور حدث في المدة بين(50000- و40000) ق م، ويبدو أنها بدأت حوالي (840000) عام قبل الآن ،ونحن نجدها منتشرة خلال معظم جوانب الصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي حتى نهر النيل حينما كانت المنطقة التي يطلق عليها صحراء غنية بالمياه والمناطق الخضراء، لقد وجدت الصناعات العطرية في جميع أنحاء المغرب القديم ولكن يشار إلى أن موقع الخنزيرة المملكة المغربية على أنه يمثل أقدم مرحلة للصناعة العطرية في الشمال الأفريقي: محمد الهادي الشريف: (1993)، ص13-14// بن بو زيد لخضر: (2018)، ص51-52

Fred Wendorf and Romuald Schild : (1992). Pp. 52-53

(2) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 11// بن بو زيد لخضر: (2018)، ص64-65

(3) تنتمي الثقافة القفصية إلى فترة ما بعد البلايستوسين في المغرب العربي، وأقدم مظاهرها تنتمي حوالي الألف التاسعة ق.م وتستمر لتحل محل الثقافة الوهرانية على=

(التي هي من ثقافات العصر الحجري القديم الأعلى)، فهي ثقافة شمال أفريقية سميت بداية بـ (الايبرو- مورية) (Ibero-Maurusian) (موطنها في السواحل المتوسطية)، وحول الاطار الزمني للحضارة الايبرو- مورية نقلت الباحثة (جينات أوماسيب)عن الباحث محمد بطروني قوله : إن موقع سيدي سعيد الذي أعطت طبقاته الاثرية بقايا للحضارة الموستيرية والعطري ، وانه مع نهاية العطرية تظهر دلائل على وجود مظاهر لحضارة أخرى بدأت في حدود (80) ق.م، حيث عادت الاقامة الانسانية في هذه الفترة بعد أن هجرت المنطقة عقب نهاية العطرية وهذا ما تظهره البقايا الاثرية للحضارة الايبرو-مورية، وتشير الباحثة (جينات أوماسيب) إلى وجود مواقع أخرى في الشرق الجزائر تعود إلى الايبرو-مورية، والتي تميزت بكثرة النصال الصغيرة ، وكثرة استخدام العظام ومهما كانت بداية الايبرو-مورية فهي في الغالب بين (25.000) و (19.000) ق.م، أما نهايتها فقد تكون بين (9000 و 7000) ق.م، لكن المواقع التي عثر فيها على العشرات من البقايا الانسانية في منطقة (الازواد) في مالي وفي منطقة الكيفيان (kiffian) في وسط النيجر، وكلاهما يعودان إلى إنسان كرومانيون وهو نفس السلالة من الانسان العاقل الذي ينتمي إليه إنسان المشتى العربي[1]، وفي إشارة بان الايبرو-مورية تأثرت بجنوب غرب أوروبا أو على الأقل التبادل الثقافي بين شبه الجزيرة الأيبيرية وبلاد المغرب القديم ولكن الباحثين أجمعوا على رفض فكرة العلاقات بين الصناعات الوهرانية وبين صناعات إسبانيا والتي على أساسها تم أطلاق اصطلاح أبيرو- مورى (Ibero-Maury) ولهذا ثبت اصطلاح وهرانى على أنه التسمية الصحيحة [2] ، وترجع الثقافة الوهرانية إلى نهايات عصر البلايستوسين ومن أهم أدواتها التي تشبه إلى حد كبير المدنية القفصية، النصال والشفرات الصغيرة ذات الحد المقوس والحجارة المنحوتة الدقيقة ذات الأشكال الهندسية، ومراكز الثقافة الوهرانية نجدها في تافورالت (Taforalt) إلى الشرق من المملكة المغربية وهى تنتمي إلى الألف الرابع عشر ق.م وخلال الألفين أو الثلاثة آلاف التالية تنتشر هذه المدينة ويتواصل انتشارها شرقا مع الجزائر وتونس والإقليم الشرقي من ليبيا في برقة.

=الساحل الجنوبي لحوض البحر المتوسط بداية من الإقليم الشرقي في ليبيا (هوا فطيح) وحتى المغرب الأقصى ولكن بداياتها ومواقعها المبكرة في قفصه بتونس وتيبازا جنوب شرق الجزائر وبالقرب من الحدود التونسية الجزائرية، وتنتشر المخلفات القفصية في الكهوف والمحميات الصخرية ولكنها أكثر تواجدا في المواقع المفتوحة متمركزة في النفايات التي تتكون من أعداد كبيرة من القواقع البحرية، من أهم أدواتها المناقيش الكبيرة والنصال المثلومة والمكاشط والأدوات الحجرية الدقيقة الميكرولوثية مصحوبة بأدوات عظمية متنوعة ، بعد (5000) ق.م بمدة قصيرة نجد مخلفات إنسان قفصية مصحوبة بالفخار وعظام الحيوانات المستأنسة مشيرة إلى ما يسمى بالثقافة القفصية والتي تنتمي تقاليدها إلى العصر الحجري الحديث وتستمر حتى حوالي الألف الثالث والثاني ق.م: فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 11

(1) بن بو زيد لخضر: (2018) ، ص58-60

(2) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 10

لقد مارس الإنسان القفصي الصيد فقد وجدت تراكمات للمحار البحري بكميات كبيرة على أنها أحد نشاطات إنسان هذه الفترة بالشمال الإفريقي، كما أمكن التعرف على أماكن دفن أفرادها وفحصت في كل من تافورالت، و أفالو بو رمال (Afalou bou Rhummel) وكلمناتا (Columnata) ومدافنهم كان يميزها الصبغة الحمراء (Ochre) وقد وجد إلى جوارها مخلفات الطعام وقرون الأبقار المتوحشة لقد أنتج موقع أفالو، وكلمناتا عدد كبير من الهياكل العظمية وأمكن بعد دراستها التعرف على أشكال العنصر البشرى أصحاب الثقافة، فقد كانوا متوسطي الطول أقوياء البنية وبجماجم أكثر أتساعا، وقد أكدت الدراسات إن إنسان موقع أفالو هو إنسان ينتمي إلى شمال إفريقيا ولم يكن مهاجرا لها من أية جهة آخرى [1] .

على العموم الثقافة العطرية هي الأكثر تقدما تقنيا والجدير بالذكر أن كامل الدراسات التي تناولت موضوع هذه الحضارة حتى الآن تشير إلى أن الإنسان الذي صنع الحضارة الموستيرية (Moustérien) بأوربا والعطرية في المغرب العربي هو الإنسان النيادرتال الذي تعود أصوله الباكرة إلى فلسطين، وقد عثر على بقاياه العظمية في موقع هوا فطيح بليبيا تحيط به البقايا العطرية، وتتميز هذه الحضارة علاوة على شكلها المميز على هيئة ورق الشجر بان بعضا منها يشبه رأس الحراب وتنتهي برأس ليساعد على تركيبها على يد الرمح [2] ، وعثر بالموقع أيضا بالطبقة الخامسة على جزء من جمجمة انسان نيادرتال وضرس طفل من نفس ذلك النوع البشري وكان يعتقد من قبل ان هذه البقايا قد وجدت في الطبقة السادسة أو التاسعة، ولكن تأكد وجودها في الطبقة الخامسة يشير إلى أن انسان نيادرتال بطنجة كان صانعا للأدوات الحجرية التي ترجع للثقافة العطرية [3].

---

(1) المصدر نفسه: ص 10

(2) فرج محمود الراشدي: (2016) ، ص8// المير إسماعيل على :(1992)، ص 78

Bruce Howe: (1967). Fig 55

(3) Ibid: p. 146



شكل 9: صناعة عطرية من حجر الصوان (العصر الحجري القديم الاوسط)

تعود المتحجرات الحيوانية التي وجدت في موقع كهوف طنجة إلى فترة البليستوسين إلى الطبقات (5 و6 و9) وأغلب هذه الحيوانات من الأنواع التي تعيش في المناطق المطيرة مثل (فرس النهر)، و (الفيل)، و (الغزال) (من نوع Dorcas)، و (الضبع) (من نوع Crocute)، و (الدب) (من نوع Aractus)، و (الخرتيت)، و(الخيول) (من نوع Equus)، و (الفهد) (من نوع Félis) وغيرها.

تشير الدلائل الاثرية والجيولوجية ان الطبقة التاسعة توضح أن الحيوانات التي عاشت في مجاورات الكهوف كانت تشبه لحد بعيد نظائرها التي نعيش بالمناطق الاستوائية والسافانا الافريقية اليوم [1]، وكان سكان هذه الطبقة من الموقع يصنعون ادواتهم الحجرية من طراز الموستيرية (Moustérien) والقليل من طراز سولوتيرين (Soluterien)، ويغلب على الظن أن أصحاب هذه الصناعة كانوا من نوع انسان نيادرتال نظرا لصناعته العطرية (العتيرية) (Aterien)، وفي الطبقة السادسة ونلاحظ ان المتحجرات الحيوانية في هذه الطبقة هي من نفس الأنواع التي في الطبقات الأقدم (7 و 8 و 9) فيما عدا الخرتيت الذي لا تظهر متحجراته في هذه

(1) Camille Arambourg: (1967). Pp. 181-184

الطبقة، اما في الطبقة (5) فانه يختفي أنواع أخرى من تلك الحيوانات مما يشير إلى أن الجو قد أصبح أكثر جفافا عن ما كان عليه الحال من قبل.





شكل 10: هومو ايروكتوس (Homo Erectus) (الانسان المنتصب)، يشار اليه بانه أول (انسان حقيقي) من جنس هومو، وهو أول من عرف النار وصنع الفأس اليدوية، واطلق على صناعته الحجرية اسم ثقافة ابفيليان (Abbevillian) (اليمين)، اسم النوع انسان نيادرتال (Neanderthal Man) الإنسان البدائي: عاش من (150إلى 35) ألف سنة، مناطق انتشاره ليس فقط في أوروبا بل أيضا في أفريقيا والشرق الأدنى، والشرق الأقصى، اكتشفت له أدوات ذات صناعة متقدمة، والمصادر الكلاسيكية تستبعد انسان نيادرتال عن الانسان العاقل وبانه ليس من خط الانسان العاقل مباشرة (اليسار).

على أية حال فأن التاريخ الذي اعطي للطبقات السفلى من هذا الموقع انما يرجع للعصر الحجري القديم الأوسط من ناحية الثقافة وإلى عصر البليستوسين الأوسط والاعلى من حيث التقسيم الجيولوجي، وأما من ناحية التاريخ الزمني (45000 إلى 41000) ق.م [1].

نظرا لكثرة المواقع التي وجدت فيها الصناعات الحجرية التي ترجع لثقافة العصر الحجري القديم الأوسط والاعلى فأنني رأيت أن اختصر الامر على أهم المواقع وهي:

1- كهف دار السلطان: يقع على ساحل المحيط الأطلسي إلى الجنوب من مدينة الرباط قرابة ثلاثة أميال، وقد عمل الآثاري (Ruhlmann) في هذا الموقع، ونشر عنه تقرير عام (1946) [2]، كما عمل في نفس الموقع

(1) Bruce Howe and Hallam L. Movius: (1947). Pp. 21-23
(2) Armand Ruhlmann: (1948). Pp. 347-360

الآثـاري (Antoine) ونشـر بحثـه عـام (1950) [1]، وأعـاد الآثـاري (Ruhlmann) تقييم نتائجه مرة أخرى في تقريره عام (1951) [2] .

2- موقع عين تيت مليل: بالقرب من الدار البيضاء حيث عثر الآثاري (Antoine) عام (1950) على بعض الأدوات الحجرية التي تنتمي للصناعة الموستيرية [3].

3- كهف البارود: يقع على بعد (10) كم شرق بن سليمان ضمن إقليم الدار البيضاء، و (30) كم عن ساحل المحيط الأطلسي، جرت التنقيبات فيه عام (1973)، واغلب اللقى الاثرية تعود إلى العصر الحجري القديم والحديث، وعثر فيها على رسوم على شكل زخارف صغيرة تشبه إلى حد ما قرون الكبش، وكانت تلك اللوحات غير مرئية لأنها مغطاة بطبقة كثيفة من الدخان الأسود ناتجة عن حرائق اشعلها الصيادون والرعاة [4].

4- كهف الخنزيرة: بالقرب من الرأس الأبيض (اسفي) حيث كشف الآثاري (Ruhlmann) على أدوات حجرية من الطراز الموستيري أيضا [5].

تتميز جميع المواقع التي ذكرناها عدم وجود أي شقاف من الفخار مما يؤكد بان سكان تلك المواقع لم يعرفوا صناعة الفخار، ويبدأ ظهور الفخار في الطبقات التي تنتمي للعصر الحجري الأوسط (Mesolithique)، مثل الطبقات العليا من كهف الخنزيرة والسفلى من كهف الخزيل على ساحل المحيط الأطلسي حيث عمل (Jodin) [6]، ويوضح امتداد هذه الثقافة إلى شرق المغرب وجود موقع يمثل هذه الثقافة على بعد (25) ميلا للشمال الشرقي من مدينة وجدة وهو كهف تافورالت [7]، ويعتبر ظهور الفخار خلال هذه الفترة هاما لأننا سنرى من خلاله بداية التأثيرات الشرقية والايبيرية (اسبانيا) على المغرب .

---

(1) Maurice Antoine: (1950). Pp. 5-47

(2) Armand Ruhlmann: (1951). Pp. 22-26

(3) Maurice Antoine: (1938). 3-96

(4) Susan Searight: (2017). p. 2

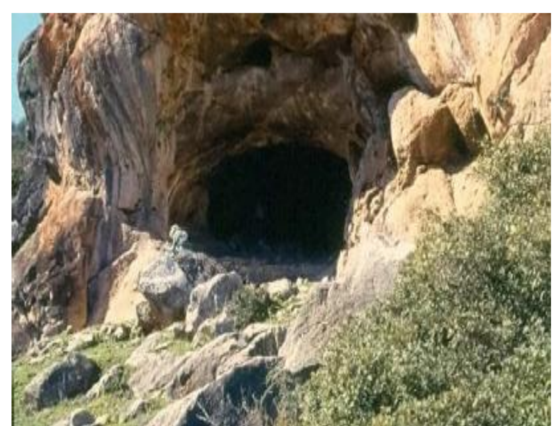
(5) Armand Ruhlmann: (1936b).

(6) André Jodin: (1958-1959). Pp. 249-313

(7)بقيت الكهوف تستعمل من قبل السكان منذ العصور الحجرية القديمة وحتى العصر الحجري الحديث وهي أكثر انتشارا من القرى الزراعية كما هو في الشرق الأدنى القديم، وربما يعود هذا إلى البيئة الطبيعية أو نوع من الدفاع والحماية من الاخطار، ومع زيادة السكان في العصر الحجري الحديث فقد عمد السكان على نحت الصخور بشكل مغارات ذات اشكال معينة استعملت للسكن ودفن الموتى في أرضية الكهوف وعرفت باسم الحوانيت وفي جزر الكناري هناك العديد من هذه الكهوف الصناعية مما يدل على ارتباط سكان جزر الخالدات (الكناري) بالثقافة المغربية القديمة:

Abbé Roche J: (1967). Pp. 11-46





شكل 11: مدخل كهف البارود بالقرب من بن سليمان (الدار البيضاء) ويعود إلى العصر الحجري القديم والحديث (اليمين)، شكل أحد الرسوم في كهف البارود وهو على هيئة قرون الكبش (اليسار).

لا نعرف على وجه التحديد متى وصل النوع البشري الذي ننتمي اليه (Homo Sapiens) إلى المغرب ولو أنه من المحتمل ان يكون هو صاحب الصناعة المسماة الايبرو-مورية (Ibero-Maurucien) وهي صناعة حجرية عثر على الكثير منها في مواقع تنتمي لهذه الفترة في اسبانيا وفي وهران بالجزائر ويرى (Antoine) أن انتشار أصحاب الثقافة الايبرو-مورية قد حمل الاقوام الأصليين للمنطقة بالهجرة والانزواء في مناطق الغربية المطلة على المحيط الأطلسي حيث ظلوا بها حتى العصر الحجري الحديث [1].

يمتاز العصر الحجري الحديث في المغرب بظهور نوعين من الفخار هما النوع الأول وهو المسمى بالإنجليزي (Beaker ware) وبالفرنسية (Céramique Cardiale)، أما النوع الثاني فهو المسمى بالقفصي (Capsienne) نسبة للموقع القريب من بلدة قفصة في تونس والتي عثر بها على الشظايا الحجرية الصغيرة (Microlithique) التي تنتمي للعصر الحجري الحديث.

كان من راي بعض العلماء الاسبان من قبل بان الفخار المسمى (Cardiale) أصله اسباني ومنه انتقل إلى شمال افريقيا [2]، إلا أن وجود هذا الفخار في نواحي مختلفة من شرق البحر المتوسط إلى غربه عبر اليونان وصقلية وسردينيا وانتشاره بأوربا حتى بريطانيا أقام الدليل على أن هذا النوع من الفخار موطنه الشرق، وقد وصل تأثيره عن طريق التجارة البحرية إلى شمال افريقيا ثم إلى اسبانيا وليس العكس.

وفي أثناء الحفائر التي أجراها الآثاري (Buchet) في مغارة الاصنام (Idol) (غرب طنجة) ومن بعده الآثاري (Koehler) وجدا الكثير من شقاف

---

(1) Maurice Antoine: (1950). Pp.5-47
(2) Julián San Valero Aparisi: (1950). Pp. 53-61

هذا الفخار في ذلك الموقع، وفي عام (1958) عثر الآثاري (Jodin) في أثناء عمله في حفائر كهف الخزيل بنفس المنطقة على شقاف أخرى لهذا الفخار.

أما الفخار القفصي فيظهر بصفة خاصة في مواقع عديدة اكثرها في شرق المغرب ومن المحتمل أن هذا النوع من الفخار قد جاء مع سلالة مشتى العربي وهو ينتمي للإنسان الحديث (Homo Sapiens) بينما وفد في نفس الوقت القوم المسمون بالسلالة الباكرة للبحر المتوسط حاملين معهم الفخار المسمى (Cardiale) قادمين من السواحل الشرقية للبحر المتوسط حيث وصلوا بسفنهم إلى السواحل الأطلسية للمغرب.

إذا كانت بداية الفخار بالمغرب يؤرخ إلى (5000) ق.م فإنها تكون قد ظهرت متأخرة عن الشرق الأدنى القديم مثلا بنحو الف عام وربما أقل، أما معرفة سكان المغاربة القدماء للزراعة واستئناس الحيوان فقد عثر على قرية في وادي بهت قرب مدينة خميسات على آواني فخارية وكذلك عثر على الاجران مع العديد من الأسلحة الحجرية الميكروليثية [1] وشيدت المساكن بالأحجار الصخرية وبما أن القرية تقع أعلى المنحدر فقد بانت وكأنها ملاجئ صخرية تشرف على وادي بهت، وعلى أية حال فأن الموقع يدل على مرحلة أولى للفن المعماري للعصر الحجري الحديث [2] فلا نعلم عنه الكثير اذ لم يعثر بالمغرب على أي دليل يفيد وجود الشعير أو القمح البريين إلا أن الرسوم والنقوش التي تركها الاقدمون على سطح الصخور يمكن ان نفسرها بأنها تعبير عن نجاح الثورة الزراعية واستئناس الحيوان في نواحي مختلفة من المغرب في حوالي (5000) ق.م [3]، وإذا كانت هذه الناحية أكثر وضوحا مثلا في الشرق الأدنى القديم عنه شمال افريقيا، إلا أن تاريخ الانسان لا سيما انواعه القديمة في المملكة المغربية أكثر مادة عن نظائرها في الشرق الأدنى القديم.

---

(1) أن أول من أهتم بهذه القرية الآثاري الفرنسي (Ruhlmann) وقد أرخها إلى العصر الحجري الحديث واعتبرها مخيما فصليا للقبائل البربرية الرحل ما بين مرتفعات الصخرية والمناطق السهلية:

Armand Ruhlmann: (1936a). Pp. 41-67

(2) شارل اندري جوليان: (1969)، ص 58

(3) المصدر نفسه: ص 59-62

الزمن	اسم العصر الحضاري	مصر السفلى	مصر العليا	العراق	فلسطين لبنان سوريا	ايران	الاناضول	المغرب
حوالي الالف السادس ق.م	العصر الحجري الحديث	الفيوم أ مرمدة بني سلامة حلوان العمري	دير تاسا	ملفعات جرمو حسونه	اريحه ١٠ و٩ جبيل العمق أ و ب وحماه م اليرموكية	سيالك ١ باكون ب ١	تل تشاتال وهاكيلار	كهف دار السلطان ووادي بهت
الالف الخامس ق.م	عصر الحجر والنحاس		البداري	حلف	الغسولية جبيل اريحه ٨ العمق ج	سيالك ٢ باكون ب ٢	=	=
الالف الرابع ق.م	عصور ما قبل الاسرات	جرزه الاولى جرزه الاخيرة	نقادة الاولى نقادة الثانية	العبيد الوركاء جمدة نصر	عصر البرونز الاول وجبيل العمق هـ ، و	سيالك ٣،٤	=	

جدول 2: تقويمي مقارن لحضارات العصر الحجري الحديث والعصر الحجري النحاسي وما قبل الأسرات في الشرق الأدنى وشمال افريقيا

الجزائر وتونس في عصر ما قبل التاريخ

يمكن التمييز بين نوعين من المغارات التي استعملها السكان في عملية الدفن منها المغارات الطبيعية التي لم يتدخل الإنسان في تهيئتها، والثانية التي يكون الإنسان قد تدخل في إعدادها والتحكم في مساحتها، وتم العثور على مجموعة من المغارات الطبيعية بالجزائر العاصمة وفي جبل المرجاجو بوهران، ويعتقد بعض الباحثين بان للكهوف والمغارات لها قدسية فأوردوا أسماء الآلهة التي قدست واطلقت اسمائها على المغارات مثل إيفري (Ifri) أو أفرو (Ifru) وأفري في اللغة الأمازيغية تعني الكهف، وقد صور على هيئة رأس مشع في أحد الكهوف الواقعة بين الرية والخروب بالجزائر، والإلهة باكاكس (Bacax) الذي كرست له مغارات كثيرة لعبادته كـ(غار الجماعة) في جبل الطاية في ضواحي قالمة [1]، كما عثر على نقوش ليبية على شرفه في

---

(1) اعتقد سكان المغرب القديم أن إله باكاكس يختص في رعاية تنقلات قطعانهم في أعالي الجبال كما أنه يهتم برعاية وتسهيل المبادلات التجارية التي كانت تتم بين سكان الجبال وبين المستقرين بالسهول:

Rene Basset: (1910). p.7.

كهف بضواحي منطقة عنونة[1] ، أذ تبين من النقوش التي اقيمت على رواق المغارة أنها كانت مكانا مقدسا يطوف حوله السكان المحليون، وهو شأن أغلب المغارات والكهوف التي عثر عليها بقرب المدن القديمة، كسيرتا وميلة وسطيف [2]، على اية حال الكثير من المغارات والكهوف شغلت من قبل سكان القدماء مثل:

1- مغارات الكوارتل (Elcuartel)، والبوليغون (Polygone)، ومغارة سكان الكهوف (Troglodytes)، ومغارة وادي قدارة (Oued Gueddara) (غرب وهران)، وموقع (آفالو بو رمال) بالقرب من بجاية، وهذا الموقع الاخير احتوى على بقايا عظام بشرية تعود للعصر الحجري القديم المتأخر، مما يدل على انتشار فكرة دفن الموتى، ووجود طقوس جنائزية مرافقة لذلك [3]، إضافة إلى المغارات في نواحي بني سيغواليس (Beni-Seghouals) بين مدينتي الجزائر وبجاية، وفي ولاية سعيدة (مغارة كلمناتا) (Columnata)، ومغارة بريزينا بالأطلس الصحراوي جنوب البياض، وملجا تيوت بالأطلس الصحراوي أيضا، والكهف الأحمر، وكهف المزوي بنواحي تبسة [4].

2- كهف الترقلوديت" (Grotto des Troglodyde) بالقرب من هران (نموذج للتقاليد الوهرانية): في هذا الكهف تحتوى الطبقة النيوليثية على أدوات حجرية وكسر فخارية، وقواقع بحرية، وأدوات من حجر الصوان وبأعداد صغيرة غير منحوتة وأخرى كبيرة منحوتة الجوانب (مثلومة) مثل المناقيش والمكاشط المثلومة الجانب، والمخارم، والرؤوس الحجرية الصغيرة الميكروليثية التي تأخذ شكل شبه المنحرف وعدد غير قليل من الأشكال التي تنتهي بذنب صغير، كما تضمن الموقع رؤوس سهام وفؤوس حجرية صقلت ببراعة وهناك طبقة سوداء احتوت على العديد من الأدوات العظمية المصقولة مثل الرؤوس والإبر ومخاطيف صيد الأسماك والسكاكين ورماح عظمية والعديد من الأصداف والقشور العظمية السلحفاتية جميعها مزودة بثقوب، ومن الواضح أنها استعملت كحليات زخرفيه ووجد أيضاً العديد من الكسر الفخارية التي تأخذ آنيتها الشكلين (U،V) بالحروف اللاتينية) ولكن هناك أوان بجدران مستقيمة وقاعدة محدبة وأحيانا بجدران محدبة كما وجد العديد من المقابض التي تنتمي لهذه الكسر الفخارية الزخارف هندسية ومحززة وأحيانا آخري بارزة وقد نجد النوعين من الزخرفة على نفس الآناء [5] .

---

(1)Rene Basset: (1910) Pp. 7-8

(2) Jules Toutain: (1920). Pp .47- 49

(3) محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص 445

Gabriel Camps: (1974). p. 274

(4) اصطيفان اكصيل: (2007)، الجزء الأول، ص 168

(5) فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 13



شكل 12: ملاجىء صخرية بشيليا قرب قسنطينة

3- كهوف سيدي أمسيد في قسنطينة (الجزائر): ومنها كهف الدببة أو ما يعرف بكهف السحار، وكهف الأروي، وقد استعملت هذه الكهوف منذ العصر الحجري القديم الأسفل وتواصل الاستقرار بها حتى الفترة الرومانية [1]، فحسب تنقيبات الباحث (Debruge) فإنه عثر في الكهوف المشار إليها على بقايا صناعة حجرية موستيرية عائدة إلى العصر الحجري القديم الأوسط، كذلك صناعة العصر الحجري الحديث في الشمال الإفريقي إلى جانب تلك الصناعة الحجرية وجدت هناك عظام لحيوانات شبيهة بالاستوائية في وقتنا الحالي كانت تعيش في المنطقة مثل وحيد القرن، والحمار الوحشي، والخنزير البري، والإيل، والغزلان، والأبقار الوحشية، مما يعطينا فكرة على أن المنطقة من حيث المناخ كانت شبيهة بالمنطقة الاستوائية من حيث توفر الرطوبة والنباتات [2]، ويلاحظ أن كل الحيوانات المشار إليها كانت تعيش في الغابة التي تغطي ضفاف قسنطينة عبر تاريخها القديم، ووادي الرمال الذي يمتد شرقا حتى ما بعد المنصورة حيث مرتفعات جبل الوحش شمال شرقي مدينة قسنطينة [3].

كانت شعائر الدفن بداخل هذا النوع من المدافن تتم عن طريق تجريد الجثة من اللحم مثلما أشار إليه الباحث (Camps) بالنسبة لدولمن بني مسوس

---

(1) Léonce Joleaud: (1937). p.10.

(2) Ibid: Pp. 1-17

(3) محمد الهادي الشريف: (1993)، ص 13

بالجزائر التي كانت تدفن إلى جانب بقايا عظام الميت مجموعة من الأواني والأغذية، مما يوحي أن الأحياء كانوا يخشون موتاهم الذين يتمتعون بقوة سحرية، لذلك كان الاهتمام براحة أمواتهم من الأمور الحيوية [1].

يشير الباحث (Gsell) أنه لا يجب الاشمئزاز عند ذكر سكان الكهوف قد سكنوا المغارات واتخذوها مدافنا لموتاهم كما هو الشأن لمغارة (لالة مغنية) بأقصى الغرب الجزائري، وقد استمرت هذه العادة أثناء العصر الحجري القديم والحديث، ولكننا لا نعرف مدى معرفة إنسان العصور الحجرية للعالم ما بعد الموت [2].

تعود العصور الحجرية القديمة في تونس إلى نصف مليون سنة أو أكثر، فقد عثر على قطع من الحجارة المستديرة المنحوتة التي تشبه ما عثر عليه في كهوف القسنطينة، كما عثر في الجنوب التونسي (عين برمبة) ثم عمت حضارة الحجارة ذات الوجهين، أما صناعات الأشولية فتظهر في جنوب غرب تونس وسيدي الزين قرب الكاف، كما عثر على صناعات موستيرية من صنع انسان نيادرتال، وفي تونس مجموعة مغارات تعود لما قبل التاريخ كمغارة كاف العقاب شمال غرب جندوبة، ومغارة كاف القرية بين مدينة مكثر(Makthar) وحرفوز[3]، ومأوى الرديف بالجنوب الغربي التونسي [4]، وأيضا مغارة أخرى تعود لما قبل التاريخ مثل مغارة كاف العقاب شمال غرب جندوبة، واحتوت هذه المغارات على هياكل عظمية وأثاث جنائزي، وربما كان لسكان تلك الكهوف أدوات من الخشب بشكل حراب وهراوات التي اكتسبت رؤوسها صلابة بالنار، كما استعملت الجلود ملابس، ولا تحدثنا الكشوف الاثرية إلا عن الأدوات الحجرية كأسلحة ومكشاطات وكانت الأدوات الأشولية تصنع من الصوان في جنوب تونس [5].

---

(1) Gabriel Camps: (1974) . Pp. 63-64

(2) محمد بن عبد المؤمن: (2014) ، ص 446

Gabriel Camps: (1974). p. 65

(3) عبد الرزاق قرقاب: (2007)، ص28-29

(4) اصطيفان اكصيل: (2007)، الجزء الأول، ص 168

Marie-Gustave Bleicher: (1875). p. 210.

(5) اصطيفان اكصيل: (2007)، الجزء الأول، ص 163

المواقع	التاريخ
كهف الديلوبي (delebo) في الاينيدي	5230 ق.م (للفخار) و4905 ق.م في الطبقة السفلى
فوزيجيارن في تادرارت اكاكوس	6120 ق.م بالنسبة لموقد الطهو
أوان تابو في تادرارت اكاكوس	5095 ق.م بالنسبة للفخار
وان موهجاج في تادرارت اكاكوس	5480 ق.م بالنسبة لموقد الطهو، والمستوى الذي يليه زمنا يقدر بـ(4000) ق.م
وان موهجاج في تادرارت اكاكوس	جثة طفل محنطة أعطت تاريخ يقدر بـ(3455) ق.م
وان موهجاج في تادرارت اكاكوس	5400 ق.م بالنسبة للإقامة البشرية
أوان تلوكات بتاددرارت اكاكوس	4800 ق.م
تيتراس نلياس بالتاسيلي	موقد أرخ بـ(5450) ق.م
أمكنـــي بالهقـــار (حســـب الباحـــث Camps)	6100 ق.م بالنسبة لبقايا جثة طفل
أمكنـــي بالهقـــار (حســـب الباحـــث Camps)	6700 ق.م بالنسبة للفخار
كهف وان أفود في الاكاكوس	7000 ق.م ± 110 بالنسبة للإقامة البشرية
كهف وان تابو في الاكاكوس	من 7810 ق.م ±75 إلى 6880±100 ق.م
كهف تين طره الشرقية في الاكاكوس	الطبقات العليا أرخت 5070 ±60 ق.م

جدول 3: مواقع العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى

Gabriel Camps: (1974). Pp223-224

ليبيا في عصور ما قبل التاريخ

لقد ظهرت المخلوقات الشبيهة بالنوع الإنساني على الكرة الأرضية قبل نحو (مليوني عام)، وما كادت العصور الحجرية القديمة أن تنتهي حتى حدث تطور بيولوجي خطير جدا، بانتقال الأنواع البشرية البائدة (Palaeoanthropic) إلى نوع الإنساني الحديث أي الانسان العاقل (Homo Sapiens) وذلك قبل نحو (50000) عام، في مطلع النصف الأول من العصر الحجري القديم المسمى بالعصر الحجري القديم الأعلى (Upper Palaeolithic)، وإذا كان عصر الحضارة البشرية التي ظهرت قبل خمسة آلاف عام وكان أول ظهورها في ربوع المشرق العربي فأن قصة التطور البشري تظهر في القارة الافريقية بوجه عام والشمال الافريقي ومنها ليبيا بوجه خاص، فقد أجمع الباحثون على أن القارة الافريقية أصل الأنواع البشرية القديمة التي سبقت نوع الانسان الحديث (الانسان العاقل)، وأن فيها كذلك أصل الصناعات الحجرية الأولى، ولهذا فقد تنبه اليه الباحثون في عصور ما قبل التاريخ حديثا من عدم صلاحية إطلاق التسميات الخاصة بأدوار ما قبل التاريخ الأوربي على أدوار المضاهية لها في افريقيا وآسيا، وذلك لأن الواقع الحضاري في اوربا الغربية كانت دوما تقع بعيده عن مراكز التطور الثقافي الأساسية في العالم القديم، وهذا يعني أن مهد الأنواع البشرية القديمة ظهرت في أوائل العصر الحجري القديم كان في افريقيا ولاسيما في

المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية منها [1]، أما في العصر الحجري الحديث (Neolithic) [2] فقد ظهرت فيه نشاط الاختراعات الثقافية حيث حقق الانسان أعظم انقلاب بدل حياته تبديلا جوهريا بانتقاله من همجية العصر الحجري القديم المقتصر على الصيد وجمع القوت إلى طور انتاج القوت بالزراعة وتدجين الحيوان، وهذا الانقلاب الخطير حدث في مكان ما في الشرق الأدنى القديم [3].

لابد أن نشير إلى أن عصور ما قبل التاريخ في تونس والجزائر والمغرب وبضمنها ليبيا لها أهمية خاصة في تاريخ الحضارة وأصول الاقوام، ذلك هو موقع هذه المنطقة الجغرافي المميز بكونها جسرا تربط ما بين اوربا الغربية وبين افريقيا الاستوائية وآسيا الغربية، وتكون أهمية هذه الميزة أكبر من الاطوار الأولى من عصور ما قبل التاريخ حيث العوارض والحواجز الطبيعية الموجودة الان كالصحاري والمضايق المائية، أما أنها لم تكن موجودة كما يؤكد الباحث الفرنسي (Gsell) بقوله:(أن الصحاري الافريقية كانت أكثر خضره عما هي عليه الآن مما ساعدت على انتقال السكان ما بين الجنوب والشمال في افريقيا)، ويمكن تحديد الأدوار الحجرية في ليبيا كما يلي:

I - **الأيوليثي (Eolithic)**: عصر الأدوات الحصوية (Pebble culture)

II **-العصر الحجري القديم (Palaeolithic)**

أ-العصر الحجري القديم الأدنى (Lower Palaeolithic)

1 – ابـڤيلي (Abbevilian) (شيلي سابقا)

2 – أشولي (Acheulan)

أ -الأشولي الأول ب-الأشولي الثاني ج – الأشولي الثالث

ب-العصر الحجري القديم الأوسط (Middle Palaeolithic)

1- الفالوازي-موستيري (Levalloiso-Mousterian)

2- موستيرية (Mousterian)

3- عطري (Aterian)

---

(1) وبناء على ذلك اقتضى منهج البحث السليم المحدثين ان يتجهوا في تتبع أدوار العصر الحجري القديم في افريقيا وآسية وليس إلى اوربا : طه باقر: (1968)، ص3

(2) يرجع أصل كلمة النيوليتي (Neolithic) إلى اللغة الإغريقية نيو (بمعنى جديد)، وليثيك (بمعنى الحجارة) أي(عصر الحجارة الجديدة) بمعنى (المصقولة)، ولقد اقترح هذه التسمية عالم ما قبل التاريخ (John Lubbock) عام (1865) ، وإن كان صقل الحجارة و المواد الخشنة معروفا خلال العصر الحجري القديم والوسيط إلا أنه كان نادرا، وعلى نطاق ضيق مقارنة بالعصر الحجري الحديث إذ اقتصر فقط على الصناعة الخاصة بالتماثيل الصغيرة والأواني الحجرية ولم يتعداهما إلى غيرهما من الأدوات المتنوعة الأخرى: محمد رشدي جراية: (2007-2008)، ص40

(3) استمر العصر الحجري الحديث في المغرب العربي لغاية (1200) ق.م مع وصول الفينيقيين وفي المناطق الداخلية يستمر هذا العصر حتى العصر الروماني: رشيد الناضوري: (1981)، ص 124

ج – العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Palaeolithic)

1- القفصي والوهراني:

أ – القفصي الأول أو القفصي الأنموذجي

ب-القفصي الثاني أو القفصي الأعلى(= حجري وسيط أي ميزوليثي؟)

III- العصر الحجري الوسيط (Mesolithic)

تشبه الاطوار الأخيرة من القفصي والوهراني الأدوات المايكروليثية المميزة للحجري الوسيط، ومنها اشتقت أدوات العصر الحجري الحديث التالي.

IV- العصر الحجري الحديث (Neolithic)

1- نيوليثي من أصل قفصي = نيوليثي صحراوي (Neolithic of Capsien Tradition =Saharian Neolithic)

2- نيولثي من أصل وهراني (Neolithic of Oranian Tradition)

3- نيولثي متأخر [1].

تظهر آثار الانسان القديم في ليبيا في الكهوف الليبية التي كونتها العوامل التعرية الطبيعية أو ما يعرف ظاهرة السواحل أو الشواطئ البحرية العالية فالمعروف مستويات البحار قد تبدلت كثيرا في أزمان متفاوتة في الدهور الجيولوجية الماضية، مما كان يؤثر في مستويات سواحلها من ارتفاع وانخفاض وهذا أثر في نحت الصخور وتكوين المصاطب البحرية (Terraces) والكهوف والحفر التي احدثتها أمواج ذلك البحر وفي السهول الساحلية وكثبان الرمال المجاورة للساحل القديم ويرجع اغلب المظاهر الى دهر البلايستوسين ولاسيما المعالم التي وجدت في الساحل الافريقي الشمالي، وقد أجرى الباحثان (McBurney) و (Hey) [2] في سواحل برقة من الجبل الأخضر سلسلة من التحريات في موضوع ظاهرة السواحل العالية وربطا عدة تحريات أثرية اجرياها في الكهوف المحدثة بهذه الظاهرة في تعين أدوار الأدوات الحجرية التي وجداها، ووصلا إلى نتائج مقاربة إلى نتائج التي حققها الباحثون الفرنسيون في سواحل المغرب، وتوصلا بان المستوى العالي للسواحل بلغ 15-18م وحتى إلى 19 متر في الساحل الافريقي الشمالي وذلك في الفترة الجليدية الثالثة أي الفترة الواقعة ما بين العصرين الجليديين (رس) و (ورم) بينما المستوى العالي (30) متر كان يعاصر الفترة الجليدية الأولى وهذه العصور الجليدية والدفيئة حدثت في دهر البلايستوسين [3] وكونت الكهوف ومنها:

---

(1) طه باقر: (1968)، ص 20

(2) Charles Brian Montagu McBurney and Richard William Hey: (1955)

(3) طه باقر: (1968)، ص 14-15



شكل 13: كهف هوا فطيح يقع في الجبل الأخضر ببرقة

1ـ كهف هوا فطيح (Haua Fteah)

من الممكن القول أنه حتى سنة (1952) كان الأمل في العثور على أية حفريات بشرية قديمة ضعيفا، نتيجة لبحوث العلماء الإيطاليون الذين نقبوا دون أن يوفقوا طوال الأربعين سنة من القرن الماضي، غير أن البعثة البريطانية برئاسة الآثاري(McBurney) [1] حالفها الحظ أثناء قيامها بالتنقيب عن حضارات الإنسان الأولى في كهف (هوا فطيح) (Haua Fteah)، الذي يقع إلى الشرق من بلدة سوسة (أبولونيا القديمة) بالجبل الأخضر ببرقة، والكهف ذو سقف نصف دائري قطره (80) مترا وارتفاعه (20) مترا وعلى بعد مئات الأمتار عن ساحل البحر وسط منطقة خصبة، ويشرف على الطريق القديم الذي كانت الهجرات تعبره من مصر وإلى المغرب [2].

إذا بدأنا بسطح الكهف نجد آثارا من عهد الاستيطان الاغريقي في القرن السابع ق.م، ثم آثار الليبيين القدماء، ويليها إلى الأسفل أدوات من العصر الحجري الحديث، أما خلاصة الطبقات المكتشفة فهي:

الطبقة الأولى: وهي الطبقة السفلى من الكهف، وتقع على عمق (14) متر من سطح الأرض، وقد عثر بها على أدوات حجرية تعود للعصر الحجري القديم الأسفل، وقد قدر تاريخها بحوالي (90000) سنة منذ الوقت الحاضر.

---

(1) Charles Brian Montagu McBurney and Richard William Hey:" (1955). p. 261

(2) عبد اللطيف محمد البرغوثي: (1971)، الجزء الأول ،ص39

الطبقة الثانية: وترجع للفترة ما بين (40000-60000) سنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات من العصر الحجري القديم الأوسط، وفك أنسان يحوي على الأضراس الخلفية، ثم عثرت نفس البعثة عام (1955) وفي نفس الطبقة على فك آخر لإنسان (الجزء الخلفي)، وقد تبين بعد فحص الفكين أن كلاهما أيسر، وهذا يثبت أنهما لاثنين من الناس احدهما لرجل بالغ والثاني لفتى بين (12) و(14) عاما، وان الدراسات الدقيقة التي أجريت عليهما ينتميان إلى إنسان نيادرتال، وهو أقرب إلى السلالة التي ينتمي إليها إنسان حفرية الطابون بالكرمل من فلسطين ويشترك بصفات مع إنسان المغرب النيادرتالي، والمعروف أن مدة انتشار الإنسان النيادرتالي على سطح الأرض ما بين (150000-40000) ق.م [1].

الطبقة الثالثة: وترجع للفترة ما بين (14500-40000) سنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات حجرية من العصر الحجري القديم الأعلى من نوع الأدوات التي وجدت في حقفة (الضبعة) في المرتفعات الوسطى من الجبل الأخضر، وهي صناعة شبيهة بالصناعة العمرونية في الأردن وفلسطين ولبنان.

الطبقة الرابعة: وترجع للفترة ما بين (10000-14000) سنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات حجرية ترجع للثقافة الوهرانية.

الطبقة الخامسة: وترجع للفترة ما بين (7000-10000) سنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات حجرية سماها الباحث (McBurney) بالثقافة القفصية-الليبية.

الطبقة السادسة: ترجع لحوالي (7000) سنة منذ الوقت الحاضر، وقد عثر بها على أدوات حجرية ترجع للعصر الحجري الحديث، وقد توصل الباحث (McBurney) من خلال مكتشفات هذه الطبقة إلى أن الإنسان الذي استقر بهذا الكهف في تلك الفترة، كان قد توصل إلى بدايات استئناس الحيوانات، وإلى صناعة الفخار وإلى الرعي والزراعة على نطاق محدود وبشكل بسيط [2].

2- كهف الطيور (Hagfet Tera) [3]

اكتشف سنة (1937) من قبل الآثاري الايطالي (Petrocchi)، وأول زيارة علمية للكهف قامت بها استاذة النقوش جويس رينولدز عام (1974)،

---

(1) محمد مصطفى بازامه: (1973)، ص 100

(2) Charles Brian Montagu McBurney: (1967) // Charles Brian Montagu McBurney, J. C. Trevor and L. H. Wells: (1953). Pp. 71-85

(3) كهف الطيرة (Kaf Tahr) كهف من الحجر الكلسي تكون خلال عصر الميوسين وهو يقع في جبل أكدار (Akdar) في برقة عند الطرف الشرقي من سهل برقة الساحلي، وعلى بعد عشرة كيلومترات إلى الداخل من بنغازي وهو يفتح إلى الجنوب الغربي.

وتكمن أهمية هذا الكهف في أن محتوياته من الأدوات الحجرية والعظام وغيرها من المخلفات وجدت على ما تركت عليه دون أن تمتد إليها يد العبث، وأنه يحتوي على أدوات يرجع بعضها إلى العصر الحجري القديم الأوسط بينما يرجع البعض الآخر إلى العصر الحجري القديم الأعلى (1)، وسمي بهذا الاسم لكثرة الطيور التي نقشت على جدران الكهف وسقفه، وقد جسدت مشهد مجموعة من الطيور ذات المناقير الطويلة رسمت بأشكال مختلفة بعض الرسوم كانت بشكل مقلوب، لعلها تمثل طائر الحجل، وهناك أشكال طيور أخرى غير واضحة نقشت في أماكن مختلفة من الكهف، وبالإضافة لمجموعة الطيور يوجد نقش لحيوان الغزال على سقف التجويف وبعض النقوش الإغريقية اغلبها أسماء شخوص بعضها قد يكون ليبي الأصل مثل اديداس، والاسماء الاغريقية الأخرى هي كاليماخوس و ديديموس و اريماس و خاريلاس ، وبعضها ذات اصل لاتيني مثل بوبليوس و بروكلوس ، ونقشت تلك الأسماء إلى جانب الرسوم الصخرية.

أما عن تاريخ النقوش فنسبها الآثاري (McBurney) الرائد في دراسات ما قبل التاريخ بليبيا إلى أسلوب الحضارة أو الثقافة القفصية التي بدأت في بداية الألف الخامسة ق.م، أو بشكل عام هي نقوش ترجع إلى عصر يسمى الرعي أو الرعاة، وتشبه مخلفات الانسان في هذا الكهف مخلفات انسان كهف هوا فطيح (2) .

3- كهف النعامة

اكتشف العام (1990)، وسمي بكهف (النعامة) لوجود رسم كبير لطائر النعامة وهو أول ظهور للنعامة في نقوش ما قبل التاريخ في شرق ليبيا، والموقع قد استعمل في العصرين الإغريقي والروماني، والدليل على ذلك انتشار شقف فخارية أمام الكهف إضافة إلى وجود صهريج مبطن بجانب الكهف، كما ويلاحظ أن نقوش هذا الكهف أكثر وضوحا وحفظا من نقوش الكهف الأول، كما أنها تتميز بكبر حجمها ولا سيما المجموعة الأقدم، حيث توجد بالكهف نقوش ترجع إلى فترتين حضارتين، الأقدم التي ربما ترجع إلى عصر الرعي أو الرعاة وإلى الحضارة القفصية أو أقدم من ذلك، وتمثلت نقوشها في حيوانات متنوعة من بينها نعامة تعدو باتجاه اليسار، وهناك بقرة خلفها عجل يركض نحوها، ومشهد بقرة أخرى، إضافة إلى ثلاث غزلان إحداها صغير، يلاحظ وجود بعض الطيور وحيوانات أخرى منقوشة ولكنها غير واضحة، ويمكن مقارنتها بالرسوم الصخرية في منطقة الأكاكوس وغيرها من مواقع الفن الصخري في ليبيا.

---

(1) عبد اللطيف محمد البرغوثي: (1971)، الجزء الأول ،ص39

(2) مصطفى كمال عبد العليم: (1966)، ص5

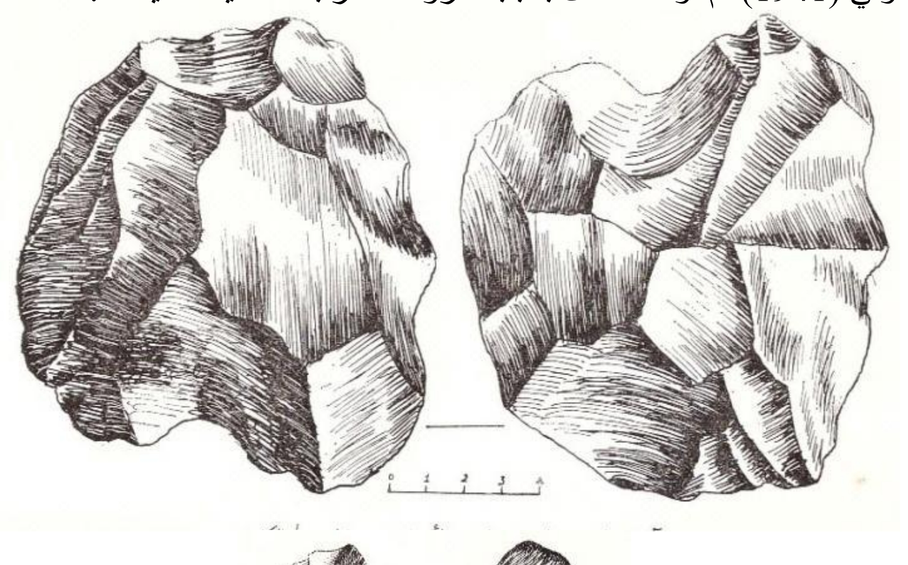
اكتشاف الآثار المادية في ليبيا

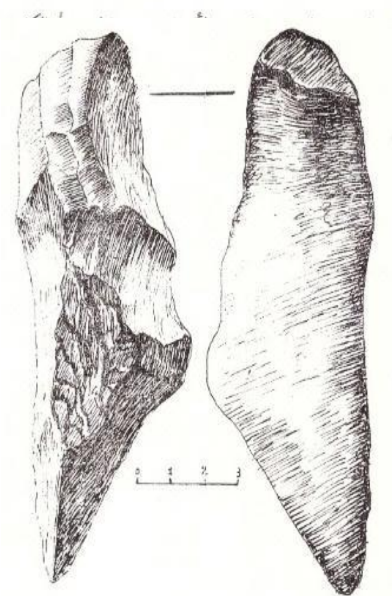
لقد قسم العلماء الفترة التي أعتمد فيها الإنسان على الحجر (الصوان) في صناعة أدواته وأسلحته إلى ثلاثة عصور حجرية: العصر الحجري القديم (Palaeolithic)، والعصر الحجري المتوسط (Mesolithic)، والعصر الحجري الحديث (Neolithic)، كما قسموا القديم منها لطول عهده إلى أسفل، وأوسط، وأعلى، وأعتبر العصر الحجري الأوسط فترة انتقالية بين العصر الحجري القديم والحديث.

وقد عثر الرحالة (Hans Visher) على بعض قطع (رؤوس سهام ومدى) من منطقة جفارة المحيطة بمدينة طرابلس، كما عثر (Bertholon) و (Chantre)على بعض الأدوات الحجرية في منطقة المنشية بطرابلس (ضواحي المدينة) [1]، كما عثر الباحث (Foureau) على آلات حجرية مبعثرة بوادي جنيبر أو قنيبر (Gennèber) إلى الجنوب من غدامس على الطريق إلى غات، وقد وجد بعض الآلات الحجرية الأشولية ضمن العصر الحجري القديم الأوسط، وبعد سنوات لاحظ الجيولوجي (Pervinquiére) (عضو اللجنة الفرنسية-التركية لتخطيط الحدود بين طرابلس وتونس) وهو عائد من غدامس سالكا الطريق المحاذية للحدود، وفرة الشظايا المبعثرة على سطح الأرض، وقال إن بعضها يبدو أنه صناعة بشرية، وفي بحث نشره (Parona) تحدث عن بعض الآلات الحجرية الأشولية، والتقط الباحث (Aurigemma) في ضواحي سيدي بالنور بعض آلات من العصر الحجري الحديث، والتقط أحد الضباط الايطاليين ويدعى (كورو) بعض آلات من منطقة الحدود الغربية ومن سيناون، وكانت تعود إلى العصر الحجري القديم وبعضها للحديث [2]، وعثر (Gregory) في برقة في مدخل وادي درنة وبالقرب من شلال أبي منصور على بعض الآلات الحجرية ربما كان هذا الوادي مركزا للتجمع البشري في عصور ما قبل التاريخ، كما عثر (Zanon)على عدة آلات حجرية في كل من الفويهات (قرب بنغازي)، وتيوكيرا (وهي بلدة توكرة الحالية وتقع شمال سهل بنغازي الفسيح عند البحر، وتبعد عن بنغازي (65) كلم)، وفي سلوق، والرجمة، وكانت حوالي (600) قطعة في مجموعها، وعثر (Alemanni) على بعض القطع الحجرية من منطقة الزردة بالقرب من مدينة المرج القديمة وكانت تعود إلى العصر الموستيري (العصر الحجري القديم الأعلى)، وأجرى الآثاري (Petrocchi) حفريات في كهف الطيرة (Kaf

(1) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص 121
(2) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص 122

Tahr) في جبل أكدار (Akdar) في برقة (كما اسلفنا) ولم ينشر غير تقرير أولي (1941) ثم توقف العمل بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية [1].





شكل 14: آلات العصر الحجري القديم الأسفل (بير الحرش/ الكفرة) (اليمين)، شكل آلات العصر الحجري القديم الأدنى (منطقة الكفرة / الصحراء) (عن محمد مصطفى بازامة: ص 133-135)

(1) حول الرحالة والتنقيبات لعصور ما قبل التاريخ : محمد مصطفى بازامه: (1973)، ص 123-121

Amilcare Fantoli: (1929 and 1930). No. 1.

أعتبر العصر الحجري الحديث آخر العصور الحجرية وقد حدد الآثاري (McBurney) من خلال حفرياته التي قام بها ما بين (8000-2700) ق.م، وتعود حضارة هذا العصر في ليبيا إلى القفصية (Capsian) (نسبة إلى قفصة في تونس) [1] ، وهي عند (McBurney) ذات دورين : يستغرق الأول منها ما بين (8000-5000) ق.م ويمتد الثاني بين (5000-2700) ق.م، ويعلق بان الحضارة القفصية في ليبيا الشرقية (برقة) ليست خالصة، وإنما هي حضارة ليبية قفصية مشتركة بمعنى تمازج حضاري نتيجة مقدم جماعة بشرية من صقلية وجنوب إيطاليا عبر كريت إلى برقة واستقرارهم بها حاملين معهم أسس الحضارة التي خالطت القفصية، وقد رفضت هذه الفكرة على اعتبار عدم وجود معبر بري يربط الشاطئين في هذا التاريخ القريب، أما الدور الثاني فقد تحول الانسان إلى الرعي بدلا من الصيد الأمر الذي تدل عليه بقايا عظام الحيوانات المستأنسة من الأغنام، وهناك قطع من الفخار ذات صلة بالصناعات الفخارية المغربية، فقد كان بداية استخدام النقش للتلوين على الأدوات والعظام والمحار وقشر بيض النعام [2].

تظهر ابتداء من الفترة ما بين (4500-3000) ق.م آثار كهف هوا فطيح بعض الدلائل على صلة الحضارة الليبية آنذاك بحضارة مرمدة (شمال غرب الدلتا)، ولا يوجد دليل على أية صلة بحضارة الفيوم أو ما يقع جنوبها، وفي الطبقات العليا من الحفريات والتي ترجع إلى ما بين (2500) ق.م والزمن التاريخي، وعلى الرغم من عبث اليونان والرومان فيها بحفر أساسات وإقامة مبان صغيرة داخل الكهف، فقد أمكن العثور على ما يشير إلى أتصال مؤكد بفراعنة مصر في عصور ما قبل الأسرات والدولة القديمة، كما عثر على بعض الأدوات المعدنية من البرونز ومن الحديد.

أن البحث عن عصور ما قبل التاريخ في الشمال الافريقي يعيننا في تتبع الهجرات البشرية الكبرى وانتشار التيارات الثقافية بين تلك المناطق الجغرافية الحيوية ويمنحنا الضوء الذي يكشف الهجرات البشرية في الشرق الادنى بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص، ولقد أكد العلماء في علم اللغة المقارن وفي حقل اللغات السامية والحامية بأن أهم فروع العائلة الحامية على ما هو معروف هي اللغة المصرية القديمة وجميع اللغات الليبية القديمة (أي البربرية)، وأن الصلة بين اللغة السامية والحامية قديم وذات أصل واحد وان المتكلمين بتلك العائلة اللغوية قد تفرقوا أو تفرعوا إلى أقوام كثيرة بهجرات

(1) حضارة قفصة الدنيا والعليا انتشرت في مساحة تبلغ مائة وعشرين ألف كيلومتر مربع تقريباً على السفوح الجنوبية الشرقية لكتلة جبال أطلس، فهي بذلك حضارة داخلية قامت بمعزل عن الساحل التونسي الذي كانت تقوم على امتداده حتى خليج قابس في الشرق وحتى المحيط الأطلسي في الغرب حيث حضارة وهران المعاصرة لحضارة قفصة العليا.

(2) Charles Brian Montagu McBurney: (1968).

كبرى متعاقبة تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ قبل نحو (15000- 10000) عام ق.م [1].

حضارات وعصور ما قبل التاريخ الحجرية في ليبيا				
الزمن الجيولوجي	العصر الحجري	الإنسان	الزمن بالسنين "من الآن"	الحضارة
الحديث	العصر التاريخي		٤,٥٠٠ / —	البرونز / الحديد
		الأجناس المعاصرة	٧,٠٠٠ / ٤,٧٠٠	الليبية القفصية "٢"
	الحديث المتوسط		١٠,٠٠٠ / ٧,٠٠٠	الليبية القفصية "١"
			١٤,٠٠٠ / ١٠,٠٠٠	الليبية الوهرانية
البلايستوسيني	القديم: الأعلى	الحديث	٤٠,٠٠٠ / ١٥,٠٠٠	الضبعانية
	الأوسط			اللفالوازية الموستيرية
			٦٠,٠٠٠ / ٤٠,٠٠٠	العاطرية .. ؟
		نياندرتال		اللفالوازية الموستيرية
			٩٠,٠٠٠ / ٦٥,٠٠٠	ما قبل الاورينياسية
	الأسفل		؟٠٠٠ / ٩٠,٠٠٠	.... ؟
		القديم	؟٠٠٠ /	.... ؟
البليوسين ؟	الأوليثي "فجر العصر الحجري"		١,٥٠٠,٠٠٠ / ٥٠٠,٠٠٠	الحصوية

جدول 4: العصور الحجرية في ليبيا (عن محمد مصطفى بازامة ص153)

(1) رجب عبد الحميد الاثرم: (1998) ، ص 71 وما بعدها

الفصل الثالث

الحفائر الاثرية لعصر فجر التاريخ

ازدادت عمليات التنقيب عن الآثار بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام (1830)، واستغل علم الاثار لدعم الخطاب الاستعماري الذي ساهم في تقديم التبريرات لاستعمار افريقيا، فأصبح ماضي شمال افريقيا الروماني مبررا للغزو الفرنسي والإيطالي بحجة ان هدفهم إيصال الحضارة للبربر القدماء السكان الاصليون لشمال افريقيا، وبدأت عملية الاكتشاف الأوربي للآثار الرومانية والمدن والمعابد والكنائس واغلبها كانت بحالة سليمة، أما نظرة الأوربيين في القرن التاسع عشر للعرب والبربر بانهم شعوب غير متحضرين ومتوحشون وغير قادرين على الحكم بأنفسهم.

استخدمت بعض الآراء للتفريق بينهما وبأن البربر يمكن استيعابهم بسهولة اكثر من العرب بسبب ماضيهم الروماني، وهذا الشكل من الاستعمار الفكري انعكس على علم الآثار، مما أدى إلى اختلال توازن الجهود البحثية بان جعلت الفترة الرومانية من الأوليات، ومن الطبيعي أدى هذا إلى تحريف تفسير الاكتشافات الأثرية، فاستخدمت الرموز الاستعمارية والعناوين والمصطلحات من قبل الإدارات الاستعمارية الفرنسية والإيطالية، ودرست النصوص اللاتينية واليونانية حول البربر القدماء من أجل فهم طبيعة السكان الأصليين المعاصرين، كما قدم علم الآثار فوائد مهمة لفرنسا مثل الخرائط وتسجيل المستوطنات الرومانية، والحصون، والطرق، والصهاريج، والقنوات المائية، ولذلك أجريت تحقيقات أثرية مبكرة من قبل هواة مرتبطين بالسلطات الاستعمارية مثل الجنود، والأطباء، ورجال الدين المسيحيين ... إلخ)، وافتتحت المتاحف منذ وقت مبكر في الجزائر (1838)، كما أنشأ المستوطنون الفرنسيون مجلات علمية تختص بعلم الآثار المحلية، واقيمت المتاحف التي خصصت إلى حد كبير لعلم الآثار الرومانية، وكانت جمعية (الآباء البيض) (White Fathers) مفيدة أيضا في تمويل وتوجيه الحفريات الأثرية لاستعادة التراث اليهودي المسيحي في شمال أفريقيا [1].

أصبح علم الآثار في ثمانينيات القرن التاسع عشر أكثر رسمية، فقد تم إدخال تشريعات أثرية، وإنشاء قسم آثار جزائري لمراقبة الحفريات، وإدارة المتاحف، وحماية المعالم التاريخية لجميع الفترات، وطبقت تلك التشريعات في

---

(1) جمعية الآباء البيض أو جمعية المبشرين في افريقيا تأسست عام (1868) في الجزائر على يد رئيس الأساقفة الكاردينال (Charles Lavigerie)، وتركز الجمعية جهودها على الكرازة والتعليم، وعندما انتشر وباء الكوليرا عام (1867) ترك عدد كبير من الايتام الجزائريين فكان لابد من توفير المأوى لهم واخضاعهم للتعليم المسيحي في منطقة الحراش بالقرب من العاصمة الجزائر، وتوسعت هذه الجمعية التي عملت على تنصير العرب وشعوب وسط افريقيا بإنشاء مراكز تبشيرية في منطقة القبائل والصحراء عام (1976)، وقد تعرضت هذه الجمعية التبشيرية إلى رفض البربر والعرب لها أدى إلى مقتل عدد من المبشرين واجبر أعضاء الجمعية الانتقال إلى تنجانيقا واوغندا والسودان.

المحميات الفرنسية لتونس (1881) والمغرب (1912)، والحماية الإسبانية لشمال المغرب (1912)، والاستعمار الإيطالي في ليبيا (1911)، كما أجريت عمليات ترميم وبناء المواقع الرومانية، والمباني الأثرية وجمع الفسيفساء والتماثيل المكتشفة، ففي أوائل القرن العشرين في ليبيا، على سبيل المثال، أعيد بناء المواقع الرومانية كجزء من الدعاية الفاشية الإيطالية التي شددت على التراث الإيطالي في ليبيا (1).

من هنا سوف اتناول التنقيبات الاثرية في دول ليبيا وتونس والجزائر والمغرب خلال حكم الدول الاستعمارية لأن الحفائر تناولت فترة العصور الحجرية القديمة:

الحفائر الأثرية لعصر فجر التاريخ في المغرب

من بين الاشكاليات التي تطرح بشأن تاريخ المغرب القديم إشكالية فترة فجر التاريخ التي دامت مدة معتبرة، كما تعتبر مرحلة انتقالية وفاصلة بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي، ويعتقد الباحث (أورفه لي) أن بلدان المغاربية القديمة بدأت تدخل مرحلة فجر التاريخ منذ النصف الثاني من الألف الثانية ق.م(2)، والسبب الذي أدى إلى دراسة هذه المرحلة هو اكتشاف المعالم الميجاليثية المنتشرة بكثرة في شمال إفريقيا (3)، وذلك بالاعتماد على المعطيات الاثرية والتأثيرات الحضارية المتوسطية، فهناك صعوبة في سردنا لتاريخ الكشف الاثري بالمملكة المغربية ذلك ان الحفائر الاثرية لم تبدأ بالمغرب إلا بعد عصر الحماية، ولقد قسمت القوى الاستعمارية التي سادت قبل استقلال المغرب البلاد إلى ثلاث مناطق للحماية **اولاها** وهي مدينة طنجة وضواحيها وكانت منطقة دولية، **وثانيها** المغرب الشمالي والصحراء المغربية وسبتة ومليلية (Melilla) وكانت تحت الحماية الاسبانية، **وثالثا** ما بقي من المغرب وكانت تحت الحماية الفرنسية، وكان البحث الاثري يجري في كل منها مستقلا عن الأخرى (4)، حتى جاء الاستقلال فنظم العملية ورتبها وأمكن بالتالي وضع السلم الزمني والحضاري للمواقع التي أمكن العثور على التقارير العلمية لحفائرها، أما تلك التي ضاعت أو نهبت محتوياتها على ايدي الاوربيين من لصوص الآثار فلم يتمكن العلم من تعويضها، واهم الآثار التي تعود لفترة فجر الحضارة :

---

(1) Corisande Ferwick: (2012)

(2) محمد خير أورفه لي: (1996)، ص26

(3) مصطلح الميجاليثي (Mégalithe) هو مصطلح إغريقي يتكون من شقين ليتوس (Lithos) وتعني الحجر ومغاس (Megas) وتعني كبيرا بمعنى (الحجر الكبير)، ويطلق عليها الباحثين العرب تسمية (المقابر الجلمودية) أو (المدافن الجلمودية) نظرا لاستخدام جلاميد صخرية ضخمة: محمد حسين فنطر: (1985)، ص 7
Furon Raymond: (1958). p. 376

(4) أحمد حسن الباقوري: مغرب الاستعمار الفرنسي، ص 74-76

1- المنطقة الشمالية للمغرب

أن أهم الآثار التي تعود لفترة فجر التاريخ في المنطقة الشمالية للمغرب عبارة عن جبانات من اللحود المبنية بالحجر والتي تسمى دولمن (Dolmens)، ومباني كبيرة من اللبن والحجر يصاحبها شواهد من الحجر المصقول تعرف باسم (المنهير) ويسميها أهل المنطقة بالوتد، ولوحظ أن انسان تلك المرحلة لم يترك قرى كثيرة مثل نظيره في الشرق الأدنى القديم، بل اعتمد على الكهوف والمغارات التي تركتها عوامل التعرية الطبيعية على طول الساحل الافريقي والاطلسي بالإضافة إلى الكهوف الداخلية والصناعية التي حفرتها يد الانسان [(1)] .

يرجع أول ذكر لهذه الآثار في المحافل الاوربية إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر عندما قام السير أرثر كوبل (Coppel) عام (1829) بزيارة للمغرب واسبانيا وعند عودته كتب في تقرير رحلته عن القبور الميجاليثية المتناثرة في نواحي كثيرة من شمال المغرب كما ذكر البناء الميجاليثي الكبير الموجود بقرية مزورا جهة سيدي الاثنين اليمني والواقع على بعد (15) ميل شرقي مدينة أصيلة [(2)].

ثم قام العالم الفرنسي (Tissot) بزيارة إلى منطقة طنجة وما جاورها (1871-1876) م وترك وصفا للحود والقبور التي زارها وسمى العصر الذي ترجع اليه تلك القبور بعصر مقابر الدولميني (Periode Dolmerique) وقال بان هذه المدافن توجد اكثريتها في منطقة طنجة وهذا غير صحيح ولو أن (Tissot) معذور في ذلك لان اوربا لم تكن في ذلك الوقت تدري شيئا يذكر عن آثار المغرب وقد أرجع تلك اللحود التي أجرى فيها حفائره إلى قوم من الجنس الابيض [(3)].

كانت أولى المدافن التي حفر فيها (Tissot) هي الموجودة بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي في جهة بلدة المريس جنوب مدينة طنجة ولم يكتب شيئا يذكر عن تلك اللحود سوى وصف جغرافي لموقعها ووصف هزيل لها، وفي عام (1904-1907) جاء كل من (Buchet) و (Salmon) [(4)] وكشفا ثلاث جبانات من قبور احدهما التي سبق لـ(Tissot) أن عمل فيها وأخرى بجوارها (قرب الجبانة الأولى)، اما الثانية فعلى مسافة ثلاثة أميال في أعلى وادي بوخليف الذي يصب في المحيط الأطلسي غرب المريس، وعلق الآثاري (Ponsich) على عمل (Buchet): (لم يعطي الباحث بوشيت أي معلومات صحيحة، لأن الوصف الجغرافي لمختلف المواقع كان قليل جدا ومحدد إلى حد

---

(1) رشيد الناضوري: (1977)، ص152

(2) Sir Arthur Coppel de Prock: (1831). p. 36

(3) Charles-Joseph Tissot: (1876). Pp. 384-392

(4) Gaston Buchet: (1907). Pp. 396-399

ما، ولأن سراق القبور لم يتركوا أي شيء نتوصل من خلاله عن تاريخ تلك المواقع) [1] .

في عام (1908) حفر (Michaux-Bellgaire) في جبانة المريس إلا أنه لم ينشر تقريره عن تلك الحفائر إلا في سنة (1921) [2]، ويرجع الفضل إلى الآثاري (Jodin) في فحص الجبانة السالفة الذكر ورغما عن انه لم يعثر بها على أشياء تستحق الذكر إلا ان الفضل يرجع اليه في وضع أصحاب تلك المدافن في مكانهم الصحيح من عصر فجر التاريخ بالمغرب وذلك بعد حفائره هناك عام (1964) [3].

تنتشر جبانات الدولمن في نواحي طنجة وتطوان والذي جرت الحفائر فيها في نواحي طنجة هي جبانات المريس ثم الدار الكبيرة، فجبانة عين دالية (Ain al-Daliat)، فالمرس، (الجبانة الصغيرة والكبيرة) فأما جبانة المريس فتقع على الحافة الشمالية لسبخة سيدي قاسم (Sidi Kassem) وعلى بعد نصف ميل جنوب وادي بوخليف وعلى بعد ميل ونصف من شاطئ المحيط الأطلسي، والجبانة عبارة عن مجموعتين من القبور تقعان فوق ربوتين عاليتين من الأرض في الشمال الغربي منهما (14) قبر، أما الربوة الجنوبية الشرقية فيوجد بها ستة قبور، ويذكر الآثاري (Buchet) في تقريره أنه لم يعثر في هذه الجبانة على أية صناعة من الحديد بينما وجد في أحدى قبور عين دالية موس من البرونز، وفأس برونزية في إحدى قبور المرس.

أما جبانة الدار الكبيرة فتوجد قرب قرية بوجدور (Bojador) على الطريق الجانبية رقم 703 بين الرباط وطنجة وإلى الجنوب من المدينة الأخيرة باثني عشر ميلا، والجبانة تقع على مرتفع من الأرض تشرف على سبخة بالقرب منها مدافن ترجع للعصر الفينيقي.

تقع جبانة المرس بالقرب من مطار طنجة (بوخليف) عند علامة الكيلومتر (14) على طريق طنجة الرباط الرئيسي، وقد عثر على بعض الهياكل العظمية في هذه الجبانة كما عثر فيها على فأس من البرونز وبعض القطع الفخارية ومن ضمنها سلطانيتين كاملتين [4].

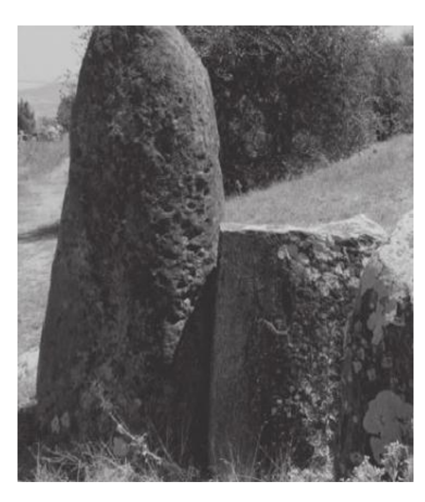
عثر الآثاري (Quintero Auturi) في وادي رأس (Wad Ras) قرب الطريق المؤدي من طنجة إلى تطوان على جبانة دولمن (قبور حجرية) عام (1940) خلال فترة الحماية الاسبانية [5].

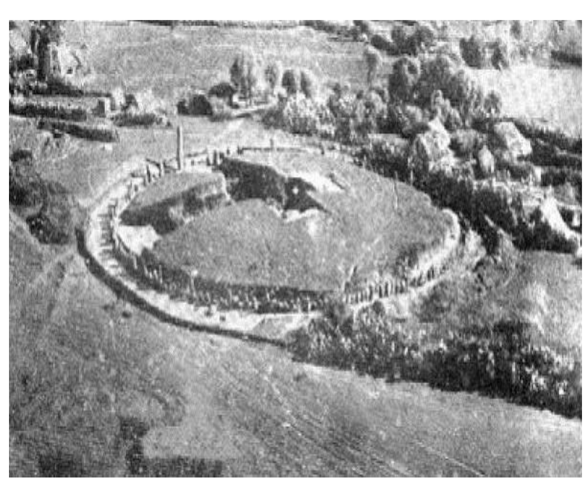
لم يحظ أثر في المغرب بمثل ما حظي به البناء الاثري الكبير المعروف في مزورا (Mezora) من اهتمام سواء المؤرخين أو الاثريين فقد

---

(1) Michel Ponsich: (1970). p. 39
(2) Edouard Michaud-Bellaire: (1921). p. 26
(3) André Jodin: (1964a). Pp. 11-45
(4) Michel Ponsich: (1970). Pp. 37-64
(5) Quintero P. Auturi: (1941). Pp. 563-564

زاره الباحث (Sir Arthur Coppel) عام (1829)، وكتب عنه الباحث (Bleicher) بكتابه وصف كامل عن الأثر نشره عام (1875) [1]، كما زاره الباحث (Tissot) وذكر انباء زيارته في مقالات، وزار الموقع أيضا عام (1914) الفرنسي (Pallary) وكتب عنه [2]، كما كتب عنه الرحالة الألماني (Koehle) [3]، كما كان موضع اهتمام العلماء الاسبان منذ أوائل أيام الحماية على المنطقة الشمالية [4]، وقد قام (De Montalban) بمحاولة معرفة ما بداخل الأثر فكان سببا في تدميره لجهله بأصول الحفائر الأثرية عام (1935-1936)، وقام العالم الاسباني الكبير (Tarradell) [5] أيضا بدراسة هذا الأثر والنشر عنه ولو أنه لم يجري أية حفائر بالموقع.





شكل 15: صورة للموقع الاثري ميزورا أخذت عام 1934 وتظهر عمليات الحفر التخريبي التي اجراها (De Montalban)، ويحيط بالأثر شواهد المانهير (اليمين)، المنهير المنتصب علية ثقوب صغيرة وكبيرة يعتقد انها تعود لفترة قطع الصخور من المحجر(اليسار)

هذا الكوم العالي من البناء هو في الحقيقة بناء دائري على شكل قبة تحيط به شواهد المانهير، وقد تكلم عنه رجال الآثار على أنه قبر ولكنهم لم يجدوا فيه أي لحد أو مدفن أو تابوت أو هيكل عظمي وعلى أية حال فسوف نتناول هذه المشكلة فيما بعد بالتحليل والاضافة.

أما منطقة ليكسوس (العرايش حاليا) ووادي ليكوس فقد ذكر الباحث (Tissot) ومن بعده الباحث (Pallary) في مقالاتهم التي سبق أن ذكرناه

(1) Marie-Gustave Bleicher: (1875). Pp. 211-212
(2) Paul Pallary: (1915). Pp. 193-217
(3) Henry Koehler: (1932). Pp. 413-420
(4) Angelo Ghirelli: (1930). p. 192-195
(5) Miguel Tarradell: (1952). Pp. 229-239

انهمـا لاحظـا وجـود العديـد مـن مقـابر الـدولمن بتلـك المنطقـة، كـذلك كتـب (Pallary) عـن وجـود قبـور التمـولي (Tumulus) فـي النـواحي المحيطـة بتطـوان، ودون الاسـباني (Ghirelli) ملاحظاتـه عـن زيارتـه عـام (1930) لجبانـة مـن طـراز (Tumulus) فـي جهـة بنـي معـدان (Maadan) بمنطقـة الريف [1]، ووجد (Auturi) قبرا من طراز الدولمن بجهة وادي لو (Wade Lo) (تقع بين مدينتين هما تطوان وشفشاون [2]على ساحل البحر المتوسط) عـام (1940) [3]، وتعتبر مواقع الرسوم الصخرية أيضا من أهم المواضيع التي لفترة فجر الحضارة، فقد عثر على مركز للرسوم الملونة قرب القصر الكبير في حقفه قرب بني يسف (Beni Issef) وقد نشر عنها (Garcia Harandez) عام (1941) [4].

2ـ منطقة شرق المغرب

كانت حصته من البحوث الأثرية لا بأس بها وقد حظي عصر ما قبل التاريخ بنصيب وافر منه، وقد بدأت تلك البحوث بالزيارة التي قام بها أحد الضباط الفرنسيين للمنطقة وهو (Capitaine Voinot L) عام (1909) واليه يرجع الفضل في تحديد أماكن قبور (Tumulus) الموجودة في شمال وجنوب وجده [5]، كما وان التمولي الموجود في وادي أسلي (يقع عند سيدي بولنوار في وجده انكاد) أيضا قد لاقت من ينشر عنها في عام (1939) [6]، كما وان الآثاري (Lambert) قد نشر تقرير عن مشاهداته في أعالي نهر الملوية، ونشر هذا التقرير في حولية الآثار المغربية للعدد الخامس عام (1964) ولم تحظى الرسوم الصخرية بشرق المغرب سوى اهتمام ضئيل يتلخص في تقرير من صفحتين في حولية الآثار المغربية العدد السابع عام (1967)، ففي متحف (PRM) وهو اختصار لـ(The Pitt Rivers Museum) التابع لجامعة اوكسفورد هناك (40) قطعة أثرية تعود للعصر الحجري في المغرب عثر عليها (Moseley) بجوار منطقة مكناس وتشمل صناعات الايبرو- مورية (Ibero-maurusian) المنتشرة في السواحل المتوسطية لشمال افريقيا، واسبانيا وأعطى كاربون 14 تاريخ لهذه الفترة (9000-20000) ق.م، و(5) قطع صناعة دقيقة (Microliths) من موقع تفورالت (Taforalt) في شرق المغرب، وهذا الموقع عبارة عن كهف يعود

---

(1) Miguel Ghirelli: (1931). p. 35

(2) مدينة تطوان (Tetouan) أو تيطاون أو تطاون بالامازيغية، ويطلق عليها لقب الحمامة البيضاء، مدينة شفشاون (Chefchaouen) الاسم الأصلي للمدينة أشَاون أي القرون بالامازيغية.

(3) Quintero P. Auturi: (1941). Pp. 563-564

(4) Garcia Herandez: (1941). Pp. 300-302

(5) Louis Voinot: (1910). Pp. 516-528

(6) Albert Lejay: (1939). Pp. 89-95

زمنيا إلى العصر الحجري القديم، والمجموعة تغطي زمنيا العصر الحجري الوسيط وأواخر العصر الحجري الحديث ، ولا يعرف كيف حصل عليها متحف اوكسفورد [1].

3- المنطقة الوسطى والغربية

تضم أكثر آثار المغرب واهمها، فهناك البناء الحجري الكبير المعروف باسم بازينا سوق الجور(Souk el-Gour) الموجود بجوار مدينة مكناس والذي كان مثار اهتمام الكثير من رجال الآثار ولا زالت المقالات تكتب محاولة معرفة تاريخ بناءه وحقيقة الغرض من انشاءه لعدم العثور على بقايا أثرية أو هياكل بشرية [2]، وكذلك لقيت القبور التذكارية التي وجدت في سيدي سليمان الغرب [3]، والقبر التلي في سي علال البحراوي (Si Allal el-Barhaoui) اهتمام رجال الآثار [4]، والحقيقة أن المنطقة الوسطى والغربية غنية بالمقابر التذكارية سواء (Tumuli) أو (Dolmin)، أما الرسوم الصخرية فقد كانت مثار اهتمام الكثير من البحاثة وعلى رأسهم (Malhomme) الذي أصدر كتاب تحت أسم (Corpus des Gravures rupestres du grand Atlas) (النقوش الصخرية في جبال الأطلس الكبير) ففي كتابه العديد من الأبواب لعصر فجر التاريخ بالمغرب، وقد حاول (Malhomme) القيام بقفزة جريئة عندما حاول في المؤتمر العالمي لآثار ما قبل التاريخ تقديم دليل علمي عن وجود فترة للكتابة التصويرية في شمال افريقيا سبقت عصر الكتابة الليبية بمدة طويلة عام (1959) [5]، وأقدم نقش (رسم) يعود تاريخه إلى أكثر من (3000) سنة ق.م كتب بخط التيفيناغ، والتيفيناغ هو جمع لمؤنث (Tafing) وتعني على الأرجح الأقوال: الخط أو العلامة، أي الأبجدية (أبجد)، وهو من أعظم الإنجازات التي توصلت إليها هذه اللغة في وقت لم تكن الكتابة قائمة، وهي الكتابة الأصلية الأمازيغية.

اتفق بعض المؤرخين على أن التيفيناغ مركبة من كلمتين: ثيفين، بمعنى اكتشاف، وأناغ، أي ملكنا، وهذا يحمل اتجاها خاصا بالقبائلية (منطقة القبائل في الجزائر) دون غيرها من اللهجات الأمازيغية الأخرى، أما مصادر

---

(1) Nick Barton: (2013). Pp. 54-56

(2) Gabriel Camps: (1962). Pp. 47-92

(3) Armand Ruhlmann: (1939b). Pp. 37-70

(4) Georges Souville: (1958). Pp. 243-259

(5) يتكلم الامازيغ (البربر) لهجات ليبية من المحتمل أصلها يعود إلى اللغات السامية ولا نعلم ان الامازيغ اقاموا مدنية تعتمد على الكتابة اداتها لغتهم غير انهم عرفوا كتابة وحروفها تسمى التيفناق أو التيفناغ(Tifinagh) وجدت نقوشها في موقع نوميدية شمال شرق الجزائر وتؤرخ إلى القرن الثاني ق.م، مع هذا بقي اصلها مجهولا، فقد اكتشفت حتى الان (1125) كتابة غير أنه تعذر إلى حد الان قراءة الخطوط الليبية: شارل اندري جوليان: (1969)، ص 78 // فرج محمود الراشدي: (2016)، ص 14
Jean Malhomme: (1965). p. 485

أخرى ترى أن التيفيناغ تعني الكتابة، وأكد مؤرخون آخرين أن التيفيناغ من أصل فينيقي، كون الابجديات أصولها فينيقية، فالتاء في بداية الكلمة تدل على المؤنث، أما أفونيق فهي من الفينيقية (1) .

في سنة (1842) م اكتشف أول نقشٍ، انصب اهتمام الباحثين عليه، حيث دونه الباحث (Chabot) المعنون بـ: (مجموعة النقوش الليبية) (Recueil des inscriptions libyques)، جمعت فيها (1125) صورة من صور النقوش الليبية (2)، وعن طريق نظام الكتابة الليبية اشتقت أبجدية التيفيناغ المتداولة عند الطوارق (التوارق ومفردها تواركي)، بل هناك العديد من التيفيناغات القديمة (3) كانت سائدة في مناطق حاليا معربة بالكامل في (تونس والشمال الشرقي من الجزائر وفي المغرب وفي شمال الصحراء)، وقد تعرضت هذه الكتابة في بلدان الشمال للمنافسة من اللغة البونيقية ومن ثم اللغة اللاتينية، ومع هذا بقيت الكتابة الليبية محافظة على خصوصيتها ومفرداتها في البلدان الصحراوية، حيث لم يكن لها منافس بل ان نطاق هذه الكتابة قد سار إلى اتساع وصولا إلى جزر الكناري التي كان سكانها القدامى من الجوانشي (Guanches) يتكلمون لهجة أقرب إلى البربرية (4) .

أن معظم الامازيغ يؤيدون هذا الرأي في أصل التيفيناغ بأنه فينيقي لأن جذر الكلمة (ف ن ق) تعني الفينيقيين، اما التبادل بين حرف (ق) و (غ) فهذه ظاهرة تتواجد بكثرة في الامازيغية، كما في الفعل قتل: نغ أو نق، كما ان استعمال التيفيناغ كانت في شمال افريقيا التي تأثرت بالبونيقية (قرطاجية)، ويكتب خط التيفيناغ من اليمين إلى اليسار مثل البونيقية، أما الباحث (Haddadou) فيعتقد ان التيفيناغ ينحدر من الخط الليبي، وكان يتكلم هذه اللغة سكان شمال افريقيا، وأشار اليها اليونانيين والرومان بانها تختلف عن الفينيقية ولسوء الحظ لم يصفها ولا واحد منهم (5).

---

(1): صالح بلعيد: (1999)، ص 90

Salem Shaker: (1991). p. 247// Mohand Akli Haddadou: (2000). p. 210

(2) Jean Baptiste Chabot: (1940)

(3) كانت أبجدية التيفيناغ في أول الأمر تتكون من الصوامت، أي كانت كتابة صامتة، لا حركات لها ولا حروف إشباع (الألف والواو والياء)، وهذه خاصية تتميز بها الكتابات العربية القديمة (المسماة بالسامية)، ثم أضيفت إلى تلك الصوامت، حروف أخرى والتي سميت (تيدباكين)، وهي تقابل الفتحة والكسرة والضمة، والأبجدية كلها تدعى (أكامك)، حيث كان الأمازيغيون القدماء يكتبون بهذه الحروف على جدران الكهوف وعلى الصخور، من الأعلى إلى الأسفل، في أول عهدهم، ثم بدأوا يكتبون في جميع الاتجاهات، ودام ذلك الوضع إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ثم استقرت الكتابة عند التوارق من اليمين إلى اليسار كما هو معمول به في العربية : محمد مختار العرباوي: (2005)، ص 14// محمد شفيق: (2000)، ص 45

(4)غابرييل كامبس: (2014) ، ص45

(5) صالح بلعيد: (1999)، ص 90

ذكر في مجلة مغاربية أن (سكان هذه المناطق الإفريقية الشمالية الغربية هم البربر، ولغتهم هي البربرية، ولقد قيل عنها إنها منحدرة من لغة قديمة هي الليبية التي كان القوم يتحدثون بها منذ ألفين من السنين، وهي ذات حروف منفصلة تحمل اسم تيفيناغ [1]، وهذه الفرضية نفسها نجدها عند الباحث (صالح بلعيد)، أي أن التيفيناغ هي الكتابة الخاصة بسكان البحر المتوسط، وهي الكتابة القديمة للسكان الذين استوطنوا البحر المتوسط، أي الكتابة التي استعملها الفينيقيون واليونانيون...، والتي أخذوها عن السكان الأولين الذين مروا بالبحر المتوسط [2]، كما ترى مصادر أخرى أن خط التيفيناغ متأثر بالنقوش اليمنية القديمة، ويعتمدون على النقوش الصهيدية، التي تنتمي إلى الخطوط السامية الجنوبية، حيث تتكون من (29) حرفا أبجديا والذي سماه الملوك خط المسند، إذ وجدوا تقاربا بينها وبعض الرسوم [3].

على اية حال شارك في تسجيل الرسوم الصخرية بجبال الاطلس ومرتفعات جنوب المغرب كل من (Souville) و (Jodin) و (Lhote)، وكان لبحوثهم أكبر الفضل في اظهار العصور الحجرية بالمغرب، ويعتبر الكشف الذي قام به (Denis) في دوكالة (Abda-Doukkala) بين منطقتي آسفي وللافاطمة تتمة لمحاولات (Malhomme) بخصوص وجود نوع من الكتابة التصويرية قبل العصر التاريخي بالمغرب ولا شك ان العثور على المزيد من هذه الأدلة سيساعد مستقبلا على جلاء هذه المشكلة بالمغرب [4].

4- منطقة الجنوب والصحراء

كذلك حظي الجنوب والصحراء باهتمام البحاثة الأثريين، فنجد أن مقابر ارفود بشكلها المميز قد حظيت باهتمام رجال الآثار لما لها من شبه بمقابر المشرق [5] ذلك ان عثور الباحث (Puyoaudeau) وزميله (Senones) [6] على أواني مصنوعة من الحجر في جهة آيت واهي قد أعطى أعطى أيضا دليلا جديدا على الروابط القديمة بين المغرب والمشرق وعلى أن التأثيرات الحضارية كانت لا كما تبدو لنا اليوم ضعيفة خلال العصر الحجري الحديث بل ان الانتقال الحضاري كان سريعا من مكان لآخر رغما عن بطيء سبل المواصلات خلال تلك الأزمنة السحيقة.

---

(1) الناجي الأمجد: (1994)،ص 88

(2) صالح بلعيد: (1999)، ص 92

(3) المصدر نفسه: ص 103

(4) جرت محاولة من قبل الباحث الفرنسي (Denis) المتخصص بالرسوم الصخرية في شمال افريقيا محاولة للربط بين الرسوم الصخرية والكتابة الصورية فدرس رسوم دكالة وجعلها حروف صورية:

Alexis Denis: (1967). Pp. 161-169

(5) تظهر آثار المقابر التلية في البحرين وعمان ومصر : سامي سعيد الأحمد: (1985)، ص 163-178

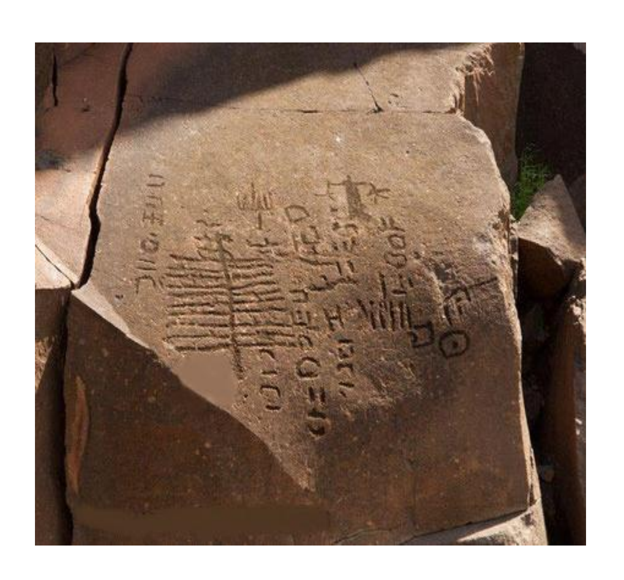
Armand Ruhlmann: (1939a). Pp. 44-51

(6) Odette Du Puygaudeau et Marion Senones: (1967). Pp. 151-159

كما وان نفس الباحثان قاما بتسجيل الرسوم الصخرية في وادي تامزت[1] وفم الحسن بوادي درعة [2]، وقد أدت الرسوم الصخرية التي تمثل أسلحة فجر الحضارة إلى البحث عن مناجم النحاس القديمة، وفعلا كان العثور على هذه المناجم في جنوب البلاد مدعاة إلى تغيير كبير في النظرة إلى تاريخ المغرب [3]، وتضم الرسوم اشكالا آدمية ورسوما حيوانية لها شبه كبير بالرسوم المصرية وتؤرخ هذه الرسوم في طرابلس (ليبيا) إلى الالف الثالثة ق.م، ويصعب تحديد التاريخ للعديد من الرسوم الصخرية لعدم العثور على آثار الانسان بجوارها، وتنتمي غالبية هذه النقوش إلى مرحلة العصر الحجري الحديث بوجه عام [4] .

---

(1) Odette Du Puygaudeau et Marion Senones: (1965). Pp. 282-286
(2) Odette Du Puygaudeau et Marion Senones: (1964)
(3) Bernard Rosenberger: (1970). Pp. 70 ff
(4) رشيد الناضوري: (1981)، ص 144



ⵍ	l	ل	ⵓⵍⵓⴼ
ⵡ	w	و	ⴰⵡⴰⵍ
ⵖ	v	غ	ⴰⵖⵉⵍⴰⵙ
ⵄ	o	ع	ⴰⵄⵇⴰⴱ
ⵎ	m	م	ⵉⵎⵉ
ⴹ	Ä	ض	ⴰⴹⴰⵇ
ⵟ	Ï	ط	ⵜⵉⵟⵟ
ⴼ	f	ف	ⴰⴼⴰⵙⵉ
ⴷ	d	د	ⵉⴷⵉⵔ
ⵃ	p	ح	ⵃⵓⵎⵎⵓ
ⵅ	x	خ	ⵅⴰⵍⵉ
ⵢ	y	ي	ⵢⴰⵎⵏⴰ
ⵉ	i	ي	ⵉⵏⵓⵍⵎⴰⴷⵏ



شكل 16: جدول حروف التيفيناغ وما يقابلها بالعربية والانجليزية والفينيقية (اليمين)، نقش صخري نقش عليه كتابة التيفيناغ من شمال افريقيا (اليسار)، رسوم من جبال الهكار في جنوب الجزائر فيه نقش كتابة التيفيناغ مع صورة رجل في حالة ركض، اكتشف الرسم من قبل الباحثة الجزائرية مليكة حشيد وتعود الكتابة حسب رأي الباحثة إلى ألف وخمسمائة سنة ق.م (الاسفل).

الحفائر الاثرية لعصر فجر التاريخ في الجزائر

يشكل تعريف فجر التاريخ في بلاد المغاربية موضوع جدال كبير بين الباحثين الذين اهتموا بهذه الفترة وتكمن صعوبته في تعيين الحدود الزمنية حيث نجم عنه صراع كبير رغم الدراسات التي اعتمد عليها الباحثون، ويتفق جل الباحثين عن وجود فترة فجر التاريخ في شمال افريقيا (1)، وتنحصر بين نهاية العصر الحجري الحديث(2) والفترة البونية (نسبة إلى قرطاج في تونس)(3) في حين تبقى نهايتها مبهمة ومجهولة، ويرجع ذلك لأسباب عديدة ومختلفة مرتبطة بظهور الكتابة ونهاية عصور ما قبل التاريخ، وأصبحت هذه الفترة تعد من أصعب الفترات في البحث الأثري، وذلك راجع بالدرجة الأولى إلى النقص الكبير في المعطيات الأثرية وقلة الحفريات إن لم نقل انعدامها في الجزائر(4)، ومع هذا جرت بعض عمليات التنقيب في الجزائر منذ أواخر القرن التاسع عشرة واستمرت حتى الآن مع بعض التوقف املته الظروف السياسية هناك، ونظرا لطول الفترة لزمنية يمكن تقسيم تلك الحفريات حسب تواريخ التالية:

1ـالأبحاث القديمة

جرت أبحاث قديمة تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من قبل أطباء وعسكريين واداريين والقليل من المختصين بالاكتشافات العلمية بالجزائر وخاصة في شرق الجزائر، وكان أغلبها لا تخضع للمراقبة وغير قانونية وتفتقد إلى الجانب العلمي المنظم سعيا وراء الكنوز، ومن الطبيعي أدى إلى تدمير عدد من المعالم الجنائزية، فعلى سبيل المثال أشار (Léon L'Africain) كانت توجد مؤسسة تابعة لزاوية دينية في مدينة فاس بالمغرب متخصصة في حفر هذه المعالم الجنائزية (5)، واكد عليها الباحث (Tommasini) أثناء قيامه بأبحاث في منطقة معسكر بالغرب الجزائري، عندما لاحظ وجود عمليات حفر في العديد من المعالم الجنائزية من

---

(1) مصطفى رميلي: (2002)، ص32

(2) يجب الإشارة أن نهاية العصر الحجري الحديث تختلف من منطقة إلى منطقة ومن موقع لأخر وحتى من تأثيرأو تيار لأخر، لذا يصعب علينا معرفة جيدة لنهاية العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب عامة وفي الجزائر خاصة.

(3) البونية : وهو مصطلح اطلقه الرومان على القرطاجيين الذين تعود اصولهم إلى الفينيقيين وتعني كلمة بوني اللون الارجواني الذي اشتهر بصناعته الفينيقيين، كما اطلق على سلسلة الحروب بين روما وقرطاج اسم الحروب البونية.

(4) المشاريع السارية المفعول في فترة فجر التاريخ هو مشروع حفريات مقابر وادي مزي بمنطقة الأغواط بجبال العمور في الشمال إضافة إلى مشروع حفريات المعالم الجنائزية بالهكار في أقصى الجنوب: عزيز طارق ساحد: (2008-2009)، ص 52-90

(5) Léon L'Africain: (1956). Pp. 225-226

طرف أشخاص مجهولين يبحثون عن الكنوز ليلا جاءوا من المغرب يعرفون المواقع الاثرية [1]، ومثل هذه الحوادث معروفة في مناطق الأوراس لاسيما في منطقة نقاوس ومنطقة ايشوكان [2] ، ورغم الأعمال التي قام بها الباحثون الأوائل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث اهتموا بالمعالم المكتشفة عن طريق الصدفة والتي كانوا يجدونها في طريقهم ومسالكهم خلال استكشافاتهم، ويعلق الباحث (عزيز طارق ساحد) لقد أجريت تنقيبات في المعالم الجنائزية بطريقة غير علمية وغير قانونية أدى إلى إتلافها وضياع محتوياتها من جهة وتعرضها للنهب والسرقة من جهة ثانية، وتعرف المعالم الجنائزية في الجزائر عامة بعدة تسميات أهمها الرجم، والمزارة، وهنشير، وقبور الرومية، وقبور الجهالة، وهذا المصطلح الأخير الأكثر تداولا في مناطق الجزائرية [3] .

ان سرقة الاثار وبيعها كانت شائعة آنذاك فقد ضم متحف (PRM) التابع لجامعة اوكسفورد ويضم آثار إنثروبولوجيا والاثار العالمية، يضم حوالي (1.972) قطعة اثرية من الجزائر اغلبها من مقتنيات هير رودولف ج (Herr Rudolf J) من المانيا أشتراها في شباط عام (1914)، وتتضمن (192) قطعة من جنوب الصحراء الجزائرية في منطقة تيماسين (Temassin) ومن (Tinrhard) تشمل (50) رأس سهم من العصر الحجري الحديث وشفرات حجرية تعود لثقافة الايبرو-مورية (Ibero-maurusian) (مصطلح انتشار الثقافة الايبرو-مورية للعصور الحجرية وموطنها في السواحل المتوسطية)، والحضارة القفصية، ومن موقع مهم وهو وادي عوليجي (Oued Aouleggui) في هضبة تادمت (Tadmaï) رقائق من الشفرات تعود إلى العصر الحجري الوسيط، أما مجموعة البروفيسور تشارلز غابرييل سيليجمان (Charles Gabriel Seligman) فقد جمعت على نطاق واسع قرب الحدود الجزائرية مع المغرب وهو موقع طبل بلاط (Tabel Belat) أو طبل بلح وحاليا واحة تبلبالة (Tabelbala) وتقع بين بشار وتندوف في جنوب غرب الجزائر، ونقب في الموقع الاثاري (Tarel) عام (1914)، فمن بين (423) قطعة اثرية المكتشفة في هذا الموقع والمحفوظة في متحف (PRM) نجد البعض منها يعود إلى أوائل العصر الحجري مثل الفؤوس الحجرية المصنوعة من حجر الكوارتز، و(20) قطعة من رؤوس السهام من العصر الحجري الوسيط، إضافة أربعة قطع صناعة موستيرية، ويرى (Tarel) بان موقع تبلبالة يعود إلى عصر وطراز الموستيري، وقطع أثرية أخرى تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم

---

(1) Paul Tommasini: (1882). Pp. 543-545

(2) عزيز طارق ساحد: (2014)، ص62

(3) المصدر نفسه: ص 60

والعصر الحجري الحديث، ومن بين مقتنيات المتحف قطع اثرية تعود للثقافة القفصية في موقع (Senâm mâr Msila) بالقرب من ولاية مسيلة (150) قطعة اثرية، وفي موقع بومرزق بالقرب من قسنطينة (120) قطعة في المواقع الدوائر الحجرية والدولمينات [(1)].

على أية حال أهتم الباحثون بالمعالم الجنائزية في الجزائر وكان أولهم في القرن الثامن عشر الباحث (Shaw) الذي يمكن أن نعتبره أول باحث وصف (دولمن) في موقع بني مسوس [(2)]، ثم من بعده في القرن التاسع عشر الطبيب (Guiyon) الذي رافق الجيش الفرنسي في حملاته بالجزائر، وكانت بداية أعماله اكتشاف المعالم الجنائزية في ضواحي مدينة الجزائر ولكنه اخطأ عندما نسبها إلى الغاليين (Gaule) [(3)]، وكذلك الضباط الفرنسي (Rozet) الذي أشار إلى المعالم الجنائزية [(4)] .

تعتبر الفترة الممتدة مابين (1860-1900) من أهم فترات الاكتشافات في الجزائر وشملت الحفريات مناطق تضم المقابر بالشرق الجزائري ومن أهمها :الركنية، ورأس الواد، وبو مرزوق، وغاستيل، وبونوارة، وايشوكان، وقد نشرت جل المقالات في مجلة (مجموعة المؤلفات والملاحظات للجمعية الاثرية في قسنطينة) [(5)] .

أما الباحث (Féraud) فقد نسب المعالم الجنائزية إلى الحضارة الغالية- الرومانية (Gallo-Romains) فحسب اعتقاده بأنها انتشرت بشمال إفريقيا [(6)]، وتطرق الباحث (Letourneux) حول أصل المعالم الجنائزية وأكد بأن أصولها بربرية [(7)]، بينما قام الباحث (Faidherbe) بدور كبير ذكر المعالم الجنائزية في الشرق الجزائري خاصة مقبرة الركنية التي أجرى فيها عدة حفريات وأثبت أن هذه المعالم الجنائزية هي من نوع (دولمن) وتعود إلى قدماء البربر [(8)].

جرت تنقيبات في مناطق الأوراس، فمع توغل الاحتلال الفرنسي في المناطق الصعبة من جبال الأوراس بدأت عمليات الحفر على يد عسكريين لا

---

(1) Nick Barton: (2013). Pp. 54-56

(2) Thomas Shaw: (1830). p. 85

(3) بلاد الغاليين اسم اطلقه الرومان على سكان فرنسا وبلجيكا والجزء الألماني الواقع غرب نهر الراين:

Jean-Louis-Généviève Guiyon: (1846). Pp. 816-818

(4) Claude-Antoine Rozet (Capitaine): (1833). p. 11

(5) Recueils, mémoires et notices de la société archéologique de Constantine

(6) Laurent Charles Feraud: (1863-1864). Pp. 214-234

(7) Monsieur Letourneux: (1867). Pp. 307-320

(8) Louis Léon César Faidherbe (Général): (1867). Pp. 1-76

يملكون خبرة علمية اثرية [1]، وكان للباحث (Masqueray) دور كبير في تعريف منطقة الأوراس في مختلف جوانبه جغرافيا وأثريا واجتماعيا [2] .

وفي بداية القرن العشرين، تولى الباحث (Gsell) بمكانة مرموقة ورائدة على رأس البعثة الأثرية ببلاد المغرب، كما اعتبر من أول الباحثين الذي نجح في جمع أكبر قدر من المعلومات حيث ألّف أولى الكتب العلمية بشأن المعالم الجنائزية وحياة شعوب فجر التاريخ في غضون القرون الأخيرة قبل الميلاد معتمدا على المعطيات التي جمعها من سبقه من الباحثين في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وقد تمكن من وضع تصنيف أولي للمعالم الجنائزية وتوزيعها جغرافيا، ثم تصنيف ثان أكثر وضوحا، ويعد كتابه دعما أكيدا لا غنى عنه لباحثي فجر التاريخ [3]، وتعد أبحاث (Gsell) مهمة في مجال فجر التاريخ من حيث المنهجية، وما احتوت من توضيحات هامة معتمدا على النصوص القديمة فيما يخص حياة شعوب فجر التاريخ، وأهمية دور المجتمعات الريفية في بلاد المغرب [4] .

أشار الباحث(Camps) إلى ملاحظة هامة عندما قال بان الباحث (Gsell) مؤرخ وليس آثاري، فعندما وصف في مقالته حفريات موقع بوغار بضواحي قصر البخاري (Boghar)[5]، ومقارنتها بالمعطيات الخاصة بمواقع بمواقع فجر التاريخ في مناطق الأوراس وتلك التي ذكرها في اطلسه الأثري، يظهر لنا بأنه لم يزر الأوراس ولم يحدد المعالم الجنائزية بالضبط كما أنه لم يقم بوصفها ولم يحصيها بدقة [6] .

بالنسبة للباحث (Reygasse) فقد قدم معارف جديدة بشأن المعالم الجنائزية الموجودة بالصحراء والتي لم تكن معروفة من قبل حيث أطلق عليها تسمية (ما قبل الإسلام لشمال إفريقيا) بدلا من مصطلح فجر التاريخ، فقد اهتم بدراسة موقع تيت الموجود شمال تمنراست في الصحراء الجزائرية، وقام بحفر معالمها الجنائزية [7].

وفيما يخص مناطق الأوراس، فإن أهم أعمال التنقيب التي جرت هي تلك التي قامت بها البعثة الألمانية برآسة الآثاري (Frobenius) عام (1916)

---

(1) من أهمهم :(Delamare) و (Carbuccia) و(Payen) و(Jullien) و (Rinn) و (Vercoutre) و(Vaissière) وغيرهم، ولا ننسى أيضا دور ضباط الوحدات الطبوغارفية (وتعني الرسم والتمثيل البياني للتضاريس) الذين قاموا بعمل هام أثناء إنجازهم للخرائط الطبوغرافية مشيرين بذلك إلى المعالم الجنائزية بعلامات مميزه: عزيز طارق ساحد: (2014)، ص62

(2) Émile Masqueray: (1876). Pp. 453-465

(3) Stéphane Gsell: (1929). p. 302

(4) Stéphane Gsell: (1915). p. 253

(5) Gabriel Camps: (1961). p. 26

(6) عزيز طارق ساحد: (2014) ، ص 63

(7) Maurice Reygasse: (1950). p. 134

[1]، إذ قدمت نتائج هامة تتعلق بحفريات ودراسات المعالم الميجاليثية الخاصة بمقبرة ايشوكان في شرق قسنطينة [2].

في النصف الثاني من القرن العشرين كثرة الأبحاث لفترة فجر التاريخ وعرفت تقدما كبيرا، إذ أجريت تنقيبات عدة بمقابر موقعي بني مسوس، وبو نوارة، وغيرهما، إضافة إلى ذلك فقد تم إجراء استكشافات عديدة بمناطق سطيف، وقسنطينة، وبوسعادة بضواحي الهامل، وفرندة بمنطقة تيارت، ومعسكر، وبني صاف [3] .

ولقد أثار (Camps) قضايا أكثر أهمية واشكاليات مبهمة وغامضة حول فترة فجر التاريخ، وخاصة تلك المتعلقة الانتشار البشري المعروفة جيدا في هذه الفترة وفي عهد الامبراطورية الرومانية أيضا، ففي رسالته معطيات كثيرة ومتنوعة حول مختلف آثار فجر التاريخ لشمال افريقيا [4].

أستطاع الباحث (Camps) أن يعرف بأن الفترة العصر النحاسي هي مرحلة انتقالية بين العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ، عندما استعمل الإنسان الحجارة إلى جانب والنحاس (يعرف بالشرق الأدنى العصر الحجري-المعدني)، كما تؤكده الاكتشافات في مواقع العصر الحجري الحديث في الساحل الغربي الجزائري [5].

2-الأبحاث الحديثة أو ما بعد الاستقلال

تعد الأبحاث في مجال فجر التاريخ بعد الاستقلال قليلة جدا إذا ما قورنت بالأبحاث القديمة، فقد أشار الباحث (Savary) في دراسة المعالم الجنائزية بخصوص موقع فدنون بمنطقة تاسيلي- ازجر، حيث تمكن أن يحصيها معتمدا على الصور الجوية، كما أبرز توزيعها بالمنطقة، بالإضافة إلى ذلك فقد أوضح بأن الصور الجوية ماهي إلا وسيلة ضرورية قبل بداية الحفرية حيث تصطدم بجملة من العقبات التي تشوه المعطيات في كثير من الأحيان، ومنذ ذلك لم يعد يهتم إلا قليل من الباحثين بهذه الفترة [6].

تم التنقيب في جبال الهكار وتاسيلي- ازجر من قبل (J. P. Maître) وأرخت بحوالي (3105) ق.م، حيث عثر على معالم جنائزية وتم تعريف تلك المعالم في مناطق بالهقار [7] .

---

(1) Leo Frobenius: (1916). Pp. 1-84.

(2) يقصد بمصطلح المعالم الميجاليثية عند الباحثين القدماء تلك المعالم التي استعملت فيها الحجارة الكبيرة بكثرة في بنائها.

(3) Gabriel Camps: (1961). p. 27.

(4) عزيز طارق ساحد: (2014)، ص 63-64

(5) Gabriel Camps: (1961). p. 34.

(6) Jean Pierre Savary: (1965). p.72

(7) Jean Pierre Maître: (1971). p. 75.G

تلت هذه الأبحاث بعض الاستكشافات لبعض مواقع فجر التاريخ في الشرق والوسط الجزائري خلال سنوات التسعينات تضمنت الأولى اكتشافات منطقة نقاوس لجبال بلزمة بشمال غرب الأوراس، حيث أجريت تنقيبات منتظمة بمقبرة سفيان خلال سنتي (1991) و(1992) [1]، أما البحث الثاني فتضمن أعمال ميدانية بمنطقة أشير بنواحي عين يوسف (المدية) حيث تم العثور على مواقع كثيرة وإجراء تنقيبات لبعض المعالم الجنائزية خلال سنتي (1991) و (1992) [2].

أعقبت هذه الأعمال في سنوات (2005) و(2007) و (2008) أعمال أخرى تم من خلالها اكتشاف مواقع جديدة وغير معروفة بمنطقة الأغواط بجبل الميلق، والحويطة، ووادي مزي (Wadi Mezi) وغيرها، خاصة أعمال التحري والتفتيش وحفريات في منطقة وادي مزي (إحدى بلديات دائرة وادي مرة بولاية الاغواط) التي لم يشر إليها الباحثون من قبل رغم أهميتها من حيث عدد وتنوع المعالم الجنائزية فيها ونظامها المعماري [3].

هذا وقد أتاح الاستكشاف الذي أجري ما بين سنتي (2001) و(2007) بتحديد قطاعات شتى من مناطق الأوراس، واكتشاف عدد معتبر من المعالم الجنائزية، وحصون طبيعية، وكهوف تدل على ثراء كبير لايزال في حاجة إلى بحث علمي دقيق، وتشكل هذه المعالم الجنائزية القسط الأكبر من آثار فجر التاريخ في الأوراس حيث يوجد البعض منها في شكل مجموعات والبعض الآخر في شكل مقابر كبيرة، بينما تغطي المقابر الكبيرة مساحات كبيرة في غالب الأحيان خاصة بجبال بوعريف، والأوراس، والبوص، وأحمر خدو، ومنطقة نقاوس [4].

الحفائر الاثرية لعصر فجر التاريخ في تونس

تعتبر تونس أكثر وضوحا من الجزائر، لديها مناطق مميزة في تونس الشمالية حيث انتشار الحوانيت (Haouanet)، في حين تنتشر الدولمينات في وسط تونس، ولا يوجد في جنوب تونس حوانيت أو دولمينات بل يوجد فيها عدد كبير من البازينا والتمولي، واغلب الأبحاث في الشمال والوسط التونسي كانت من قبل الأطباء الفرنسيين أمثال (Dr Carton) و (Hamy) و (Bertholon) و (Deyrolle)، بينما في الجنوب حيث مقابر التمولي كانت اغلب الأبحاث مصدرها ضباط الجيش الفرنسي أمثال النقيبين (Zeil) و(Donau) وضباط برتبة ملازم (Pézard) و (Devaux) و(Fleury) وهؤلاء جميعا لديهم معرفة في الآثار [5].

---

(1) عزيز طارق ساحد: (1998)

(2) مصطفى رميلي: (2002)

(3) عزيز طارق ساحد: (2014) ، ص 64

(4)عزيز طارق ساحد: (2014) Kص 64

(5) Gabriel Camps: (1961). p. 21

كانت السلطات التونسية لا تمانع في السماح للأثريين بأخذ ما يستخرجونه من قطع أثرية قبل أن تستثنى المعادن الثمينة من هذا الترخيص، حتى أن الباي نفسه كان يقدم الآثار هدايا إلى جهات أجنبية، أو يسمح بالتفريط فيها مجانا كما حدث بالمعرض العالمي بلندن سنة (1851) وهو ما كرر سنة (1867) بمعرض باريس، وأيضا سنة (1881) بمناسبة عرض الآثار بإحدى الفضاءات المجاورة لمتحف اللوفر[(1)] .

وما إن فرضت الحماية الفرنسية، حتى تدفقت الرحلات الاستكشافية وحملات التنقيب في شكل ممارسة منظمة تجري تحت إشراف الإدارة الاستعمارية نفسها، وكان للمؤسستين العسكرية والتبشيرية دورا رئيسا في هذا الحراك وإن اختلفتا في الخلفيات والأهداف، فقد أخذ الآباء المبشرون على عاتقهم مهمة إعادة إحياء الكنيسة الرومانية بالبلاد انطلاقا من جمع وحفظ النفائس والبقايا الأثرية التي تعود إلى تلك الفترة، ولقد بدأ ذلك فعليا إثر احتلال الجزائر عام (1830) حين منح حسين باي حاكم تونس إلى شارل العاشر ملك فرنسا قطعة أرض على هضبة بيرصا (Bersa) قرطاج، لإقامة معلم تخليدا لذكرى (سان لويس) المتوفى بقرطاج في الحملة الصليبية الثامنة [(2)] .

زار المستكشف الأمريكي (Catherwood) منطقة الاس أو إيليس (Allās) وتقع (13) كم شمال غرب مكثر(Makthar) [(3)] عام (1839) وقد وصف الاثار الصخرية في هذه المنطقة عام (1845) وأشار إلى مجموعة دولمينات الاس وارفقها بمخطط لها، ثم زار نفس الموقع الباحث الفرنسي (Poinssot) عام (1882-1883) وذكر وجود (15) دولمن ومن بينها ثلاثة أو أربعة لازالت سليمة واعتقد بانها معابد تضم ممرات مغطاة بألواح طولها ثلاثة إلى أربعة أمتار وتضم الدولمينات صفين من الغرف التي تواجه بعضها البعض [(4)]، كما زار نفس الباحث وادي اوزباح (Ouzapha) في سفح حمادة قصر أولاد عون، وتدعى (قبر الغول) ولاحظ (Poinssot) في رحلته الاثرية إلى تونس بان العديد من الاثار الصخرية مشابه لتلك التي عثر عليها في موقع الاس أو ايليس كما وصف أحد المباني الصخرية بعرض (10) م

---

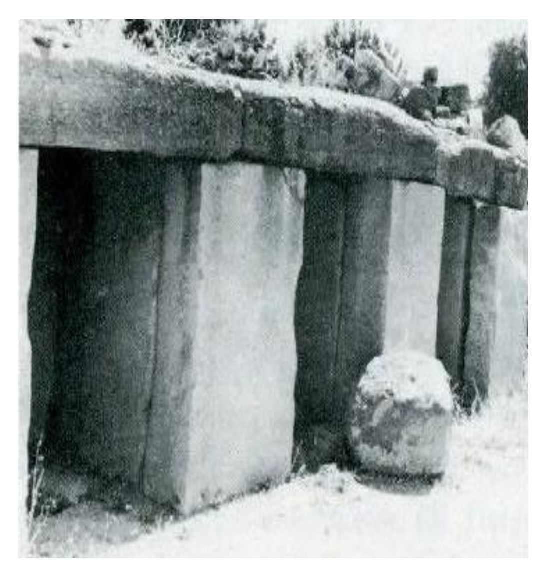
(1) Yassine Karamti: (2009). p. 182

(2) Clémentine Gutron: (2004). p. 171

(3) مكثر مدينة قديمة فهي موقع روماني-بربري في محافظة سليانة في تونس على مسافة (140) كم جنوب غرب تونس و(60) كم جنوب شرق مدينة الكاف (El-Kef)، وهي موقع اثري تحول إلى مدينة قديمة أسسها النوميديون ضد قرطاج ودمرت خلال الحرب القرطاجية الرومانية الثالثة عام (146) ق.م ثم اعيد بنائها في عهد السيطرة الرومانية البيزنطية، فكانت بمثابة خط دفاع ضد القبائل البربرية المحلية.

(4) Frederick Catherwood: (1845). Pp. 489-491// Jules Poinssot: (1884). Pp. 89-90.

ويرتفع (4) أو (5) م فوق سطح الأرض، وأشار إلى وجود اشكال دوائر متحدة المركز استخدمت للدفن ويعتقد الباحث (Picard) بان دولمينات قبر الغول تشبه دولمينات الاس (Ellés) [1]، وأما المهندسين الفرنسيين (Jouin) و (Perréard) تمكنا من اكتشاف الرسوم الصخرية في منطقة جبيبينة (Gbibinah) وذلك عام (1935) وتشمل ثلاث مناطق جبل بو سلام وضم رسوم الظباء والغزلان، وموقع حميدت السراسيف (Hamadet Es Serassif) وعلى بعد (10) كم عن جبيبينة وتضم رسوم طليت باللون الأحمر، ثم حميد السراسيف الذي يبعد (300) متر عن الموقع السابق أسلوب اللوحات في هذا الموقع من الصعب ربطها مع العصر الحجري الحديث [2]، وزار الباحث (Denis) الاثار الصخرية بين وادي الكانجان وقرية مغراوة (Magraoua) عام (1893)، واكتشف دولمينات تشبه ما عثر عليه في ايليس وقام بتفتيش اثنين منها فوجد العديد من الهياكل العظمية بين (30) إلى (50) هيكل في كل غرفة وترافقها أواني ومزهريات ذات اشكال متعددة بلغ عددها (100) وعاء بعضها ذات مقبض فيه خمسة ثقوب كما عثر على قارورة زجاجية صغيرة [3] .




شكل 17: الاثار الميجاليثية في مكثر التي نقب فيها الاثاري (Pauphilet) في تونس

---

(1) Jules Poinssot: (1884). Pp. 239-240 // Gilbert Charles Picard: (1957). p. 28

(2) Mounira Harbi Riahi , Abderrazak Gragued , Gabriel Camps ,Ali M'Timet , Jamel Zoughlami: (1985). Pp. 7-12

(3) Lieutenant Denis, Ch: (1895). Pp. 273-280

على أية حال بين (1900) و (1910)، ولدت حماسة حقيقية للآثار الصخرية والحوانيت التونسية، ويتميز هذا الحماس بخصائص غريبة لان عدد الدراسات المكرسة ازدادت ثلاثة أضعاف بحوث السنوات السابقة، ويعود الفضل لثلاث شخصيات من الأطباء الفرنسيين يميزون هذه الفترة في تونس، ومساوية للسنوات من (1864-1868) في الجزائر.

1- إن الاثار الحجرية الضخمة في مناطق دوجا (Dougga)، وسوق طبور(Tebour souk)، ومكثر (Makthar) معرفتنا عنهم جاءت بجهود الدكتور (Carton) [1]، وهو أحد الشخصيات المشهورة في الآثار التونسية، ويمكن وصفه بأنه شغوف بالآثار، قدم بحث عن قرطاج بالتعاون مع الأب دلاتر (P. Delattre)، واكتشف نافورة في سوسة (Sousse) عندما كان يعمل كطبيب في حامية عسكرية، وتقع النافورة ضمن موقع أثري يدعى بولا ريجيا (Bulla Regia) شمال غرب تونس، وهي مدينة رومانية بالقرب من جندوبة الحديثة تدعى رسميا كولونيا إيليا هادريانا أوغستا بولا ريجيا (Colonia Aelia Hadriana Augusta Bulla Regia)، وقد كشف عن العديد من أرضيات الفسيفساء في الموقع يمكن مشاهدة البعض منها في متحف باردو في فرنسا [2]، أما عن المقابر الميجاليثية الصخرية، فأن الدكتور (Carton) يمتلك أفكارا تستحق أن يتم تطويرها: ففي هيكلية بناء المقبرة الميجاليثية، يشير إلى ثلاثة افكار: **أولها:** وضع جسد الميت لمنع الوصول إليه، **وثانيا:** موقع القبر، **وثالثا:** إقامة النصب التذكارية لذكرى الميت، وفقا لهذه الافكار الثلاثة وأهمية كل واحدة منهم، ذكر الدكتور (Carton) الأشكال المختلفة لمقابر الدولمن وإلى الآثار المعقدة من موقع إليز (Ellez) (تونس) أو قبر االرومية (الجزائر)، وفيما يتعلق بعمر هذه الآثار، يعتبر الدكتور (Carton) بأن (من غير المحتمل أن تكون معظم المقابر الميجاليثية الصخرية معاصرة مع الرومان، لان المواقع الرومانية قد أنشئت في مناطق يوجد بها بالفعل مراكز حضرية نوميدية في تونس، وهي ليست نفسها في الجزائر) [3].

2- عمل الدكتور (Deyrolle) في تونس، وهو بحق رجل مقابر الحوانيت، زار رأس الطيب (Cap Bon) (شبه جزيرة في أقصى شمال شرق تونس) وأشار إلى الحوانيت من حيث الغرف، وقياساتها، وأوصافها في مقالات نشرت في عدد من المجلات العلمية الخاصة بشمال أفريقيا والعاصمة [4]، ويؤكد على أهمية هذه المدافن وأصولها والتي هي محل جدل: فالبعض، مثل الدكتور (Bertholon) مقتنعون بأن هذه المدافن ذات أصل إيجة (اليونان)، والبعض الآخر ومنهم والدكتور (Carton)

---

(1) Dr Louis Carton: (1895). Pp. 326-344

(2) Ibid: p. 394

(3) Gabriel Camps: (1961). p. 22

(4) Étienne Darrelle (Dr): (1909). Pp. 155-170

اعتمدوا على شكل الحوانيت وأنها تشبه المقابر البونيقية، أما الدكتور (Deyrolle) فأنه يوفق بين هاتين النظريتين معلقا بان أصل قبور الحوانيت من الشرق الأدنى، وهناك إشارات قليلة عن وجود مقابر الحوانيت المماثلة في جزيرتي مالطا وصقلية ويعتقد أنها كان بمثابة غرف تحنيط [1]، وإدراكا لأهمية عمل الدكتور(Deyrolle) النشطة في سوسة فان جمعية الآثار منحته الميدالية الفضية، بالتأكيد ليس كل شيء مثالي في عمل (Deyrolle) يمكننا أن نلومه على تحقيقاته السريعة لتلك المقابر، وغياب الحفريات العلمية، كما أنه يعطي الأهمية المبالغ فيها للكؤوس الفخارية في تلك المقابر، ولكن مثل هذه الثغرات الصغيرة كانت سائدة في عصره.

3- قدم الدكتور (Hamy) بعض عناصر التشابه في ابنية المقابر الميجاليثية عندما قام برحلة قصيرة إلى دول شمال افريقيا وغير بعض الافكار الراسخة التي كانت تعتبر سابقا من الثوابت وفي غضون عشرة أيام، حيث أشرف على حفر المقبرة الميجاليثية الصخرية في دار البي (Dar-el-Bey) أو النفيضة (I'Enfida) (تقع شمال شرق مدينة تونس وعلى بعد 45 كم شمال شرق سوسة)، وصرح بأن هذه المدافن أصولها بربرية، وأطلق عليها تسميت الدولمينات [2]، وإذا كان (Hamy) محق في اصراره على الطابع البربري للمدافن الصخرية الميجاليثية، مع عدم رفض فكرة منهجية أسم مقابر الدولمن منذ فترة طويلة في شمال أفريقيا، وبذلك أصبح الدولمن مصطلحا علميا ملائما لنوع معين من المدافن الصخرية، كما كتب الدكتور (Hamy) عن الأضرحة الكبيرة في الجزائر مثل (قبر الرومية)، والمدراسن (Medracen) وأشار إلى أن بعض الاضرحة على شكل اسطوانة ومخاريط، وأطلق عليها تلال الدفن أو بازيناس (Bazinas) أو بازينا، وقد وصف الباحث (Gsell) فيما بعد بقوله: (الملاحظة ليست جديدة: فقد سبق وأن قدم السيد (Payen) هذه الفكرة القديمة منذ أكثر من 30 عاما) يقصد تسمية الدولمن من قبل الباحث (Payen) [3].

الاستكشاف الأثرية في تونس تمت بسرعة أكبر من الجزائر، وهكذا، كان من الممكن أن نكمل معرفتنا المكتسبة من القرن التاسع عشر ولكن ظهرت مجموعة أكثر فائدة مع جيل جديد من الباحثين الجدد مثل الباحث الاثاري (Pauphilet).

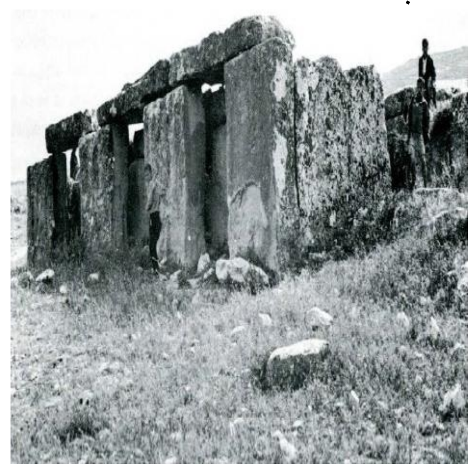
قام الباحث الاثاري (Pauphilet) بمسح اثري لموقع مكثر (Makthar) من قبل مركز البحوث التاريخية والاثرية للمعهد الوطني للأثار والفنون في تونس عام (1953)، حيث حفر في مبنى مستطيل بطول (15) م وعرض (7.5) م ويتألف من أربعة قباب وست حجرات، ويتم الاتصال بين

(1)Étienne Darrelle (Dr): (1909). Pp. 160-170

(2) Ernest Théodore Hamy (Dr): (1904). Pp. 33-68

(3) Stéphane Gsell: (1896a). Pp. 441-442

القبو والحجرة فتحة أمام الجدار الفاصل، وخصصت الاقبية للدفن بينما الحجرات لغرض العبادة، ونظرا لان الهياكل العظمية كثيرة ولمختلف الاعمار يقترح (Pauphilet) بانها استخدمت لفترة طويلة، وعثر بداخلها عملات رومانية من القرن الأول ومصابيح رومانية، وتمثال صغير للإله هرمز، ومزهريات، وفخار منقوش، أما الهياكل العظمية فكثيرة ومعها هياكل عظمية للكلاب [1]




شكل 18: دولمينات الاس أو إيليس وهي بحالة سليمة (عدسة الباحث كامبس) (اليمين)، أحد دولمينات من موقع مغوارة اكتشف من قبل (Denis) (اليسار)

اكتشف الكثير من المواد في تونس من المواقع حول قفصة (Gafsa) وتم التبرع بها من قبل الآثارية دوروثي غارود (Dorothy Garrod) [2]، أو

---

(1) Pauphilet, D: (1953). Pp. 49-82

(2) عالمة الاثار البريطانية دوروثي آني إليزابيث غارود (Dorothy Annie Elizabeth Garrod)، حصلت على دبلوم الأنثروبولوجيا في أكسفورد عام (1922) حيث كانت تدرس ما قبل التاريخ في متحف (PRM) التابع لمتحف جامعة اوكسفورد الانثروبولوجيا والاثار العالمية تأسس عام (1884)، ويضم حاليا (136.25) قطعة أثرية وإثنولوجية جمعت ما بين (1851) وإلى (1945) ومن ضمنها مجموعة دورتي غارود، التي عملت في تنقيبات كهوف جبل الكرمل في فلسطين (1929-1934)، وجمعت خلال عملها الاثاري مقتنيات اثرية خاصة بها بلغ عددها (2.824) قطعة اهدتها إلى متحف (PRM)، وهكذا مقتنيات آثار هذا المتحف تشمل آثار من فلسطين (3.524) قطعة أثرية، والجزائر (1.972)، وتونس (221)، وليبيا (101)، والمغرب (111)، ومصر (1.202) قطعة أثرية، وتشمل رؤوس سهام من العصر الحجري الحديث من منطقة غرداية ورقلة في الجزائر، ومكاشط جانبية كبيرة، وعدد قليل من آثار تعود للصناعة العطرية في تونس ومن موقع بوسعادة بالجزائر، ومجموعة من الأدوات المايكروليثية وتعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط:

William Davies and Ruth Charles (eds): (1999) // Jane Callender: (2004). Pp. 207–231

تم شراؤها من جامع الآثار ماريوس لاتابي (MariusLatapie) [1]. تتألف القطع الاثرية التي أهدتها دورثي غارود (67) قطعة من مختلف الشظايا مثل المكاشط الحادة، وفؤوس يدوية، وقطعة واحدة من النواة الحجرية، وهي صناعة ليفالوازية غير مألوفة التقطت على ما يبدو من الحصى في منطقة زيلس- ققصة (Zellès-Gafsa) في (وادي زيلس) ((Wādī Zellès)، وتم العثور على العديد من المكتشفات الأخرى من النواة الحجرية صناعة اليفالوازية من منطقة قفصة بالإضافة إلى مكشطة حادة الجانب من جبل زريق (Zerique) (ربما جبل زفارقة) (Jabal Zuravqa) (غرب تونس قريبا من الحدود الجزائرية)، وهناك اكتشاف جدير بالذكر هو مكشطة تعود لصناعة عطرية (Aterian) من موقع مراتا (Mrata) ربما (Jabal al Mrata) في منطقة قفصة، قد تكون ذات صلة بالصناعة العطرية أيضا من نفس الموقع، وبصرف النظر عن هذه الاكتشافات ، فإن غالبية المصنوعات اليدوية ضمن مجموعات دورثي غارود وماريوس لاتابي ربما تنتمي إلى الثقافية ققصية، يمكن الإشارة هنا إلى المكاشط وأيضا كومة من الاصداف في موقع عين سندس(Ain Sendes) (في منطقة قفصة) [2]، بالإضافة إلى مقاطع تعود للثقافة القفصية ومن منطقة قفصة ايضا، وقد لوحظ وجود مجموعة أخرى من القطع الأثرية صناعات يدوية وشفرات من عين سندس، وأجزاء مثقاب، وشفرات ، ومكاشط يظهر عليها وجود مغرة حمراء على طرفها، هناك عدد من القطع الأثرية في هذه المجموعة مكتوبة عليها (كومة قواقع) [3] .

(1) Nick Barton: (2013). p. 56
(2) Peter J. Sheppard: (2006). p. 184
(3) Nick Barton: (2013). Pp. 56-57





شكل 19: صناعة حجرية تعود لثقافة الاوريجينية في غرب اوربا (اليمين)، صناعة قفصية من تونس، الأرقام (1-2) أقنعة منحوتة من الحجر الجيري، الأرقام (3-6) شظايا من قشر بيض النعامة عليه نقوش (اليسار)

لم تبدأ دراسة ما قبل التاريخ في شرق الجزائر وتونس حتى عام (1909) عندما قام الباحث (Jacques de Morgan) وهو عالم آثار مشهور في الشرق الأدنى ومصر ومعه الباحثان (L.Capitan) و (P. Boudy) بمسح أثري في منطقتي قفصة والرديف (Rédeyef) في جنوب تونس، ذكر الباحث (de Morgan) وجود عدة طبقات تضم أدوات حجرية أطلق عليها صناعة قفصية، وهي انصال كبيرة وكاشطات سميكة، وشظايا من قشر بيض النعام، وأدوات عظمية مصقولة، وعلق الباحث (de Morgan) أن معظم هذه المواد تشبه الصناعة الاوريجينية (Aurignacian) الفرنسية في غرب اوربا [1]، وفي السنوات التي تلت عام (1933) واصل الباحث (Vaufrey) البحث الاثري في منطقة قابس ومواقع وادي ماكيتا (El Mekta) غرب مونستير والرديف(Redeyef Table sud) غرب ولاية قفصة، وموقع (Lala) تقع شرق الرديف، وعين سندس (Ain Sendes)، وعين ريلاني (Ain Rhilane) في الجزائر، وهو موقع بالقرب من الحدود الجزائرية

---

(1) الاوريجينية (Aurignacian): يقصد به العصر الحجري القديم الأعلى والذي يعتقد انه نشأ من ثقافة في المشرق سابقا، وعثر على الصناعة الاوريجينية في اوربا الشرقية حوالي (43.000) سنة مضت وفي اوربا الغربية بين (40.000) و (36.000) سنة مضت وحل محلها الصناعة الكرافيتية (Gravetiian) حوالي (28.000) إلى (26.000) سنة مضت:

Peter J. Sheppard: (1990). Pp. 175-176

التونسية شرق تبسة واغلب هذه المواقع تضم صناعات قفصية، وكان اهتمامه يرتكز على الفن الصخري والمواقع الاثرية القفصية، وحاول إيجاد تسلسل زمني للفن الصخري وعلاقة الحضارة القفصية مع المناطق المجاورة لاسيما مصر واسبانيا، وتوصل بان صناعات العصر الحجري الحديث في تونس تشابه العديد من الصناعات الحجرية في عموم شمال افريقيا [1].

المواقع المهمة

موقع الرديف: نموذج للتقاليد القفصية في تونس

يظهر في الموقع معالم العصر الحجري الحديث متعددة في المغرب القديم ولكننا سنختار منها موقعا واحدا وهو الرديف (Redeyef) جنوب تونس الذي ينتمي لهذه الفترة ويمكن وصف مخلفاته الأثرية خاصة الحجرية والتي أكتشف كم هائل منها وصفت على أنها نيوليثية (العصر الحجري الحديث) ولكن بتقاليد قفصية من أبرزها أدوات عظمية، شكلت من النصال ذوات الخلفية المثلمة وذوات الرؤوس من الحجم المتوسط والمثلومة المحززة على الجانبين، وأدوات حجرية قزمية مكروليثية ذوات الشكل شبه المنحرف وكسر من بيض النعام تزينها أشكال هندسية رتبت في خطوط، ونقط ، ويلاحظ اختفاء الفخار ورؤوس السهام من هذا الموقع .

في الطبقات العليا من هذا المخزون الثقافي وجدت المكاشط منحوتة الجانب المقعرة والمحدبة الشكل ومكاشط بنهايات منحوتة وما لا يقل عن خمسين من رؤوس السهام ، والفؤوس المصقولة وكسر الفخار وبيض النعام، ولقد أشار المكتشفون بأن قشرة بيض النعام ربما استعملت كآنية للطبخ لأن أغلب الكسر المكتشفة كانت مفعمة بالسواد نتيجة لتعرض الأجزاء المحدبة منها للنار، أجزاء منها مزخرفة بأشكال متموجة ونحن نعرف أن الأواني كثيرا ما تزخرف بأشكال هندسية.

أن الزخارف في الطبقة النيوليثية بموقع الرديف بتونس تمثل أشكالا حيوانية بأسلوب السلوتة (Silhouette) (يقصد بها الصورة الظلية وهي صورة شخص أو حيوان أو كائن أو مشهد يتم تمثيله كشكل بلون واحد عادة أسود)، وأشكالا متقاطعة محززة على السطح وقد كانت هذه الزخارف مفيدة عند تقييمنا للرسوم الصخرية في هذه الفترة، قشور بيض النعام كانت تستعمل أيضاَ للزينة كخرز للعقود وفى العادة تكون في اللون الأبيض، وعدد من الخرز الأحمر والبني كانت من مادة الحجر الرملي، وحلي زخرفيه آخرى شكلت من قواقع بحرية وهي مخرمة ليسهل تعليقها وهناك أحجار تأخذ الشكل الهرمي يحدد قمتها حزوز تثبت فيها خيوط للتعليق بصمات اللون الأحمر والأصفر توجد بكثرة في هذا الموقع.

---

(1) Peter J. Sheppard: (2006). p. 184.

أما المخلفات التي تمثل الحيوانات بالمواقع فتشير إلى نفس الحيوانات التي نتعامل معها اليوم مثل الغزال، والثور، الخنزير البرى، الثعلب، الذئب، القط البرى، الأرانب البرية، والجربوع (Jerboa) ، والقنفذ وغيرها [1].

الحفائر الاثرية لعصر فجر التاريخ في ليبيا

قدم الرحالة الاوربيون إلى السواحل الليبية منذ فترة مبكرة من القرن السابع عشر الميلادي، وبدئوا في ارتياد الصحراء الكبرى في القرن الثامن عشر الميلادي، ولم يكن الغرض هو الوصول إلى واحات الصحراء بل كان الغرض منه الوصول إلى البلاد الغنية الواقعة في السافانا الافريقية والتي فشلوا في الوصول إليها عن طريق السواحل الغربية لأفريقيا الوسطى، ذلك ان الغابات والشلالات والأوبئة قد وقفت حائلا دون وصول المستكشفين من الساحل إلى الداخل، فأراد الاوربيون أن يجربوا طريق الصحراء الكبرى وهو الطريق الذي سبق وان وصفه لهم الكاتب اللاتيني ليو افريكانوس (Leo Aficanus) [2].

في البدء اعتبر الجراح الفرنسي كلود جرانجيه (Claude Granger) من اهم الرحالة الذين زاروا ليبيا في القرن الثامن عشر، وسجل ملاحظات القيمة عن آثارها واحوالها السياسية والاقتصادية وعن ساحلها وموانيها، وبعض الامور الحياتية الاخرى التي صادفها اثناء مكوثه في ليبيا ما يقرب عن عام كامل، فبعد تركه مهنة الطب أهتم بدراسة التاريخ الطبيعي و علم النبات، وبتكليف من الاكاديمية الملكية للعلوم سافر إلى ليبيا فوصلها في بداية شهر آب عام (1733) م، و بقى متجولاً فيها حوالي أحد عشرة شهراً ثم ارتحل منها في شهر تموز عام (1734) إلى مصر، وقد زار المواقع الاثرية التي سبق وان زارها القنصل الفرنسي في طرابلس كلود لومير (Le Maire) الذي يعد أول من زار بعض تلك المواقع، وكتب تقريراً مختصراً عنها، و يبدو ان جرانجيه قد اعتمد على ما كتبه لومير وعده دليلاً له لزيارة المواقع الاثرية في ليبيا مثل ابوللونيا (سوسة حاليا) وقوريني أو كيريني (شحات حاليا) وقدم وصفا للمدينتين الاثريتين، كما زار مدينة لبدة الرومانية الاثرية ووصف آثار المدينة في تقرير كتبه في طرابلس عام (1934)[3].

أما المستكشف الألماني هورنمان (Hornemann) الذي كان يعمل لحساب الجمعية البريطانية المعروفة باسم (British Association) أول من وصل إلى مرزق سنة (1798) م، مخترقا الصحراء الكبرى من القاهرة، وقد وصف (Hornemann) أنباء رحلته وصفا دقيقا في التقرير الذي بعث به إلى

---

(1) Frederic Roelker Wulsin: (1968). Pp. 84-87.

(2) ليو افريكانوس: كاتب عربي أسر واعتنق الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي ودون للبابا ليو العاشر كتابا عن داخل القارة الافريقية، وكان ما كتبه عن الذهب والثراء الموجود بتمبكتو (جمهورية مالي حاليا) وغانة، وكانت كتاباته مثار خيال الكثير من الكتاب والمستكشفين: محمد سليمان أيوب: (1969)، ص 91..

(3) Claude Granger: (2006).

الجمعية بلندن والذي أرسله من طرابلس الغرب سنة (1799) م [1]. ولما كان تمويل مثل هذه الرحلات عبئا ثقيلا على الهيئات والافراد فقد قامت الحكومة البريطانية بإعداد رحلة سنة (1819) أرسلت فيها الكابتن جوزيف ريتشي (Joseph Ritchie) والملازم فرانس ليون (Francis Lyon) إلى مرزق حيث توفي الأول بالحمى غير أن الثاني تمكن من زيارة زويلة والقطرون واضطر للرجوع لنفاذ مؤنته وقد سجل (Francis Lyon) وصفا لكل من مرزق وزويلة في كتابه الذي أصدره بلندن سنة (1821) [2].

وتبعت ذلك رحلة البعثة البريطانية التي كان من أعضائها الكابتن كلابرتون (Clapperton) والطبيب اودني (Oudney) والميجر دنهام (Denham) سنة (1822) م، ورغما عن أن هذه البعثة قد لاقت في مبدأ امرها بعض الصعوبات إلا انها نجحت بفضل استعداداتها من ان تقوم برحلة طويلة وصلت فيه إلى البلاد الواقعة حول بحيرة تشاد، ثم رجعت ثانية من نفس الطريق الذي جاءت منه عبر الصحراء الكبرى وواحات فزان [3] إلى طرابلس الغرب سنة (1825) بعد أن فقدت أحد أعضائها الذي توفي من الحمى وهو (Oudney)، وترجع أهمية رحلة هذه البعثة إلى أنها أول بعثة اوربية زارت مدينة جرمة القديمة، ويظهر مما كتبه هؤلاء الرحالة انهم كانوا يجهلون تماما وجود دولة ذات حضارة في الصحراء مما جعلهم يعزون الآثار التي وجدوها هناك إلى الرومان [4].

ومن الرحالة الاوربيين الفرنسي باشو (1824) م [5] الذي زار واحة جالو في شمال شرق ليبيا فوصف آثار المدينة وتطرق لوجود عمود من الرخام الأبيض المعرق بعروق زرقاء داكنة في الواحة كما جاء في كتابه: (حيث أراني شيخ القرية عمودا مخروطي الشكل من حجر الكوارتز بارتفاع قدمين وست بوصات و (0.75) سم عثر عليه خلال التنظيف) ربما استخدم هذا العمود في عبادة لها علاقة بأرواح اسلافهم، كما قدم باشو معلومات عند زيارته موقع قورينة وواحة مرادة [6].

---

(1) انقطعت أخبار (Hornemann) بعد أن قام برحلته الثانية التي غادر فيها منطقة مرزق قاصدا استكشاف بحيرة تشاد، والمظنون انه قتل أو مات في الطريق:
Frederick Konrad Hornemann: (1802)

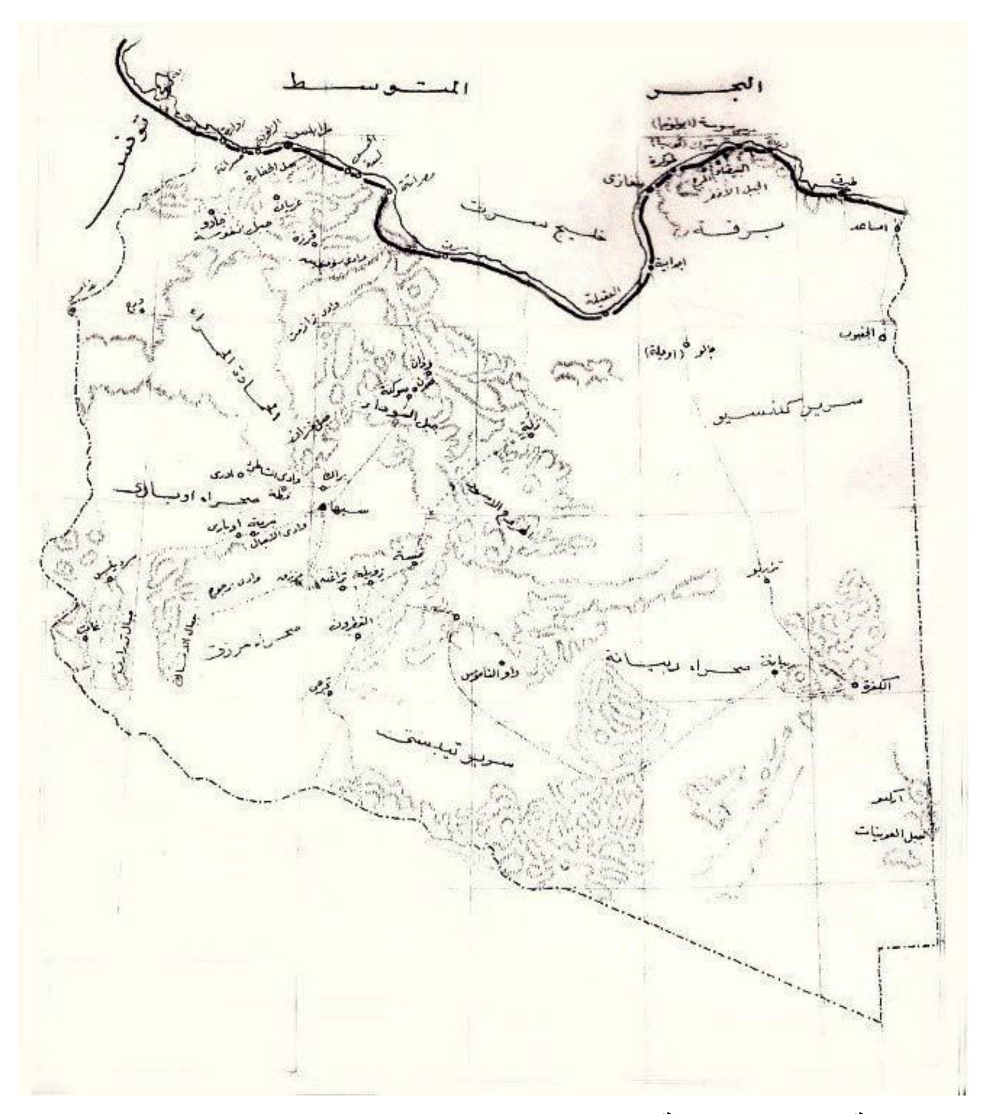
(2) George Francis Lyon: (1821)

(3) منطقة فزان: هي الخلفية الصحراوية لولاية طرابلس يحدها من الشمال صحراء الحمادة الحمراء وجبل السوداء، ومن الجنوب جبل طومو الذي يشكل الحدود السياسية بين ليبيا وتشاد، أما التسمية فهي قديمة فقد ذكر هيرودوتس قبيلة باسم (القمفزانتس) (Gamaphasantes) ضمن القبائل التي تسكن المنطقة الجنوبية: بن بو زيد لخضر: (2018)، ص11-12

(4) Dixon Denham, Hugh Clapperton and Walter Ouden: (1828). p. 70ff

(5) باشو، جان ريمون: (1999)

(6) المصدر نفسه : ص325-326



خريطة 5: ليبيا الحديثة

يعد الرحالة الألماني بارث (Barth) من أهم الذين زاروا الصحراء سنة (1850)، فقد ذكر في كتابه (الرحلة لاكتشاف شمال ووسط أفريقيا) [1]، تفاصيل كثيرة عن الاثار الموجودة بالمنطقة وكان لكتابة هذا الفضل في قيام البعثة الإيطالية التي جاءت فيما بعد عام (1934) بإجراء حفريات في جرمة، ولقد حاول الرحالة الفرنسي دوفيرييه (Duveyrier) عمل دراسة كاملة عن تلك المنطقة عام (1859) ويعد كتابه أول كتاب علمي دون عن المنطقة [2] .

(1) Docteur Henri Barth: (1855)
(2) Henri Duveyrier: (1864)

تعتبر الرسوم الصخرية أو اللوحات التي تركها الأقدمون على جدران الصخور من المراجع المهمة التي نعتمد عليها لحد بعيد في رسم صورة الحياة في عصور ما قبل التاريخ حين كانوا يسطرون على سطح الصخور التي عاشوا بجوارها مظاهر حياتهم اليومية مستخدمين آلة حادة أو بالرسم بالألوان لإظهار الأشكال، وقد بدأت عناية العلماء بتسجيل هذه الرسوم وخاصة فزان منذ سنة (1932) حين قام الباحث الألماني فروبينيوس (Frobenius) بتسجيل الرسوم التي عثر عليها في وادي متخندوش، والورير، وتبني ابتير، وهي الاودية التي تصب في وادي برجوح الواقع للغرب من مرزق [1]، ثم قام الباحث الإيطالي جرزيوزي (Groziosi) بزيارات عدة لمناطق فزان وما حولها عام (1933)، واصدر كتاب (الفن الصخري في الصحراء الليبية) [2] حيث قسم الرسوم الصخرية إلى عصور مختلفة كما سيرد ذلك لاحقا.

كما قامت البعثة التابعة للجمعية الجغرافية الملكية الإيطالية سنة (1934) برآسة (Caputo) بإجراء سلسلة من الحفريات في نواحي مختلفة من فزان، وأصدرت البعثة كتابا قيما باسم حفريات بالصحراء (Soavi Sahariani) ذكر فيها تنقيبات زنككرا وجرمة [3]، كما قامت البعثة الفرنسية بزيارة وادي الأجال [4] سنة (1949) وكانت البعثة برآسة الدكتور (Pierre Bellair) وأصدرت تقريرها حول التنقيبات للجبانات في جرمة، ووادي الأجال الذي يقع بين صحراء الأرح شمالا وجبال الحمادة جنوبا، وقد امكن العثور بالقرب من سفح الحمادة على مواقع كثيرة تحتوي على صناعات من العصر الحجري الحديث وخاصة بالقرب من قرية بنبيا (Benbia) [5].

في سنوات الحرب العالمية الثانية وجد الأستاذ (McBurney) نماذج من الأدوات الحصوية المميزة لهذا العصر في الموضع المسمى (بئر دوفان) في الجزء الشرقي من منطقة طرابلس، في نجد مرتفع من وادي مردوم، وأنتج الموضع نفسه وان لم يكن عن طريق الحفائر الطبقية أدوات حجرية من أوائل العصر الحجري القديم من نوع الفؤوس اليدوية [6]، وفي الشمال إقليم برقة توصل الباحث (McBurney) في تحليله لرسومات وطبقات كهف (هوا فطيح) إلى النتائج التي تنص على أن الطور السادس من أطوار الكهف حوالي

(1) Leo Viktor Frobenius: (1933)
(2) Paolo Graziosi: (1962). p. 22ff
(3) Francesca Caputo: (1934). p. 22off
(4) وادي الآجال: هي المنطقة التي تتواجد بها جرمة عاصمة الجرامنتس القدماء، تقع إلى الجنوب من سبها بفزان، وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول (200) كلم: عبد اللطيف محمود البرغوثي: (1971)، الجزء الأول، ص224
(5) Pierre Bellair: (1949). p. 81ff
(6) طه باقر: (1968)، ص 2
Charles Brian Montagu McBurney: (1968)

(5000) ق.م وقع تحول عميق كبير أثر في حياة الليبيين القدامى نستطيع اكتشافه في (هوا فطيح) فقد ظهرت أولى الحيوانات الأهلية وأصبح الناس رعاة عوضا عن صيادين [1].

أما مجموعة الاثار الليبية في متحف (PRM) التابع لجامعة أكسفورد فقد جمعت خلال الحرب العالمية الثانية، ويعود الفضل للكابتن كريستوفر موسكراف (Musgrave) الذي جمع اللقى الأثرية من مختلف المواقع في جنوب خليج سرت، ومن موقع قورينة (Cyrenaica)، وتضم اعداد كبيرة من الشفرات حتما تعود للثقافة القفصية وفترة أواخر العصر الحجري الحديث، وعثر عليها فوق سطح الأرض في موقع وادي المرتابة (Uadi el-Martaba) بالقرب من مدينة مرتوبة (Matrubah) (مرتوبة هي بلدة في شرق ليبيا، تقع إلى الجنوب من درنة بحوالي 27 كم)، وطبقا لملاحظات الكابتن (Musgrave) فان موقع اللقى التي جمعها كانت في شمال وادي (el Maallegh) في الجنوب وعند حدود وادي المرتابة (Martaba) حوالي (20) ميل جنوب درنة (Derna)، وهناك إشارة ضمن الملاحظات فأن الباحث (McBurney) من جامعة كمبرج أخذ بعض القطع الاثرية للفحص واعادتها فيما بعد، وهناك مجموعة من الاثار تبرع بها الكابتن (Boyd) للمتحف تضم اكثر من (60) قطعة من أدوات الكشط (flake tools) من المحتمل تعود إلى ما بعد العصر الحجري القديم عثر عليها فوق سطح الأرض في موقع يبعد (20) ميل عن خليج سرت في وادي شبر (Chebr) ووادي تاريت (Tarret)، وكذلك تم تسجيل اكتشافات اثرية عام (1947) مماثلة وتعود إلى ما بعد العصر الحجري القديم في واحة (Jerabub) أو واحة جغبوب (Jaghbub) في برقة (Barqah)، وتشمل أدوات رقيقة ذات وجهين حادة ومكاشط، وأيضا هناك (37) قطعة حجرية من مواقع مختلفة عثر عليها فوق سطح الأرض في ليبيا جمعها عام (1960) الباحث (Robert Soper) ولا تزال قيد الدراسة[2].

التحنيط:

لقد كان فن التحنيط معروفا في منطقة الصحراء الكبرى قبل منطقة وادي النيل بزمن طويل، ويبدو أن هذه الطريقة من حفظ جثث الموتى انتقلت من الصحراء الكبرى نحو منطقة وادي النيل، وأحد الأمثلة ذلك الاكتشاف الرائع من قبل الباحث (Mori) عام 1959في موقع وان موهجاج بالاكاكوس، فقد عثر على مومياء لطفل يرجع تاريخها إلى حوالي (3446) ق.م، وقد حدد هذا التاريخ من خلال التحيل عن طريق الكربون المشع 14، الذي أجري بمعهد الطاقة النووية بجامعة بيزا الإيطالية، والمعروف أن التاريخ الذي حدد

(1) McBurney: (1968). p. 6
(2) Nick Barton: (2013). p. 57

من قبل المعهد دقيق جدا مع احتمال (± 180) سنة فقط لتاريخ تحنيط الطفل، وهذ التاريخ يعود إلى عصر ما قبل التاريخ، ورغم أن القرائن لم تثبت ان سكان منطقة الصحراء الكبرى في ذلك الوقت كان في نيتهم حفظ جثة هذا الطفل أو إجراء عملية التحنيط، إلا أن هذا يدل دلالة واضحة على أنهم سبقوا المصريين القدماء في هذا المجال [1]، ولذلك فالفضل يرجع لسكان الصحراء الكبرى في تمهيد الطريق أمام المصريين للتعرف على فن التحنيط وحفظ الجثث الذي تم التعرف على آثاره خلال الأسرة الأولى المصرية (3200) ق.م، وتم التثبيت منه بوضوح في عصر الأسرة الثانية، وتشير المصادر التاريخية إلى أن المصريين القدماء توصلوا إلى فن التحنيط الحقيقي ومارسوه بالفعل ابتداء من الأسرة الثالثة (2700) ق.م، ووصل هذا الفن لدى المصريين القدماء درجة لا تضاهي من الإتقان خلال الفترة ما بين للأسرتين الثامنة عشرة والثانية والعشرين من الدولة الحديثة [2] .

(1) F. Sattin and G. Gusmano:”La cosiddetta (Mummia) infantile dell Acacus nel quadro delle Costumanze Funebri Preistoriche Mediterranee e Sahariane” Published by the directorat General of Antiquities Museums and Archives, Tripoli. 1964. Pp. 7-46

(2) محمد علي عيسى: (2012)، ص78-79

الفصل الرابع

العمارة الدينية والدنيوية

في فجر التاريخ

لا يمكننا أن نعالج في هذا الفصل كل المباني التي أقامها انسان ما قبل التاريخ أو عصر فجر الحضارة ذلك ان المخلفات العمارية لمواقع الاثرية إما نادرة أو تعرضت لتلف شديد عبر العصور قبل أن تصلها معاول المنقبين أو أنها ما زالت تنتظر التنقيب، فهناك اختلاف في نوعية البحث الذي قام به الآثاريين في دول شمال افريقيا عن باقي دول الشرق الأدنى القديم ومنها بلاد الرافدين ومصر على سبيل المثال، فقد كان الدافع الديني والسياسي خلال أوائل هذا القرن قويا لتحقيق ما ورد في التوراة من جهة وتحقيق المتطلبات السياسية من جهة أخرى، مما جعل الدول الاوربية بما فيها فرنسا تولي اهتمام اكثر ببحوث الشرق العربي، فلن نجد في الآثار التي نقوم بوصفها تحقيقا عن طريق الكربون 14 عن واقع تاريخها، ولن نجد للوسائل الحديثة اثرا في مجموعة البحوث التي نتعرض لها، ولو أن ذلك لا ينفي عن تلك البحوث جديتها والجهد المضني الذي بذله القائمون بها ومحاولاتهم الصعبة في تفسير الكثير من مقوماتها.

إذا كنا سنتعرض في هذا الفصل للعمارة الدينية والدنيوية والمقابر، فإننا نجد بأن المباني الدينية والمقابر متداخلة بحيث من الصعب التميز بينهما وعلى هذا فسوف نجمعهما معا عند شرحهما، لخص الباحث الفرنسي (Gsell) اعتقاد سكان دول المغرب القديم حول مسألة الروح والعالم الآخر بما يلي: (... إننا نجهل جهلا تاما الأفكار التي لا شك انها كانت مختلفة، والتي كانت لدى الأفارقة القدماء عن تكون الكائن الإنساني، فالكثير منهم استطاعوا الاعتقاد بوجود الروح التي لا تنتهي بعد الموت إلا بفناء الجسم الذي هو سندها...) ثم يضيف قائلا: (... فالروح تحي، وعادة ما يحلو لها ان تعيش مع الجسم حتى إذا فارقته، وعند بحثها عن غلافها المادي الضائع أو المبعثر، فإنها تشعر بالتعاسة، وتصير شريرة، فلا بد إذن الإبقاء على الجسم، أو بقايا الجسم السجن الجنائزي، لحفظ الروح بنفس المكان...) [1]، وعلى ما يبدو أن سكان دول المغاربية لم يختلفوا عن الشعوب القديمة فقد اهتموا اهتماما بالغا بمسألة دفن موتاهم فكانوا يردمون موتاهم بركام من الحجر، أو يضعون جثتهم داخل مدافن صخرية ذات احجام مختلفة مما يدل على وجود وعي ديني لديهم منذ بداية العصر الحجري القديم المتأخر مثلما تشير اليه مواقع (افالو بو رمال) بالقرب من بجاية بالجزائر [2]، و(تافورالت)، و (إفرين بارود) بالمغرب الأقصى [3]، ومع العصر الحجري أصبح الموتى يدفنون في إطار

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص444

(2) Camille Armbourg, Marcellin Boule, Henri V. Vallois, René Verneau: (1934). Pp. 189-206

(3) Abd el-wahed Ben-Ncer: (2004). Pp. 177-185

معالم جنائزية محفورة داخل الأرض، أو في حفر مغطاة بحجارة، ثم تطورت هذه المعالم على شكل مقابر ذات تسميات مختلفة [1].

تعددت تصنيف المعالم الجنائزية في بلاد المغرب حيث بلغت خمسة عشر تصنيفا على الأكثر على مناطق الشمالية، وخمسة على الأقل بالنسبة للمناطق الصحراوية، ومعظم هذه التصانيف طبقت اعتمادا على معيارين أساسيين هما: الهندسة المعمارية (المورفولوجيا)، والتوزيع الجغرافي [2]، فعلى سبيل المثال تصنيف الباحث (Gsell) (1901-1927) حيث قدم قائمة بأهم المعالم الجنائزية في شكل مجموعتين متميزتين:

1- المجموعة الأولى تتمثل: البازينات، والمصاطب، والدوائر الحجرية، شوشات (القلاعية) (Chouchets).
2- المجموعة الثانية: الحوانيت.

واصل أبحاثه حول المعتقدات والمراسيم الجنائزية التي كان يمارسها البربر في العصور التاريخية، وقام بدراسة المعالم الجنائزية ببلاد المغرب دراسة معمقة اعتمادا على تصنيفه الأول، فدرس الحوانيت والتي تأكد له على انها أقدم من الوجود البوني، كما وصف الدوائر الحجرية، كما تعرف على خمسة أنماط أخرى للمصاطب، وذكر الشوشات (القلاعية) ، والمعالم الميجاليثية المعقدة [3].

كذلك لدينا تصنيف الباحث (Pallary) عام (1909) وضمت قائمته تسعة معالم مختلفة بأنها مدافن بربرية قديمة لا علاقة لها بالفترة البونية (القرطاجية) ولا بالفترة الرومانية حيث ينسبها إلى ما قبل ظهور الإسلام وهذه المعالم هي:

1- المدافن البسيطة.
2- المدافن ذات المدرجات (البازينات).
3- المدافن المحاطة بالحجارة من القاعدة إلى القمة.
4- الدوائر الحجرية.
5- المصاطب.
6- المدافن المستطيلة الشكل.
7- الشوشات (Chouchets).
8- معالم لجدار بتيارت.
9- الحوانيت أو الحونت (Haouanet) [4] .

اما تصنيف الباحث (Camps) للمعالم الجنائزية ببلاد المغرب فاعتمد على التوزيع الجغرافي للمعالم ودرجة التعقيدات المعمارية، وقد استنتج أن

---

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص 444-445

(2) عويسي سمية: (2015-2016)، ص13

Abd el-Kader Haddouche et Smail Iddir: (2007). p. 180

(3) Stéphane Gsell: (1927). t. IV

(4) Paul Pallary: (1909). Pp. 82-95

الأشكال البسيطة المنتشرة في مساحات واسعة بأنها محلية، أما الأشكال المعقدة الموجودة في مناطق محددة دون غيرها تكون مستوردة ودخيلة [1]، كما رتب ظهور هذه المعالم زمنيا وكان تصنيفه كما يلي:

	محلية	- مغارات طبيعية - مدافن من الحجارة - مدافن من التراب - دوائر أو فضاءات جنائزية
أشكال بسيطة	مستوردة	- حوانيت أو الحونت - مدافن تحت الأرض - قبور المطامر - مصاطب - ممرات مغطاة
أشكال متطورة	التي تشكل بجدار خارجي	- معالم ميجاليثية متطورة - بازينات - شوشات
	التي تتميز بطقوس تعبدية	- ممرات وأذرع ودقائل - علامات خارجية أو محاطة أو مسالك - مشكاوات (الكوه) - صليات - كوات وموائد القرابين
	التي عرفت تغيرات في البنية	- مصطبة ذات ممر مكشوف - معالم ميجاليثية معقدة - معالم ذات أروقة - معالم جنائزية في أشكال بناء سكني - أضرحة كبيرة ذات تقاليد بربرية

جدول 5: تصنيف (Camps) للمعالم الجنائزية في شمال افريقيا

فيما يلي المعالم الجنائزية في شمال افريقيا وفق التنقيبات الاثرية، والتي تناولها زملائي الباحثين في بحوثهم القيمة، مع مقارنتها بالمواقع المشابه لها في الشرق الأدنى القديم أو تلك التي عثر عليها في إيبيريا خاصة واوربا عامة:

---

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 61

1- الدفن في الكهوف والحقاف (Les inhumation sous Grottes).
2- قبور الحوانيت أو الحونت (Les Haouanet) .
3- قبور الدولمن (Dolmen).
4- القبور التلية (التمولي) (التومولوس) (Tumulus).
5- القبور التذكارية (البازينا) (Mégalithique) [1].
6- الدوائر الحجرية (Cercles concentriques)
7- القبور القلاعية (مفردها قلعة)
8- المطامر

تشكل المدافن كما في التقسيم أعلاه في دول المغرب القديم دليلا على اهتمام سكان المنطقة بدفن موتاهم، وتعددت شكلا ونوعا وحسب كل منطقة وفترة زمنية، كما هو آتي:

1-الدفن في الكهوف والحقاف (Les inhumation sous Grottes):

يمكن التميز بين نوعين من المغارات (الكهوف) التي استعملها سكان المغاربة القدماء سواء للسكن أو لدفن موتاهم أو الاثنين معا، منها المغارات الطبيعية التي لم يتدخل الإنسان في تهيئتها، والثانية التي يكون الإنسان قد تدخل في إعدادها والتحكم في مساحتها [2]، **و**كان الدفن في الكهوف والحقاف مألوفا خلال العصر الحجري الحديث، ولدينا مثال ذلك من احدى كهوف (ضاحية تمارا Témara) (بلدة الحرحورة جنوب الرباط) ويوجد لها نموذج بمتحف الرباط عند مدخله بالذات، ويبعد كهف تمارا عن المحيط قرابة (300) م والكهف كبير لحد ما طوله (22) م والعرض (9) م وارتفاعه (8) م اتساع الكهف (37) م^2، أجريت التنقيبات فيه منذ عام (1977) كشف فيه ثمانية طبقات مرقمة من الأعلى إلى الأسفل، فالطبقة الأولى تعود للعصر الحجري الحديث المبكر، والطبقة الثانية العصر الحجري القديم الأعلى، اما الطبقات من (3 إلى 8) فتعود للعصر الحجري القديم الأوسط، وكشف عن خمسة مقابر فردية تعود للعصر الحجري الحديث وجميعها لأفراد بالغين ثلاثة ذكور وثلاث من الاناث والعظام في حالة جيده، ويقدر الحد الأدنى لعدد الافراد اثني عشر فردا، وحدد تاريخ سكنى الكهف ما بين (4000) ق.م وأكثر من (40000) عام مضت [3].

---

(1) Gabriel Camps: (1961). Pp. 49-62

(2)محمد بن عبد المؤمن: (2014) ، ص 445

(3) Bouzouggar, A., Barton, N., Vanhaeren, M., d'Errico, F., Collcutt, S., Higham, T., Hodge, E., Parfitt, S., Rhodes, E., Schwenninger, J-L., Stringer, C., Turner, E., Ward, S., Moutmir, A., Stambouli, A: (2007). Pp. 9964-9969.




شكل 20: صورة كهف تمارا (Témara) جنوب الرباط (اليمين)، هيكل عظمي يعود إلى العصر الحجري الحديث بمغارة وادي القطارة (Oued el Guetara) – بريدعة-غرب وهران بالجزائر، وضعية الجسم بهيئة الجنين، واليد قريبة من الفم، واتجاه الرأس نحو شروق الشمس

يرى (Camps) ان سكنى الكهوف كان مؤقتا وفي زمن الاضطرابات والقلاقل فقط، وان سكان شمال افريقيا كانوا دائما يفضلون سكنى العراء سواء في الخيام أو الاكواخ [1]، ومع ذلك فإننا نرى أمثلة عديدة من سكنى الكهوف في العصر الحجري الحديث مثل مغرة رأس سبارتل (Ras Spartel) [2] في طنجة، وكاف تحت الغار (Caf That al Gar) في تطوان [3]، وكان سكان تلك المواقع يدفنون موتاهم في المغارات والكيفان التي عاشوا فيها، فقد وجدت هياكل عظمية بشرية تعود للحضارة العطرية بمغارة دار السلطان 1 و 2، والعالية، وعين فرتيسة، ومغارة الرفاس وقد صنفت ضمن أهم اللقى التي خصت هذه الفترة من العصور الحجرية [4]، اما في عصور ما قبل التاريخ فقد كان سكان إقليم تازة (شرق المغرب) ونواحيها يسكنون الكهوف ويدفنون موتاهم فيها، ولعل أحسن الأمثلة لدفن الكهوف تلك الموجودة في كيفان بالمغاري في جهة تازة (Taza) حيث عثر على هياكل عظمية في وضعية دفن منطوية [5].

---

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 63

(2) Marie-Gustave Bleicher: (1875). p. 210

(3) Miguel Tarradell: (1955). Pp. 307-325

(4) محمد عبد الجليل الصحراوي: (2007)، ص 109، 119، 122

(5) Campardou, J (Lieutenant): (1917). Pp. 307-308 // Slimane Hachi: (1996). Pp. 99-118.

اما السواحل الأطلسية الوسطى فقد وجدت ثلاث هياكل عظمية ومعها فخار في كهف تماريس (Tamaris) في الدار البيضاء [1] ، ومن المواقع السابقة وعددها القليل ان عادة الدفن في الكهوف قد هجرت بالمغرب منذ نهاية العصر الحجري الحديث، ومن المحتمل ان الاعداد القليلة التي دفنت في الكهوف كانت تمثل حالة خاصة وشاذة ويرجح الباحث (Vallois) ان تلك الطريقة من الدفن كانت لأسباب سحرية أو دينية على أساس اعتقاد القدماء في قدسية الكهوف [2] ويعزو بعض الباحثين مدافن الكهوف إلى وصول تقاليد جنزية من جزر الكناري للمغرب وذلك قياسا إلى ان الجوانشي (Guanche)[3] وهم سكان تلك الجزر القدماء كانوا يدفنون موتاهم في الكهوف حتى القرن الخامس عشر الميلادي [4]، إلا أن هذا الاحتمال ضعيف وبعيد عن الواقع إذ أن التنقيبات الاثرية كثيرا ما تشير إلى سكان الكهوف المنتشرين عادة في جميع بلاد الشرق القديم لاسيما في المناطق الجبلية التي تتوفر فيها الكهوف، وبطبيعة الحال كان هؤلاء يفضلون ان يدفنوا في الكهوف[5]، وإذا كانت الكهوف الموجودة في الصحراء المغربية والقريبة من جزر الكناري لا توجد بها هياكل عظمية قديمة فمعنى ذلك ان افتراض كونها تأثيرا من جزر الكناري افتراض خطأ وغير صحيح، والاقرب للعقل اما ان يكون هذا النوع من الدفن تقليدا موروثا من أواخر العصر الحجري الحديث كما يرى الباحث (Camps) من واقع كهف سيلا (Sila) وكيفان بالمغاري: (هذين المثالين تسمح لنا بالاستنتاجات المؤكدة بان دفن الموتى فوق أو داخل

---

(1) Georges Souville: (1955-1956). Pp. 351-355

(2) Henri-Victor Vallois: (1956). Pp. 273-282

(3) من الناحية الانثروبولوجيا يتشابه الجوانشيين مع رجال المشتا-العربي ولكنهم لا يماثلون هؤلاء الأخيرين في الحرف الصناعية والعادات: جيهان ديزانج: (1985)، ص432

(4) كان سكان الجوانشي في جزيرة (بالما) يزورون دوريا صخرتين مقدستين (Tismar) و (Vimenya) ويسكبون عليهما بعضا من الزبدة والحليب وزيت الزيتون، ويصاحب ذلك انشاد الأغاني الدينية الحزينة في أجواء الرقص: كيحل البشير عطية: ص6// اصطيفان اكصيل: (2007)، الجزء الأول، ص 225

René Verneau: (1883). Pp. 202-210

(5) تظهر عادة سكنى الكهوف في الشرق القديم وعلى سبيل المثال كهف جبل الكرمل قرب قرب حيفا في فلسطين، وفي العراق كهوف شانيدر (في أربيل) ، وهزارمرد، وكهف زرزي قرب السليمانية، وفي المرتفعات الإيرانية كهوف بيهستون، وتامتاما، وفي الاناضول كهوف اوزاغل، وبنديك، ودولوك، وبيره جك، وفي سوريا الكهوف الساحلية، وفي ليبيا كهف هوا فطيح، وكهف وان موهجيج بوادي تشونيت الشريان الحيوي لمركز هضبة الاكاكوس.. الخ: آدم نكنشتاين و(آخرون): (1986)، ص31-33// سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي: ص39-40 و191-192 // باربارا باريش: (1987)، ص55-58

Abbè J. Roche: (1952). Pp. 647-652

الكهوف يصبح نادرا جدا بعد العصر الحجري الحديث، والدفن داخل الكهوف هي في بعض الأحيان تقليد قديم لأنواع أخرى من الآثار الجنائزية مثل الحوانيت أو حفر المقابر تحت الأرض، وبذلك فهو تقليد موروث للسكان المحليين) [1] .







شكل 21: يمثل مقابر الجوانشي في جزر الكناري (جزر الخالدات)، وقد حفرت بالجبل وتعود إلى عصور ما قبل التاريخ (عدسة المؤلف)، الصورة في الاسفل مداخل حجرات الدفن المستديرة (عدسة المؤلف)

لا يقتصر الامر على التقاليد الموروثة بل تشير بعض الدلائل الاثرية إلى وجود مستقرات في الكهوف في كل من ليبيا مثل كهف (حكفت الطيرة)، وكهف (حكفت الضبعة) (Hagfet Dabba)، ومغارة (هوا فطيح) الواقعة في

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 65

المرتفعات الوسطى من الجبل الأخضر، و(كهف النعامة) [1]، وتم العثور على مجموعة من المغارات الطبيعية بالجزائر بكل من جبال المرجاجو (Murdjajo) الذي يشرف على مدينة وهران وضمن هذه السلسلة الجبلية مغارة (الكوارتل)، و (البوليغون)، ومغارة (سكان الكهوف)، ومغارة (وادي قدارة) في غرب وهران [2]، وموقع (أفالو بو رمال) بالقرب من بجاية [3] .

يمكن القول في العصر الحجري الحديث كان الانسان يدفن موتاه قرب الأماكن التي يعيش فيها، ولهذا اعتبرت الكهوف والحقاف والمغارات بمثابة مقابر للإنسان، أما وضعيات الدفن فهي متعددة فقد كانت أجساد الموتى تطوى أو تحزم مستلقية على الظهر أو في وضعية جانبية، وتكون الاعضاء مطوية بشدة، كما كان يتم التعرية من اللحم واحيانا كانت عظام مختلفة متناثرة عشوائيا فوق الجثة مما يدل على أنه يتم دفن أكثر من شخص في القبر الواحد، ففي موقع (افالو بو رمال) بالجزائر اكتشف حوالي (48) جثة في وضعية منطوية كما وجدت بعض الجثث في وضعية ممدودة، وفي موقع (تازة) التابعة لبلدية (زيامة منصورية) بجيجل (الجزائر) وجدت مدافن بها عظام مبعثرة، وفي (تافوغالت) (أو تافورالت) بالمغرب الأقصى وجدت مدافن ذات وضعيات دفن مختلفة بها عدد كبير من الجثث مما يدل على وجود ظاهرة الدفن الجماعي لأكثر من جثة في مقبرة واحدة، وفي موقع (افري نبارود) الموجود بالريف الشرقي للمغرب الأقصى حيث تم اكتشاف جثث مدفونة في وضعية جالسة [4].

أما في تونس فلدينا مجموعة كهوف تعود لما قبل التاريخ كمغارة (كاف العقاب) شمال غرب جندوبة، و(كاف القرية) بين مدينة (مكثر) و(حفوز)، ومأوى (الرديف) بالجنوب الغربي التونسي [5]، وكانت طريقة الدفن في الكهوف تتم عن طريق تجريد الجثة من اللحم مثلما أشار إليه الباحث (Camps) بالنسبة لمدافن (بني مسوس) بالجزائر، وإلى جانب بقايا عظام الميت توضع الأواني والأغذية مما يدل على وجود فكرة عن عالم الأسفل وحاجة الموتى إلى الأمور الحياتية [6]، فمن المحتمل أن يكون الدفن في الكهوف من التقاليد القادمة من الشرق، وإذا كانت النصوص المصرية تتحدث عن سكان الكهوف إلا انه يبدو بان تلك النصوص انما كانت تعني سكان

(1) Brian Montagu McBurney: (1950) // Brian Montagu McBurney: (1955). Pp. 215-218
(2) Gérin-Ricard: (1930-1931). Pp. 637-639
(3) Camille Arambourg, Marcellin Boule, Henri V. Vallois, R. Verneau: (1934). Pp. 189-206
(4) Gabriel Camps: (1961). Pp.463-464
(5) Marie-Gustave Bleicher: (1875). p. 210
(6) Gabriel Camps: (1974). Pp. 63-64

جنوب سيناء القدماء أو سكان شرق نهر الأردن ولم يكونوا يعنون سكان شمال افريقيا [1].

كانت طريقة الدفن بسيطة جدا فمثلا في كهوف سيلا (Sila) (أم البواقي) حيث نظمت أول الحفريات عليها سنة (1914)، يبلغ عرض تسلسل هذه المغارات بأكثر من (300) مغارة[2]، وكان شكل القبر عبارة عن حفرة بسيطة يسجى فيها الميت على جنبه وفي بعض الأحيان على هيئة الجنين، وكان يوضع معه في بعض الأحيان بعض قطع الفخار من النوع الخشن (صناعة العصر الحجري الحديث)[3]، ولم تضمحل سكنى الكهوف مع اضمحلال عصور ما قبل التاريخ بل بقيت في بعض الجهات إلى أيامنا هذه[4].

هذه[4].

2.قبور الحوانيت أو الحونت (Les Haouanet):

إذا كانت الكهوف الطبيعية قد اتخذت مساكن ومقابر في عصور ما قبل التاريخ فان القدماء قد اتخذوا عادة عمل كهوف صناعية في الجبال وذلك بحفر فتحات داخل الصخر وتعميقها بشكل كهف صناعي، وأول من استعمل هذا المصطلح كان عام (1864) م من طرف (Berbrugger) في بحثه عن المغارات الصغيرة الاصطناعية في موقع الركنية بالجزائر [5]، وقد وجد العديد من هذه الكهوف الصناعية ويطلق عليها سكان النواحي التي توجد بها هذه الكهوف المحفورة اسم (الحوانيت) وأصل كلمة (حانوت) تعني دكان، وقد استعار العلماء هذه التسمية واستعملوها في مصطلحاتهم العلمية، وقد صنفها بعض الباحثين ضمن المساكن [6] في حين أوضح الباحث (Reygasse) أن حجمها الصغير لا يسمح للتمدد بداخلها، وبقايا السدادات الحجرية، والحزات المنقورة على عتباتها لا تسمح بإدراجها كمساكن [7]، فشكلها الصغير جعل من من وضعية الدفن بداخلها تكون منطوية وهي الوضعية الأكثر شيوعا في الدفن، كما كانت تدفن بداخلها عظام الموتى بعد تجريدها من اللحم [8] .

---

(1)جيمس هنري برستد: (1969)، ص 48 ، 116، 169-171

(2) Logeart. F: (1935-1936). Pp. 69-105

(3) Fernand Logeart: (1935-1936). Pp. 69-105

(4) شارل اندري جوليان: (1969)، ص 75

(5)أطلق هذا الاسم السكان المحليين بالركنية ومع هذا هناك عدة أسماء منها ففي موقودوس موقودوس (Mogodes) تسمى بيبان (Biban)، وفي كروميري تسمى غرفة (Ghorfa)، أو بيت الحجر (Chambre de Pierre)، أو سميت بغار السلطان (Grotte de Sultan):

Berbrugger, A: (1864). p. 78 // Gabriel Camps: (1961).p. 92

(6) Jules René Bourguignat: (1870). p. 15

(7) Maurice Reygasse: (1950). p. 22

(8) Gabriel Camps: (1961). p. 93

يظهر هذا النوع من المقابر في الشرق الجزائري فنجدها في قالمة، وعين البيضاء، وتبسة، وقسنطينة، وتقل في غرب الجزائر، وفي التل التونسي تنتشر في رأس الطيب، وموغادوس، وكروميري بتونس، وكيفان بالمغاري في تازة شرق المغرب الأقصى، أما في الصحراء فهي معدومة تماما [1]، وهناك ثلاث أشكال للحوانيت:

1- غرفة منحوتة في قمة الربوة.
2- غرفة منحوتة في صخرة معزولة مهيأة من الداخل ولها فتحة جانبية.
3- صخور منحوتة لها فتحة علوية [2].

من الجائز أن سكنى الكهوف الصناعية المسماة بالحوانيت أو الحونت كان نتيجة طبيعية لالتجاء السكان للمناطق الجبلية أثناء الخطر مما حملهم على حفر مساكن لهم في الجبال والمنحدرات الصخرية، والأخرى المنقورة داخل المغارات، أو على الصخور المنعزلة أو متراكبة، ومن المحتمل التي لم تكن هناك عدد كاف من الكهوف لإيوائهم، فعمدوا على حفر الكهوف الصناعية واستعمالها كمقابر ربما تأثيرا واردا من المشرق، فقد عرف هذا النوع من المقابر في العراق ومنها كهوف الطار [3]، جنوب غرب كربلاء، ومغاور مجول جنوب مدينة عانه [4]، ثم المقابر المثقوبة في صخور الجبل عند شاطئ بيبلوس (جبيل في لبنان حاليا) والتي ترجع لأحدى الأسر المالكة (2000) ق.م قد حفرت بهذه الكيفية [5]، ولدينا امثلة أخرى من العصر التاريخي المتأخر عن عن عمل مساكن في الصخر مثل مساكن الانباط في الأردن واشهرها الكهف المعروف باسم خزنة فرعون في البترا [6]، ومدائن صالح في نواحي تبوك في

(1)رابح لحسن: (2004)، ص 27
(2) عويسي سمية: (2015-2016) ، ص27-28
(3)تقع كهوف الطار على بعد (30) كم جنوب غرب كربلاء، ولعلها كانت محطة تجارية ونقطة مرور في عصور قديمة عددها (400) كهف، وهي كهوف صناعية حفرها الانسان وربما استخدمت لأغراض دفاعية أول الامر ثم اتخذت قبورا فيما بعد وتختلف شكل الحجرات وعددها ومساحتها، عثر فيها على هياكل عظمية ومخلفات اثرية تعود إلى فترة أقدم من العهد الكاشي ومن بعدها بقرون الفترة الهلنستية، وربما أقدم من ذلك: تقرير موجز لتنقيبات الاثارية اليابانية في كهوف الطار: سومر، المجلد 43، العدد 1-2، بغداد، 1984، ص283// صادق الحسيني: (1972)، ص 287-290
(4)تقع مغاور مجول ضمن قرية جبين جنوب مدينة عانه، وهي مقابر حفرت باليد وبدقة ومهارة وبأشكال مختلفة منها مقابر فردية وأخرى جماعية بسيطة وثالثة جماعية متطورة العمارة، ويظهر فيها أحيانا تقليد فرعوني متمثل بأبواب وهمية مع بعض الرسوم لأشكال هندسية ملونه.. الخ: قحطان رشيد صالح: (1987)، ص182
(5) William Culiacan: (1961). p. 151
(6) صالح أحمد العلي: (1954)، ص42-44

في المملكة العربية السعودية، وكهوف تل أبو مطر إلى الجنوب من بئر السبع في فلسطين [1] .

وإذا كانت هذه المباني ترجع لعصر متأخر إلا انها كانت ولا شك تطويرا لمساكن محلية ألف عليها السكان من فترة سكان الكهوف [2]، وسواء أكانت هذه المساكن والمدافن تأثيرات وردت من المشرق أو محلية فأن المناطق الجبلية والساحلية شهدت هذا النوع من الدفن، ولو أن هذا النوع من المدافن كثير في تونس لاسيما في المناطق الساحلية مثل حوانيت (منبع عين القصر)، و(سيدي عباد) [3].



خريطة 6: توزيع قبور الحوانيت أو الحونت في شمال افريقيا

---

(1) سامي سعيد الأحمد: (1979)، ص 70

(2) صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص 96

(3) محمد بن عبد المؤمن : (2014)، ص 446

يرى الباحث (Deyrolle) بأن أصولها من مالطة وصقلية [1]، لذلك يعزى انتشارها بكثرة في الشرق الجزائري مثل كهوف تبسة في شرق الجزائر، وكهوف تيبازا على الساحل الغربي للجزائر، وفي تونس وذلك نتيجة قرب المسافة بينهما، حيث تنتشر الحوانيت بكثرة شرق خط وهمي يمتد من بجاية شمالا، نحو جزيرة جربة جنوبا، مع وجود البعض منها نادرا وبشكل معزول غرب هذا الخط بكل من وادي رهيو، وجديوية (شرق ولاية غليزان) بالغرب الجزائري، وتيبازة وفي ازمور بالمغرب الأقصى [2].

يعتقد الباحث (محمد حسين فنطر) أن أصول هذه المدافن لوبية (سكان الليبو) لكنها تنوعت واختلفت عبر العصور القديمة [3]، وبالتالي لا يستبعد أن يكون السكان الاصليون لدول المغاربية القدماء قد تعرفوا عليها قبل وصول الفينيقيين والاغريق إلى شمال افريقيا، على العموم عثر على عدد القليل من الحوانيت في المغرب الاقصى مثلا كهوف تازة شرق المغرب، وكهوف أزمور قرب الجديدة على الساحل الأطلسي.

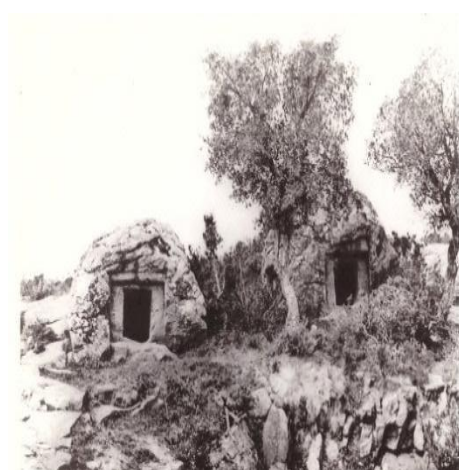
---

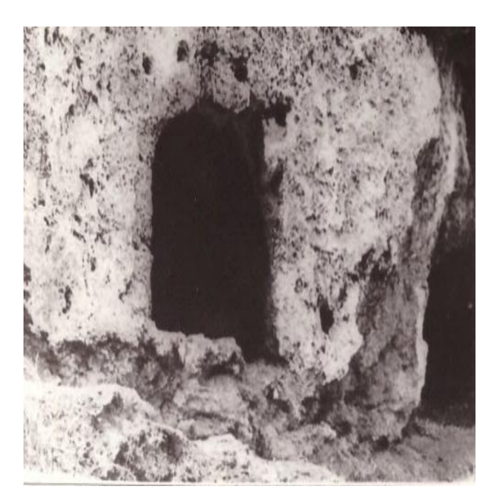
(1) Étienne Deyrolle:” Les Houanet de Tunisie”, Bulletin de la société d’anthropologie, t 10. Paris. 1909. Pp. 155-170.

(2) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص 82

Monique Longerstray: (1993). Pp. 34-36

(3) محمد حسين فنطر: (1992)، ص3 ، الحرف والصورة ، ص248







شكل 22: صورة قبور الحوانيت أو الحونت في جهة بالمغاري بتازة (المغرب) (اليمين)، والشكل العام للقبور ومدخل القبور (اليسار)، والحجرات من الداخل (الاسفل)

كان الحفر يتم بأشكال مختلفة ولكن في اغلبها بيضاوي الشكل أو مربع أو مستطيل وفي أغلب الأحيان يتكون المدفن من غرفة واحدة ولكن هناك من مدافن الحوانيت ما يتكون من غرفتان وثلاث ربما أكثر، وغالبا ما كانت مداخلها عمودية ذات فتحات رباعية الشكل [1]، ويسد المدخل المطل على الخارج عادة بالأحجار التي ترص بعضها فوق بعض اما بانتظام أو غير انتظام وفي أغلب الأحيان لا تلتصق هذه الأحجار بملاط بل تتماسك بفعل رصها فوق بعض بعناية ويرجع السبب في انهيار هذه المداخل وزوال بعضها إلى العوامل الطبيعية وأكثرها إلى محاولات الحفارين من صيادي الذهب

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص81

والاثار أو الباحثين عن المأوى، وبعض هذه المدافن تحليها رسوم مزخرفة واحيانا ملونه [1]، ففي مقبرة (بن يسلة) (Ben-yesla) قد ضمت وحدها أربع وأربعون حانوتا [2]، وجدت بداخلها آثار لرسومات جدارية لأشكال هندسية، ونباتية وحيوانية، واشكال بشرية وأسلحة، ورموز مقدسة، ومشاهد رعي وملاحة، وقد رسمت بعض المشاهد بالطباشير الأحمر الذي يرمز إلى لون الدم، الذي يرمز هو الاخر للحياة في العالم الآخر [3]، ولو أنه لا يوجد في غالبيتها اية رسوم أو نقوش، وبالنسبة للكهوف الصناعية الموجودة في جهة بالمغاري بتازة (المغرب) فيها زخارف بشكل قرص دائري وقد وجدت زخارف كثيرة من هذا القرص في العديد من المدافن المسماة بالحوانيت مما حمل الباحث (Camps) على التساؤل عن ما ترمز اليه من معاني دينية: (ما معنى هذا القرص الدائري؟ هل له قيمة رمزية فلكية مثل القمر أو الشمس كما اقترح الباحث كامباردو (Campardou)؟ ونحن نعلم أن الأفارقة القدماء عبدوا هذه النجوم، وأن هذه الرموز تظهر على مزهريات جنائزية في موقع تيديس (Tiddis) [4]. ونقشت هذه الأقراص الدائرية أيضا على الدروع المستديرة التي يحملها المحاربين الليبيين، أو الآلهة على بعض الأعمدة وخاصة في منطقة القبائل (Kabylie)...) [5].

---

(1) Étienne Deyrolle: (1904). p. 155

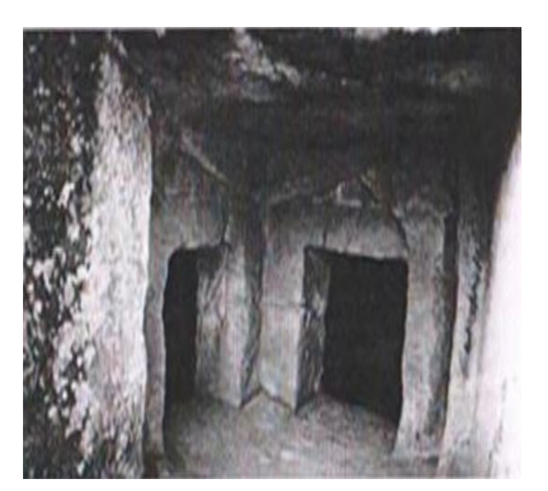
(2) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص83

(3) Monique Longestay: (1995). Pp. 43-44

(4) تقع خرائب تيديس الرومانية على منحدر جبلي يبعد عن قسنطينة قرابة (30) كم، واستوطن الموقع سابقا من قبل البربر منذ العصر الحجري الحديث، ولكن الرومان طوروا الموقع وشيدوا مدينة اطلق عليها كاستيلو تيديتانوروم (Castellum Tidditanorum) وكاستيلو تعني قلعة، وكانت واحدة من القرى المحصنة التي تحيط مستوطنة أكبر هي قسنطينة (سيرتا القديمة (Cirta))، وتقع حاليا ضمن أراضي بلدة بني حمدن في مقاطعة قسنطينة شرق الجزائر:

Mounir Bouchenaki: (1978). p. 114

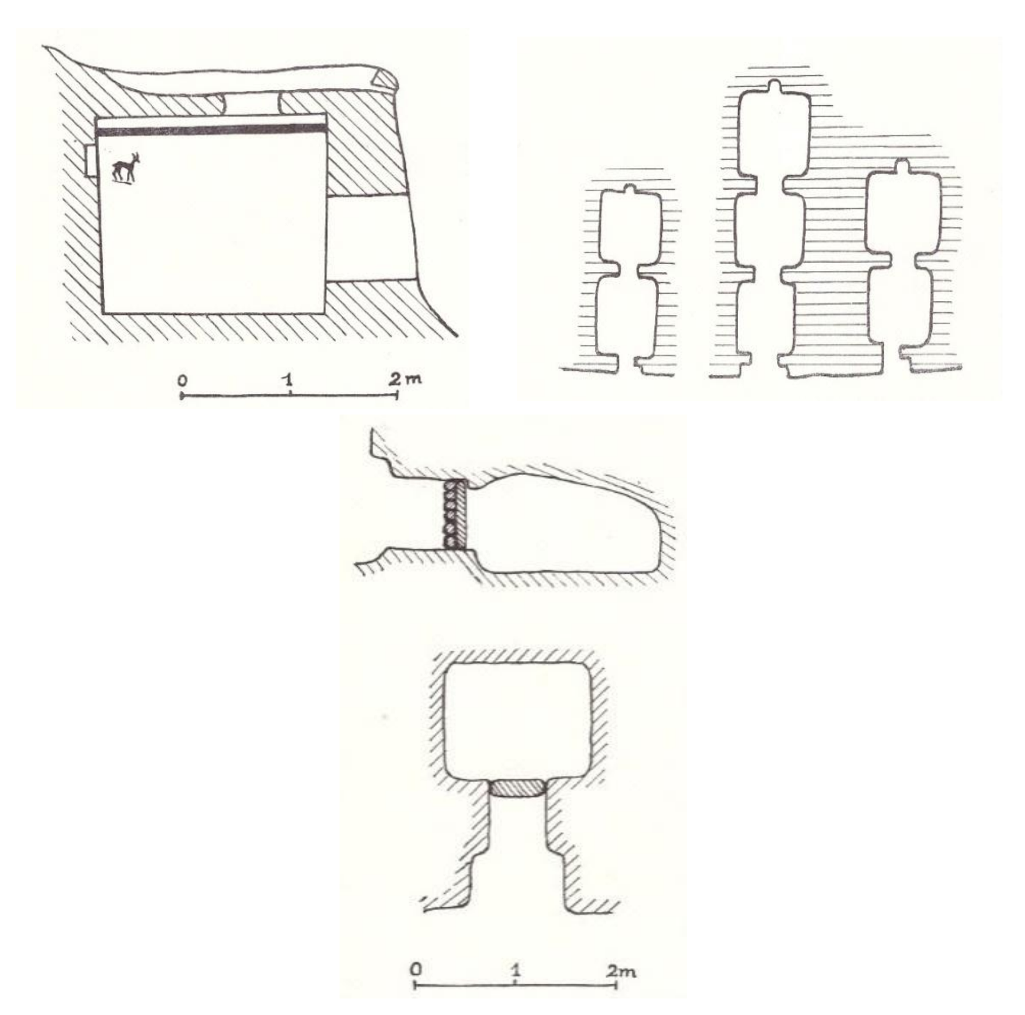
(5) Gabriel Camps: (1961). p. 102





شكل 23: الحوانيت أو الحونت في شرق الجزائر: مداخل الحوانيت (اليمين)، المداخل التي تؤدي الى حجرات الدفن (اليسار)

خلافا للزخارف المنقوشة فقد وجدت ببعض تلك المدافن وعلى جدران الحائط أو الصخر بعض الرسوم الملونة من الطراز المألوف في الرسوم الملونة الصخرية في تاسيلي-ازجر (جنوب الجزائر) مثل الحيوانات البرية، والأشكال الهندسية، والحلزونية، والأسماك، والسفن، وبعض الأشكال الآدمية برؤوس حيوانية.



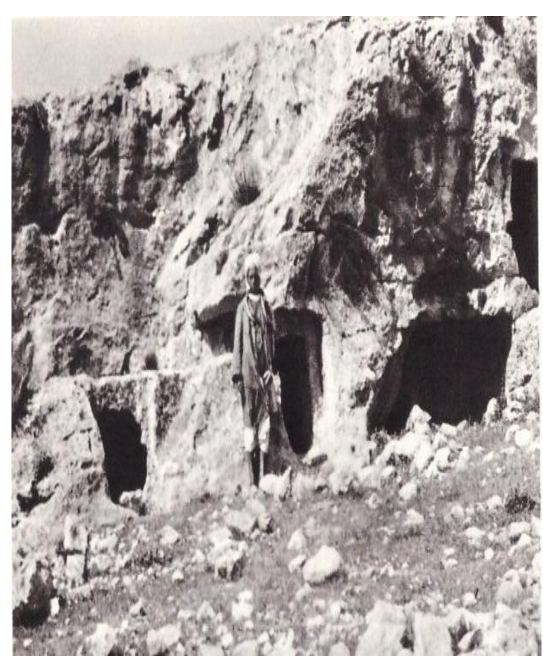
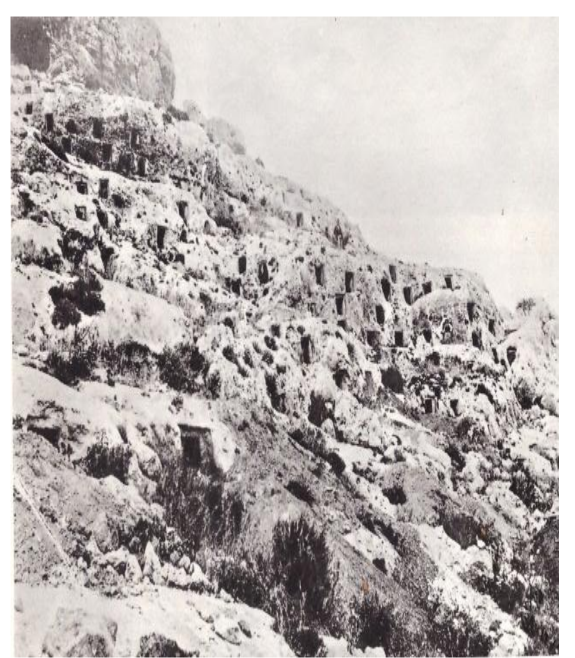
شكل 24: حوانيت أو الحونت الحروري (El-Harouri) (شرق تونس) مؤلفة من حجرتين إلى ثلاث حجرات (اليمين)، حانوت جبل بهليل (Djebel Behelil) (شرق تونس) وفي داخله رسم غزال (اليسار)، اشكال حوانيت بنتاليكا (Necropolis of Pantalica) (جنوب شرق صقلية) (الاسفل)

اما بخصوص الأثاث الجنزي في قبور الحوانيت فقد وجدت غالبيتها خالية تماما من أي شيء من تلك التي تصاحب الميت عادة لخدمته في الحياة الأخرى، ولذا فان أمر تاريخ تلك المدافن تبدو في غاية الصعوبة ان لم تكن مستحيلة، ومع هذا هناك استثناء في حوانيت (الركنية) [1] التي زودت الباحثين

---

(1) اعتبرت حوانيت الركنية (ضمن ولاية قالمة في شرق الجزائر)على أنها مغارات اصطناعية صغيرة حفرت في الجرف، أي أنها من المدافن القديمة الباكرة، وكانت تسمى بالنواويس المكعبة (Hypogées Cubique): محمد العربي عقون: (2008)، ص252

ببقايا أثرية تمثلت في أساور، وقطع برونزية صغيرة، وشظايا فخارية كانت قد دفنت مع الميت [1]، وعلق الباحث (Camps) وأيضا الباحثين (Gobert) و (Cintas) انه من المحتمل ان بعضا من هذه المدافن ترجع أصولها فينيقية-بونية [2]، على أساس وجود بعض الشبه بينهما وبين بعض العناصر المعمارية المتخذة اثناء حفر الكهف وهو الممر الشبيه بالممر المسمى دروموس (Dromos) [3] لدى اليونان وثانيها تشابه الرسوم الملونة على جوانب تلك الكهوف الصناعية مع الرسوم التي على جدران المدافن الفينيقية بغرب البحر المتوسط [4]، ولكن المدافن الفينيقية كانت تنقر تحت الأرض، في حين كانت الحوانيت وخاصة الفترة المبكرة تنقر على الصخور السطحية وقد انتشرت المقابر الفينيقية بكثرة بالقرب من مناطق السكن وبالأخص منطقة قرطاجة وكركوان (في تونس) [5].

شكل 25: قبور الحوانيت أو الحونت في قصطل (Gastel) في ولاية تبسة (Tébessa) (الجزائر)

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص83

(2) Ernest-Gustave Gobert et Pierre Cintas: (1939). Pp. 135-198 // Gabriel Camps: (1961). p. 102

(3) Pierre Cintas: (1954). Pp. 89-154

(4) شارل اندري جوليان: (1969) ، ص122

(5) Gabriel Camps: (1961). p. 106

لكن الاشتراك في مميزات العمارة الجنائزية وأماكن انتشارها لا يعني بالضرورة أن أصول الحوانيت هي فينيقية-بونية لذا لا يقوم دليلا على وجود تأثيرات ثقافية فضلا عن أن تلك الحليات التي هي الدليل الأساسي لا توجد منها في مقابر الحوانيت إلا عدد قليل لا يعتد به، اما الرسوم فهي بدورها اقل من الحليات عوضا عن انها ربما كانت بالعكس تأثيرات محلية على الفن الجنزي لدى الفينيقيين [1]، هذا فضلا عن أن النقوش الملونة منها تشبه الرسوم الملونة على صخور جبال تاسيلي- ازجر، فهي بذلك اقدم من العهد الفينيقي، ويعلق الباحث (Camps) أنها تعود لفترة العصر المعدني، وتواصل استعمالها أثناء الفترة البونية، وحتى الفترة الرومانية [2]، ولربما ترجع للعصر الحجري الحديث [3]، هذا علاوة على أن ذلك التأثير الجنزي لو كان فينيقيا لصاحبه المظاهر الجنزية الفينيقية الأخرى المصاحبة للميت في المقابر الفينيقية الامر مفقود في مقابر الحوانيت، وأخيرا فان مكان انتشار هذه المدافن بعيد عن المستقرات الفينيقية مثل قرطاج (Carthage)، واوتيكا (Utica) وغيرها.

من وجهة نظر الباحث (Bernabo Brea) كونها تأثيرا من جزيرة صقلية أو من سردينيا على أساس كثرة هذا النوع من الاضرحة هناك [4]، ولكننا هنا أيضا تواجهنا نفس المشكلة إلى من ترجع هذه المدافن؟ كل ما أمكن الوصول اليه انها ترجع للعصر الحجري الحديث بمعنى انها سابقة لوصول الكريتين والفينيقيين، فهل كانت تلك القبور لهؤلاء الاقوام من الشردانا والشكل أو الصقل (سكان سردينيا وصقلية) الذين روعوا مصر بغاراتهم بحرا وبرا والذين أطلق عليهم في نصوص المصرية اسم شعوب البحر [5]، ونظرا لفقر محتويات هذه القبور فان أمر تاريخها سيظل سرا خافيا حتى تظهر كشوف جديدة يمكن ان تنير الطريق في هذا الموضوع.

---

(1) Ernest-Gustave Gobert et Pierre Cintas: (1939). p. 97

(2) Gabriel Camps: (1961). p. 235

(3) Stéphane Gsell: (1927). t, VI. p. 173

(4) Bernabo Brea L: (1953-1954). Pp. 137-236

(5)حدثت هجرة من الغرب باتجاه شرق البحر المتوسط، وشملت هذه الهجرة قبائل الامازيغ (المشواش) مع القبائل المتكلمة باليونانية فدمرت حضارة عصر البرونز في تيرنس، ومايسيين، وكريت، ولعل سبب الهجرة الحصول على الطعام مما يوحي بان مرجع الهجرة ربما نتيجة للجفاف أو الجذب الذي حل بالقرب من سواحل البحر المتوسط، وقد رسم المصريون القدماء الامازيغ بشعور طويلة مرسلة على ظهورهم، اما المؤرخ هيرودوتس فقد وصف القبائل التي تعيش في جنوب تونس بان رجالها يرسلون شعورهم للأمام أو الخلف، ونتيجة لهجمات تلك القبائل على دلتا مصر فقد استدعى الامر معركة حاسمة في عهد رعمسيس الثالث لوقف زحف شعوب البحر على مصر:

André Jodin: (1964b). Pp. 11-45// Oric Bates: (1914). p. 34

3- قبور الدولمن أو المصاطب (Dolmens)

أطلق مصطلح (Dolmens) سنة (1805) م لأول مرة من قبل الباحث (Reboud) حيث استعملها للدلالة على قبور واد الجلفة [1]، وأصبحت شائعة بين الباحثين، ومع هذا هناك عدة تعاريف لمصطلح الدولمن، يمكن تسميتها بالقبور الحجرية [2]، أو المصاطب، وباللغة العربية (القبور المنضدية)، بينما يرى الباحث (محمد حسين فنطر) بان مصطلح الدولمن هو (Celtique) يتركب من كلمتين (دُل) يعني المائدة و(مَن) بمعنى الحجرة [3]، وتبدو كنصب جنائزية تتشكل من بلاطات حجرية أفقية قد ارتكزت على دعائم عمودية، وقد استعمل مصطلح الدولمن للإشارة لقبور منطقة الجلفة بالجزائر، ثم شاع استعمال هذا المصطلح من قبل باقي الباحثين [4]، وهناك نوعان من قبور الدولمن: (1) القبور ذات الأعمدة الحجرية التي تغرس في الأرض وتعلوها المنضدة، (2) القبور التي تتكون من جدار حجري ضخم تعلوه بلاطة أو عدة بلاطات [5] .

بخصوص أنوع هذه المقابر التي تعرف باسم النصب (Dolmen)، فهي عبارة عن حفرة دائرية أو اسطوانية واحيانا مربعة يسجى في قاعها الميت وتبنى جدران القبر بالحجر ثم تكسى بالتراب والاحجار ثم توضع احجار ضخمة على الجوانب ويعلوها في النهاية كتلة ضخمة من الحجر، ولهذه المقابر عدة تسميات في المعاجم الاوربية (Dolmens) و (Cromlechs) أو (monuments Mégalithiques) .. الخ ويرى الباحث (Raynaud) احتمال وجود علاقة بين طراز هذه القبور وطراز القبور الأخرى الشبيهة بها والموجودة في البرتغال وبريطانيا والدنمارك وفي اسبانيا (جزر مينروقة في غرب البحر المتوسط)، وقد أطلق اسم القبور الحجرية تمييزا عن القبور التلية، وان كلمة دولمن أو المصاطب هي المتداولة في المغرب العربي على هذا النوع من القبور الحجرية ويستعمل علماء الاثار الفرنسيين المختصين بتاريخ المغرب القديم تسمية دولمن [6] .

تعتبر مقابر الدولمن أكثر المدافن انتشارا في فجر التاريخ واوسعها دراسة، وأمكن رصد ثلاث أنواع من الدولمن: (1) المصاطب القاعدية. (2) المصاطب ذات الممر المكشوف [7]، وهي تنتشر في القسم الشمالي من المغرب، ففي مجاورات طنجة توجد جبانات الدولمن التالية: المريس، والمرس، وجوف الرمل، وجبلية، ودار سيرو، والدار الكبيرة، وعين داليا،

---

(1) Dr. Reboud: (1856). Pp. 25-31

(2) صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص100-107

(3) محمد حسين فنطر:(1992) ، ص32

(4) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص87

(5) محمد الصغير غانم: (2001)، ص 160

(6) Henry Raynaud: (1937). P. 59

(7) محمد الصغير غانم: (2003)، ص36

ودايت الكسايب، والجدير بالملاحظة ان القبور الفينيقية تقوم عادة قريبة من هذه الجبانات مما يوحي بأن مستقرات السكنى في بداية وصول الفينيقيين كانت هي نفسها التي قطنها المغاربة القدماء في فترة فجر التاريخ، أما في الجزائر فتكثر بالشرق الجزائري بكل من عين الباي، ورأس عين بو مرزوق، وسيقوس (Sigus)، وسيلا (عين مليلة) ، وبونوارة (Bou Nouara) [(1)]، وقصطل، وعين مليلة، وسوق أهراس، والقل، والركنية [(2)]، وعبن كرمان شمال بوسعادة، ومشرع الصفا في تيارت، وفي منطقة الشارف بولاية الجلفة حيث اكتشف (70) قبرا، وجنوب النمامشة، وبني مسوس ، والمدية، حيث أفرزت التنقيبات بأحدي دولمينات الركنية عن هيكلين عظميين ممددين على جانبيهما الأيسر، ووجهاهما يستقبلان الشرق، وهياكل أخرى ممددة على الظهر في حين بدت الأرجل مثنية واليدان متقاطعتان، أما في تونس فقد انتشرت الدولمن في مكثر، ودقة، وأنفيدة (Enfida) والعليا (Allia) جنوب تونس، ودوجة (Dougga)، ومقراوة (Magrais)، وتبرسوك (Teboursouk) [(3)] .

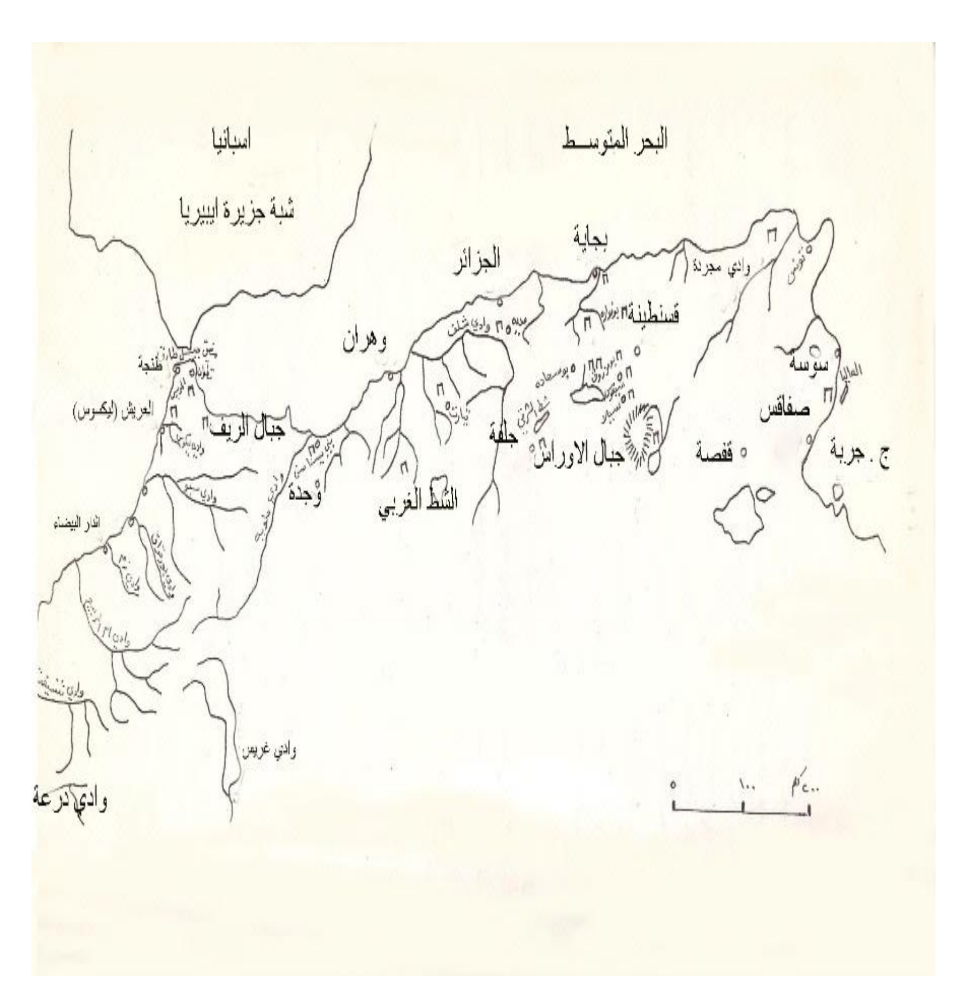
---

(1) تعد الجزائر الشرقية وشمال غرب تونس من أهم المناطق التي تكثر فيها المقابر الميجاليثية، وداخل هذه المنطقة المتميزة توجد المنطقة الجنوبية والشرقية من مدينة سيرتا (قسنطينة الحالية) التي تشمل في مجموعتها كامل حوض وادي مرزوق ورافده وادي البرذعة حيث تتوافر المقابر الميجاليثية الواسعة الموجودة في جبل الفرطاس والمناطق القريبة منه مثل مقابر رأس العين (بومرزوق) (Bou Merzoug)، ثم سيلا و سيقوس وبوشان وذراع الغوالي، وكذا تلك المحاذية لجبل أم ستاس الذي تمتد قبوره من محيجيبة شمالا حتى بونوارة جنوبا وهذه المنطقة تضم (10) الاف قبر دولميني : محمد الصغير غانم: (2001)، ص 161

(2) سلاطنية عبد الملك: (1998-1999)، ص 242-243

(3) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص87

Gabriel Camps: (1963). Fig. 2



خريطة 7: انتشار القبور الحجرية (المصاطب) في البلدان المغاربية

كما سبق لي أن ذكرت فأن جبانة المريس تقع إلى الجنوب من مدينة طنجة وقريبة من مصب وادي بو خليف في المحيط الأطلسي، والقبور في هذه الجبانات ولو ان لديها صفة الدولمن من حيث انها مبنية بالحجر سواء من الجوانب المحفورة في الأرض واحيانا أرضية القبر هذا علاوة على الأحجار التي تكسو قمة القبر، وكتل الأحجار المستعملة هنا كبيرة وشبه مهذبة ولا يوجد عند القعر مائدة قربان أو أية علامات دينية، والقبر من الداخل مربع الشكل أو مستطيل واحيانا مثلث، ونظرا لكبر القطع الحجرية فمن الجائز ان تكون تلك القبور لشخصيات هامة إذ ان اقرب موارد الحجر هي مرتفعات جبلية وهي تبعد بضع اميال من مكان الجبانة ويقتضي الامر عددا لا باس به من العمال لإحضار الحجر من هناك حيث ان وجوده منعدم في المنطقة والقبور على أي حال ليست عميقة، وكانت تحفر في الأرض إلى عمق يتراوح ما بين المتر ونصف المتر وبعد تسوية جوانبها وارضيتها توضع قاعدة

حجرية بأرضية القبر وعلى قدر حجمة وهيئته ثم تلصق في الجدران كتل حجرية بعد تسويتها بجوانب القبر ثم بعد ذلك تنزل الجثة والاشياء المصاحبة للميت ثم تسد الفتحة العليا بكتلة كبيرة من الحجر المسطح تغلق الفتحة اغلاقا تاما [1].

على أية حال كانت دولمينات بلاد المغرب القديم ذات أحجام صغيرة، أعدت في البداية للدفن الفردي، ثم تطورت لتصبح مدافن جماعية [2]، ذات أحجام كبيرة يتجاوز طول بعضها من ثلاثة إلى خمسة أمتار، مما يدل على طريقة الدفن بداخلها وضع الجسم بالطول [3]، واستمر الدفن بها أثناء الفترة النوميدية، والبونية إلى غاية العهد الروماني [4].

اما من ناحية طقوس الدفن فلم يصل الينا أي وصف من الذين قاموا بفتح هذه القبور في المغرب، لأن غالبيتها تعرضت للنهب والتخريب، إلا أن الباحث (Jodin) يرى بأن طولها أصغر من أن يسجى فيها الميت بالطول، ولذا فانه يقول باحتمال ان يكون الدفن بوضعية الجنين في بطن أمه أي الركبة مثنية وربما قريبة من الصدر [5] ومن المحتمل انه لأسباب جنزية أو طبقا لطقوس معينة فانه كان يرش في القبر نوع من الرماد الأحمر ويعزو الباحث (Jodin) ذلك إلى طقوس ترجع إلى شبه جزيرة ايبيريا أو إلى المغرب القديم أو إلى القفصيين أو حتى إلى بعض قبائل افريقيا السوداء: (هذه الطقوس المرتبطة بها اصولها من إيبيريا أو المغرب القديم، أو من الحضارة القفصية التي تتمركز بالمناطق الداخلية، وربما من بعض القبائل السوداء..)، ولكن وصول طقوس جنائزية إلى المغرب من شبه جزيرة ايبيريا التي كانت متخلفة حضاريا امر مرفوض، واعتقد ان تأثير حضارة الشرق الأدنى اكثر ملائمة، فقد وردت إشارات متعددة على رش التراب الأحمر في المقابر أو تلوين الميت بالمغرة الحمراء (Ocre Rouge)، وحتى تجريد الموتى من لحومهم وخلط عظامهم من الطقوس التي مورست في الشرق الأدنى القديم، لان هذا اللون الأحمر الموجود في قبور الدولمن بجنوب طنجة، وله امثلة في الجزائر، وتونس، وفي الصحراء الكبرى، وفي ليبيا، واذكر على سبيل المثال بعض الأمثلة التي تدل وبشكل مؤكد على ممارسة هذه الطقوس ومنذ فترة عصر حسونة في العراق فقد اكتشف في تل الصوان أحد المقابر وبداخله هيكل امرأة مطلية بالمغرة ودفنت معها قلائد مختلفة، وفي عصر العبيد وجد في مدافن العبيد نثر التراب الأحمر على المتوفي ودفنه في ارضيات الغرف، اما في موقع اريدو فقد وجد في قبرين غطي القسم الأعلى من الجسم بمسحوق احمر، ويظهر هذا النوع من الطقوس في الحضارة النطوفية في فلسطين، وبلاد

---

(1) André Jodin: (1964b). Pp. 11-45

(2) Gabriel Camps: (1961). p. 136

(3) سلاطنية عبد الملك: (1998-1999)، ص47-48

(4) Maurice Reygasse: (1950). p. 16

(5) Ibid: p. 40

الاناضول في موقع جطل هويوك حيث يتم تلوين الميت بالمغرة الحمراء مع تجريد الموتى من لحومهم وخلط عظامهم، وفي إيران ظهرت في مواقع سيالك، وباكون، وجيان، وكشمة على نفس الطقوس الجنائزية، ويظهر تلوين العظام باللون الأحمر في تبه سيالك، كما عثر في موقع تبه اسياب في إيران (6) كم شرق كرمنشاه على قبرين مطليين باللون الأحمر مع بعض دمى مبهمة الشكل وبعض كسر لأساور من المرمر، يؤكد هذا انتشار هذه العادة المعروفة في أماكن أخرى والتي تعتمد على الاعتقاد بقوة الدم على وهب الحياة بحيث قاد السكان لاستخدام اللون الأحمر لون الدم، وقد أورد الباحث (جوليان) ان طقوس الجنائزية من تلوين الميت بالمغرة الحمراء وتجريد الموتى من لحومهم وخلط عظامهم، وهي من طقوس شمال افريقيا التي امتدت من عصور ما قبل التاريخ إلى القرن الثاني الميلادي، وان اتجاهه القبور صوب الشرق لكن دون ان يشير مصدر هذه الطقوس الجنائزية، هذا إضافة إلى وجود هذه الطقوس كما اسلفنا في الجزائر ضمن المقابر الميجاليثية في سطيف، وفي تونس في مقابر (بئر ام قرين)، وفي ليبيا كذلك، وفي مقابر كريت ومايسنيين في بلاد اليونان [1].

على أية حال من الصعب تحديد اتجاهات تلك القبور لا سيما وان بعضها كان مثلث الشكل وبطبيعة الحال لا يمكن تحديد اتجاه أي قبر كان مثلث الشكل، ولكن يبدو بأن أصحاب تلك المقابر لم يتقيدوا باتجاه معين عند حفر قبورهم ولو أن التقرير الذي كتبه الباحث (Buchet) عن حفائر عام (1904) يشير إلى إحدى قبور المريس بان الجسم كان يسجى فيها بالطول: (ان الهيكل العظمي كان بالطول، والوجه والذراع تواجه الشرق، والأيدي على طول الجسم، والرأس يميل إلى الصدر، ولكن هل هو حقا دفن في عصور ما قبل التاريخ؟...) [2].

ارتبطت هذه المدافن بالشرق حيث شروق الشمس فيلاحظ أن دولمينات بني مسوس شكلت طقسا جنائزيا ارتبط بشروق الشمس وهو بحد ذاته يشبه معتقدات المصريين القدماء، ولكن هناك من يرفض فكرة بناء دولمينات بني مسوس وفق التوجه الشمس [3]، ويمكن مقارنتها بالقبور الميجاليثية ذات الأروقة ببريطانيا، فالمدخل هو الاتجاه الذي يجب ان يتوجه نحوه النظر، اما الممر المؤدي إلى الغرفة الجنائزية لا يعني بالضرورة المسلك المؤدي إلى

---

(1) جورج يوحنا دوني: (1986)، ص 63// سيتون لويد: (1980)، ص50-51 // رشيد الناضوري: (1977)، ص 116 و 150 و 154// عز الدين غربية: (1981)، ص 63// انطوان مورتكات: (1967)، ص19// محمد صبري قدسية: (1995)، ص129// شارل اندري جوليان: (1969)، ص79-80

Lucien Jacauot: (1900). p. 125// Odette du Puigaudeau et Marion Senones: (1947). p. 56//

Martin P. Nilssen: (1950). p. 122

(2) Gaston Buchet: (1908). p. 397

(3) Jean Pierre Savary: (1969). Pp. 271-325

غرفة الدفن، بل هو الطريق الذي ستسلكه روح الميت للوصول إلى العالم الآخر، كما وجدت المزهريات مقلوبة للدلالة على توفير السوائل للأموات، وخاصة الماء اعتقادا بان الأموات يحتاجونه للتخلص من العطش [1].

اما من حيث المخلفات التي وجدت في هذه الجبانة فأن التقرير الذي كتبه (Jodin) يشير إلى عدم وجود أي أثاث جنزي يذكر فيما عدا بعض عظام الهياكل البشرية وبعض الشقاف الذي يشبه فخار الجزيل والذي أطلق عليه في اسبانيا اسم (Campani forme)، وهذا شيء طبيعي بالنسبة لقبور فتحت عدة مرات ولكن التقرير الذي كتبه (Buchet) يشير إلى انه وجد في احدى تلك القبور رأس حربة من النحاس إلا ان ذلك الأثر قد اختفى ولا يعرف مكانه الان، كما يقول التقرير انه وجد بعض حبات العقود المصنوعة من النحاس وقد اختفت أيضا بدورهما [2]، ومن المؤسف أن أحدا لم يعني بجمع وصف كامل عن المخلفات التي وجدت هناك والتي لابد ان يكون الحفارون الأوائل قد دونوها ولم ينشرها.

أما جبانة الدار الكبيرة الواقعة في ناحية بوجدور جنوب طنجة والدولمن الموجود في تلك الناحية ليست كثيرة العدد وكذلك التقرير الوارد عن هذه الجبانة مقتضب جدا، كذلك جبانة عين داليا التي تقع بالقرب من الموقع السابق فقد قام بالحفر فيها (Buchet) أعوام (1906-1907) وعثر هناك على عدد من شقاف الفخار الشبيه بفخار غار كحال وكذلك على رأس رمح من البرونز، أما جبانة المرس الواقعة بالقرب من مطار طنجة فان (Buchet) قد عثر على فاس وكسر فخار من طراز غار كحال (Gar Cahal) وبعض القطع الفخارية مثل (طاسات) خشنة المظهر من الفخار المفخور بشكل ردئ والفخار نفسه صناعة يدوية لم يستعمل فيه عجلة الفخار [3].

لم تجري أية تحريات لمعرفة المستقرات التي كان يعيش فيها أصحاب هذه الجبانات ولو انه يبدو بأنهم كانوا اما من المزارعين (إذا كانوا يعيشون في الدواخل مثل المرس والدار الكبيرة)، أو من الصيادين الذين يصيدون الأسماك (إذا كانت القبور قريبة من البحر مثل المريس)، وتشبه تلك المقابر جميعا في هيأة بنائها مقابر المريس التي سبق وان شرحتها، اما من ناحية الأثاث الجنزي الذي بها فهو غالبا يتكون من الفخار نوع خشن صناعة يدوية ولو انها مفخورة في النار، بينما الأشياء الأخرى فعبارة عن حلي من المعدن سواء البرونز أو النحاس هذا علاوة على بعض قطع السلاح المصنوع من النحاس أو البرونز مثل رأس الرمح أو الفأس .

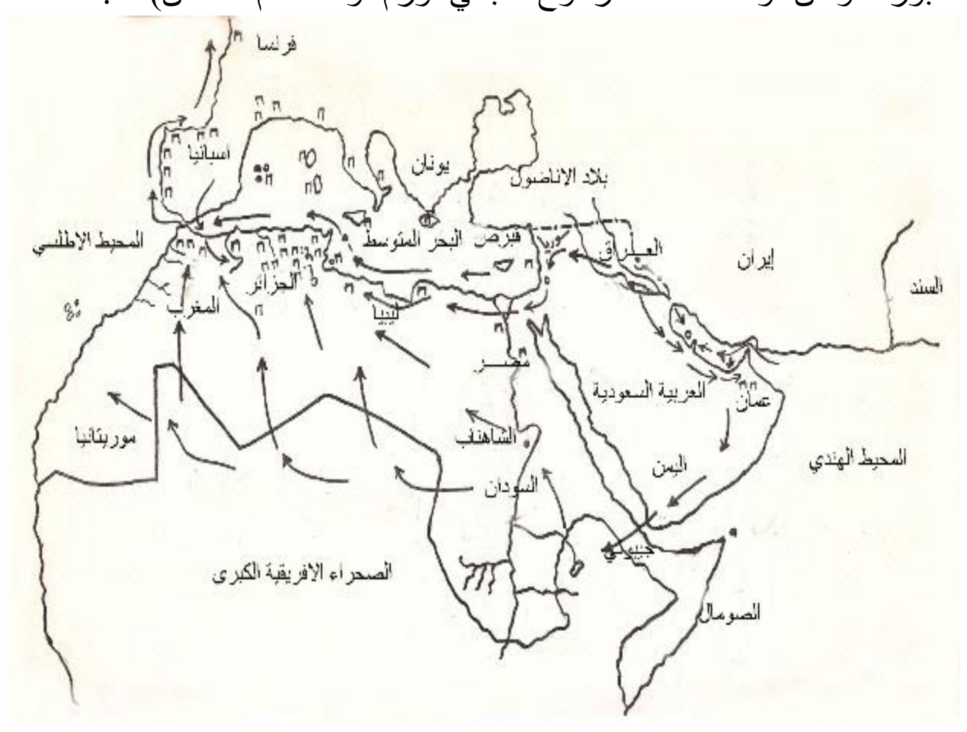
وتنسب جميع القبور الميجاليثية الموجودة في بلاد المغرب القديم إلى تأثيرات حضارية واردة من اسبانيا ويستشهد على ذلك بالشبه الكبير بين المقابر الموجودة بشمال المغرب وتلك الكائنة في جنوب اسبانيا لاسيما المنطقة

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص450

(2) André Jodin: (1964b). Pp. 43-44

(3) Gaston Buchet: (1908). p. 398

الواقعة بين ملقا والجزيرة الخضراء، مع وجود فخار اسباني من النوع الكمباني (Campaniforme) الدليل على هذه التأثيرات مع العلم ان اسبانيا متخلفة حضاريا عن الشرق الأدنى، فالمعروف ان اسبانيا لم تتجاوز مرحلة العصر الحجري الحديث حتى (2000) ق.م [1]، وهكذا أدى توزيع آثار الدولمن في جميع الأنحاء الدول المغاربية إلى البحث عن أصولها التي نسبت إلى شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال) وبالتحديد مقابر الدولمن في شمال المغرب، في حين اعتقد بأن مجموعة الدولمن في الجزائر وتونس لها ارتباط مع المجمعات الصخرية في سردينيا وإيطاليا، فالرؤوس النحاسية من دولمن المريس، والفؤوس من حجر الصوان وجدت في المواقع الأثرية في وادي لاو (Lau)، وبني يسناسن لكنها تذكر كأدلة اثرية من قبل المنقبين الاسبان في مواقع غار كحال و كاف تحت الغار: فالعلاقات بين شاطئي مضيق جبل طارق وبحر البران (غرب البحر المتوسط يطل على اسبانيا والمغرب والجزائر) تم تأسيسها في نهاية العصر الحجري الحديث، أما جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية فقد كان مركزا هاما في العصر الحجري القديم، حيث انتقلت من هناك التأثيرات الحضارية التي عرفها الأفارقة من الدفن في قبور الدولمن، وصناعة الفخار نوع كمباني فورم، واستخدام المعادن) [2].



خريطة 8: طرق انتشار القبور الحجرية (المصاطب) في الوطن العربي

---

(1) صلاح رشيد الصالحي: (1966)، ص 106

(2) Gabriel Camps: (1961). p. 149

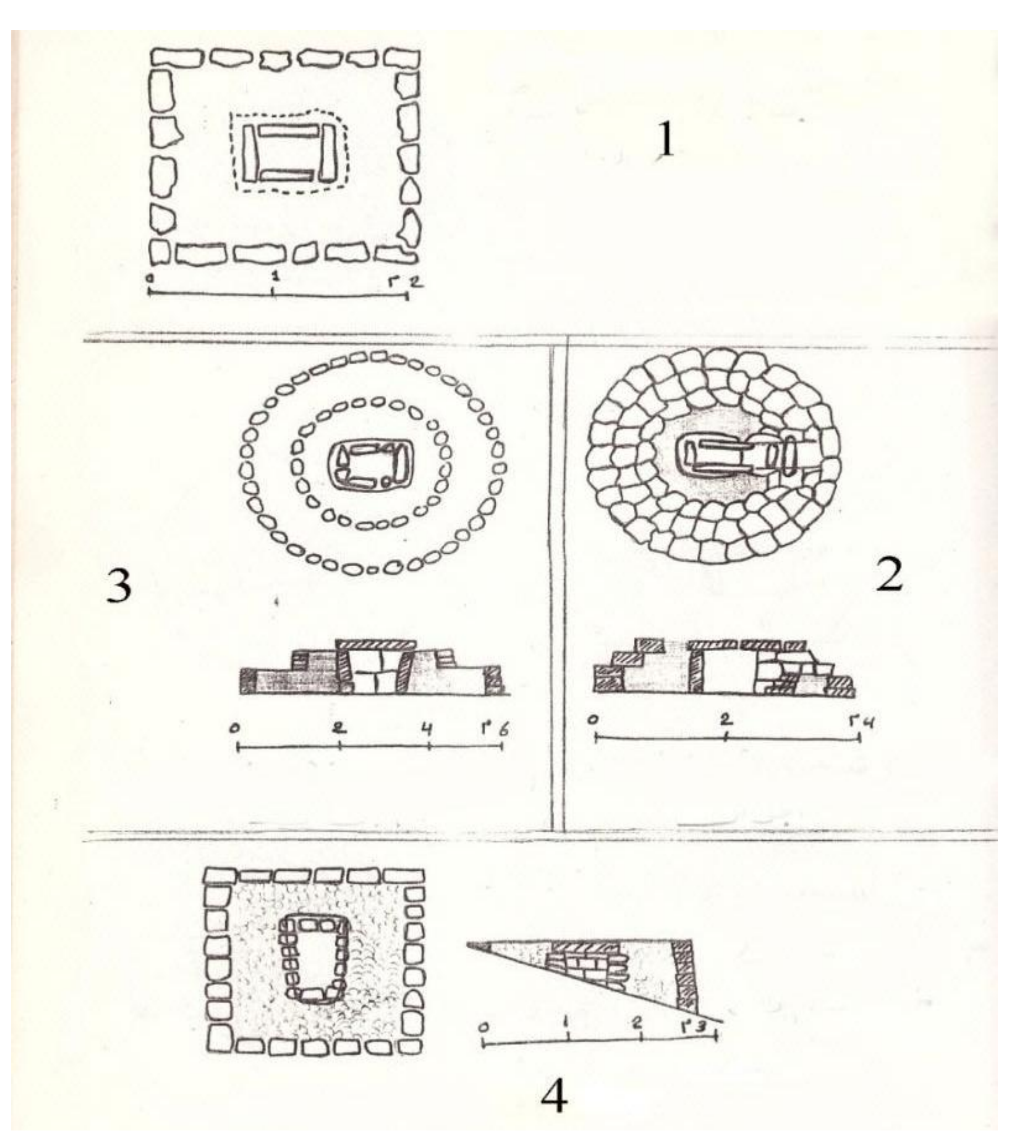
كذلك اعتقد الباحث (Camps) بان أصل الدولمن من اسبانيا، ويجد في العثور على الاواني الفخارية نوع كمباني فورم (Campani forme) الدليل على هذه التأثيرات، إلا انه لم يقدم دليل من أين حصلت اسبانيا على هذا النوع من الفخار وهو البلد المتخلف حضاريا في ذلك الوقت، بينما كان الشرق الادنى القديم يعيش في عصر البرونز الأوسط، وبعد أن كان قد تجاوز الفترة التي كانت فيها اسبانيا على اعتاب عصر البرونز بألف عام أو اكثر، ومع هذا فقد أشار (Camps) بوجود اختلافات جوهرية بين الدولمن الأوربي ونظيره في شمال افريقيا، ولذا يفرد فصلا كاملا لهذه الفترة تحت عنوان (أصول الدولمنات في شمال افريقيا)، وعلى اية حال فهناك فروق عديدة بين المقابر الحجرية الاوربية ونظائرها في شمال افريقيا، ولم يكن الميجاليثي الافريقي معزولا في منطقة البحر المتوسط فله ما يشبه في جنوب شرقي إسبانيا وكامل جزر البحر المتوسط وجنوب إيطاليا [1]، وهذا دفع بعض الباحثين التأكيد على ان اصل المقابر الحجرية هي الشرق الأدنى ومنهم الباحث (Henry Raynaud) الذي أكد ان المقابر الحجرية (الدولمن) في شمال افريقيا شرقية الأصول لها ارتباط بالقبور الحجرية في لبنان، ومقابر أور في بلاد الرافدين، وابيدوس وقبور هيراكلوبوليس في مصر [2] ، ويرى العالم الفرنسي (Jodin) ان البحارة والصيادين في البحر المتوسط وصلوا إلى نواحي طنجة عبر مضيق جبل طارق واقاموا المقابر الحجرية (الدولمن) ومن ثم نقلوا تلك التأثيرات إلى اسبانيا والبرتغال وبريطانيا ولأسباب غامضة تخلو عن السير نحو الجنوب والانتشار على السواحل الافريقية، وهناك تشابه بين المقابر الحجرية (الدولمن) والقبور الحجرية في هيلي (قرية هيلي على بعد عشرة كيلومترات شمال مدينة العين في دولة الامارات العربية بين أبو ظبي وعُمان) فالقبر دائري الشكل بني بصخور مهذبة وبقياس ثابت في كل مدفن، وقسم المدفن إلى قبور ارضيتها من الصخر وكذلك الجدران كما هو في المدفن (A) و (C) و (D) و (F) وتظهر في هذه المدافن تأثيرات حضارتي بلاد الرافدين وبلاد السند وتحدد زمنيا بين (2750-2500) ق.م، وأيضا مقابر الحجر حفرت في أرض صخرية على عمق يتراوح بين متر واحد ومترين ثم شيد فوقها اطار من الحجارة الصغيرة والملاط لكي يكون مركز لحجارة الاغطية وقد طليت اغلب القبور من الداخل بملاط اشبه بالإسمنت من حيث صلابته ولونه ويحتمل انه كان مزيجا من الرمل والجير والرماد وهي أقدم قبور البحرين تعود إلى عصر باربار المتقدم [3].

---

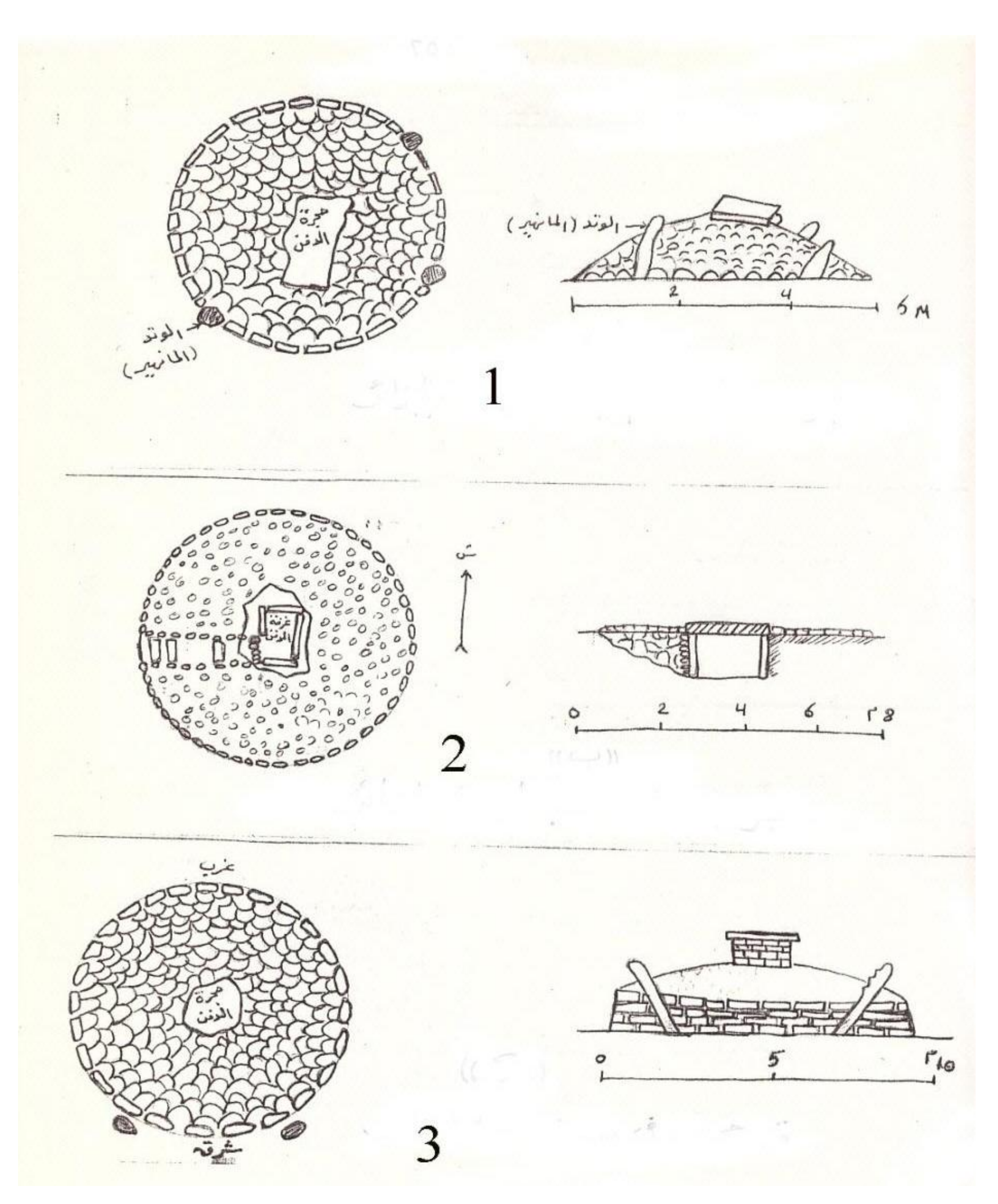
(1) محمد الصغير غانم: (2006)، ص 19

(2) Henry Raynaud: (1937). Pp. 59-61// André Jodian: (1964a). p. 44

(3) رضا جواد الهاشمي: (1980)، ص31// قسم التوثيق والأبحاث، دولة الامارات العربية، المدافن الحجرية في هيلي، مجلة التاريخ العربي والعالم، العدد 39، كانون الثاني، 1982، ص82-89 // عبد القادر التكريتي: (1979)، ص205-212// سامي سعيد الأحمد: (1985)، ص111-128



شكل 26: مقابر الدولمن (المصاطب) في الجزائر وهي: (1): قبر حجري ذو شكل مربع من جبل مهرة (Merah) في الجزائر. (2): قبر حجري من بونوارة في الجزائر، وحدد تاريخ قبور الموقع بداية الالف الأول ق.م واعتبرت بداية استعمال القبور. (3): قبر حجري من سيقوس ولاية أم البواقي شرق الجزائر، تحيط حجرة الدفن سورين من الحجر. (4): قبر حجري مربع من سيلا (Sila) (بالجزائر).



شكل 27: قبور الدولمن (المصاطب) من الجزائر وهي: (1): قبر حجري في رأس العين وادي بومرزوق بنواحي قسنطينة، الجزائر، فوق حجرة الدفن كوم من الأحجار وثلاث مانهير، ويعتبر نموذج لدولمن صغير الحجم. (2): قبر حجري في هنشير الحجار (Henchir el-Hadjar) في تونس جنوب شرق درعة حدادة ويبلغ ارتفاع هينشير الحجار (48) مترا، ويلاحظ هناك ممر يودي إلى حجرة الدفن تم اغلاقها بثلاث صخور. (3): قبر حجري من سيقوس ولاية أم البواقي بالجزائر، هناك صخرتين تم وضعهما كسداد على جانبي القبر ارتفاعهما(3.50) م و(3.70)م تحجز جدران القبر.

4- القبور التلية (التمولي) (التومولوس) (Tumulus)

يعود هذا النوع من القبور إلى عصر فجر التاريخ، وتعتبر من المعالم المسيطرة في بلاد المغاربية حيث لا يقتصر وجودها في المنطقة الشمالية فحسب، بل تمتد آثارها إلى المنطقة الصحراوية وحتى حدود النيجر جنوبا، كما تمتد أيضا من النيل شرقا وإلى جزر الكناري غربا [(1)]، والمقابر التلية (التمولوس) شائعة في شمال افريقيا منذ القدم [(2)]، شكل التمولي عبارة عن قبر عادي الحجم شكله مخروطي محفور في الأرض وقاعدته دائرية وهي الجزء الظاهر منه فوق الأرض، ويكون بثلاث اشكال:

(1) عبارة عن كوم تلي مرتفع من التراب والطين الجاف.
(2) بناء من الحجر يعلوه تراب وطين.
(3) أو يعلوه كم عال من الأحجار.

الانواع الثلاث اعلاه موجودة في شمال افريقيا، وحتى هذه المقابر ثلاث أنواع:

(1) النوع الاول خالي من الغرفة الجنائزية، وتظهر هذه القبور في المنطقة الاستبسية والمناطق الصحراوية وهي فقيرة في أثاثها الجنائزي، تلقى الجثة على الأرض في القبر، وتغطى بالحجارة والتراب على شكل تل مخروطي، واعتبر هذا الدفن هو من النوع البدائي واعتبرها الباحث (Gsell) انها ليست قبورا حقيقية انما قبور وهمية حيث تنقل الجثة فيما بعد إلى أماكن أخرى [(3)].

(2) النوع الثاني تضم تابوتا حجريا، حيث يتألف من حجرة مستطيلة منحوته في وسطها ومغطاة ببلاطة حجرية أو عدة بلاطات، ويتوسط التابوت الحجرة كما هو في قبر بمنطقة عين كرمان شمال بوسعادة [(4)].

---

(1) محمد الصغير غانم: (2003)، ص20

(2) لهذا النوع من المقابر انتشار واسع في البحرين يقدر عددها بحوالي (100) الف مدفن تسمى محليا (طعموس)، وقد أجريت فيها التنقيبات الاثرية المتعددة وقدر زمنها إلى الالف الثالثة ق.م، ومن اللقى التي عثر عليها هناك قطعة هامة تمثل جرة بالوان عدة من طراز عصر جمدة نصر في معبد باربار الأول في البحرين، وقد نقب في هذه المدافن العالم الاثري (Mackay) ولاحظ وجود بيض النعام بكثرة، وهي على شكل اقداح لشرب الماء مع بعض النقوش بالألوان الزاهية تقليد الاواني الفخارية، واعتبر ان البحرين مقبرة يجلب لها الموتى لان العظام مجزئة وغير منتظمة كما وان قواعد الفخار كبيرة بارزة ربما لتثبيتها في التربة الصحراوية داخل القبر، كذلك عثر على مقابر تلية على الساحل الغربي للخليج العربي في المملكة العربية السعودية : سامي سعيد الأحمد: (1985)، ص163-175// احمد عبيدلي: (1982)، ص24-30// عبد القادر التكريتي: (1979)، ص 205// رضا جواد الهاشمي: (1980) ، ص 24

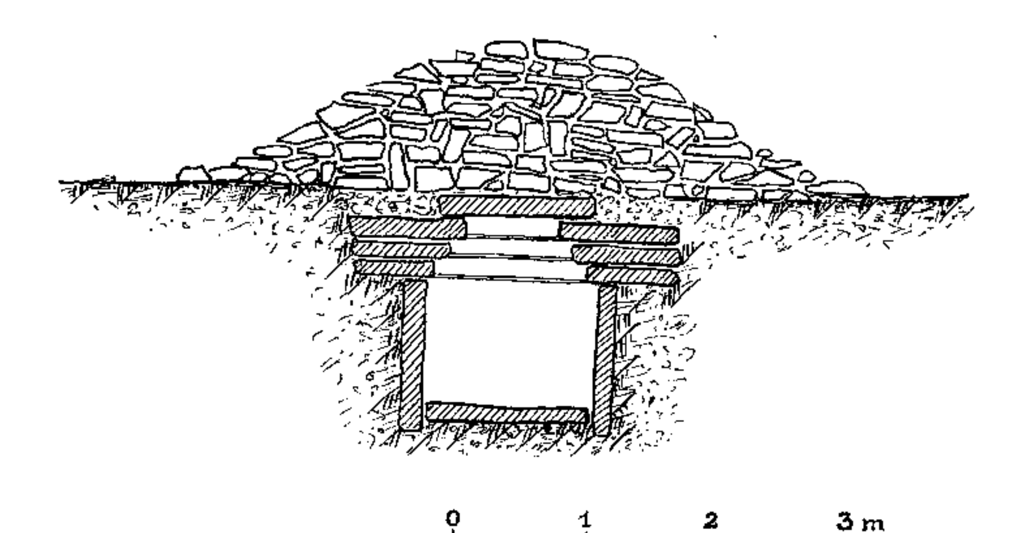
(3) Stéphane Gsell: (1927). t.VI.. p. 185

(4) Gabriel Camps: (1961). p. 69. Fig. 2

(3) النوع الثالث تضم غرفة دفن فردية أو جماعية، وهذا النوع حفرة قد تكون محمية بأربعة أو خمسة لوحات حجرية والجدران الداخلية مزودة ببلاطات تجعلها قوية كما هو في قبر ارفود بالمغرب وتحتوي منطقة عين الصفراء على نماذج جيدة تمثل هذا النوع من القبور [1].

يطلق على هذا النوع من المقابر السكان في الأرياف والبوادي اسم (الكركور) (Kerkoure) [2] في الغرب الجزائري والمغرب الأقصى، وأسم (الرجم) (Redjems) في شرق الجزائر [3].

بالنسبة إلى النوع الثالث من القبور التلية نجدها في مقابر ارفود بالصحراء المغربية جنوب الراشيدية (تافيلالت)، وقبور هذه الجبانة عبارة عن حفرة تبطن أرضيتها بلاطة مستطيلة من الحجر يسجى عليها الميت عادة سواء بكفن أو بدونه، اما الجدران فيسند عليها أيضا أربعة الواح من الحجر ثم تغلق الفتحة العليا بعد الدفن بلوحة حجرية أو بأكثر وتوضع تلك الالواح بطريقة تسد الفتحة ثم يحال فوق القبر كوم عال من الأحجار [4].



شكل 28: قبر التومولوس في ارفود (المغرب)

---

(1) Maurice Reygasse: (1950). p. 6
Maurice Reygasse: (1950). p. 6

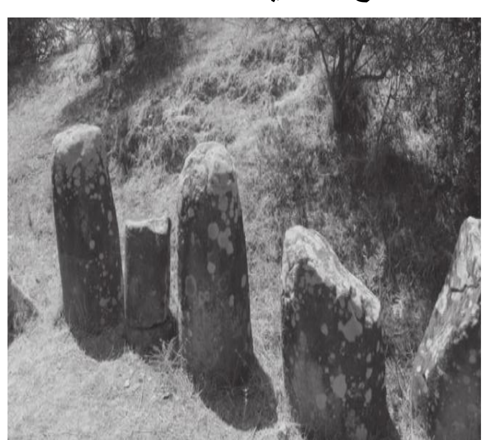
(2) الكركور: هذا الاسم خاص بكومة من الحصى التي تغطي معلم ليس له صفة جنائزية.

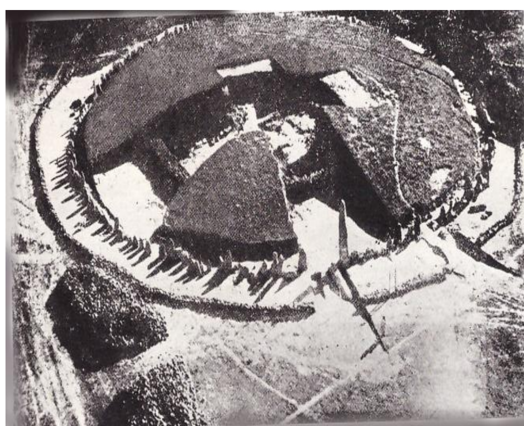
(3) الرجم: شبه جدار صغير غير منتظم البناء ، يوجد غالبا في الأرياف والبادية، تسمية دارجة تستعمل في الشرق الجزائري: محمد الصغير غانم: (1981)، ص10

Gabriel Camps: (1961). Pp. 68, 69, 74

(4) Armand Ruhlmann: (1939a). Pp. 44-51

اما النوع الثاني منه فيوجد في المغرب قبر كبير شرقي مدينة اصيلة (شمال المغرب) قرب قرية مزورا (Mezora)، وهو ما يطلق عليه باسم (الوتد)، وهو بناء شبه مستدير الشكل يبلغ طول قطره الشمالي الجنوبي (54) مترا وقطره من الشرق للغرب (58) مترا ويحيط بقوس الدائرة شواهد حجرية تتكون من كتلة واحدة من الحجر ذات اشكال مختلفة من مستطيلة إلى قمعية وعددها (167) شاهدا ويطلق عليها التسمية (Monolithes) وهناك شاهدان على شكل مسلة قمعية وهي المعروفة باسم مانهير (Manhir) بينما يطلق عليها سكان الناحية اسم (وتد) لأنها تشبه الوتد فعلا، ويبلغ طول أحدهما خمسة امتار وهو المانهير الواقف اما الساقط على الأرض فيبلغ طوله (4.20) مترا يلي (Monolithes) الموجودة حول البناء كتلة على شكل قبة مبنية بقوالب من الحجر واللبن ويعلو ذلك تراب وطين [1] ، ومن المؤسف ان هذا الأثر قد تعرض خلال الحماية الاسبانية لشمال المغرب لعملية تدمير قامت بها شخصية اسبانية مرموقة يدعى دي منتلبان (De Montalban) في ذلك الوقت، وكان سببا في تدمير المبنى اذ خيل له جهله ان في إمكانه الولوج إلى غرفة الدفن فقسم الكوم المرتفع الذي على شكل قبة إلى أربعة اقسام وشق طريقه بينها وبعد كل هذا العناء لم يجد شيئا لم يجد حتى غرفة للدفن، وكل ما عمله هو تدمير المبنى [2]، ولم تسعى الحكومة المغربية بعد الاستقلال (1956) إلى ترميم وإعادة هذا الأثر إلى سابق عهده وهذا ما لمسته خلال زيارتي لموقع مزورا عام (1979) والذي يبعد (8) كم عن منطقة سوق الاثنين اليمني داخل أراض زراعية ولا يوجد طريق ممهد يربط بالموقع الاثري آنذاك.





شكل 29: صورة القبر التومولوس مزورا قرب مدينة اصيلة، ويلاحظ التخريب في القبر برفع الرمال اعتقادا بوجود قبر بداخله (اليمين)، مدخل إلى دائرة مزورا عند الحجر الصغير بين الصخرتين الكبيرتين (اليسار)

---

(1) Miguel Tarradell: (1952). Pp. 229-239

(2) صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص 110

جرت العديد من الدراسات الحديثة عن الموقع الاثري مزورا، ولوحظ وجود ثقوب دائرية وبخط مستقيم بعضها صغير والبعض الاخر اكبر حجما على عدد من الشواهد ويعتقد انها قديمة تعود لفترة عندما قطعت الصخور في المحجر، وسبق وان شاهدها الرحالة البريطاني (Coppel Brooke) (1829)، كما اتضح ان الموقع الاثري يتعرض لعوامل التعرية الجوية خاصة النصب الصخرية التي تعرضت للتآكل إضافة إلى اعتداءات الزوار باستعمال أدوات معدنية بالحز، ولأن الموقع بدون حماية فقد تعرضت الصخور إلى الإزالة أو سقوطها عن مكانها الأصلي [1] .

هذا المبنى شبيه كل الشبه بمباني (Tholos) في الاربجية بالعراق والمقابر الدائرية في مايسنين ببلاد اليونان وله اشباه في نواحي مختلفة من جزر البحر المتوسط [2] وسواحل المحيط الأطلسي [3]، ورغما من ان بعض البحاثة يفسر هذا البناء بأنه ضريح البطل الأسطوري المغربي الذي يحمل في الاساطير اليونانية اسم (أطلس) أو (انطي) أو (انطالس) والذي حاول القائد الروماني سيتريوس (Sertorius) حفر قبره [4]، والذي كان مكان ضريحه محل خلاف هل هو في طنجة أو ليكسوس (العرايش) وبطبيعة الحال فان قرية مزورا تقع بين طنجة وليكسوس، ولكن رغما عن الحفائر الكثيرة التي أجريت على هذا المبنى فانه لم يعثر به على أي دليل يفيد بانه لحد أو قبر اذ لا توجد به غرفة دفن أو تابوت أو حتى قبرا أو أواني تحتوي على عظام أو رماد عظام أو أي نقش أو كتابة، وعليه فانه في غالب الاحتمال لم يستعمل كقبر، وربما يشير نفس التساؤل الذي يطرأ على أذهاننا عندما نقف أمام (Tholos) بالأربجية بالعراق؟ فهل كان ذلك المبنى معبدا أو مزارا مقدسا أو نصبا تذكاريا ذات معاني دينية معينة؟

يوجد بالمغرب عدة قبور في نواحي متفرقة من بلاد المغرب القديم من طراز تمولي (التومولوس) الموجود بجهة سيدي علال البحراوي (شمال شرق الرباط) وهو عبارة عن قبر صغير محفور في الأرض ويعلو القبر

---

(1) Enrique Gozalbes Cravioto and Helena Gozalbes García : (2015-2016). Pp. 64-67

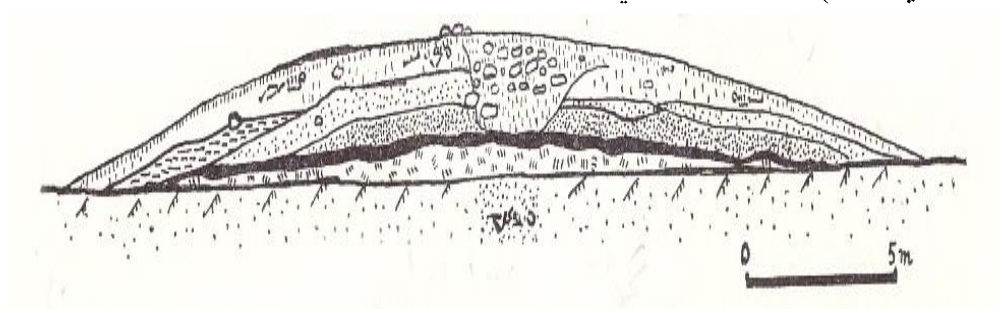
(2) تظهر قبور الثولوس في جزيرة كريت وهي مشابهة للأبنية الدائرية في مواقع الاربجية قرب الموصل بالعراق وتعود إلى حضارة حلف، وأرخ كاربون (14) تاريخا لموقع حلف (4000-3500) ق.م: سامي سعيد الأحمد: (1980)، ص15-16

(3) تظهر النصب الدائرية في شمال غرب فرنسا قرب ساحل المحيط الأطلسي ويطلق عليها (كرناك) (Carnac) ، وفي جنوب بريطانيا يعرف باسم (ستون هينج) (Stonehenge) وتعود إلى منتصف الالف الثانية ق.م بمعنى تعود إلى الحضارة المايسينية وتبلغ مساحة ستون هينج (350) قدم ولا يعرف ما هي وظيفة هذا الأثر:
Robert J. Braidwood: (1975). Pp. 188-189

(4) Plutarque : Sertorius 9// Pomponius: Mela III, 105// Pline: l’Ancien V 3

مرتفع كبير من الرمـــل والتراب والطين والحجر حتى انه يظهر مثل التل عـال مـن الأرض مستدير الشكل يبلـغ قطـره حـوالي (20) متـرا وارتفاعـه (2.30) مترا، وقد وجد في حفرة القبر هيكل آدمي ولم يدفن معه أي مخلفات جنائزية علما بان الهيكل العظمي مقطوع القدمين، وقد فسر على أساس طقس ديني [1].

ينتشر هذا النوع من المقابر التلية في جهة سهول الغرب وهي أصغر حجما من قبر سي علال البحراوي، وتوجد تلك القبور في ناحية للاميمونة [2]، والقبر التلي في آيت تلغمت (Tilghment) في نواحي طنجة الذي ورد ذكره في تقرير الكولونيل (Pothier) قطر التل الأسفل (6.50) مترا والتل الوسطي (6) متر بارتفاع (1.25) مترا والتقرير مقتضب ولا يفي بالغرض ما عدا غرفة الدفن تشابه طراز غرفة الدفن في تمولي عين الصفراء بالجزائر[3]، وقبور التلية في (فم لرجم) في امحاميد الغزلان بزاكورة (جنوب المغرب) وتم دراسة خمسة قبور فقط، كما وعثر على قبور تلية في نواحي (عيون سيدي ملوك) بالمغرب الشرقي [4].



شكل 30: قبر تومولوس في سيدي علال البحراوي (المغرب)

عثر في الجزائر على مدافن تلية في (سفيان) (Sefiane) بالقرب من منطقة (نقاوس) (Négaous) لجبال بلزمة شمال غرب الاوراس عام (1991-1992)م [5]، وقبور أخرى بالجنوب الغربي الجزائري مثل (عين الصفراء) [6]، التي تم اكتشاف مقابرها التلية عام (1904) عندما لوحظ انتشارها الواسع فاسترعى انتباه عدد من الباحثين مثل (غوتي) و النقيب (Normand) الذي حدد وجودها من عين الصفراء وإلى تاغيت جنوبا [7]،

---

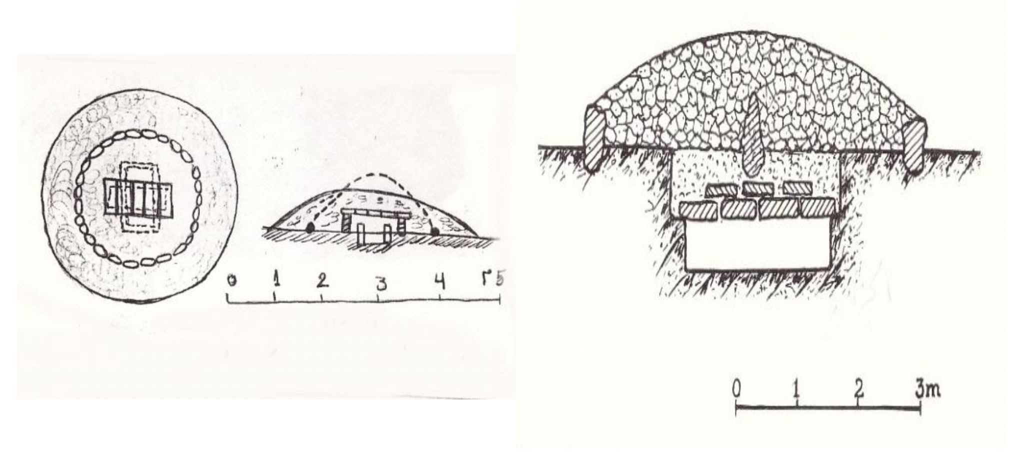
(1) Georges Souville: (1958-1959). Pp. 243-259
(2) Armand Luquet: (1966). Pp. 365-375
(3) Edgard Pothier (Colonel): (1886). Pp. 301-332
(4)محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص449
(5) عزيز طارق ساحد: (1998)
(6) Gabriel Camps: (1961). Pp. 65-75
(7) بن قيطون حمزة: (2014-2015)، ص14

وفـي منطقـة (عـين كرمـان) شـمال بوسـعادة [1]، و (بوغـار) (Boghar) دائرة أولاد عنتر ولاية المدية، و(تلاغ) ولاية سيدي بالعباس شمال غرب الجزائـر، و (سـقوس) أو (سـيقوس) (Sigus) ولايـة أم البـواقي فـي شـرق الجزائر، وقد عثر بداخل قبر بعين الصفراء على تربة سوداء غطت هيكلا عظميا ممددا وموجها نحو الشرق [2]، مما يدل على اعتقاد بان روح الميت تتجه نحو الشمس التي تعتبر إله عند الليبيين القدماء [3]، وكانت لهذه المقابر وجود في جنوب تونس[4]، كما وجدت في فزان بليبيا [5]، ويعتقد الباحث (Voinot) بان انتشار هذه المقابر بالمنطقة كان مع بداية القرون الأولى الميلادية [6].

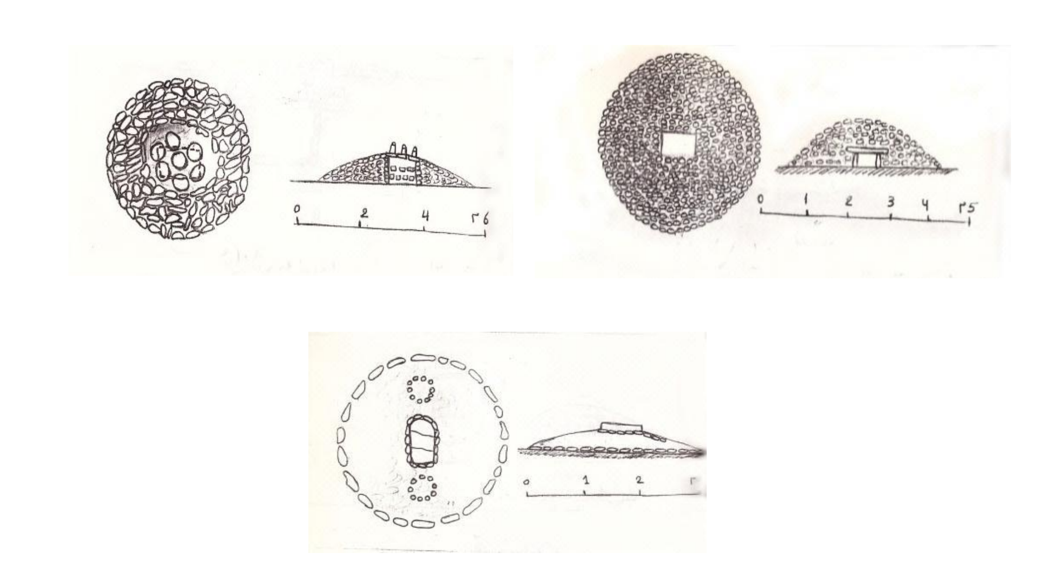
الجزائر	تونس	المغرب
تمولي عين الصفراء (Ain –sefra)	تمولي قابس (Gabes)	تمولي وجدة (Oujda)
تمولي جبل مراح (Djebel Merah)	تمولي جبل تباقة (Djebel Tebaga)	تمولي ارفود (Erfoud)
تمولي جبل برج بوعريريج (Bordj - Bouarreridj)	تمولي قفصة (Gafsa)	تمولي كودية الماء (Koudiate el-Ma)
تمولي بوغار (Boughar)		تمولي فم أرجم (Foum-Rjam)
تمولي قصطل (Gastel)		

(1) Gabriel Camps: (1961) p. 72
(2) Capitaine Petit. M: (1905). Pp. 285-295.
(3) Rebout Dr: (1863). p. 163.
(4) Gabriel Camps: (1961). Pp. 69-71
(5) رابح لحسن: (1998-1999)، ص 23
(6) Capitaine Voinot, L: (1913). Pp. 526-527.

جدول 6: توزيع مواقع التمولي في شمال افريقيا

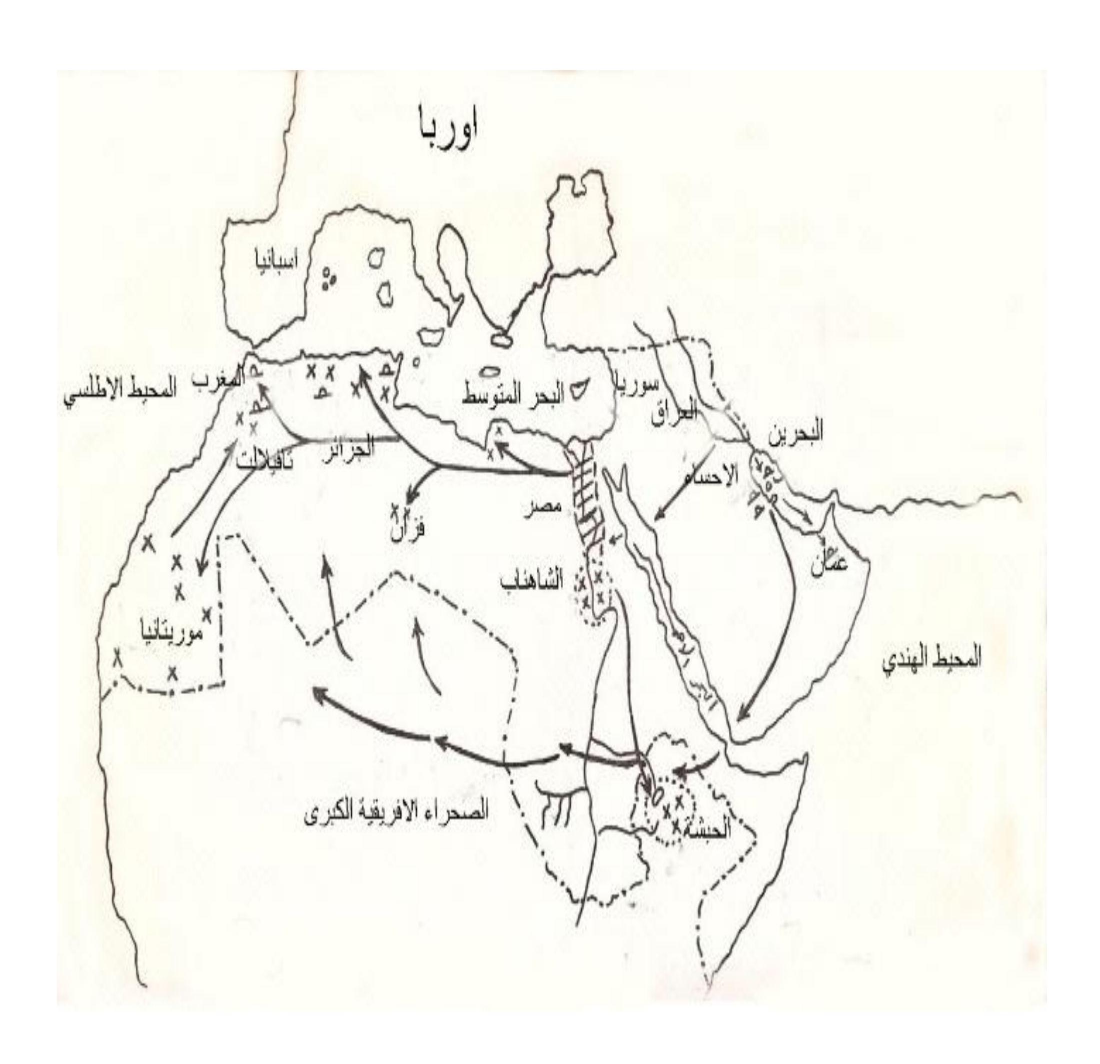


شكل 31: قبر التومولوس بوغار (Boghar) ولاية المدية حجرة الدفن يعلوها كوم من الحجر (اليمين) ، قبر التومولوس من آيت تلغمت (Tilghment) في نواحي طنجة



شكل 32: التومولوس من عين الصفراء (Ain-Sefra) ولاية النعامة بغرب الجزائر ضمن جبال الاطلس الصحراوي (اليمين)، قبر التومولوس في وادي اوريك (Oued Ouerk) غرب عين وسارة ضمن ولاية تيارت بالجزائر (اليسار)، قبر التومولوس في جبل مراح (Djebel Merah) ضمن ولاية تونس(الاسفل)

يبقى السؤال المطروح ما هي أصول المقابر التلية؟ سبق وان اشرت إلى تواجد هذا النوع وبكثره في الشرق الأدنى القديم، فلابد وان هناك طرق انتشرت فيها هذا النوع من المقابر وعلى طول شمال افريقيا، والخريطة توضح طرق انتشار المقابر التلية من الشرق وباتجاه شمال افريقيا:



خريطة 9: طرق انتشار المقابر التلية ومقابر الكوه في الوطن العربي

5- القبور التذكارية (البازينا) أو (البازيناس) (Mégalithique) [1]

ظهر مصطلح ميجاليث كمصطلح رسمي من طرف الجمعية الدولية للانثروبولوجيا وآثار ما قبل التاريخ بباريس سنة (1867) م، وأصل هذه الكلمة اغريقية تتكون من جزئين (Megas) وتعني كبير، و (lithos) وتعني حجر وبجمع الجزئين تصبح (الحجر الكبير) الذي يستعمل في البناء [2]، وهذه المباني التذكارية المشيدة بأحجار منتظمة، وهي في الغالب دائرية الشكل، وتتميز عن التمولي بمظهرها الخارجي الهندسي المتطور، ويمكن تعريف (البازينا) أنها في الأصل (تمولي) مغطاة خارجيا عن طريق البناء [3]، وقسم الباحث (محمد الصغير غانم) مدافن البازينا أو (البازيناس) إلى خمسة أنواع وهي:

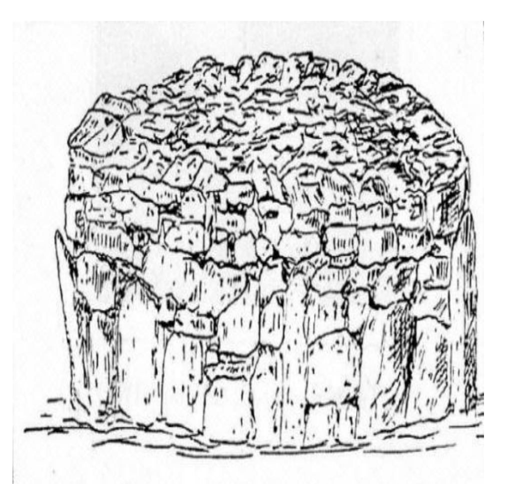
1- **البازيناس المقببة (Bazina Acarapace):** تنتشر في المرتفعات العليا للجزائر وحتى بسكرة، وهي على شكل مرتفع يعلو قاعدة على شكل مستدير أو مستطيل.
2- **البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية (Bazina à base cylindrique):** تظهر بكثرة الى أطراف الصحراء، تكون القاعدة اسطوانية وأهم مقبرة في عين الحمارة بأولاد جلال، وفي جبل مستيري.
3- **البازيناس المدرجة (Bazina à degrés):** وينتشر بكثرة في المناطق التلية من قسنطينة ولغاية الحدود التونسية، وفي منطقة بني يسناسن (Beni Senasen) في المغرب، يتميز هذا النوع بكبر حجمه.
4- **البازيناس المتعدد القبور (Bazina à sépultures multiples):** مثل بازيناس مشروع الصفا بتيارت، والزوارين (Zouarine) بتونس، وسيقوس (Sigus) شرق الجزائر، واستعمل للدفن الجماعي.
5- **البازيناس المتطورة:** وهي متطورة من حيث طرق البناء والزخرفة، مثل قبر الرومية والمدراسن، وهما من روائع العمارة النوميدية.

---

(1) محمد الصغير غانم: (2006)، ص37-41

(2) Furon Raymond: (1958). p. 376

(3) محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص 449




شكل 33: بازينا أسطوانية الشكل من موقع عين الذيب (اليمين)، قبور قلاعية أو الشوشات (اليسار)

يوجد العديد منها مثل قبر المدغاسن أو المدراسن (Amdgasn) في ولاية باتنة، والضريح الملكي الموريتاني الذي يطل على سهل ميتجة بتيبازة غرب الجزائر(يطلق عليه السكان المحليون تسمية قبر الرومية)، وقبر لجدار في غرب مدينة تيارت وعدد اضرحة لجدار ثلاثة (ولاية تيارت) على بعد (30) كلم على مرتفع جبل لخضر وجبل العروي، وأصل التسمية لجدار هو الجدار الذي يعني سور، وتعرض الموقع الاثري للتخريب، وينسب الموقع إلى سلالة مورية عاشت في تيارت وحكمت من وادي الملوية في المغرب حتى وادي شلف في الجزائر [1]، وبزينات (تيديس) (Tiddis) غرب قسنطينة، وبونوارة في الجزائر، وفي المملكة المغربية يظهر هذا النوع في قبر سوق الجمعة الجور قرب مكناس، ومن الأبراج الجنائزية: في تونس ضريح دوقا ولاية باجة في شمال غرب العاصمة التونسية، ويعتبر أفضل نموذج لضريح ملكي نوميدي بعدة طوابق محفوظ بكامله فهو يتشكل من ثلاثة طوابق ذات (21) مترا، مزخرف في الزوايا بأعمدة ذات تيجان أيولية حلزونية واسعة الفوهة تنفرد بأزهار اللوتس، وعلى الواجهة الشمالية توجد نافذة مغلقة تشكل منفذا إلى غرفة جنائزية، بينما كانت كل الواجهات الأخرى مزينة بنوافذ وهمية[2]، وضريح صبراتة في ليبيا، ويعود هذا الضريح إلى القرن الثاني ق.م والمعروف تاريخيا أن أقليم طرابلس الذي تعد صبراتة أحدى مدنه الثلاث الشهيرة، قد أفلت من السيطرة القرطاجية بعد معركة زاما ليلحق بمملكة نوميديا، مما يدل على أن الضريح بني في عهد هذه المملكة، وقد بني أساسا

---

(1) خالد قلواز وحليلي بن شرقي ولخضر سليم قبوب: (2017)، ص 240-244

(2) محمد الهادي حارش: (1992)، ص 168

من حجارة كلسية ذات مسامات، وقد خضع لتأثيرات مصرية وتأثيرات بونيقية، واعتبر نموذج هلنستي شاذ [1]، وضريح الخروب في الجزائر، وقد شيد هذا الضريح على هضبة صخرية على بعد (3) كم إلى الشمال الشرقي من مدينة الخروب (قسنطينة)، وعلى بعد (14) كم من العاصمة الملكية سيرتا (Cirta)، شيد بالحجارة الضخمة جيدة الصقل تتجاوز المترين طولا، بينما يتشكل المركز من كتل مربعة بشكل عام ، قاعدة البناء من (10.50) (10.50) م، وبارتفاع (2.80) م تحمل ثلاث درجات ترتكز عليها القاعدة القصيرة المزينة بالنتوآت في الأسفل والاعلى، وتهدم الجزء العلوي للمبنى ربما نتيجة هزة أرضية وتكدست المواد حول القاعدة ، وضعت الغرفة الجنائزية على عمق (1.50) م تحت الأرض ومغطات ببلاطات من الحجر ، لم يحدد البحث الاثري أسماء الذين دفنوا فيه، ويعتقد بانه قبر ماسينيسا ملك النوميديا ولكن لا يمكن الاستدلال عليه [2]، أن الصفة العامة لهذه القبور وجود ممر داخلي يؤدي إلى غرفت الدفن، كما احتوت بداخلها على أثاث جنائزي متكون من الاواني الفخارية المزينة برسومات كالمزهريات، أو بحروف ليبية قديمة، أو اشكال هندسية ونباتية وحيوانية [3] .

الجزائر	تونس	المغرب
تديس (Tiddis)	قفصة (Gafsa)	سوق الجور (Souk el-Gour)
أشوكان (Ichoukkane)		
بونوارة (Bounouara)	شتمو (Shamto)	
مسكانة (Meskana)	برج فيدج (Bordj Fedj)	
جبل مستيري في تبسة (Mistiri)		
الأوراس (Aures)		
عين الحمارة (Ain El-Hamara)		

جدول 7: بعض مناطق انتشار البازينا في شمال افريقيا

واعتقد سابقا بان البازينا الصغيرة مخصصة للدفن الاولي، في حين البازينا الكبيرة كانت مخصصة للدفن الابدي [4]، وأخذت البازينا هندسة بنائها عن مجموعة الحضارات المتوسطية كالمصرية واليونانية [5]، ومن هذه الاضرحة على سبيل المثال:

(1) محمد الهادي حارش: (1992)، ص 167

(2) Bonnell, M: (1915). Pp. 169-170

(3) Gabriel Camps: (1980). Pp. 239-240

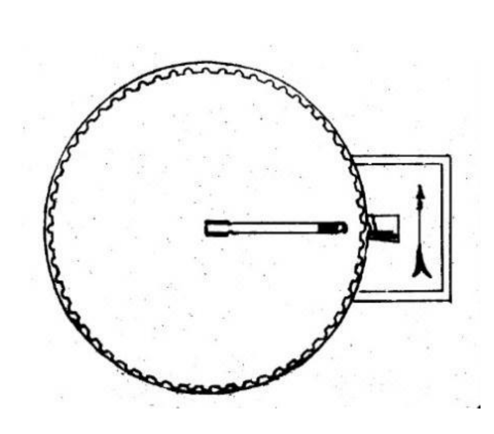
(4) سلاطنية عبد الملك: (1998-1999)، ص 30

(5) محمد حسين فنطر: (1985)، ص 7 // محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص87

1- قبر المدغاسن أو إيمدغاسن أو ماد غيس (Amdgasn)

يعتبر المدغاسن (المدراسن) أقدم نموذج للعمارة النوميدية، فقد شيد في القرن الثالث ق.م، وهو عبارة عن تقليد لقبور البازينا المحلية مضافا إليها اللمسات المعمارية الاغريقية (الأعمدة الأيونية) والحلق المصري المشرقي [1]، وشيد على ارتفاع (20) مترا إلى الشمال من الاوراس بين هضبة جبل عازم وجبل تفراوت، يبدو من الخارج وكأنه من قسمين: قاعدة أسطوانية ارتفاعها أقل من خمسة أمتار، وطوق من الدكات (Gradins) التي تعطي للمبنى شكلا مخروطيا، وعددها (23) دكة، وبين الدكة الثالثة والرابعة يوجد المدخل المؤدي إلى السلم الذي يؤدي بدوره إلى رواق طوله (17) مترا، ينتهي عند باب خشبي كبير للغرفة الجنائزية ذات (3.30) م [2]، وأمام المدغاسن منصة ذات (25) م على (14) م مبلطة تقام عليها المراسيم الجنائزية، وهذه المنصة التي تقام عليها المراسيم الجنائزية لوحظ كثرة الطلاء الأحمر الذي يغطيها وكذلك الرواق المؤدي إلى القبر المركزي، وهذا الطلاء الأحمر يعتقد انه رمز الحياة ونراه في كل القبور الجنائزية الكبيرة كانت أم صغيرة، ويعتقد بان المبنى لإيواء حارس الضريح، وانه من هذه المنصة يبدأ السلم المؤدي إلى مدخل الرواق، ويختلف قبر المدغاسن عن قبر الرومية أو لجدر المسبوقة هي الأخرى بمثل هذه المنصة الموجهة نحو الشرق. [3].





شكل 34: قبر المدغاسن شمال جبال الاوراس بالجزائر من الخارج (اليمين)، مخطط المنصة والرواق وغرفة الدفن المركزية (اليسار)

---

(1) محمد الصغير غانم: (2006)، ص15 هامش 1

(2) Henry Pomart: (1920). Pp. 281-186

(3) محمد الهادي حارش: (1992)،ص 159-161

2. اضرحة لجدار:

يقع ضريح لجدار (الاول) في جبل لخضر في تيارت (الجزائر)، وهو ذو قاعدة مربعة وتاج هرمي مكون من ثمانية غرف ورواقين، الطول (35) متر والعرض (34.20) متر، شيد بالحجر إضافة إلى الملاط الكلسي كمادة رابطة، ويمكن الدخول من الباب حيث يوجد رواق ينفتح على الجانبين الأيمن والايسر ويبلغ عرض الرواق (1) متر وارتفاعه (1.80) متر وفي كل زاوية من هذا الرواق توجد غرفتان مستطيلتا الشكل يبلغ طول كل واحدة (2.20) متر وعرضها (1.90) متر وارتفاعها أقل من (1.80) متر، مسقفه ببلاطات حجرية كبيرة مرصوصة بجانب بعضها، وتعود هذه الاضرحة في تيارت إلى ملوك المور، وتظهر أشكال زخرفية في الواجهة الشمالية للضريح تمثل الصليب الإغريقي داخل دائرة، كذلك رسم لثلاث أشكال في الوسط رجل عاري يمسك بيد اليسرى حصانا وفي الجهة اليمنى صورة أسد، كما وجدت أرقام مكتوبة بحروف اغريقية وزخرفة نباتية من ستة أوراق تقطعها ست نقاط صغيرة فالشكل العام يشبه الزهرة، أما النقوش الكتابية فهي منتشرة بكثرة في معالم لجدار خاصة في الضريح الأول إضافة إلى كلمات متفرقة مثل كلمة (CILLA) التي توجد بكثرة وكذلك نصوص يصعب قراءتها لتشوهها وفقدان الكثير من حروفها نتيجة للتخريب [1].



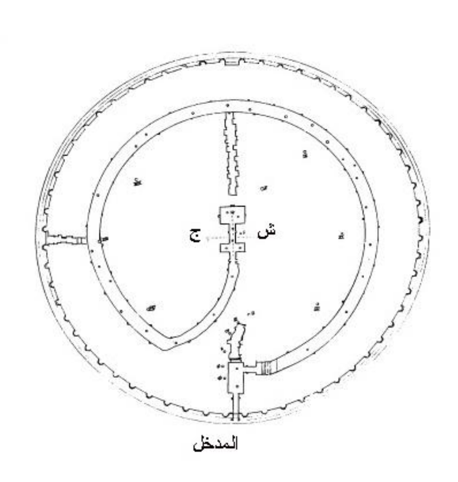
شكل 35: الضريح لجدار في تيارت (الجزائر)

(1) خالد قلواز و حليلي بن شرقي ولخضر سليم قبوب: (2017) ، ص248-249

3ـ قبر الرومية (الضريح الموريتاني):

أمـا الضـريح الملكـي الموريتـاني فـي تيبـازة والـذي يقـع بـين مـدينتي الجزائر وشرشـال بلـغ محيطـه (185.5) متـر وقطـره (60.9) متـر وارتفاعـه (32.4) يمكن الـدخول إلـى الضـريح عبـر بـاب سفلية ضيقة عند اجتيـاز بـاب الضـريح يوجد رواق ضيق فيه نقوش علـى الحـائط الأيمن تمثـل صـورة أسـد ولبؤة، وقد نسب الـرواق إلـى النقوش فسمي (بهو الأسـود) وبعد اجتيـاز هـذا الرواق يوجد رواق ثان طوله (141) مترا وارتفاعـه (2.40) متـر شكله ملتـو فيه (51) مشكاة منحوته في الحائط لوضع المصابيح، ويؤدي مباشرة إلى قلـب المبنى التي أطلق عليها خطأ الغرفة المركزية فيهـا ثـلاث كـوات كـل واحـدة تـم نحتها بالجدار، وأشيع سابقا أن الضريح يحوي كنوزا ولكن الباحثين لـم يعثـروا على أي كنز داخله، ويعتقد ان هذا الأثـر يعـود إلـى الملـك يوبـا الثـاني وزوجتـه كليوباترا سيليني ابنة كليوباترا ملكة مصر الذي عرف عنـه تذوقه لفن العمـارة، ولكن هنـاك مـن البـاحثين مـن يـرجح فكـرة بـان الضـريح الموريتـاني بأنـه قبـل الاحـتلال الرومـاني، أمـا هندسـة القبـر فهـو أثـر افريقـي فقد اعتبـره الباحـث (Gsell): (بناء من الطراز الأهلي مغطى بقميص يوناني) [1].





شكل 36: الضريح الموريتاني في تيبازا غرب الجزائر (اليمين)، ومخطط القبر من الداخل (اليسار)

---

(1) منير بوشناقي: (1979)، ص 1-22
Stéphane Gsell: (1896b). Pp. 767-778

على أية حال طراز هذا النوع من القبور يعود إلى عصر ملوك المور (الامازيغ)، لذا فهي تعود إلى فترة متأخرة في القرن الرابع ق.م وما بعده [1].

6. الدوائر الحجرية:

وهي قبور محاطة بسياج دائري من الحجارة، استعملت لأغراض طقوسية، أو لحرق جثة الميت، أو عرض جثته قبل الدفن، أو استغلالها كمحرقة للترميد، وقد انتشرت في الجزائر في شمال الحضنة، والأوراس، وسطيف، وقصر الشلالة وعلى امتداد مجرى وادي تاغية بين سعيدة ومعسكر، ومنطقة تلاغ في سيدي بلعباس وبذلك يكون استخدامها ضمن دائرة الطقوس الجنائزية [2].

7. القبور القلاعية (Chouchet):

وهي تسمية محلية تعني رملية (Calotte de sable) لأنها ترى من مسافة بعيدة ولها منظر شبيه بالطاقية أو الشاشية التي يضعها الأهالي فوق رؤوسهم [3] ، على العموم هي قبور دائرية شبيهة بالأبراج، يبلغ ارتفاعها بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وقطرها يتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة أمتار، انتشرت بالشرق الجزائري، ووسط الصحراء [4]، ومنطقة الأوراس، ومرتفعات الحضنة، وصحراء التيبستي في ليبيا، وهي تشبه مقابر الدولمن، وجد في داخلها هياكل عظمية وبأوضاع مختلفة منها المنطوية، والمنكمشة، وهياكل أخرى ربما جردت من اللحم قبل دفنها، وهناك أثاث رافق الميت، محتمل وجود اعتقاد بالحياة في العالم الآخر [5].(شكل 33)

8. المطامر:

وهي من مدافن فجر التاريخ، وتتميز بقلة انتشارها، ويمكن تحديد مناطق انتشارها بالغرب الجزائري ووسطه، وفي (كليبار) (Kleber) في سيدي بن يبقى (تبعد عن وهران (30) كلم شرقا)، وفي المغرب أيضا، وعثر في داخلها فخار جنائزي وحاجات معدنية وهيكلين عظميين في وضعية قرفصاء، مثلما هو في سيدي مسعود بفاس (المغرب)، وأولاد ميمون شرق

---

(1) عصر ملوك المور: تأسست دولة المور في شمال المغرب قبل القرن الرابع ق.م أطلق عليها مملكة الموريين، أو مملكة موريطانيا، وقد امتدت من شمال المغرب إلى بلاد جدالة جنوبا، وشرقا امتدت إلى نهر الملوية واحيانا أخرى إلى الواد الكبير في شمال غرب قسنطينة في الجزائر خلال القرن الأول للميلاد، وقدم الباحث (Jodin) بحثا عن قبر سوق جمعة الجور قرب مكناس في المغرب:

André Jodin: (1967). Pp. 221-261

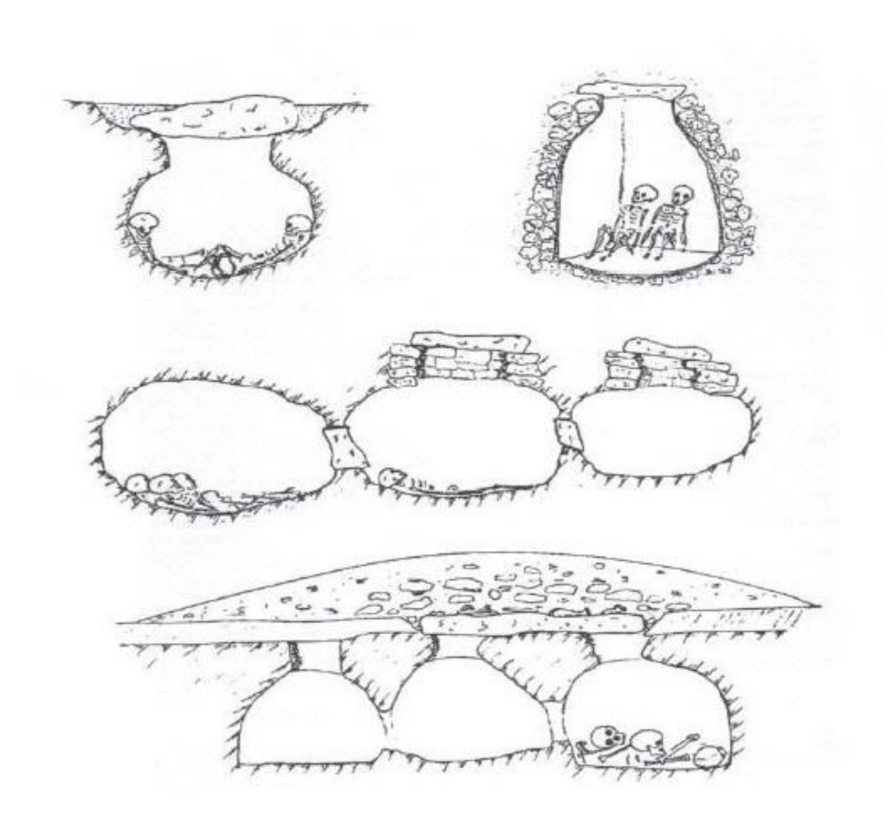
(2)محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص90-91

(3) عويسي سمية: (2015-2016)، ص33

(4) رابح لحسن: (2002)، ص 33

(5) المصدر نفسه: ص30

تلمسان، ويجب الإشارة أن هذا النوع من المدافن عرف طريقة الدفن الجماعية كما في سيدي حمادوش (Les Trembles) شمال شرق سيدي بلعباس بالجزائر[1]، ومن خلال التنقيبات في هذا النوع من المدافن والتي كانت تقارن بنوع من المدافن يدعى (Talayots) بجزر البليار (في البحر المتوسط تابعة لإسبانيا)، ومدافن (Nuraghe) في جزيرة سردينيا [2]، وقد عثر على بقايا فخارية واسلحة وحلي، وبقايا بيض النعامة، إلى جانب تنوع أوضاع الدفن كالوضعية المنطوية، والمنكمشة، والممددة، وحتى خلط العظام مع بعضها البعض بعد تجريد اللحم، وعثر على بقايا المغرة الحمراء، ربما اعتقاد بوجود حياة في العالم الاخر[3].



شكل 37: مدافن المطامر في الجزائر

---

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2014)، ص451

(2) Maurice Reygasse: (1940). p. 6

(3) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص91-92// رابح لحسن: (2002)، ص34-35

مراسيم الدفن في شمال افريقيا

تعود مراسيم الدفن إلى العصر الحجري القديم المتأخر (Epipaléolithique) الذي تميز بنشوء حضارتان هما الايبرو- مورية على سواحل البحر المتوسط، والحضارة القفصية وتتمركز في المناطق الداخلية، وتأثيرات دينية وصلت نتيجة احتكاكهم عن طريق التجارة والهجرات ومن ثم اكتساب عادات مماثلة تجسدت في توجيه الميت ومدفنه نحو الشرق وخاصة رأسه والغرفة الجنائزية والمدخل الرئيسي للقبر لما لها من علاقة بشروق الشمس وعرفت هذه العادة منذ القدم في بلاد الرافدين ومصر [1] ويعتقد الباحث (Camps) بان التوجه نحو الشرق يخص : الجسم، والأدوات الطقوسية [2]، أما بشأن إيمانهم بعقيدة الخلود ووجود حياة أخرى بعد الموت صار الميت يصحب معه كل ما يحتاجه من أدوات وحلي واسلحة وأواني فخارية [3] .

كما كانت تطلى الجثة بالمغرة الحمراء (Ocre Rouge) حيث استعملها البربر القدماء لرش عظام موتاهم لاسيما الرأس كالجمجمة التي وجدت مطلية باللون الأحمر في منطقة الداموس الأحمر(Damous el-Ahmar إحدى بلديات ولاية تيبازا بالجزائر) [4]، وكذلك تطلى القبور والأثاث الجنائزي، كما توضع أحيانا أواني فخارية بداخل القبر كنوع من الهبات، واستعملت كذلك المبخرات لحرق العطور والطيب داخل القبور حرصا منهم على تطهير القبور من النوايا السيئة وطرد الأرواح الشريرة عن الميت [5]، أما فيما يخص وضعيات الدفن فكانت متنوعة:

1- الدفن الأولي أو النهائي: ويشمل
- الوضعية الجانبية المنكمشة.
- الوضعية الجانبية أو الظهرية المنطوية.
- الوضعية الجانبية أو الظهرية الممدودة.

2- الدفن الثانوي: ويشمل التجريد من اللحم.

3- نوع آخر من الدفن يتمثل في عملية الحرق وكانت نادرة بشمال افريقيا.

الجدير بالذكر أن هذه الأنواع الثلاثة للدفن (الأولي، والثانوي، والحرق موجودة منذ عصور ما قبل التاريخ [6]، وقد تم التعرف على هذه الأوضاع في

(1) رابح لحسن: (2004)، ص273

(2) Gabriel Camps: (1961). p.65

(3) عويسي سمية: (2015-2016)، ص23

(4) Raymond Vaufrey :(1936-1937). Pp. 157-158// Gabriel Camps: (1961). p.47

(5) رابح لحسن: (2004)، ص269-270

(6) Gabriel Camps: (1961). Pp. 465-504

الدفن من خلال البقايا البشرية المكتشفة داخل مختلف المعالم الجنائزية كوقع أفالو بو رمال بالقرب من بجاية حيث اكتشفت (48) هيكل أغلبها كاملة في وضعية منطوية، وهيكلين في وضعية ممدودة، إضافة إلى موقع كلوماناطة (Clomanata) بالقرب من سيدي الحسني حيث دفن الموتى في خنادق وحفر محاطة بحجارة على شكل أضرحة ومعهم أدوات مختلفة، وفؤوس مصقولة، وقشور بيض النعام، واصداف بحرية مخرمة مع مئات من الهياكل العظمية، وكذلك موقع تازة بساحل جيجل، وموقع نبارود بالريف الشرقي للمملكة المغربية حيث اكتشف دفن أولي في وضعية جلوس متميزة وفي حالة حفظ جيدة، وموقع تافوغالت بالمملكة المغربية كذلك [1].

وفي العصر الحجري الحديث ظهرت أولى المدافن الجماعية بتعدد القبور وتجمعها في مكان واحد مما أدى إلى ظهور المقبرة (Nécropole)، وتكون بعيدة عن المناطق السكنية، وتم التخلي تدريجيا عن الدفن بداخل الكهوف بعد العصر الحجري الحديث [2].

تنوعت المدافن بحسب عدد الغرف فيها أو حسب طريقة الدفن سواء كانت فردية أو جماعية فهناك قبور ذات غرفة واحدة مخصصة للدفن الفردي، أو غرفة واحدة أو عدة غرف تستقبل عدة جثث، بمعنى الدفن الجماعي في آن واحد، بحيث يغلق القبر نهائيا، وهناك مدفن بغرفة واحدة أو عدة غرف موجه للدفن الجماعي على مراحل ويخص عادة القبور المهيأة للفتح من جديد، أما في فترة فجر التاريخ فقد أخذت القبور أشكال عده: كالتلال الجنائزية ، والمصاطب، والبازينات والشوشات، والدوائر الحجرية، والحوانيت، والتي سبق ذكرها، وتتميز بالضخامة مثل الميجاليثية حيث تضم عدة غرف جنائزية، وبدأت الأنصاب الحجرية العمودية بالظهور، وتطورت إلى أن صارت عبارة عن شواهد (منهير) كما تنوعت المقابر بين الميجاليثية وشبه ميجاليثية [3].

---

(1) عويسي سمية: (2015-2016)، ص24

(2) Gabriel Camps: (1961). p. 65

(3) رابح لحسن: (2004)، ص259// عويسي سمية: (2015-2016)، ص24

الفصل الخامس

الفخار والمعادن

المبحث الأول

الفخار في عصر فجر التاريخ

يختلف التعريف بين الفخار والخزف عند الباحثين(الغربيين والعرب) فالبعض منهم يرى أن تسمية الفخار والخزف تؤديان نفس المعنى، لكن هناك من يرى اختلاف بينهما، فالفخار تتشكل منتجاته من عجينة طبيعية ويتم تعريضه للنار، أما الخزف فتشكل منتجاته من عجينة صناعية أي تستبعد من مكوناتها الشوائب ويضاف لها مركبات تزيد من صلابتها وجودتها مثل، السيليكا (الرمل) والكاولين الأبيض اللون [1]، وتعتبر صناعة الفخار من الأدلة الأثرية التي تثبت توصل الإنسان إلى الاستقرار والزراعة والإنتاج لأن الإنسان شعر بحاجة إلى تخزين طعامه فشكل الأواني لتحقيق وظائف التخزين [2]، ولعلى الفخاريات هي أكثر مخلفات الإنسان في هذا العصر فائدة لنا في التعرف على تاريخه [3].

الفخاريات في حفريات القرن التاسع عشر

جرت عمليات الحفر وليس تنقيبات على أسس علمية في مقابر دولمينات والبازينا بشمال افريقيا والتي تعود لعصر فجر التاريخ، وعندها عثر على عدد محدود من الأوعية والطاسات الطينية اثناء الحفريات علما بان الفخاريات هي أهم جزء من الأثاث الجنائزي الذي وضع مع جسد المتوفي، ولكن من قام بالحفريات في القرن التاسع عشر وعثروا على تلك الأوعية والطاسات لم يتم وصفها ابدا لان أغلب من قام بالحفر يفتقد إلى الأسلوب العلمي للتنقيبات الاثرية، فعلى سبيل المثال دولمينات بني مسوس (Beni Messouse) جرت فيها أربعة مواسم للحفريات من (1868) وحتى (1931) [4]، وما نشر فعليا اثنتين فقط، الدراسة الأولى اعدها الدكتور (Bertherand) [5] وقد ذكر بدقة عدد الأوعية الفخارية التي عثر عليها، بينما لا نعرف شيء عن الحفريات الأولى التي قام بها (Berbrugger)، أما الحفريات التي قام بها الطبيب العسكري (Guyon) في عام (1846) فهي بالكاد معروفة [6]، والحديث ينطبق على المقابر الكبيرة (البازينا) في الركنية (Roknia)، ورأس العين (Ras el-Aïn)، وبو مرزوق (Bou Merzoug)، وبو نوارة (Bou Nouara)، وقصطل (Gastel) [7].

---

(1) علي خيدة: (2006)، ص 27 // حسين فهد حماد: (2003)، ص17

(2) عبد اللطيف محمود البرغوثي: (1971)، الجزء الأول، ص34

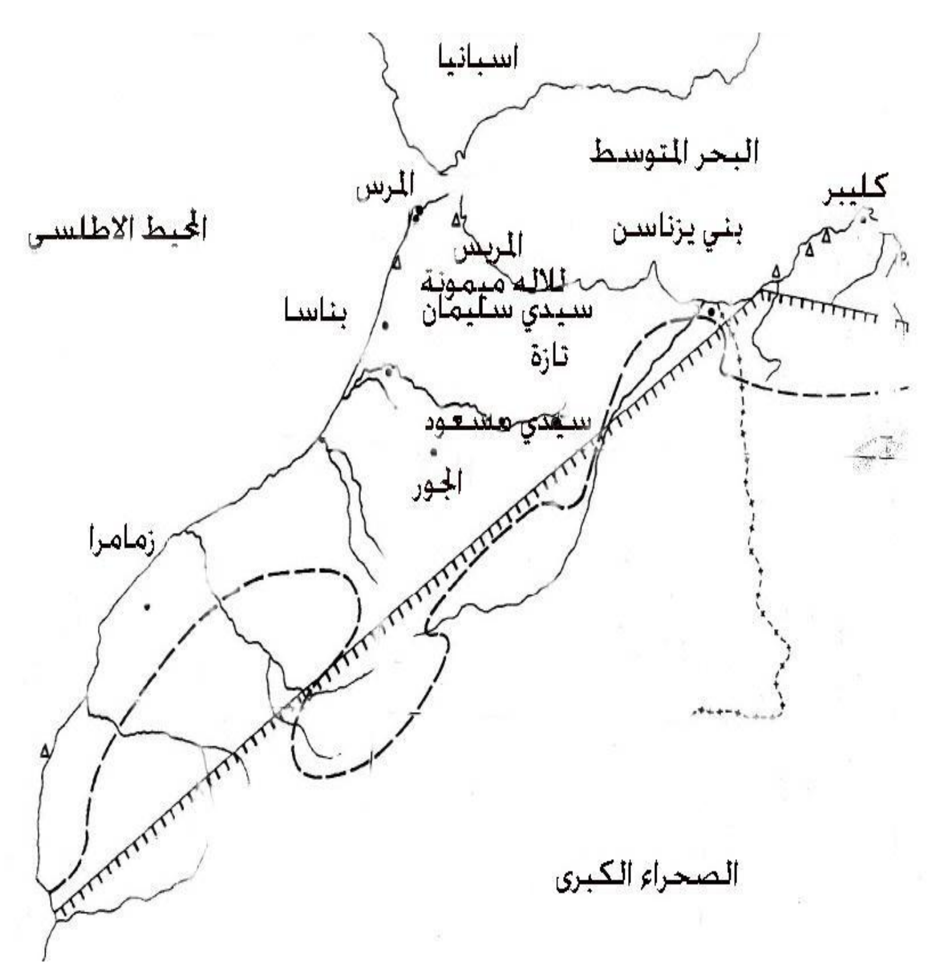
(3) غوتي منال وسيلة سلاف: (2015-2016)، ص 33

(4) Gabriel Camps: (1953). Pp. 329-372

(5) Émile-Louis Bertherand (Dr): (1868). Pp. 88-101

(6) Guyon, M: (1846). Pp. 816-818

(7) Gabriel Camps: (1961). p. 215

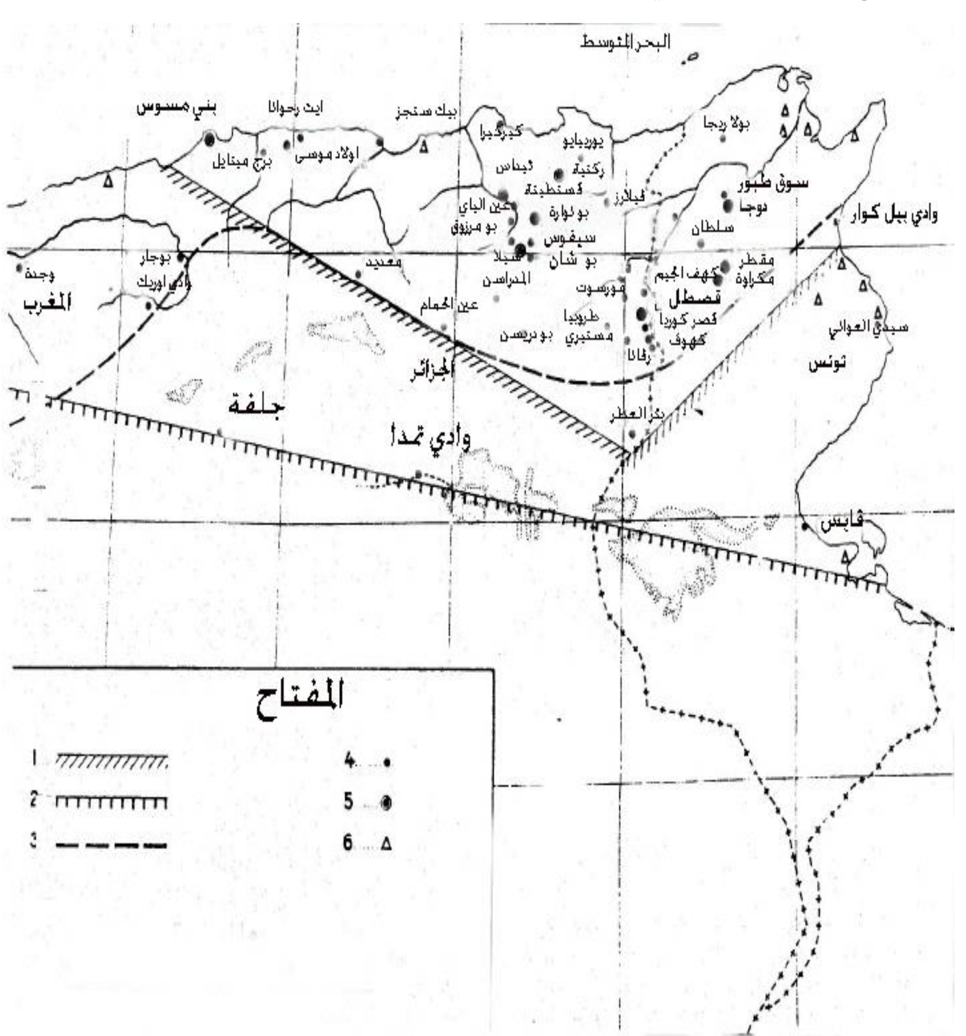


خريطة 10: فخار فجر التاريخ في المغرب:1-الخط الأول المتقطع يحدد المنطقة التي قدمت 98% من فخاريات المغرب. 2-الخط الثاني المستقيم يحدد وجود فخار في بعض المدافن، 3-الخط الثالث بالنقاط عدم اكتشاف فخاريات جنوبا.

قدمت بعض المواقع الأثرية عدد من الفخاريات، ولكن ليس هناك إشارة إلى أشكال الأواني الموجودة في النصب التذكارية يبدو أنه من بين كل الفخاريات التي تم ذكرها، لم يتم وصف سوى كمية صغيرة تم تصنيفها (1)، كما لم يعثر اطلاقا على فخاريات مزخرفة أو أدوات معدنية سواء من البرونز أو الفضة، أو حلى أو تمائم مصنوعة من مواد أخرى، فالأثاث الجنائزي الذي وضع مع الموتى غالبيته صناعة محلية مثل الأوعية والطاسات التي تستعمل في الريف، والتي لاتزال اشكالها تستخدم في ريف دول المغرب العربي،

(1) Pierre Cintas and Ernest-Gustave Gobert: (1941). Pp. 83-121.

وبالتالي فان الفخاريات الجنائزية القديمة التي عثر عليها في الدولمينات كانت فقيرة جدا، ومعظمها بعد ازالتها من أماكنها فقدت الجانب العلمي لغرض دراستها، ولهذا يجب التركيز على الفخاريات في المقابر والاثار المعزولة البعيدة عن متناول ايدي السكان أما المواقع الاثرية التي تقع قريبا من المناطق المأهولة بالسكان فهي نادرة وتعرضت للنهب والتخريب وذات أصل غير مؤكد ولا يمكن الاستفادة منها في البحوث التاريخية (1)، والخريطة التالية توضح انتشار الفخار في الجزائر وتونس:



خريطة 11: جنوب منطقة زراعة الحبوب الديمية: 4: قبر أو مقبرة عثر فيها على 20 قطعة فخارية. 5: مدفن البازينا عثر فيه على أكثر من 20 قطعة فخارية. 6: مواقع فينيقية قدمت فخاريات قرطاجية

(1) Gabriel Camps: (1961) .p. 218

من هنا يجب أن نضع في اعتبارنا ثلاث حقائق وهي:

1- فخار نادر: وجد في التموليات إلى الجنوب من منطقة الأوراس بالجزائر، وهودنا (Hodna)، ووارسينيس (Ouarsenis)، أما فخار الموجود في مقبرة تازة شرق المغرب فلا نعرف عنه شيء .

2- داخل المنطقة الواقعة بين البحر وحتى الحدود التونسية تم العثور على أكثر من 98٪ من الفخاريات في مقابر تقع شمال الخط كما في الجزائر: موقع بني مسوس (Beni Messous)، وفي تونس: بئر العطر (Bir el-Ater)، ودار بيل كوار(Dar bel QUAR).

3- وأخيرا ، قدمت ثلاثة مقابر في الجزائر، قصطل (Gastel)، وسيلا (Sila)، والركنية (Roknia)، أكثر من نصف الاوعية الفخارية التي تمت دراستها [1].

على اية حال يجد الباحث بعض المقابر يمكن ملاحظتها في موقع زيمامرا (Zamamra) (80 كم جنوب موجادور (Mogador) المغرب)، وفي قابس (Gabés) بتونس، حيث وجد في المقابر التذكارية فخار وبعد دراسته توصل الباحثين أنه بعيدة عن ما يشابهه من الفخار الذي عثر عليه في مواقع مثل قصطل (منطقة تبسة) وكليبر (Kléber) (منطقة وهران) مع اختلاف في أساليب الدفن، ومع هذا في عام (1864) اعترف الباحث (Berbrugger) بأن فخار الركنية (Roknia) كان مشابها تماما لما عثر عليه داخل دولمينات (بني مسوس) (Beni Messous) [2].

أن صناعة الفخار في بعض البلدان التي تتمتع بموارد غنية على وجه الخصوص، يعتبر وثيقة ذات قيمة لا تقدر بثمن، لأنه يسمح بتعريف وتحديد الإطار الزمني، فقد قدم الفخار في مصر المفتاح لدراسة تاريخ مصر كما عبر عن ذلك الاثاري (Flinders Petrie) بتسلسل التواريخ [3]، وأيضا في بلاد الرافدين كان الفخار دور مماثل في تحديد الأدوار الزمنية بالاعتماد على طراز الفخار مثل فخار حسونة، سامراء، وحلف، العبيد، وجمدت نصر [4]، ولدينا فخار سوسة في عيلام هو الآخر يحدد التسلسل الزمني لتاريخ عيلام واثارها [5]، وهكذا وفقا إلى طريقة صناعة الفخار والألوان والزخارف يمكن ان نحدد الأدوار التاريخية، يبقى لماذا لا تكون هناك دراسة فخار شمال افريقيا مشابها لدول الشرق الأدنى القديم، ربما ولسوء الحظ لم يكن قد عرف طلاء الفخار خلال العصور القديمة وفي فجر التاريخ [6]، ولهذا ما زالت الدراسات مستمرة لتميز المراحل الزمنية في تطوير صناعة وزخرفة الفخار،

---

(1) Gabriel Camps: (1961): Pp. 218-219

(2) Lorsque A. Berbrugger: (1864). p.319

(3) William Matthew Flinders Petrie: (1917)

(4) صلاح رشيد الصالحي: بلاد الرافدين، (2017)، ص81-91

(5) Louis Le Breton: (1947). Pp. 120-279

(6) Pierre Cintas: (1950). Pp. 361-381

علــى العمــوم هنــاك دراســات قــام بهــا الباحــث (Dumont) عــام (1898) لمقارنة فخاريات الفلاحين التونسيين بـالأواني التـي عثر عليهـا فـي الـدولمينات التونسـية وخـرج بنتيجـة بـان فخاريـات الـدولمينات هـي أصـل الأوانـي التـي أستعملها التونسيين حديثا [1].

دراسة الفخار على ضوء التنقيبات الحديثة

مـن المؤسـف ان فخـار البلـدان المغاربيـة لـم يـدرس بعـد علـى الوجـه العلمي، ذلك ان الباحثين الاوربيين كـانوا حتـى أوائل هذا القرن ينظـرون إلـى تلـك البلـدان متخلفـة أخـذوا حضـارتهم مـن شـبه جزيـرة إيبيريـا (إسـبانيا والبرتغال)، وإذا كانت التسميات المحلية التي أطلقوها على الفخار قد ساعدتهم على افتراض ان يكون الأصل في إيبيريا ولكن فاتهم ان هذه التسميات علمية وحديثة من ناحية كما وانها درست هناك بمنهج آخر أكثر تقدما وتحررا عما درست به في إسبانيا كما وأن وجود نوع معين من الفخار بكثرة في إسبانيا وقلته في شمال افريقيا ليس معناه ان الثاني يعتمد فخاره من الأول وانما يرجع السبب غالبـا إلـى أن مجـال وامكانيـات ومـدن الحفـائر الاثريـة أوسـع وأكبـر وأطول في إسبانيا والبرتغال.

نظرا لعدم وجود جدول زمني لفخار شمال افريقيا فـي عصـور مـا قبل التاريخ أو حتى مجرد تبويب لأنواعه فيما لو استثنينا المجهود الكبير الذي بذله الباحث (Camps) لتصنيف وتبويب فخار شمال افريقيا قبل العصر التـاريخي ولـذا فسـوف اعتمـد علـى كل مـا كتـب فـي هذا الموضـوع حتـى يمكـن أن أقدم اطارا أو هيكلا عاما من الناحية الزمنية لذلك الفخار.

من المعلوم انه عثر في بعض نـواحي شمال المغرب علـى أوان اغلبهـا طاسات، وقد صنعت من الحجر، وكما هو معروف فأن الأواني المصنوعة من الحجر قد سبقت الأواني الفخارية في الظهور، وهناك أيضا امثلة من مصر في عصـر مـا قبـل الأسـرات إذ نجـد أوانـي مـن حجـر المرمـر [2]، وقـد عثـر علـى بعــض هــذه الأوانـــي فـــي جهـــة ســـوق الخمـــيس فـــي (آيـــت واحـــي) (Ait Ouahi) في شمال المغـرب، ولـو ان تلـك المجموعـة لـم تـأت مـن حفـائر اثرية بـل كانـت موجـودة فـوق سـطح الأرض فـي إحدى المقـابر الأثريـة إلا أن شـكلها ومظهرهـا وعـدم وجـود امثلـة معروفـة اليوم لهذه الصـناعة يعطـي لهـا مظهر القـدم لا سيما وأن الأواني الأخرى الشبيهة بها قد عثر عليها في أمـاكن

---

(1) Arsène Dumont: (1898). Pp. 318-321

(2)عرف سكان عصر ما قبل الأسرات المعادن في مصر، ومع ذلك فقد صنعوا الأواني والمزهريات من الحجر، اما الفخار فقد كان متنوعا في الأشكال إلا انه أقل جودة من حيث الصناعة، وقد تطورت الصناعات في حضارة العمرة أو(نقادة الأولى) عما كانت عليه في حضارتي الفيوم وحضارة البداري، فنلاحظ تطور صناعة الفخار وتشكيل الرسوم الهندسية والطبيعية والألوان والزخارف مع صناعة الأواني المصنوعة من حجر الاوبسيدين الذي استورد من دول البحر المتوسط: فيركوتر، جان و (آخرون): (1986)، ص258-263 // نجيب ميخائيل إبراهيم: (1966)، ص30-38

أخرى في المغرب، ومن حيث تاريخ هذه الأواني التي وجدت في موقع سوق الخميس لا يمكن تحديدها لا سيما وأننا لا نعرف الطبقة التي جاءت منها، ولا الأفق الثقافي الذي تنتمي اليه، ولذا اذكر بعض السطور عن ما كتبه الذين عثروا على تلك الأواني:

(لقد تم تأصيل الأواني الحجرية مع العديد من تلك التي تعود لعصور ما قبل التاريخ في أوربا أو شمال افريقيا أو مصر، ولكن لم نتمكن من تحديد عمرها وأصلها فعلا، إنها صناعة قديمة بالفعل، فالعديد من الأدوات الحجرية الخاصة بالعصر الحجري الحديث ليست من حجر الصوان انما مصنوعة من الصخور البركانية مثل الديوريت والاوبسيدين التي لم تكن تستخدم من قبل، من ناحية أخرى، أن مهد صناعة الأواني الحجرية أقرب إلى مصر وليس إلى جزر بحر إيجة، وهناك العديد من هذه الأواني الحجرية في أيبيريا، حيث تتشابه مع تلك الموجودة في مصر أكثر من تلك الموجودة في حوض بحر إيجة، ومع هذا من الصعب تحديد عمرها، مما يشير إلى أن هذه الأشياء تبدو تابعة لفترات تاريخية أكثر من فترة عصور ما قبل التاريخ) [1].

حاول الباحث (Puigaudeau) [2] إيجاد علاقة بين هذا النوع من الأواني مع الأواني الحجرية في مصر وخرج بنتيجة أن هذا النوع من الأواني يوجد فعلا بكثرة في القبور القديمة في الصحراء الكبرى، فهو يرى بان هذه الأواني أنما وصلت إلى شمال أفريقيا وصولا إلى المغرب عن الطريق الذي قال عنه المؤرخ اليوناني هيرودوتس انه كان يربط ضفاف النيل بساحل المحيط الأطلسي، ولابد وأن هذا الطريق كان موجودا منذ ازمنة بعيدة [3].

(1) Bolelli, E, Marçais, J et Paul Pascon: (1956). Pp. 157-162

(2) Odette Du Puigaudeau et Marion Senones: (1967). Pp. 151-159

(3) لم تكن الصحراء الافريقية الكبرى تشكل عائقا دون الاتصال الحضاري المثمر بين الأقاليم المطلة على تلك الصحراء، ولذلك نلاحظ تعدد طرق المواصلات بين شرق افريقيا وغربها عبر الصحراء واستمرت هذه الطرق حتى العصر الإسلامي، وقد وصفها الرحالة الفرنسيون في القرن التاسع عشر من حيث ازدهاها واستمرار شبكة الاتصالات الواسعة عبر تلك الصحراء : عوض الله الأمين و(آخرون): (1984)، ص 102-69




شكل 38: اشكال فخار الكمباني (Campaniforme) الذي اكتشفت في أوربا وشمال افريقيا خلال الالفية الثالثة ق.م والذي يغطي العصر الحجري الحديث وجزء من أوائل عصر البرونز في اوربا، عثر على فخار الكمباني في المدافن الميجاليثية

النموذج الذي يلي في الدور الزمني للأواني المصنوعة من الحجر هي الأواني الفخارية البدائية الصنع، وقد عثر الباحث (Jodin) على عدد من هذه الأواني في متحف طنجة وهي مصنوعة يدويا، وهي خشنة المظهر وخالية من أية نقوش ومفخورة بشكل رديء، وقد قام (Jodin) بدراسة ذلك الفخار عن طريق المقارنة فتوصل إلى أن هناك ثلاث أنواع من الفخار **أحدهما** الفخار المكتشف في مغارة تمارا قرب الرباط وهو من النوع الكمباني (Campaniforme)، والنوع **الثاني** من الفخار يعود إلى عصر فخار البرونز الأوربي من حيث الزخارف أو الشكل العام، والنوع **الثالث** فخار ذو أصول اسبانية ويعود للعصر الحجري الحديث المتأخر، كما هو واضح في النص الآتي:

(تم العثور على أواني كروية في متحف طنجة تحت رقم 6 وتعود إلى كهف الخزيل (El Khril) (بالقرب من طنجة) ولها مقبض قوي نافذ داخل الإناء، وغالبا ما يتم تغطيتها بغطاء أحمر لامع).

إن الأواني المخروطية متكررة ونجدها في موقع الاشقر (Achakar)، فهي عادة ما تطابق مع الأواني ذات الرقبة، وفي بعض الأحيان ضم الموقع أكواب، كما تم العثور على أواني متطابقة مع رقم 4 وهي نصف كروية مع مقبض صغير مثقب في كهف تمارا (Tamara) بالقرب من الرباط، ونقش فوق الإناء شكل جرس.

أما الجرة الممتدة، فهل هي من خلال شكلها وكأنه شكل قارب للصيادين، ربما هي مجرد نزوة من الحرفي؟ بينما الاناء رقم 1 ذو القاع

المسطح هو تقليد لصناعة معينة من عصر البرونز الأوروبي، إن التفاصيل المميزة لكل هذه الأواني هي المقبض الصغير الملفوف الذي عثر عليه في العديد من المواقع الإسبانية، المعاصرة أو ما بعد العصر الحجري الحديث)(1).

يعتبر فخار غار كحال (Gar Cahal) الذي يرجع للعصر الحجري الحديث أقدم فخار معروف بالمغرب، ففي هذا الموقع بالقرب من مدينة سبتة في شمال المغرب حيث عثر الاثاري (Tarradell)(2) في هذا الكهف على خمسة طبقات تتراوح بين العصر الحجري الحديث وثقافة (الايبرو- مورية) (Ibéro-maurusien)(3) وهذه الثقافة افرزت نوع من الفخار الذي سبق أن عثر على الكثير من نماذجه في المواقع الاسبانية التي ترجع للعصر الحجري الحديث، والذي وجد مصاحبا الأدوات النحاسية والبرونزية وأرخ في اسبانيا تحت عصر البرونز الثاني، وقد عثر عليه في غار كحال في الطبقة الثالثة وفي عمق يتراوح بين (1.40-2.70) متر وهو يتكون من قسمين العلوي منهما يمتاز بكثرة الشقاف من أواني الكمباني (Campaniforme) التي تشبه أواني مواقع نهر الوادي الكبير بالأندلس المسمى بطراز كرمونا (Carmona)، أما القسم الأسفل من الطبقة الثالثة فقد امدتنا بالفخار الملون وبنوع آخر من الفخار المعروف بالطراز القلبي (الكمثرى) (Cardiale) حسب التسمية الفرنسية وهو نفس النوع المنتشر في المانيا، وحوض الدانوب، وهولندا، وبريطانيا، ويعرف باسم (Beaker ware)، وهو نوع من الفخار جاء به الذين ادخلوا استعمال النحاس والبرونز إلى أوربا، اما الفخار الملون فقد كان مزخرفا بلون احمر فاتح وقاتم على سطح أحمر أو أبيض (4)، وقد

---

(1) André Jodin: (1964c). p. 329

(2) عثر في الطبقة الثالثة من موقع كاف تحت الغار على فخار الكمثري (Cardiale)، وفي الطبقة الثالثة (B) من موقع غار كحال عثر على الفخار الملون، اما في الطبقة الثالثة (A) من غار كحال والطبقة الثانية من كاف تحت الغار عثر على فخار الكمباني، اما في العصور المتأخرة من الطبقة الثانية للمواقع كاف تحت الغار وغار كحال فقد عثر على الفخار الصقيل (Lisse)، وحدد بين (1500-1200) ق.م، ومن الطبقات السفلى لموقع ليكسوس (العرايش) عثر على فخار المخروطي الشكل ويتحدد تاريخه بين (500) ق.م وإلى قبيل ميلاد المسيح:

Gabriel Camps: (1961). p. 400 // Miguel Tarradell: (1954). Pp. 344-358

(3) الايبرو-مورية: وهي ثقافة ساحلية بشكل أساسي في شمال افريقيا وتحتل شريطا ساحليا من شمال تونس وإلى جنوب المغرب وتتميز بالانتقال بين العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الأوسط، ما يقارب ما بين (20000) إلى (10000) سنة مضت، ومنشأ هذه الصناعة الساحلية لما قبل التاريخ الملاجئ الصخرية مثلا في موقع موليح (Mouillah) بالقرب من ولاية مغنية بالجزائر:

Rym Kéfi, Alain Stevanovitch, Eric Bouzaid, Eliane Béraud-Colomb: (2005). Pp. 1-11

(4) Robert John Braidwood: (1975). Pp. 186-187

زينت بعض الأواني الفخارية بحزوز واحيانا خطوط بجوار الفوهة تعبر احتمالية كونها تقليدا للأوعية الجلدية أو السلال [1] .




شكل 39: فخار بيكر (Beaker ware) الذي أكتشف في المواقع الاوربية (اليمين)، فخار كرمونا (إسبانيا) ويرجع للعصر الحجري الحديث (اليسار)

كان الطراز الكمباني من الأهمية لدرجة تحمس معها الكثير من البحاثة لاسيما بعد العثور عليه في كهف دار السلطان قرب الرباط إلى وجود تأثيرات الحضارة الإيبيرية على المغرب وحاولوا جهدهم طمس المؤثرات الشرقية حتى قام الباحث (Evans) [2] بالرد عليهم معلنا ان ذلك النوع من الفخار سواء الذي في المغرب أو إسبانيا انما هو شبيه بما وجد في صقلية بإيطاليا وتحديدا في موقع (Serraferlicchio) بالذات [3]، وأيده الباحث (Camps) في هذا الاستنتاج كما هو في النص الآتي: (لم يتردد الباحث (Evans) في ربط القطع الفخارية لموقع غار كحال (Gar Cahal) بالثقافة الصقلية لموقع (Serraferlicchio) الذي يعتبر واحد من أقدم الحضارات في العصور الحجرية في غرب البحر المتوسط، وتحدث عن التشابه بين السيراميك على النحو التالي: أن تشابه فخار حضارة (Serraferlicchio)

(1) رشيد الناضوري: (1981)، ص127

(2) John D. Evans: (1955-1956). p. 60

(3) تقع (Serraferlicchio) بالقرب من مدينة (Agrigento) في جزيرة صقلية بإيطاليا، وهي من مواقع عصور ما قبل التاريخ اكتشف فيها نوعين من الفخار، الأول رمادي اللون، والثاني زخارف باللون الأسود على خلفية حمراء لامعة، وانتشر هذين النوعين في الالفية الثالثة ق.م في المستوطنات والقرى والكهوف في صقلية ودول شمال افريقيا رافقه اقتصاد زراعي ورعوي.

يظهر تماما في طبقة الفخار الملون مع فخار غار كحال، كما تحدث عن انتشار فخاريات الكمباني من صقلية وإلى شمال افريقيا) [1] .

أن التعليق السابق للباحث (Camps) سببا في دراسة أصل الأنواع الثلاث للفخار أي النوع بيكروير (Beaker ware)، والنوع الملون، والكمباني، أما النوعان الاخيران الموجودان في ايبيريا والمغرب ارجعهما الباحث (Bernabe Brea) [2] إلى صقلية أيضا، ونجد في مقال (Jodin) [3] الذي يتكلم فيه عن الموطن الأول لإناء الكمباني فيعزوه إلى البرتغال والاندلس وهو يردد بذلك حماس كثير من شباب الاثار بايبيريا إلا أن الدراسات الواعية البعيدة عن تيار الحماس والقومية الضيقة قد القت أضواء على هذه المشكلة فنجد الباحث (Braidwood) عندما يتكلم عن نفس النوع من الأواني الكمبانية، وهي التي تسمى في بريطانيا (Beaker ware) يقول: (يطلق على أول الوافدين الجدد اسم شعب (Beaker)، وارتبط اسم هؤلاء المهاجرين باسم الفخار الذي يصنعونه، وهم سلالة طوال القامة، عظامهم ثقيلة، وأقوياء البنية، وذوي رؤوس مدورة، ويعتقد بعض الباحثين أن أول استخدام لهذا الفخار كان في البرتغال، حيث تم العثور عليه بمقابر جماعية كبيرة من طراز المقابر الميجاليثية مع استخدام الأدوات النحاسية ويؤرخ قبل عام (2500) ق.م (±)، ويعتقد آخرون أنه مستمد من الشرق الادنى، فهؤلاء النازحين وفدوا من شمال شرق اوربا وتضمنت ثقافتهم عناصر جلبت أصلا من الشرق الأدنى، بالطريق الشرقي عبر السهوب حاملين معهم الفأس البرونزي)[4].

---

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 374
(2) Luigi Bernabò Brea: (1953-1954). Pp. 137-235
(3) André Jodin: (1959). Pp. 677-687
(4) `Robert John Braidwood: (1975). p.187





شكل 40: نماذج من فخار غار كحال الزخارف باللون الأسود على أرضية حمراء لامعة (اليمين)، إناء من نوع الكمباني فورم اكتشف في موقع دار السلطان (الوسط)، فخار من طراز كمباني من موقع حلف (5600-5000) ق.م (اليسار)

إذا كان لي أن ادلي بوجهة نظري في هذا الموضوع فأنني أرى شبها كبيرا في أشكال الفخار أولا بين فخار حلف (6000-4800) ق.م، والفيوم (4275) ق.م، وفخار مرمدة (4100) ق.م [1]، والواحة الخارجة [2]، وهوا فطيح (ليبيا) (4000) ق.م، وابتداء من الفترة ما بين (4500-3000) ق.م تبدو في معطيات حفرية (هوا فطيح) بعض الدلائل الاثرية منها قطع فخارية ذات صلة بالصناعات الفخارية في البلدان المغاربية وبداية استخدام النقش والتلوين على الفخاريات وقشر بيض النعام، وكذلك بعض الدلائل على صلة الحضارة الليبية بحضارة مرمدة (شمال غرب الدلتا) في مصر [3]، وتؤرخ

---

(1) Kenneth Stuart Sandford and William Joscelyn Arkell: (1939). p. 160

(2) Ibid: Vol. II. Pp. 23-27

(3) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص151

Charles Brian Montagu McBurney: "The stone age of northern Africa," A Pelican Book. London. 1960. Pp. 199-205

الأواني بطراز القلبي (Cardiale) في غار كحال (3000) ق.م [1]، وامثالها بإسبانيا والبرتغال (2800) ق.م، كما وهناك تشابها بين فخار العبيد (4800-3750) ق.م (±) وفخار (Lerna) بالبلوبونيز باليونان (2800) ق.م [2]، وقد وصل هذا الطراز من الفخار من العراق عبر الاناضول إلى بلاد اليونان وفي غار كحال (2800-2700) ق.م [3]، ثم في كرمونا (Carmona) بإسبانيا [4] و (Palmella) بالبرتغال [5]، ثم في قشتالة (Cempozuelos) (2400) ق.م [6]، وهو النوع الكمباني.

إذا كان النوع القلبي (Cardiale) قد انتقل برا عن طريق آسيا الغربية ومصر وليبيا إلى تونس والجزائر والمغرب وربما كان هو الذي كون ما يعرف الثقافة القفصية الجديدة (الوجه المتأخر من العصر الحجري الحديث) فأن الأواني الكمبانية والتي اتضحت بأنها التطوير المحلي لثقافة العبيد قد انتقلت بحرا عبر بلاد اليونان إلى صقلية ومنها إلى شمال افريقيا وبعد ذلك إلى إسبانيا والبرتغال.

اعتبر الفخار في الجزائر من النوع الخشن المصنوع باليد الخالي من الزخرفة والالوان باستثناء بعض الخطوط والحفر والدوائر الصغيرة [7]، وهو وهو لغرض الاستعمال الجنائزي حيث يوضع في المدافن كجزء من الأثاث الجنائزي الذي يرافق الميت، وبذلك تكون الأواني الفخارية هي الأثاث الجنائزي الوحيد الذي يعثر عليه وأحيانا ترافقها حلي أو أسلحة [8]، ورغم كونها من الصناعات الرئيسية لبداية العصر الحجري الحديث فإنها في مضمونها ليست بالأمر الحتمي، إذ يمكن أن تكون هناك نهضة لعصر الحجري الحديث دون معرفة الفخار [9]، فمن خلال الأبنية الميجاليثية والحرف والحرف المحلية كالمصاطب، والبازينات، نجد الفخار الملون والرسوم الجدارية تحتوي على وثائق تقريبية، وبالرغم من غموضها يمكن أن تزودنا بمعلومات جديدة لتوضيح فترة فجر التاريخ والتعرف على ظروفها الاجتماعية ومنتجيها، وتحديد مظاهرها لفهم ممارسات واعتقادات الشعوب بتحليلنا لرموز زخارفهم والوان الأواني الفخارية [10].

---

(1) Luis Pericot Garcia: (1950). Pp. 23-31
(2) Sinclair Hood: (1967). Pp. 124-126
(3) Miguel Tarradell: (1954). Pp. 344-358
(4) George Edward Bonsor: (1931). Pp. 189-191
(5) Gordon V. Childe: (1958). Pp, 17-18
(6) Alberto del-Castillo: (1928). Pp. 92-95
(7) حسين فهد حماد: (2003)، ص 18// غوتي منال، وسيلة سلاف: (2015-2016)، ص33
(8) بن مبارك نسيم: (2009-2010)، ص 103
(9) محمد رشدي جراية: (2007-2008)، ص 43
(10) عويسي سمية: (2015-2016)، ص10

بدراسة نوع الطين المستخدم وشكل الأواني وما عليها من رسم وحفر ورمز، استطاع الأثريون ان يقدموا تأريخا تتابعيا يبين تطور الحضارة بصفة عامة وصناعة الفخار بصفة خاصة [1]، لقد عرف الإنسان منذ العصر الحجري القديم الأعلى صنع التماثيل الصغيرة من عجينة الطين ووضعها أحيانا على النار لتكسب الصلابة، لكنه لم يستخدمه، في صنع الأواني إلا في حقبة العصر الحجري الحديث، ففي مواقع تلك الفترة عثر في الطبقات العائدة لفترة أوائل عصر الحجري الحديث على أواني بيضاء ذات سطح مصقول مصنوعة من الجبس الممزوج بالرماد، ولم يكتب لها الاستمرار فسرعان ما حل محلها الفخار [2]، وبينما استطاع السكان الأوائل في العصر الحجري الحديث تشكيل فخار متين تمكن أحفادهم في أواخر العصر الحجري من صناعة فخار مطلي رقيق [3].

في بداية العصر الحجري الحديث أتاح التطور الاقتصادي الجديد (الرعي والزراعة) مساحة من الوقت أعانت الإنسان على تحسين صناعته بما في ذلك الفخار وتزينه بزخارف ساذجة بسيطة هي في الغالب خدوش تحيط بحافة الاناء [4]، وكان من عوامل انتشار صناعة الأواني الفخارية سهولة عملها وقصر الوقت اللازم لإنجازه

عرفت الجزائر انتشارا هاما للفخار خلال العصر الحديث حيث ظهر نوع هام يعرف باسم فخار الكمثري أو القلبي (Cardiale) الذي تم العثور عليه بأحد المواقع في الساحل الوهراني كموقع جبل (المارجاجو) (Murdjajo) بالقرب من وهران مميزات هذا الفخار من حيث الشكل من قاع مسطح رمادي وأسود واحمر[5]، على أية حال لم يعثر في شمال إفريقيا على آنية كاملة من الفخار، وانما عثر على شظايا فخارية ذات زخرفة بمسحة المشط أو الأصابع فضلا عن كسور ذات لون واحد أحمر أو أسود وبدون زخرفة [6]، كما استعان الباحثون في الآثار بهذه الكسر الفخارية للاستدلال بها على العصر الذي عاش فيه صانعوها بعد تصنيفها من حيث طريقة صناعتها وأشكالها ونقوشها المزخرفة [7].

---

(1) عبد الفتاح محمد وهيبة: (1975)، ص 83

(2) Gabriel Camps: (1998). p. 25.

(3)هاوكس و ل .وولى: (1967)، ص60// غوتي منال وسيلة سلاف: (2015-2016)، ص34 // محمد رشدي جراية: (2007-2008) ، ص 39

(4)محمد علي سعد الله: (2002)، ص101 // غوتي منال، وسيلة سلاف: (2015-2016) ، ، ص34

(5)عزيز طارق ساحد: (2008-2009)، ص123

(6) بن السعدي سليمان: (2008-2009)، ص 128

(7)غوتي منال وسيلة سلاف: (2015-2016)، ص37

عثر على صحون وأواني في مقابر ما قبل التاريخ في مغراوة (منطقة مكثر)، وفي قسطل بجبل الدير شمال تبسة وهي المنطقة التي أصبحت محصنة وتعود إلى أحد فروع قبيلة المزالة الكبيرة، ولم يكن هؤلاء المزالة بالرحل، فقد كانت خزفياتهم ذات قيعان مسطحة، وشكل الأواني بيضوية وعليها رسوم، بل إن بعضها قد جاء يحمل زخارف ملونة يجتمع فيها الأحمر والأسود، وهي زخارف شديدة البساطة، تغلب عليها المقوسات والخطوط المتقاطعة، والخطوط المستقيمة، والعناصر المصورة فيها هي النخيل، كما نرى على أحد هذه الاطباق اشكال طيور [1]، وتفوق هذه الآنية من حيث الاهتمام تلك الأواني الفخارية كثيرة الانتشار بالشرق الجزائري وخاصة في بزينات تيديس (Tiddis) غرب قسنطينة [2]، وبونوارة، وقد احتوت بداخلها على أثاث جنائزي متكون من الأواني الفخارية المزينة برسومات كالمزهريات، وقد نقشت عليها حروف ليبية قديمة، وبأشكال هندسية، ونباتية، وحيوانية، أراد أصحابها أن يبينوا مختلف المظاهر الكونية، والحيوانية، كالشمس، والعصافير وهذه الأخيرة التي بدأت محلقة في السماء، والمثلثات التي تمثل شكل الجبال، تبدو مرتكزة على شريط في صورة ماء جاري، وجريد النخيل، فبواسطة وسائل بسيطة استطاع صانع الفخار القديم تمثيل العناصر الأربعة الأساسية للطبيعة: الماء، والأرض، والنار، والهواء، وبالتالي لم تكن لهذه الرسومات قيمة شكلية فقط، بل كانت أبعادها ترتبط بالعالم الأسفل، كأن الميت يحتاج في قبره لصورة العالم لمرافقته، والعصفور المرسوم على المزهرية ربما رموز للتنقل السهل وللحرية، أو رمز لروح الميت [3]، عدا أننا نرى الميت في رسم واضح على أحد هذه الآنية وهو يلوح بسعفات، ونرى فخارية أخرى تحمل اسم الشخص الذي جُعلت له داخل القبر قد رسم عليها بحروف ليبية [4].

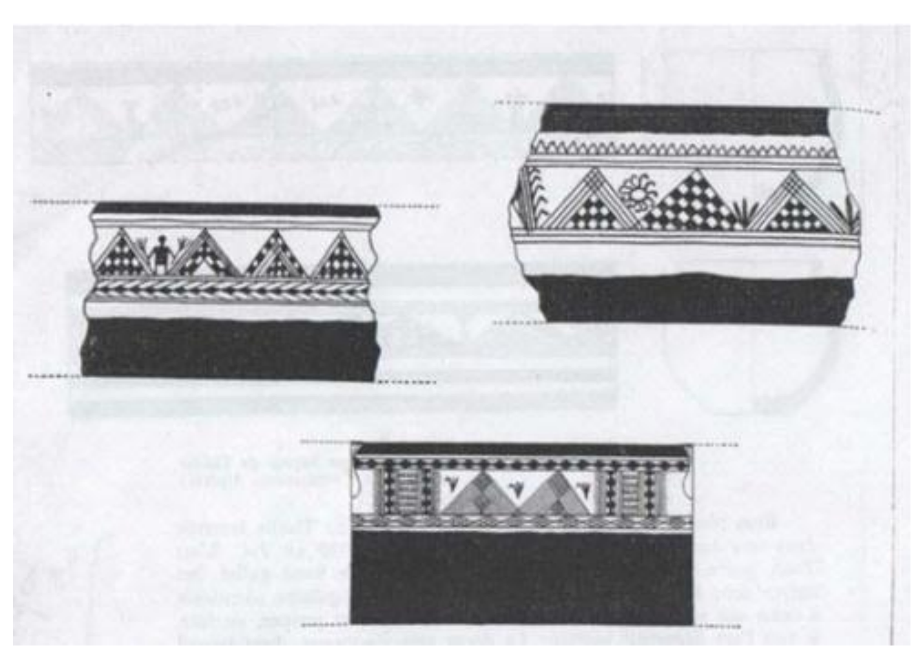
---

(1)غابرييل كامبس: (2014)، ص 279-280

(2) يرى الباحث (Camps) أن أواني تيديس المزخرفة التي عثر عليها داخل بازينا تعود زمنيا إلى سنة 250 ± 110 ق.م، استنادا إلى وجود ثلاثة أحرف ليبية مرسومة على الجانب المنحني وشكل بناء البازينا تعود إلى أحد ملوك النوميديين: غابرييل كامبس: (2014)، ص 280

(3) Gabriel Camps: (1980). Pp. 239-240

(4)غابرييل كامبس: (2014) ، ص 281



شكل 41: فخار بزينات (تيديس) (Tiddis) غرب قسنطينة، وصورة الجبال على شكل مثلثات وتظهر اشعة الشمس والعصافير المحلقة

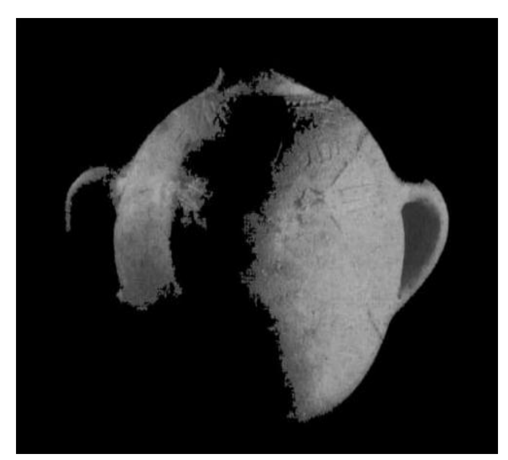
نلاحظ تغير في وضعية اتجاه الأواني الفخارية داخل المدافن من النوع الدولمن، فكانت توضع عموديا، أو تثبت بحجارة، كما وضعت مائلة مثلما هو الحال في دولمن جبل مزيلا (Djebel Mzela)، وجدت المزهريات مقلوبة للدلالة على توفير السوائل للأموات، وبالأخص الماء الذي يعتبر أساسيا لأنها المادة الحيوية التي يحتاجها الأموات وتخلصهم من العطش [1].

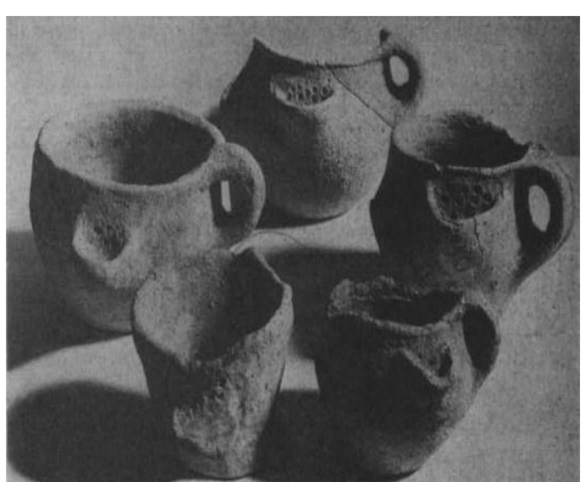
كانت الآنية الكبيرة وهي الأكثر زخارف، تحتوي كل واحدة منها على فخارية نذرية صغيرة، وعلى عظام صغيرة قد اجتمعت فيها عظام أصابع اليدين والرجلين، وعظام راحة اليد، وفقرات عنقية، واحتوت بعض الأواني النذرية على قطع من عظمة الجمجمة واسنان، واشتملت إحدى الأواني النذرية على فك سفلي كامل، وتفسير وجود العظام وهي عارية من اللحم إلى القبر الأخير الذي هو غرفة الدفن في البازينا، يبدو أن سكان تيديس جمعوا العظام الصغيرة في الإناء النذري، بينما جمعوا العظام الطويلة على أرضية غرفة الدفن، ويعتقد بأن عملية النقل لعظام الميت ترافقها احتفالات، ربما كان يرمز إليها بحلقة الراقصات التي نراها في رسم مبسط على أحد هذه الآنية، أن دراسة الزخارف على أواني التي عثر عليها في بعض الحوانيت، أو الأواني المزخرفة في بعض البازينات تبين لنا وجود تقاليد دينية في المقابر لدى قدماء سكان المغرب العربي، فقد عرف هؤلاء السكان حيثما وجدوا على الدوام

(1) محمد بن عبد المؤمن: (2011-2012)، ص90

سواء منهم الليبيون أو من عاصرهم في شمال تونس، وحتى العهد البونيقي أو النوميديون في تيديس، أو الجيتول في مناطق السهوب في ظل الإمبراطورية الرومانية، عرفوا جميعا عبادة وتقديس الاسلاف في المقابر مما اضطرتهم إلى إقامة الانصاب، وهي كل ما خلفوا لنا من آثار، فان بناء المقابر بكافة اشكالها والاعتناء في وضعية اعظام الميت يدل على تقديس الرفات، وهو التقديس الذي عرف انتشار واسع في العهد المسيحي فيما بعد [(1)] .







شكل 42: آنية فخارية بيضوية لحفظ عظام الموتى من موقع تيديس (قسنطينة) (اليمين)، شكل أواني من مقبرة قسطل، وجدت فخاريات مشابهة لها من العصر البرونزي في صقلية وجنوب إيطاليا (اليسار)، شكل آنية عليها نقش يعتقد انها احتفالية نقل رفات الميت إلى غرفة الدفن ويلاحظ حلقة من الراقصات بشكل رمزي (الاسفل)

(1) غابرييل كامبس: (2014) ، ص 281

لقد افرزت لنا الحفريات الاثرية عددا كبيرا من أنماط الأواني المنعدمة المقابض والتي تنحصر بدورها في الغرض الجنائزي [1]، يتجاوز ارتفاع هذا النوع من الأواني غالبا(100) مم ما عدا ما عثر عليه في موقع تيديس والذي أشار إليه (Debruge)، ضمن الاواني الطقوسية [2]، كما عثر على الأواني النصف بيضاوية الشكل على هيئة كؤوس كبيرة ذات فتحة مسطحة عثر على نماذج لها في مواقع قصطل، والركنية، وبومرزوق [3]، ولدينا الأواني ذات الأطراف المنحنية وتعتبر أواني جنائزية عثر عليها في مواقع سيلا وتيديس بينما في موقع الركنية نجدها تشبه الصحون العميقة، أما الأواني ذات الاستعمال العادي التي تستعمل يوميا بمختلف أغراض وشؤون الحياة اليومية فقد عثر عليها في موقع الركنية وتنحصر وظيفتها في الشرب مثل الكؤوس، وقد عثر على كؤوس في (12) مقبرة [4]، كما أن بعض الكؤوس المستخرجة من مقبرة الركنية تتشابه مع أواني الجنوب التونسي [5]، وعثر على صحون وهي أواني صغيرة الحجم نسبيا تستعمل لوضع الطعام نجد في الركنية صنفين من الصحون **احدهما** ذو قاع عميق وذات جوانب مائلة، **والثاني** حافة مقلوبة نحو الداخل، أما الأقداح فهي أواني صغيرة تستعمل للشرب مثل الكؤوس علوها بين (60) و (100) مم عثر عليها في الركنية على خمسة أقداح، وفي مواقع أخرى مثل بني مسوس، وسيلا، وتيديس، وبونوارة، وجبل بودرسين [6].

أن تواجد الفخار داخل مختلف أصناف المدافن، انما يدل دلالة هامة على أهمية وظيفة الجنائزية فضلا عن استعماله في الحياة العادية، كما إن تزويد الأموات بمختلف أصناف الفخار هو إيمان قاطع بحاجة هؤلاء إلى الأكل والشرب، وأن هذه الحاجة لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق تقديم الأواني الفخارية كهدايا جنائزية سواء أكان الغرض منها وضع الطعام كما هو الحال في الآنية التي عثر عليها بموقع الركنية والتي تحتوي على بقايا عظمية قدمت كقربان للميت، كما وجدت بعض الاواني مصحوبة بالطعام لمنطقة جرجرة والامثلة متعددة ومتكررة في العديد من المواقع [7] .

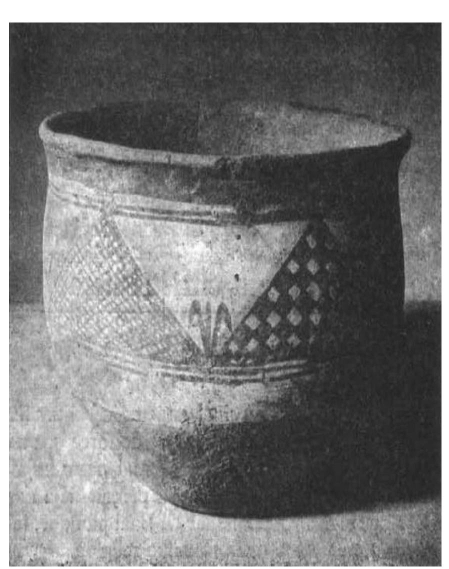
لم يكتف إنسان فجر التاريخ بوضع الأواني الفخارية داخل القبر بشكل فوضوي بل وجدت هياكل كان الميت يحمل بيده آنية كتلك التي أكتشفها الدكتور (Carton) بموقع بيلا ريجيا أو بولا ريجيا (Bulla Regia) (يطلق

---

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 287
(2) Arthur Debruge: (1905). p. 106
(3) محمد الصغير غانم: (2006)، ص 104
(4) Gabriel Camps: (1961). p. 297
(5) Ernest G. Gobert: (1940). Fig. 23
(6) محمد الصغير غانم: (2006)، ص107
(7) Hélène Balfet: (1955). p. 295

عليها أحيانا (بولا الملكية) لأنها عاصمة الملك النوميدي ماسينيسا) و(تقع قرب مدينة جندوبة شمال غرب تونس) (1).

لقد عانى الفخار كثيرا من منافسة بيض النعام، فلم تخرج الأواني في تكوينها عن القاع المخروطي مما يصعب تصور الكيفية التي كان يتم بها تثبيت الإناء في وضع مستقر، على أنه كان يتم حمله داخل سلة من نسيج الحلفاء وتعلق، وربما كانت هذه هي الطريقة التي كان يتم بها التعامل مع بيض النعام (2)، كما دخلت قشور بيض النعام أيضا في صنع رؤوس السهام ولو على نطاق محدود كما صنعوا القلادة من قطع الجص الصغيرة ثم يصبغوها بصبغة(أردوازية) مستخرجة من حجر (الأردواز)، وأساور من سوسن البحر، وشوكيات الجلد بأشكال أنبوبية وأسطوانية (منها الحمراء والبيضاء) (3)، أما فيما يخص الحلي فقد استعمل القفصيون قشور النعام أيضا في صناعة الحلي والتي اشتهرت به الحضارة القفصية، كما أصبح في هذه الفترة مادة ضرورية أولية لصناعة قطع العقود، والأساور (4).





شكل 43: إناء جنائزي مزخرف من بازينا تيديس منطقة قسنطينة بالجزائر (اليمين)، إناء جنائزي مزخرف من منطقة أشقار (Ashgar) (طنجة في المغرب) (اليسار)

---

(1) محمد الصغير غانم: (2006)، ص109

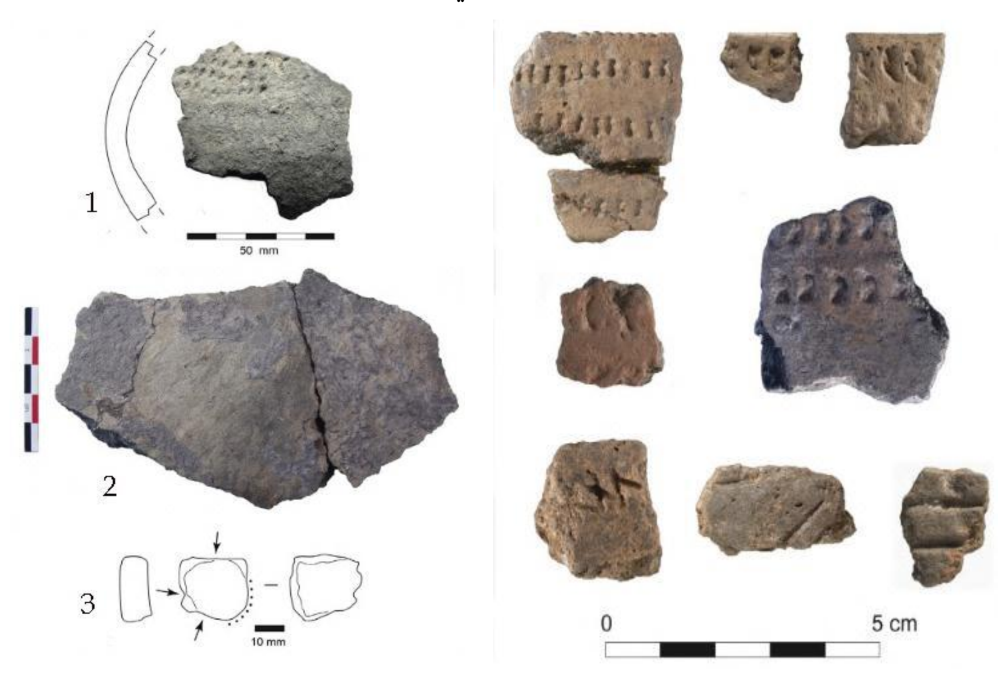
Dr Louis Carton: (1908). Pp. Pp. 1-16

(2) حسن بكر الشريف: (2001)، ص 27

(3) غوتي منال وسيلة سلاف: (2015-2916)،ص111

(4) ك، ابراهيمي: (1982)، ص121

في موقع هرقلة (Hergla) شمال شرق الساحل التونسي في خليج الحمامات وضمن الحافة الغربية لسبخة حالك المنجل (Halk el Menjel) وعلى ارتفاع (3) متر، اكتشف موقع هرقلة عام (1954) ولكن عمليات الحفر بدأت بين عامي (1969) و (1971) [1]، عثر على سبعة طبقات اثرية تعود للعصور الحجرية، وأظهرت التنقيبات للنور أدوات حجرية من أمواس، ومكاشط، وعثر في الطبقة الثالثة على شظايا فخارية وبأعداد قليلة عليها نقوش على شكل ثقوب وخطوط متقاطعة، وعلى الرغم من تفتيت الأواني الفخارية واستحالة إعادة تشكيل أشكالها فإن سمك جدار تلك الاواني بلغت من (3 و5) ملم بينما سمك الأواني الخشنة حتى (16) ملم، ولكن اغلبها يبلغ سمكه ما بين (6 و 10) مم حيث تبلغ ثلاثة ارباع الشظايا المكتشفة، واغلب هذه القطع الفخارية هي صناعة محلية بعد دراسة نوعية الطين وما يحتويه من المعادن، وعلى ما يبدو وجود العديد من الخزافين في مستوطنة هرقلة [2].



شكل 44: شظايا فخار هرقلة من الطبقة الثالثة (اليمين)، فخار كاف سيدي بو حمدا: رقم (1) شظية فخارية لقدر كبير زخرف بواسطة مشبك، رقم (2) وعاء فخاري رقيق وتم صقل جدرانه وتنعيمها، رقم (3) شظايا فخارية تم ربطها فشكلت دائرة قطرها (20) مم (اليسار).

(1) Jamel Zoughlami: (2013). Pp. 56-68
(2) Caterina Ottomano: (2013). Pp. 284-288

أما موقع كاف سيدي بو حمدا (Kef Hamda) فتبلغ مساحة الموقع (35 x 10) م، وتبعد (100) كلم غرب موقع هرقلة، و (20) كلم جنوب موقع مكثر (Makthar)، اكتشف الموقع عام (1973) [1]، عدد طبقات الموقع أحد عشر أقدمها تعود إلى النصف الثاني من الالفية التاسعة ق.م، حيث عثر على نصال، ومكاشط، وفؤوس حجرية دقيقة الصنع من الحجر الجيري المحلي، وتم تشكيله عبر تقنية ضربه بصخرة صلبة، وعثر على عشرين وعاء ضمن حفريات (1973) في حين اكتشفت (13) شظية فخارية في الطبقات الثلاث الأخيرة، وتبلغ سماكة الفخار من (5 إلى 13) مم وتصنف (79%) من فخاريات الموقع بين (7 و 11) مم، ولم يعثر على وعاء فخاري رقيق، ومع هذا فأن سطح الأواني تم صقلها وتنعيمها (شكل 44 2)، اما اللون فهو لون التربة ذاتها، ومن اللقى الاثرية الفخارية قدر كبير ذو جدران سميكة بلغت (10) مم وعليه زخرفة بمشبك طوله (3) سم (شكل 44 1)، وقد تم جمع عدد من الشظايا الفخارية وربطها مع بعضها فشكلت دائرة قدرها (20) مم (شكل 44 3) [2].

يقع موقع دوكانيت الخوتيفا (Doukanet el Khoutifa) على بعد (5) كلم شرق موقع كاف سيدي بو حمدا وعلى ارتفاع حوالي (700) مترا فوق مستوى سطح البحر وعلى قمة الجريا (El Garia) في سلسلة التلال التونسية، ذُكر الموقع أول مره عام (1955) وبدأت الحفريات عام (1976)، وحدد كاربون 14 تاريخا للموقع ما بين الالف الثامن وحتى الالف الأولى ق.م، وكشفت التنقيبات عن قرية ومقبرة منظمة حول صخرة وضعت في وسط صف من المنازل [3]، عثر في الموقع على أواني فخارية بلغت (698) قطعة فخار بلغ سمك الفخار (6 إلى 11) مم الأسطح مصقولة بعناية وبدون زخارف أو نقوش، أما الأكواب تبلغ سمكها بين (6 و 14) مم، وبالنسبة إلى اللون فهو غالبا لون التربة البنية ولوحظ احتواء الطين على أجزاء من الاصداف، ويعتقد ان تلك الفخاريات تعود إلى أواخر العصر الحجري الحديث في تونس، وقد سعى العلماء لدراسة أنماط الفخار وسماكته ومدى ارتباطه بأنشطة الانسان اليومية، وذلك من خلال التحليل التكنولوجي والتكويني وهو أمر صعب بسبب ارتفاع تشظي القطع الفخارية، ومع هذا اعتقد بان الفخاريات الخشنة كانت لغرض الخزن، بينما الفخاريات المتوسطة السماكة كانت لغرض الطهي، ومن المحتمل وجود الفؤوس والفخار تعطي انطباع قوي بالتحول من العصر الحجري الحديث إلى عصر فجر التاريخ في موقع دوكانيت الخوتيفا[4].

---

(1) Jamel Zoughlami: (2009). p. 216
(2) Simone Mulazzanin: (2015). p. 12
(3) Lionel Balout: (1955). p. 544
(4) João Zilhão: (2014). Pp. 185-200



شكل 45: فخاريات موقع دوكانيت الخوتيفا (Doukanet el Khoutifa) في تونس، الأرقام (1-2) فخار مصقول من طبقة ذات تربة صفراء، الأرقام (3-6) فخاريات ذات حافة مع بعض النقوش من الطبقة ذات تربة سوداء

على أية حال تبدو الزخارف على فخاريات دول المغاربية وكأنها الغاز ورموز، وكان هذا دافع لدى الباحثين في عقد مقارنات بين الفخاريات المصنوعة باليد وذات نقوش في شمال افريقيا لما قبل التاريخ وبين نظائرها في المشرق وحوض المتوسط، واعتقد بوجود قرابة بينها فالأواني ذات الأسلوب الهندسي من قبرص لها ما يشابهها في فخاريات البلدان المغاربية ومن ثم وجود علاقة مع هذه الجزيرة إذ كان بعض القبارصة قد ساهموا في بناء قرطاج، ولكن الباحث (Camps) ينفي تلك العلاقة بعد اكتشاف فخاريات المزخرفة داخل النصب التذكارية والتي تعود إلى عصر فجر التاريخ، وعلى الاصح فان تقنية الفخار المزخرف تعود بأصولها من الشرق ومن مناطق البحر المتوسط، وقدم الباحث (Camps) فكرة بوجود تشابه مع فخاريات بداية عصر المعادن في صقلية مع فخاريات شمال افريقيا وخاصة فخاريات

من أسلوب كاستيلوشيو (Castelluccio) (1400-1800) ق.م، الذي انتشر في سائر جزيرة صقلية وجرى استنساخه في مالطا فهو أقرب من الأخذ بالتأثير القبرصي، كما يشير إلى وجود ملاحظة تخص التوزيع الفخاريات من حيث الشكل والزخرفة وعلى طول شمال افريقيا من ليبيا وحتى الجنوب التونسي (تطاوين ومدنين) ونلاقيه في جبال البابور في الجزائر، وجبال المقعد في تونس، ومن ثم أطلس التل، ويصل إلى المحيط الأطلسي، وقد شمل جبال زرهون شمال غربي مكناس في المغرب، وهذا الطريق سبق التطرق اليه بأنه يربط مصر بالمحيط الأطلسي والذي أشار اليه المؤرخ اليوناني هيرودوتس [(1)].

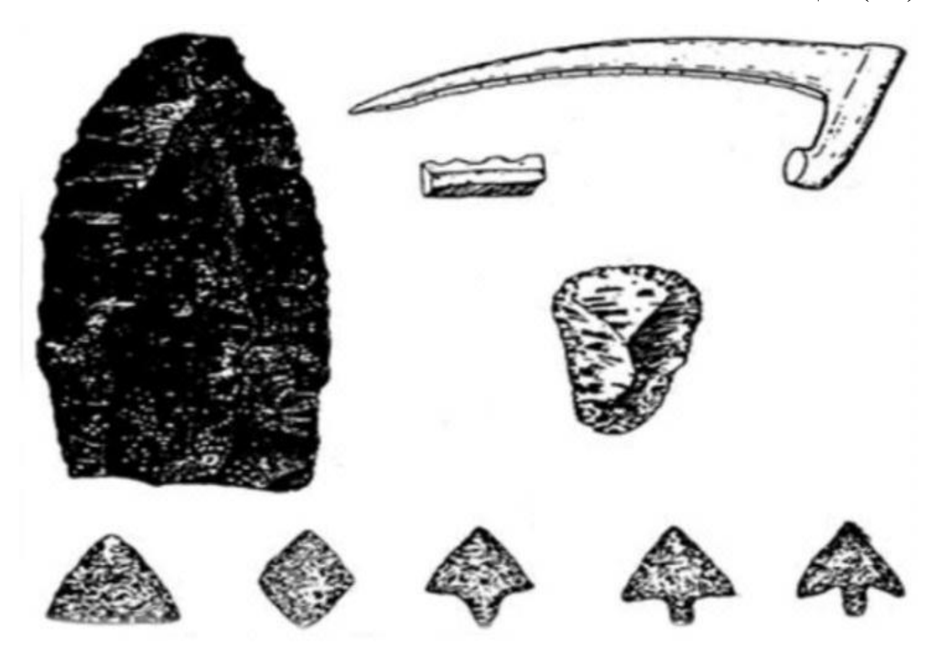
لابد ان نضع في اعتبارنا بأن دراسة الفخار في شمال افريقيا لا يمكن أن يدرس بمعزل عن العادات والاهداف الجنائزية التي دفعت بالإنسان إلى تزويد معظم المدافن الحجرية خاصة مدافن الدولمن بعدد كبير من الفخاريات، وإن كان البعض منه عثر عليه وهو عبارة عن حطام، وقد يكون السبب إما لعائلات فقيرة لم تحسن صناعته، أو لتركيبة عجينته غير الحسنة مما جعله لم يصمد طوال هذه المدة الزمنية، ومن ثم فأن دراسة حياة الإنسان في شمال افريقيا القديم لابد لها أن تنطلق من أهم عنصر حضاري يدل بشكل مباشر على طبيعة الحياة العادية والوحدة الاجتماعية ونمط الحياة التي كان يحياها السكان القدماء في تلك المناطق[(2)].

(1) غابرييل كامبس: (2014)، ص 335
(2) محمد الصغير غانم: (2006)، ص109-110

المبحث الثاني

الاثار الحجرية والمعدنية في فجر التاريخ

لم يجري في شمال افريقيا حفر لمواقع فجر التاريخ فيما عدا الكهوف والمقابر اما المستقرات فقليلة جدا، ولم تجري فيها حفائر واسعة أو شاملة مثل دول الشرق الأدنى القديم وعلى ذلك سأحاول من دراسة المخلفات الحجرية والمعدنية القليلة أن أرسم صورة تقريبية لحالة الدول المغاربية في عصر فجر التاريخ، وإذا بصدد ذكر الصناعات الحجرية فان المواقع الاثرية للعصور الحجرية في مختلف انحاء شمال افريقيا تقدم صناعات حجرية المصنوعة من الحجارة الشديدة الصلابة أو من الظران وهي معروفة سواء في العصر الحجري القديم أو الوسيط أو العصر الحجري الحديث مثل الفأس الحجرية (Coup de poing)، والنواة الحجرية (Core)، والصناعات الدقيقة المختلفة مثل الأمواس والكاشطات (Scraper)، والنصال المصقولة الرقيقة، والمثاقب، ونصال الحز، ورؤوس السهام المثلثة الشكل ذات الرأس الرقيق والذنب، والفؤوس الصوانية المصقولة ومقاييسها المتنوعة من (25) سم وإلى (50) سم [1].



شكل 46: صناعات حجرية من رؤوس السهام بأنواعها، وفاس حجرية، وكاشطات، ونصال من شمال افريقيا في عصر فجر التاريخ

---

(1) Raymond Furon: (1966). p 294

إلـى جـوار ذلـك كـان هنـاك صـناعات حجريـة ثقيلـة مثـل الرحـى والمجـارش وبكـرات الغـزل المصـنوعة مـن الصلصـال، والمغـازل الحجريـة، وهنـاك الأبـر والمخـارز المصـنوعة مـن العظـام وأخيـرا هنـاك الكثيـر مـن الصناعات المعدنية وأغلبها أسلحة وبعضها حلي للزينة مصنوعة من النحاس أو البرونز ورغما عن العثور على تلك الآلات في مواقع مختلفة سواء مقابر أو غيرها فأن المعين والمرشد الذي سنلجأ اليه هنا هي الرسوم الصخرية.

فيما يتعلق بالصناعة الحجرية فقد سبق وأن ذكرنا الأواني المصنوعة بالحجر من موقع (سوق الخميس) هذه الأواني تذكرنا بالأواني الحجرية التي عثر عليها في طبقة ما قبل الفخار (Pre-pottery) بجرمو (العراق) والعيب الوحيد الأواني سوق الخميس اننا لم نستدل على القبر أو المكان التي كانت مدفونة فيه.

على أية حال فأن تلك الأواني مصنوعة من الحجر المفرغ المصقول ويوجد على الجزء الأعلى من السطح الخارجي فتحتان مثقوبتان، ويعلق الباحث (Puigaudeau) بأن هذه الأنواع من الأواني قد عثر على نظائرها في أعالي وادي بورقراق ووادي بهت (Baht) كما وأن لها اشباها عثر عليها في موريتانيا، وأغلب الظن انها كانت تستعمل لحفظ التمور أو السوائل، ولا يستبعد ان هذا النوع من الأواني كانت تستعمل قبل معرفة الفخار [1].

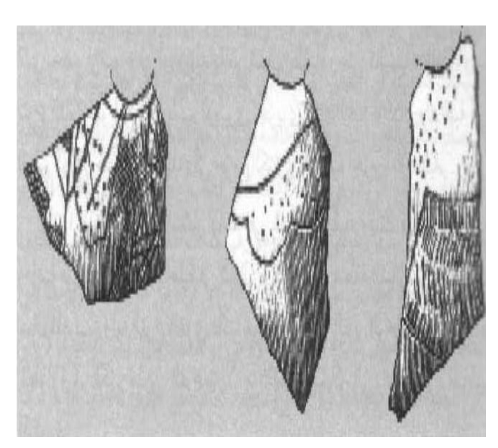
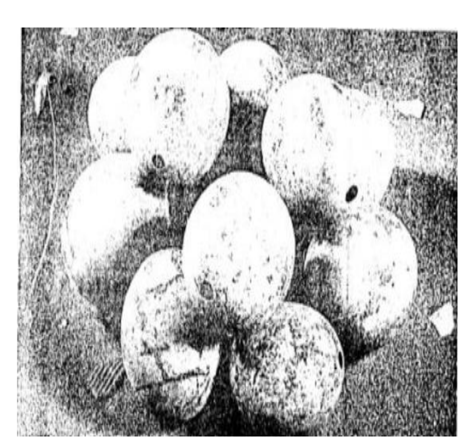
على ذكر المواقع التي ترجع لما قبل فترة الفخار هناك موقع في جهة طرفاية بالصحراء المغربية [2] وعلى بعد (10) أميال من المدينة المذكورة عثر الباحث (Letan) على آثار قرية صغيرة ولعله يعني معسكرا ولا يوجد به سوى طبقة واحدة عثر بها على صناعات حجرية منها الصناعات الدقيقة (Microlithique) كما وجدت شقاف أواني مزخرفة من بيض النعام، فقد استعمل سكان شمال افريقيا بيض النعام في الشؤون المنزلية حيث كانت البيضة تثقب وتفرغ ثم تستعمل إناء، وقد عثر بموقع حاسي مويلح (إقليم ورقلة) على مخزون حقيقي من بيض النعام ويتكون من إحدى عشرة قارورة، واحيانا عمل نقوش كثيرة على قشر البيض، وقد اقتبست اشكال الأواني الفخارية من شكل بيض النعام الذي عثر عليه في المغرب وفي الكهف الأحمر بنواحي تبسة بالجزائر [3]، كما عثر على قطعة من الصلصال المشكل على هيئة قريبة الشبه بالأفعى، ولم يعثر بالموقع على أية أواني فخارية، وإذا كان ما ذهب اليه (Letan) صحيحا فان هذا الموقع يرجع لفترة ما قبل الفخار فهو بذلك يشبه لحد بعيد موقع كريم شهر وأقول يشبه لحد ما ولا أقول يعاصره، ومع هذا هناك اختلاف في الموقع فإذا كان الموقع الأخير ضمن منطقة هضاب

(1) Odette Du Puigaudeau et Marion Senones: (1967). Pp. 151-159

(2) رشيد الناضوري: (1981)، ص126-127

(3): رشيد الناضوري: (1981)، ص 138// ك، ابراهيمي: (1982)، ص121

وبطبيعة الحال تتلقى نسبة من الامطار فان الموقع الاثري القريب من مدينة طرفاية الذي نقب فيه الباحث الفرنسي (Letan) يقع ضمن الصحراء المغربية والتي هي جزء من الصحراء الافريقية الكبرى، وهناك اتجاه إلى الاعتقاد ان الجذور الأولى لحضارة الإنسان في مرحلة العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا بصفة عامة تعود في الحقيقة إلى جهود الانسان في منطقة الصحراء الكبرى حيث كانت مسرحا ضخما لتجول الانسان وتنقله بين الاودية والعيون والواحات والابار، وقد عثر على العديد من المواقع الاثرية في هذه المنطقة الصحراوية الضخمة، وكلما ازداد الجفاف في الصحراء اتجهت المجموعات البشرية نحو الشمال كالواحات المصرية وبحيرة قارون ووادي النيل الأدنى والبعض الاخر من الهجرات تتجه نحو برقة في ليبيا وشمال الجزائر وتونس والمغرب وهذا يفسر لنا وجود الموقع الاثري قرب طرفاية وهو كما ذكرت معسكر مؤقت لفترة ما قبل الفخار [1].

شكل 47: قطع من قشور بيض النعام مزينة بنقوش هندسية عثر عليها في مواقع كهف المزاوي، وبئر الحمايرية، وخبية كلاريون شرق الجزائر وفي تونس (اليمين)، اصداف بيض النعام استخدمت كقوارير في موقع حاسي مويلح (إقليم ورقلة) (اليسار)

لقد استخدمت الأدوات المصنوعة من الصخور بعد صقلها بدلا من الأدوات المشظاة التي كانت تستخدم في العصور الحجرية السابقة، وسعى الانسان للحصول على الصخور النارية الصلبة مما يدل على وجود جهود لتشكيل وإنتاج وتوزيع أي استغلال المناجم والمحاجر للحصول على المواد الخام اللازمة ويعني هذا الحفر بمعاول مصنوعة من قرون الأيائل ومجارف من عظام الثيران [2]، وبالنسبة لعصر فجر التاريخ حلت الحجارة المصقولة وخاصة الفأس محل أدوات الحجارة المنحوتة وتكاثرت مع مرور الوقت

---

(1) Robert Letan: (1967). Pp. 137-150

(2) فاضل عبد الواحد علي: ص1

الأمتعة المصنوعة من العظام، حيث تطورت الصناعة العظمية فشملت رؤوس ذات الثقب إلى جانب الأدوات المثقوبة الأخرى التي وجدت في مغارة (بو زباوين) بالقرب من عين مليلة وحاليا محفوظة في متحف قسنطينة [1]، كما نجد من أدوات هذا العصر بعض التقنيات كتقنية الشظية من الوجهين بالنسبة للفؤوس المصقولة فقد أكد وجود نظائرها في مرمدة بني سلامة(مصر) وهي نفسها فؤوس موقع برزينة في الجزائر، رؤوس السهام ذات شكل ورق الغار(الصفصاف) وهي أصلا من أدوات الصناعة العطرية (في تونس) لقد وجدت بكثرة في الصحراء الوسطى نتيجة تغير المناخ [2].

الشواهد المعدنية في المغرب العربي

لم يعطي الباحثون الذين اهتموا بالمدافن التي تعود لعصور ما قبل التاريخ في شمال افريقيا الكثير من الوقت أو الاهتمام بالصناعات المعدنية التي تحتويها هذه المقابر، وهذا يبرر انخفاض وندرة الصناعات المعدنية ومن ثم لا توجد دراسة مكرسة للأجزاء المعدنية ضمن الأثاث الجنائزي [3]، على العموم لم تضم مواقع فجر التاريخ بصفة عامة على الأثاث الجنائزي المصنوع من الفخار فقط، بل تركت لنا مجموعة كبيرة من الحلي المعدنية بمختلف أشكالها والأسلحة، والنقود المعدنية وهي تدل على المستوى الحضاري الذي وصلت إليه بلاد المغرب القديم خلال تلك الحقبة، فالبقايا المعدنية من حلي وغيرها لم تقتصر على مواقع الميجاليثية معينة بل نجدها في الكثير من مقابر الدولمن والتمولي في شمال افريقيا، ومن الصناعات المعدنية التي عثر عليها والتي تعود لفجر التاريخ سأورد أمثلة منها كما وردت في تقارير المواقع الأثرية المختلفة:

في وجدة (Oujda) (شرق المغرب) عثر في مقابر التلية (Tumulus) على خمسة أقراط مصنوعة من النحاس كما وجد في إحدى تلك القبور رأس حربة من البرونز [4]، أما في جبانة تازة (Taza) فقد عثر في إحدى القبور على سوار من النحاس وخنجر من البرونز [5]، وفي الجنوب عثر في إحدى القبور التلية في الطاوس (Taouz) (قرية صغيرة ضمن إقليم الرشيدية في المغرب) على طوق من النحاس [6]، أما في أرفود (Erfoud) (جنوب أقليم الرشيدية في المغرب) فقد وجد في إحدى قبورها التي ترجع لعصر فجر التاريخ على رأس حربة من البرونز [7]، وفي تازارين

(1) ليونال بالو: (2005)، ص 135
(2) غوتي منال وسيلة سلاف: (2015-2016)، ص 31
(3) Gabriel Camps: (1961). p. 421
(4) Louis Voinot: (1910). Pp. 516-528
(5) Joseph Campardou: (1917). Pp. 291-328
(6) Jacques Meunié et Charles Allain: (1956). Pp. 51-81
(7) Armand Ruhlmann: (1939a). Pp. 42-51

(Tazzarine) (فـي إقلـيم زاكـورة جنـوب المغـرب) عثـر علـى اسـورة مـن البرونز ورأس حربة من النحاس في إحدى قبور التلية هناك [1].

كما عثر علـى حبـات مـن النحـاس فـي إحـدى قبـور الجبانـة الميجاليثيـة فـي مغارة الخنزيرة [2]، أما في الاطلس المتوسط فقد عثر على منجل من النحـاس فـي تيـادرت (Tayadirt) فـي إحـدى مقـابر الـدولمن (Dolmen) [3]، ويشـير ذلك إلى ان سكان ذلك الموقع كانوا قد مارسوا الزراعة.



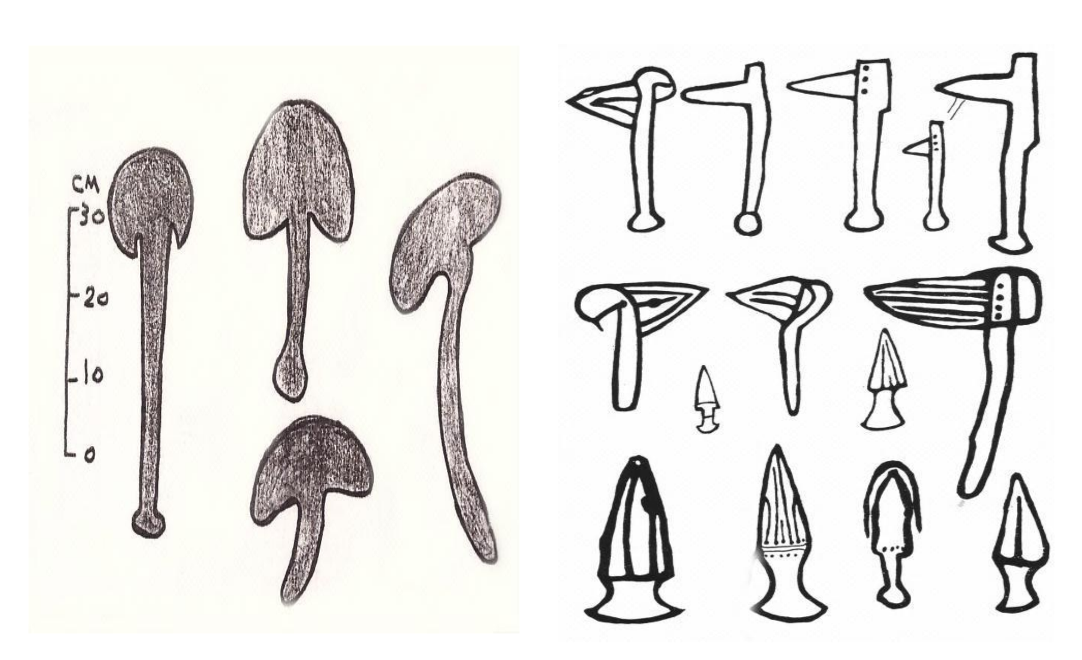
خريطة 12: توزيع الحلي والأسلحة المعدنية والأدوات النحاسية والإناء الكمباني في المغرب

(1) Jacques-Henri, Drouet: (1958). Pp. 95-142
(2) Armand Ruhlmann: (1936b). Pp. 109-142
(3) Nicole Lambert et Georges Souville: (1967). Pp. 215-262

عثر على فأس من النحاس في حفائر داخل كهف بوادي عكرش (Akrech) [1]، كما وجد في قبر تمولي بجهة سيدي مسعود من نواحي ازمور (Azemmour) (تقع على ضفة نهر أم الربيع، و75 كم جنوب شرقي الدار البيضاء) رأس سهم [2]، وفي قبر من نوع القبور الحجرية (الدولمن) في بني يسناسن (Bèni Snassen) [3] عثر على فأس شبيهة بتلك التي وجدت في موقع المرس (El Mers) بجوار طنجة [4]، كما اكتشف رأس رمح من النحاس في دولمن المريس (El-Mriés) ، وعثر الاثاري (Buchet) على فأس في عين داليا [5].

وقد كتب الباحث (Souville) دراسة عن الفأس الذي عثر عليه في بني يسناسن (شمال شرق المغرب) ووجد أن ذلك الفأس لا يشبه أيا من أسلحة شبة جزيرة ايبيريا أو اوربا، كما وأنه ليس له نظير في افريقيا، واكتفى بأن أشار إلى الشبه الكبير بين هذا السلاح والرسوم الموجودة على صخور جبال الاطلس الكبير، إذا قارنا هذا السلاح بالنماذج المصنوعة من الفخار والتي ترجع لفترة حلف لوجدنا أن هذا السلاح هو عين ذلك النموذج الفأس ذو حدين، أن فأس بني يسناسن عبارة عن نصف فأس [6]، وهذا الفأس الذي لا شك كان مصنوعا من المعدن في بلاد الرافدين [7] .

(1) Pierre-Roland Giot et Georges Souville: (1964). Pp. 301-308
(2) Maurice Antoine: (1931). Pp. 37-38
(3) Georges Souville: (1964). Pp. 316-323
(4) Michel Ponsich: (1970). p. 65
(5) Gaston Buchet: (1097). Pp. 396-399
(6) Georges Souville: (1964). p. 130
(7) Lansing Elizabeth: (1974). p. 106



شكل 48: اشكال نقوش من جبال الأطلس الأعلى الخطين الأول والثاني من الأعلى فأس بني يسناسن (نصف فأس) والخط الثالث من الأسفل نقوش خناجر(اليمين)، نقوش صخرية من منطقة أزيب نكيس غربي واد زاط في جبال أطلس الأعلى (اليسار)

كان الفأس المزدوج من الرموز الدينية في حضارة حلف وانتقل بهذه الصفة المقدسة إلى كل من كريت ومايسنيين [1]، ولا يستبعد ان يكون قد وصل للمغرب عن طريق البحارة ذلك ان كثرة الرسوم التي تمثله في جبال أطلس يحملنا على الاعتقاد بانه ربما كان بدوره أيضا رمزا مقدسا ورثه المغاربة من الاغريق أو المايسنيين الذين استقروا خلال الالف الثانية ق.م على جانبي مضيق طارق ومنه انتشر إلى باقي جهات المغرب.

كما وأن الأسلحة الممثلة في الرسوم الصخرية في جبال أطلس تشبه بل تماثل الأسلحة السومرية في بداية عصر الأسرات وهذه الأسلحة لا تشابه بينها بالمرة مع الأسلحة الرومانية أو الإسلامية مما يقطع الشك بقدمها:

---

(1) استعملت بعض الدمى كرموز دينية في عصر حلف والتي تمثل الإلهة الأم (Mother Goddess)، والحمامة، والفأس ذو الرأسين أو الحدين، ورأس الثور بوكرانيوم (Bukranium)، وقد انتشرت هذه الرموز الدينية في بلاد الاناضول حيث عثر عليها في جطل هويوك وعثر أيضا في جزيرة كريت في اليونان : طه باقر: (1973)، 219
Oates David and Joan Oates: (1976). p. 108 // Nicolas Platon: (1966). p. 50



شكل 49: خنجر سومري من أور من عصر فجر السلالات، نقش صخري يمثل خنجر من جبال الاطلس الأعلى في المغرب (اليمين)، اشكال رسوم حيوانية وخنجر من جبال أطلس الأعلى في المغرب(اليسار)، الرموز الدينية من موقع حلف وهي رأس الثور، والفأس ذو حدين، الحمامة (الاسفل)

يرى الباحث (Simoneau) الشبه الواضح بين السلاحين ولذا نراه يكتب في تحليله عن الرسوم الصخرية بجبال الأطلس والتي تمثل أسلحة عصر البرونز على وجه الخصوص الخناجر: (يمكن أن تستند فكرة الانتشار المبكر لتقنيات صناعة البرونز في شمال افريقيا إلى سعة انتشار الخناجر نظراً للأصل القريب مع العديد من النماذج الأولية للخناجر، ويجب أن نعلق أهمية على التمييز التقني كما عبر عنه الباحث (Gordon Childe) بين

خناجر بلاد الرافدين وخناجر مصر المقوسة، لا شك في أن الشكل الأول أكثر انتشارا وتكرارا في الأطلس الأعلى من النوع الثاني) [1].

وجدت مخلفات برونزية أيضا في كاف البارود (في منطقة بني سليمان بالمغرب) وارسلت للتحليل بالكربون 14 في فرنسا، وقد اعطى لها تاريخا على أساس قراءتين وهما:

أولا: 5160 ق.م ± 110 عام

ثانيا: 3210 ق.م ± ---

وبهذا نأتي على أول أثر معدني معروف التاريخ بصفة علمية [2].

الصناعات المعدنية في فجر التاريخ في الجزائر

امدتنا المقابر الميجاليثية في الجزائر صناعات معدنية تشكل حلي وكانت لها مكانة هامة في حياة المجتمع خاصة المرأة التي تعد جزءا هاما في البنية الاجتماعية منذ العصور القديمة، ومجموعة الحلي تتمثل بالأساور والخواتم والتمائم والحلقات المعوجة والدبابيس البرونزية، وأحيانا غياب الأسلحة والقطع النقدية في بعض المواقع.

نجد الحلي والاساور كبيرة يصل وزنها إلى (81) غرام ويضعها الرجل، وعادة تكون كبيرة الحجم وثقيلة [3]، وبعض الأساور تكون على شكل خيوط برونزية ملولبة على نفسها [4]، وليس من الممكن التمييز بين الأساور والخلاخيل (الخلخال أو حلقة الكاحل باللهجة العراقية حـچل) التي توضع حول القدم فكلاهما مفتوحة وكبيرة وثقيلة، والتميز الوحيد عندما نجدها على عظام الهياكل البشرية فالأساور تطوق الأذرع، والخلاخيل تطوق القدمين، يبقى الخلط بينهما يعود في الكثير من الأحيان لعدم وجود وصف دقيق ممن فتح القبور في القرن التاسع عشر فقد اهتموا بالعدد اكثر من مواضع تلك المصنوعات المعدنية على الهياكل العظمية [5]، والأكثر شيوعا العثور على سوارين أو أكثر عند الكاحل وتصل أحيانا إلى تسعة أسورة حول الساق كحد اقصى كما هو في تمولي تلغمت (Tilghemt) (ولاية الاغواط بالجزائر) [6]، ويلاحظ وزن الأساور متغير جدا البعض منها وزنه بضعة غرامات، بينما السوار من عين الروى (Aïn Roua) (ولاية سطيف) وزنه (52) غرام [7]، ومن موقع بني مسوس الاساور اثقل (71) غرام، ومن الركنية (Roknia)

---

(1) André Simoneau: (1972). Pp. 15-31

(2) Alain De Wailly: (1976). Pp. 47-51

(3) Gabriel Camps: (1961). p. 423

(4) محمد الصغير غانم: (2006)، ص111

(5) نجد هذا في القبور التلية في دوسان (Doucen) ولاية بسكرة بالجزائر:

Rethault, E: (1933). Pp. 55-62

(6) Gabriel Camps: (1961). p. 23

(7) Paul Massiéra: (1935). Pp. 241-242

يـزن السـوار(81)غـرام، ومـن ريفيـت (Rivet) بـالقرب مـن مدينـة الجزائـر العاصمة وزن الأساور بين (80) إلى (115) غرام، وهناك القليل من أساور السيقان لهيكل عظمي وجد في قبر سيلا (Sila) بالجزائر بلغ وزنها (290) غرام في كل ساق خمسة اساور برونزية[1] .

وجدت بعض الحلي في حالة سيئة وقد يعود هذا إلى عادات مارسها المغاربة القدامى فقد كانت الأساور مفتوحة وملتوية أو تكسيرها بعنف، ودفنها مع كل ما يتعلق بالمتوفي داخل القبر كما هو في مواقع بني مسوس، وبو نوارة، والركنية [2]، أما الخواتم في مواقع عصر فجر التاريخ بشمال افريقيا فغالبا تكون من معدن البرونز ولا يتجاوز عدد الخواتم المكتشفة عن (23) خاتم [3]، وعادة تكون الخواتم صغيرة الحجم عريضة ومسطحة، واجري تحليل حول نسبة المعادن في قطعة من البرونز من موقع الركنية فأعطت النتائج التالية: نحاس (0.86)، القصدير (0.10) مواد أخرى (0.02)، وفي هذه القطعة كمية قليلة من الحديد [4].



شكل 50: سوار حديث من المناطق الصحراوية في الجزائر من الفضة ينتهي بطرفين واسعين مثل رأس الثعبان، ويقسم الصليب إلى اربعة أجزاء متساوية كل جزء تضم دائرة صغيرة، ويعتبر هذا تقليد لسوار دوسان القديم (اليمين)، شكل سوار من الموقع الأثري دوسان (Doucen) إحدى بلديات ولاية بسكرة (Biskra) على أطراف الصحراء، معنى اسم دوسان بالبربري (الممر): السوار جميل وذو أطراف متسعة تحمل زخارف واعتقد الطرفين يشكلان تطور لشكل الثعبان، اما الزخرفة فهي صليب يقسم أربعة اقسام متساوية في كل منها نقش فيه دائرة صغيرة وكأنها عيون الزواحف (اليسار).

(1) Logeart, F: (1935-1936). Pp. 69-105

(2) تعتبر هذه من الطقوس الجنائزية المشتركة لدى الكثير من الشعوب، حيث يتم تدمير كل ما يخص المتوفي ودفن الحاجات الشخصية معه في القبر:
Gabriel Camps: (1961). p. 429

(3) محمد الصغير غانم: (2006)، ص112

(4) Jules René Bourguignat: (1868). p. 34

على أية حال أدرج فيما يلي الصناعات المعدنية التي عثر عليها في المقابر الميجاليثية في الجزائر وحسب التقسيمات التي أوردها الباحث (Camps) [(1)]:

1- **غرب الجزائر:** عثر في موقع كليبر (Kléber) (شرق وهران) على سكين من البرونز، كما عثر في تمولي موقع تلاغ (Telagh) (منطقة سيدي بلعباس شمال غرب الجزائر) على (1) سوار من البرونز، و(1) خاتم من البرونز، و(1) حلقة أذن من النحاس، و(1) سكين من البرونز [(2)]، ومن موقع بوسوييت (Bossuet) (سيدي بلعباس غرب الجزائر) وجد (1) خاتم من البرونز [(3)]، وأكتشف في تمولي عين الصفراء (Aïn séfra) (ولاية النعامة Naâma) (4) اساور من البرونز، و(5) خواتم برونزية، و(5) حلقات الأذن من النحاس، و(5) عقدة الشعر [(4)].

2- **وسط الجزائر:** من موقع برج منايل (Bordj Menaïel) (ولاية بومرداس) (معنى منايل (Imnayen) بالبربرية الفرسان) عثر على (10) أسورة [(5)] من البرونز، وعثر في موقع الرغاية (La Reghaïa) (في العاصمة الجزائر) على (8) أسورة من البرونز، و(5) عقدة الشعر من البرونز [(6)]، ومن موقع ريفت (Rivet) بـ(القرب من الجزائر العاصمة)، اكتشف (10) أساور [(7)]، وعثر في دولمينات بني مسوس (Beni Messous) (إحدى بلديات الجزائر العاصمة) على (36) أسورة من البرونز، و (14) حلقة الأذن، و (5) عقدة الشعر نحاسية، و (4) شظايا برونزية، وعدد من الدبابيس البرونزية التي أودعت في متحف الإثنولوجيا وعصور ما قبل التاريخ في باردو(Bardo) بفرنسا [(8)]، كما عثر في تموليات تلغمت (Tilghemt) بـ(ولاية الاغواط)على (9) اساور من البرونز [(9)]، أما موقع الكرشيم (El-Krachem) (منطقة عين وسارة) فقد أمدنا (1) سوار من البرونز [(10)]، ومن الاثاث الجنائزي في كهوف وادي وراك (Oued Ouerk) (غرب عين وسارة) عثر على (1) خاتم من البرونز [(11)].

---

(1) Gabriel Camps: (1961). Pp. 440-443
(2) Docteur Pinchon: (1936). Pp. 375-402
(3) Ibid: Pp. 375-389
(4) Capitaine Petit, M: (1905). Pp. 285-290
(5) Camille Viré: (1913). Pp. 352-356
(6) Gabriel Camps: (1961). p. 442
(7) Henry de Gérin-Ricard: (1930-1931). Pp. 637-639
(8) Gabriel Camps: (1953). Pp. 329-372
(9) Colonel Edgard Pothier: (1886). Pp. 301-332
(10) Léonce Joleaud et Alexandre Joly: (1910). Pp. 393-404
(11) Logeart, F: (1935-1936). Pp. 69-105





شكل 51: خاتم من مواقع بو نوارة، وبنى مسوس، وكلاهما لهما حفات واسعة عليها زخارف نفس الفكرة المستوحاة من شكل الثعبان (اليمين)، سوار من البرونز كبير الحجم من موقع بني مسوس (الوسط)، شكل عقدة الشعر وحلق الاذان من البرونز من دولمينات بني مسوس، والأقراط صناعة بونيقية، ولا تزال النساء البربريات ترتدي نفس الاقراط في شمال افريقيا

3- **شرق الجزائر:** عثر في المقابر الميجاليثية بموقع قصطل على (22) أساور من البرونز، وخاتم برونزي واحد، و(8) حلقات الأذن، وعقدة الشعر واحدة، وعملة رومانية، ومن موقع الركنية (8) أساور من البرونز، و(4) خواتم برونزية، و(6) حلقات الأذن [1]، أما موقع بو

(1) Arthur Debruge: (1910). Pp. 53-100

نـوارة فقد قـدم (2) سـوار برونـزي، و(1) خـاتم برونـزي، واكتشـف فـي موقع سيقوس على (1) عقدة الشعر برونزية، (2) عملة رومانيـة، وعثـر فـي موقـع بـو شـان (Bou Chène) (قريـة صـغيرة فـي واغونـون ولايـة تيزي وزو) على (2) سوار من البرونز، أما موقع سيلا (ولاية قسنطينة) فقد قـدم (11) سـوار مـن البرونـز، و (2) خـاتم برونـزي، و(2) عملـة رومانية، (1) عملة (بونيقية)، (11) عملـة نوميديـة، كمـا عثـر فـي موقـع رأس العين بـو مـرزوق (Ras el-Aïn bou Merzoug) (شـرق قسـنطينة) علـى (2) سـوار مـن البرونـز، و(1) خـاتم برونـزي، و (1) عملـة رومانيـة، بينمـا اكتشـف فـي موقـع عـين البـاي (Aïn el-Bey) (جنـوب قسـنطينة) علـى (4) اسـاور مـن البرونـز، و(1) عقـدة الشـعر برونزيـة، و(7) عملـة نوميديـة، و(1) سـكين، واكتشـف فـي موقـع عـين الروى (Aïn Roua) (ولاية سطيف) على (5) سوار من البرونز، أمـا موقع دوسان (Doucen) (ولايـة بسـكرة) فقد عثـر علـى (2) سـوار مـن البرونز [1].

الصناعات معدنية من الأثاث الجنائزي في فجر التاريخ بتونس

بالنسبة للصـناعات المعدنيـة التـي عثـر عليهـا فـي المقـابر الحجريـة فـي تـونس والتـي تعـود لفجـر التـاريخ أذكـر بعـض الأمثلـة كمـا وردت فـي تقـارير المواقع الأثرية المختلفة:

عثر فـي قـابس (Gabés) (شـرق تـونس) علـى (1) خـاتم مـن البرونـز، و(1) عقدة الشـعر برونزيـة، و(1) عملـة نوميديـة [2]، وفـي موقـع بـولا ريجيـا (Bulla Regia) (شـمال غـرب تـونس بـالقرب من مدينـة جندوبـة) عثـر علـى (1) عملة نوميدية [3]، كما عثر في موقع كوديت سيدي سلطان (Koudiat es-Soltane) (غرب تونس بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية) علـى (1) دبوس من البرونز [4]، كمـا عثـر فـي بازينـاس بـالقرب مـن مدينـة قفصـة علـى (11) سـوار مـن البرونـز، و(4) خـواتم مـن البرونـز [5]، ومـن موقـع دقـة (Dougga) (شـمال تـونس) علـى (4) عملـة بونيقيـة، و (1) سـكين برونزيـة، و(1) سلسلة، ومن موقـع تبرسـق (Teboursouk) (جنـوب ولايـة باجـة) عثـر علـى (1) دبـوس برونـزي، أمـا موقـع مكثـر (Maktar) (ولايـة سليانة) فقـدم (15) عملة رومانيـة [6]، وفـي موقـع مغـراوة (Magraoua) (135كـم جنـوب غـرب تـونس العاصـمة) عثـر علـى (1) عملـة بوبيقيـة، و(1) عملـة نوميديـة،

(1) Gabriel Camps: (1961). Pp. 441
(2) Antoine Héron de Villefosse: (1889). Pp. 208-311
(3) Dr Louis Carton: (1895). p. 350
(4) Lieutenants Hilaire et Renault: (1898). Pp. 314-330
(5) Capitaine Zeil: (1904). Pp. 347-353
(6) Didier Pauphilet: (1953). Pp. 49-83

و(1) عملة رومانية [1]، ومن موقع وادي الزواري (Zouarine) (في منطقة الكاف Kef بتونس) عثر على (6) عملة بونيقية [2].

ورد في المواقع أعلاه العثور على عملات معدنية بونيقية، ونوميدية، ورومانية، وتداول تلك العملات في شمال افريقيا كان نتيجة حتمية لتداول السلطة بين القوى الثلاث، وحدث ذلك في أواخر النصف الأول من الالفية الأولى ق.م، وبذلك فهي خارج نطاق هذا البحث الذي كرس لفترة فجر التاريخ في شمال افريقيا، ولعل العثور على العملات المعدنية في المقابر ربما لأنها شيدت بالقرب من الجبانات القديمة أو ان المقابر القديمة أعيد استخدامها لدفن الموتى في عصور لاحقة، وفي جميع الأحوال فان الحديث عن العملات المعدنية بعيدة عن نطاق فجر التاريخ .

الصناعات معدنية من الأثاث الجنائزي في فجر التاريخ في ليبيا

لا نعرف بالدقة متى اهتدى إلى اكتشاف معدن النحاس في الصحراء الليبية إلا أننا من ناحية أخرى نعرف أن إنسان حضارة البداري في مصر حوالي الألف الخامسة ق.م كان قد اكتشف هذا المعدن واستخدمه في مصر وإن انتشاره يلاحظ في حضارة جزرة بصورة أكثر فهل أخذ سكان الصحراء معدن النحاس من أهل البداري أم بالعكس؟ بعض اشكال رسوم الصحراء ففي عهدة الرعاة (بين الألف السادسة والألف الخامسة ق.م) نجد الفأس طويلة اليد والقوس والسهام والأخيرة إما مستطيلة مدببة الرأس والأخرى مدببة ذات رأس وشوكتين وهذه الرسومات تعود خلال فترتي الرؤوس المستديرة وهم من العناصر الزنجية (انتهى في الألف السادسة ق.م) وفترة الرعاة أما الفترات التالية نجد الرماح الطويلة والسيوف الطويلة والمتوسطة الطول [3].

وفي النقوش المصرية صور الليبيين يلبسون الحلق والأساور ويظهر ذلك في نقوش سحو رع ونقوش مدينة هابو بعض الليبيين والليبيات يتحلون بالعقود والأساور، أما الخلاخيل فقد وردت في نقوش تحتمس الرابع حيث يظهر أحد أفراد قبيلة الليبو وفي أعلى قدمه اليمنى خلخال، وأشار هيرودوتس بأن نساء ليبيات كن يلبسن خلاخيل جلدية وأن أخريات كن يحملن خلخالا من البرونز في كل ساق [4].

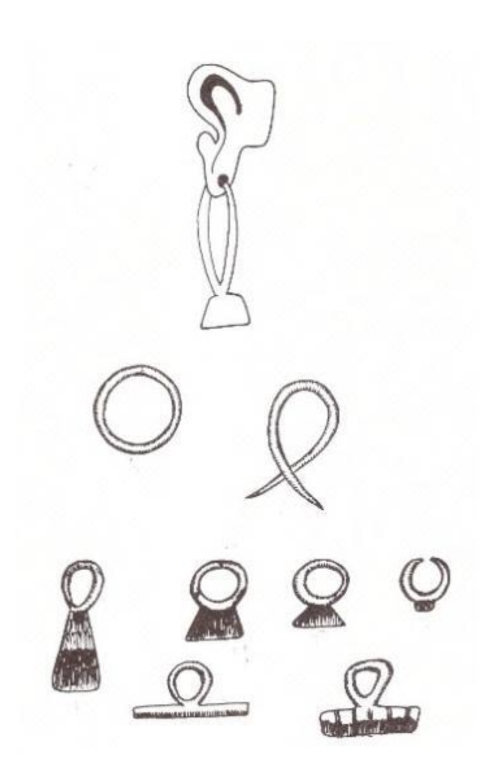
---

(1) Lieutenant Denis: (1895). Pp. 273-280

(2) Gabriel Camps: (1961). p. 440

(3) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص290-292

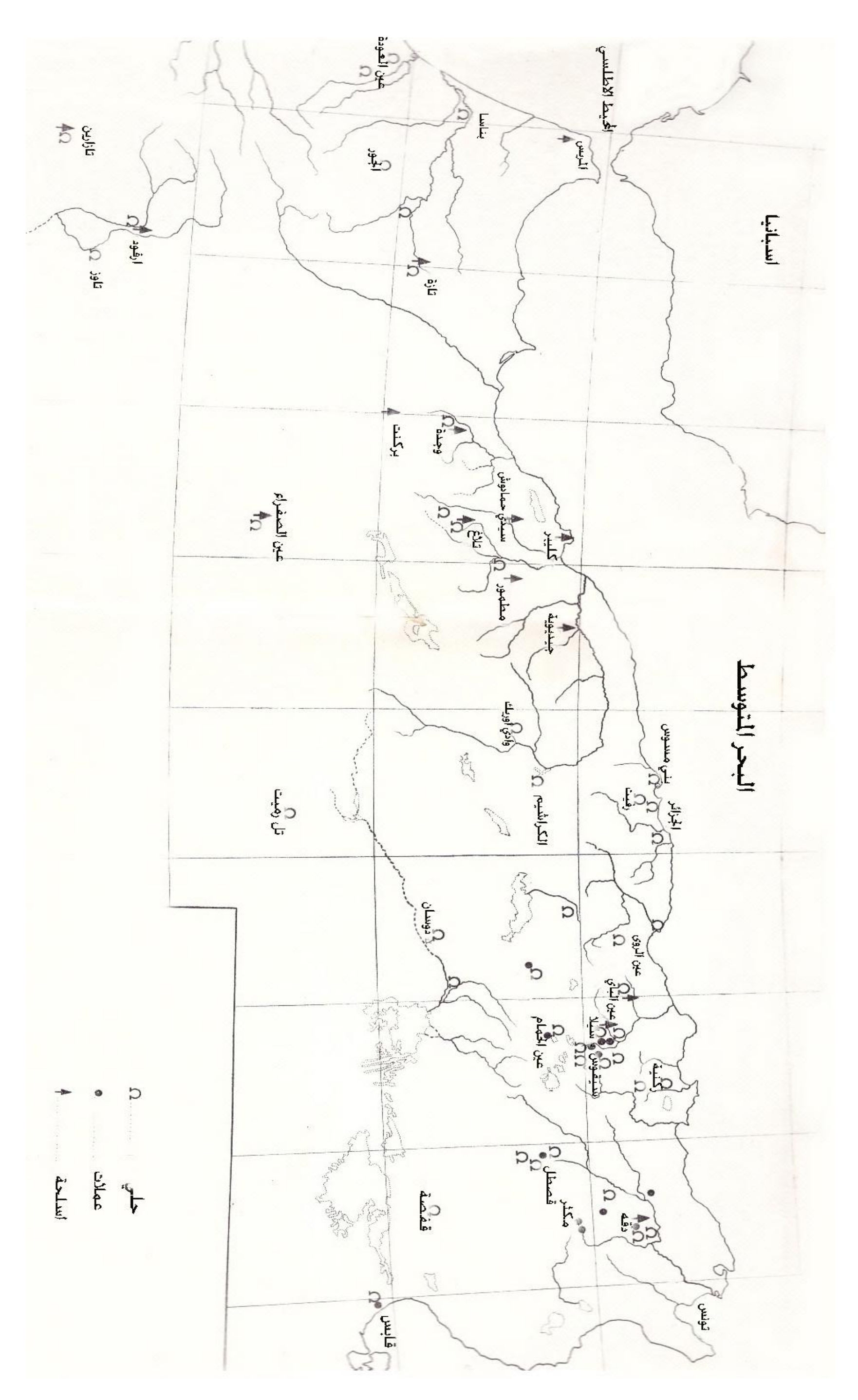
(4) رجب عبد الحميد الأثرم: (1998)، ص81



شكل 52: حلقات الاذن ومشابك من البرونز كان يرتديها الليبيون القدماء كما صورة في الرسوم المصرية

ثم استعمل الليبيون المعادن، لأنهم صاروا في مرحلة متقدمة نسبيا فقد ذكرت نقوش الكرنك في قائمة الغنائم، التي استولى عليها مرنبتاح من الأمير الليبي مري ابن دد بين كؤوس شراب من الفضة وسيوف نحاسية وسكاكين وأواني برونزية [1]، وكان من جملة الغنائم التي استولى عليها رعمسيس الثالث من الليبيين (115) سيفا طول الواحد من هذه السيوف خمسة أذرع (الذراع = 53 سم)، و (24) سيفا طول الواحد منها ثلاثة أذرع وأكثر من تسعين عربة حربية، ولما كان الساحل الليبي خاليا من المعادن فمن المرجح إذن أنهم قد استوردوها، خاصة بعد اتصالهم بشعوب البحر، وفي إحدى نصوص مرنبتاح بأن الأمير الليبي فر تاركا وراءه أثاث زوجته وعرشه مما يدل بان الليبيين عرفوا الأواني الفخارية والمعدنية وقرب الماء وكان لديهم أدوات تستخدم في كافة أغراض الحياة اليومية من أكياس وأوعية وسلال، وكان لرئيسهم عرش[2].

(1) سليم حسن: (1950)، الجزء السابع، ص86
(2) رجب عبد الحميد الأثرم: (1998)، ص 86



خريطة 13: توزيع الصناعات المعدنية (الحلي والعملات والأسلحة) في شمال افريقيا في عصر فجر التاريخ

الفصل السادس

الرسوم الصخرية

المبحث الاول

الرسوم الصخرية في شمال افريقيا

تمتاز دول شمال افريقيا بأن تاريخها القديم لاسيما في فجر التاريخ وأن كانت تنقصه في بعض الأحيان الأدلة المادية اللازمة بميزة فريدة هي الرسوم الصخرية التي تعد فن نبغ فيه سكان شمال افريقيا بصفة خاصة، وكانت معبرة عن قدراتهم الفنية وإنها من ناحية أخرى كانت تسجيلا لبعض جوانب تاريخهم وحضارتهم وانشطتهم الحياتية من صيد ورعي وطقوس ورموز دينية وأشكال حيوانية وآدمية تحمل أقواس ورماح وتمتطي الخيول لذا تعتبر الفنون الصخرية قديمة قدم الانسان.

علم الآثار والفن الصخري في شمال أفريقيا

هناك اتفاق بين الباحثين على أهمية الفن الصخري في شمال إفريقيا، فقد تم ادراج مواقع تاسيلي-ازجر في الجزائر، وتادرارت اكاكوس في ليبيا ضمن قائمة منظمة اليونسكو للتراث العالمي، ووفقا لبعض الباحثين فإن الأبحاث الأثرية في القرن الماضي في الدول المغاربية كانت قد أثرت بالأبحاث الحالية حول الفن الصخري خاصة في الصحراء الكبرى، فقد ساهمت فعليا في زيادة معرفتنا بالفنون الصخرية [1]، فهناك بحوث متنوعة في مجال الرسوم الصخرية [2]، ولكن من وجهة نظر الباحث (Le Quellec) هناك قلة في أبحاث الفنون الصخرية لمنطقة شمال أفريقيا على المستوى العالمي، والسبب يعود بشكل رئيسي إلى صعوبة الوصول للمناطق النائية حيث مواقع الرسوم من جهة وقلة المصادر التي تتناول هذا الموضوع والتي من المفروض أن تكون منتشرة بشكل واسع عبر عدد لا يحصى من المجلات والمواقع الإلكترونية [3].

علاوة على ذلك، فإن الكثير من البحوث كتبت بلغات أخرى غير الإنجليزية، مثل الفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية والعربية، ومع هذا فان بحوث فن الصخور في شمال أفريقيا أقل تأثيراً في الدراسات على المستوى العالمي، ربما غالبية الأبحاث الحديثة عن الفنون الصخرية تتميز بانها دراسات تناولت اشكال نحن على اطلاع بها وصورت كثيرا، بينما نحن اشد ما نحتاج إلى دراسة تصف الشعوب وثقافاتهم وعاداتهم واختلافهم الاثني، فأن توفرت فحتما ستؤدي تلك الابحاث إلى تحسين قدرتنا على فهم الرموز

---

(1) Jeremy Keenan: (2005). p. 484
(2) Benjamin Smith: (2013). Pp.145-162
(3) Jean-Loic Le Quellec: (2008). Pp. 52-88

الموجودة في الرسوم والنقوش الصخرية [1] التي من المحتمل تعود زمنيا إلى العصر البليستوسين (Pleistocene) المتأخر [2].

الجغرافيا، والمناخ، والرسوم الصخرية

تناولت الدراسات الأثرية والتاريخية مناطق جنوب الصحراء كمكون ثقافي والجزء الشمالي من القارة، وهذه المنطقة الواسعة هي المنطقة التي تتأثر بتقلبات المناخ، إذا أخذنا بعين الاعتبار المنطقة الجغرافية فإنها تضم تقريباً ثلث القارة الأفريقية، وتمتد من الغرب حيث المحيط الأطلسي إلى الشرق البحر الأحمر، ومن الشمال البحر المتوسط إلى الجنوب حيث الصحراء الافريقية الكبرى.

وكما هو الحال مع أي تعريف جغرافي، ينبغي النظر إلى الحدود الجنوبية، لأنها منطقة انتقالية بين الصحراء من جهة والسافانا جنوب الصحراء الكبرى من جهة أخرى وهي مختلفة ثقافيا ومناخيا بشكل كبير، فعلى الرغم من اتساعها وطبيعتها الجيولوجية المتنوعة بدرجة كبيرة، فان الظروف المناخية المتوسطية تلاحظ في المرتفعات الشمالية الغربية والمناطق الساحلية في المنطقة المغاربية (المغرب، والجزائر)، بما في ذلك السواحل التونسية والليبية (تقريباً إلى شرق طرابلس)، وتصنف الكثير من مناطق شمال إفريقيا جغرافيا على أنها (صحراء)، باعتبارها امتداد للصحراء الكبرى الشاسعة، التي تعتبر أكبر منطقة حارة وجافة على وجه الأرض، ويلاحظ تنوع الظروف البيئية في جميع أنحاء شمال أفريقيا، لأنها منطقة كبيرة جدا تحتوي على معالم طبيعية مختلفة، على سبيل المثال جبال أطلس في المغرب العربي، والواحات الصحراوية، وسهول وادي النيل الفيضية كلها مناطق طبيعية مختلفة ومتنوعة.

يمكن القول بأن هناك اختلاف في التضاريس والمناخ، والغطاء النباتي اختلافا كبيرا، ولكنه يساهم في الفهم الصحيح والدقيق للمنطقة المغاربية، فليس من قبيل الصدفة أن التضاريس الجغرافية لشمال أفريقيا، خاصة المناطق الجبلية حيث توجد الرسوم الصخرية لذا اعتبرت مهمة جدا لأبحاث الفن الصخري في عموم الدول المغاربية، ومن ثم الفنون الصخرية لها أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية لشمال أفريقيا، فقد أذهلت تلك الرسوم الرحالة الأوروبيين الأوائل الذين اكتشفوا المنطقة وعثروا على الأعمال الفنية التي نقشت على الصخور، ووجدوا تناقض بين البيئة في الوقت الحاضر حيث الطبيعة القاحلة وبين أشكال الرسوم التي يظهر فيها فرس النهر والفيلة

---

(1) Paul Taçon and Christopher Chippindale: (1998). Pp. 1-10

(2) Dirk Huyge , Dimitri A Vandenberghe , Morgan De Dapper, Florias Mees , Wouter Claes , and John C. Darnell: (2011). Pp. 1184–1193

والتماسيح والنعام والابقار والايل ... الخ، مما يدل على وجود أمطار غزيرة سابقا، وهذا يفسر تغير المناخ ومن الطبيعي تغيرت البيئة هي الأخرى حتما.

دراسات الفن الصخري في شمال إفريقيا

هناك العديد من المقالات والملاحظات التي ذكرها المستكشفون الغربيون الذين زاروا الدول المغاربية وذكروا الفن الصخري، وقد بدأت تلك الرحلات منذ منتصف القرن التاسع عشر، كما لخصها حديثا الباحث (Ben Smith) [1]، رافقها ظهور البحوث الاثرية المنظمة في القرن العشرين، وسرعان ما توسعت دراسات الفن الصخري في شمال أفريقيا بحيث أصبح هناك الآن الآلاف من المنشورات حول هذا الموضوع، وبعدة لغات، وتم تقديم ملخص شامل لبحوث الفن الصخري في شمال أفريقيا في تقرير بتكليف من المجلس الدولي للآثار الذي ساهم في العديد من الدراسات التي قدمها الباحثين الأجانب والعرب المشهورين في مجال فن الصخور، من بينهم الباحث (Jean Clottes)، والباحث (عبد الله صالح)، كما أن المعلومات الحديثة عن بحوث الفن الصخري في شمال أفريقيا حاليا متاحة بسهولة على العديد من المواقع [2] .

قدمت البحوث التي قام بها الباحثون سابقا والتي تركزت على جوانب محددة من الفن الصخري في شمال أفريقيا بأنها معلومات تاريخية دقيقة، خاصة منطقة الصحراء الكبرى حيث تركزت معظم الأبحاث، ومن الأفضل فهم الأبحاث السابقة عن طريق تقسيمها إلى أربع مراحل تاريخية:

(1) الاكتشافات المبكرة (1850-1920).

(2) البعثات المنهجية بين سنوات (1920 -1970).

(3) ظهور البحوث الحديثة في الفن الصخري (1970-2000).

(4) بحوث الفن الصخري في شمال افريقيا (2000-2015).

يبدو لي بهذا الإطار الزمني يمكن الحديث عن تطور اكتشاف مواقع الرسوم الصخرية، حيث ظهرت نظريات مرتبة زمنيا، تتناول دور الجغرافية والتاريخ والأكثر من هذا تعددت وجهات النظر التي تخص بحوث الفن الصخري في شمال أفريقيا.

1- الاكتشافات المبكرة (1850-1920)

هناك فجوة زمنية تمتد لأكثر من مائة عام بين أول وصف أوروبي للفن الصخري في جنوب شرق أفريقيا وتلك التي ذكرت في شمالها، وأقرب وصف للفن الصخري في جنوب شرق أفريقيا كان من موزمبيق عام

---

(1) Benjamin W. Smith: (2013). Pp. 145–162

(2) من هذه المواقع على سبيل المثال (Britishmuseum.org)
و (Africanrockart.org) ...الخ

(1721)[1]، بينما أقدم تقرير عن الفن الصخري في شمال أفريقيا كان عام (1847)، وهو يتعلق بالصور المنقوشة للحيوانات والبشر في مواقع ثاوت (Thyout) وموغار وتثاني (Moghar-et-Tathani) في سلسلة جبال أطلس الصحراء في الجزائر [2]، وبعد بضع سنوات (1857-1858)، وصف الباحث (Heinrich Barth) نقوش أطلق عليها تسمية (الجرمنت ابولو) (Garamantian Apollo) (الشكل 53) اكتشفت في هضبة مسك في الركن الجنوبي الغربي من ليبيا، ثم استمرت الاكتشافات التي وصفت في كتابات ضباط الجيش الأوروبيين عن الفن الصخري، ثم تلى هؤلاء عدد من الرحالة، والمغامرين الاوربيين ومنهم على سبيل المثال، (Duveyrier) [3]، و (Aymard) [4]، و (Jacquot) [5]، و (Flamand) [6].

لقد تركزت الحملات الاستكشافية التي قام بها الأوروبيون في شمال أفريقيا على الجوانب الجغرافية في وصف الشعوب والثقافات والعادات والتقاليد في المناطق التي كانت مجهولة آنذاك، وكان نصيب الفن الصخري تعليقا بسيطا وسريعا في نفس الوقت، ومع ذلك، قدم المستكشفون الأوائل رؤى جديدة لأفريقيا، مشيرين إلى أن الفن الصخري له قيمة خاصة لأنه أقدم دليل واضح على تغير البيئة عبر التاريخ في شمال أفريقيا، وبين مدى العلاقة بين المناخ والبيئة والفن الصخري في تلك الفترة الموغلة بالقدم.

---

(1) Benjamin W. Smith: (2013). p. 145

(2) يقع الموقعان ثاوت (Thyout) و وموغار تثاني (Moghar-et-Tathani) في جبال القصور جنوب غرب وهران، بين ولايتي بشار والبيض ضمن الاطلس الصحراوي الجزائري حيث عثر على رسوم حيوانات مثل الخيول والفيلة:

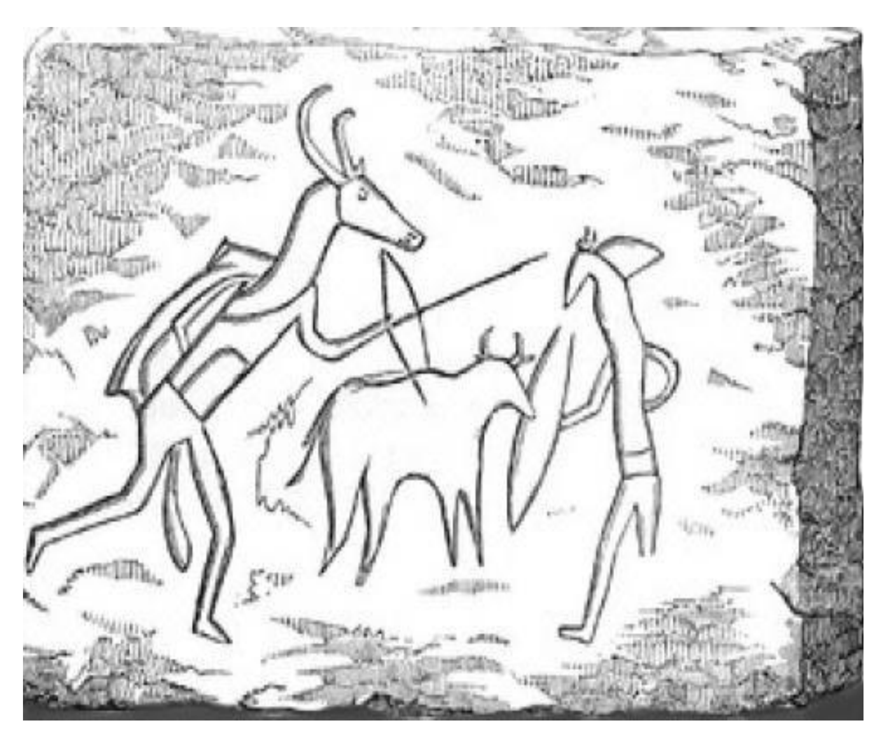
Philip E. L Smith: (1968). p. 4

(3) Henri Duveyrier: (1864)

(4) Capitaine Aymard, A: (1911)

(5) Lucien Jacquot: (1912). Pp. 212–215

(6) Flamand, G. B. M: (1921)



شكل 53: الرسم الأصلي للإله ابولو عند الجرمانتيين

2- الاستكشافات المنهجية (1920-1970)

بدءا من عشرينيات القرن العشرين، شهد شمال إفريقيا العديد من الحملات الاستكشافية، فأصبحت أبحاث الفن الصخري مجالا علميا صحيحا، وغطت الكشوف الميدانية في عشرينيات القرن الماضي عدة مناطق اعترف بها كمواقع للفن الصخري، مثل وادي الذهب في الصحراء المغربية جنوب غرب المغرب، وجبال أطلس، و منطقة الصحراء جنوب الجزائر وليبيا، وحتى الصحراء المصرية [(1)]، وفي معظم الأحيان، نظمت هذه البعثات في المقام الأول لأغراض عسكرية أو لأسباب تتعلق بالحكم الاستعماري، وأدخلت جانباً استثنائياً غير معروف في التراث الثقافي لأفريقيا، وتتضح وجهات النظر الاستعمارية بوضوح في هذه المساعي، على سبيل المثال، في بعثات (Pace-Caputo-Sergi) إلى منطقة فزان في جنوب غرب ليبيا [(2)] (وادي الآجال وواحة غات)، نادراً ما ذكر الفن الصخري على العكس ذكر بالتفصيل الوجود الروماني هناك، كما يظهر النهج الاستعماري في الحملات التي نفذت في

---

(1) Hans Alexander Winkler: (1938) // Paolo Graziosi: (1934). Pp. 33–43// Théodore Monod: (1938)

(2) Biagio Pace, Sergio Sergi and Giacomo Caputo: (1951)

الجزائر وليبيا من قبل الباحث (Lhote) [1]، و الباحث (Mori) [2] على التوالي، وبعد الحرب العالمية الثانية شدد الباحث (Keenan) على النسخ الغربية للفن الصخري المكتشفة في اوربا، وأحيانا تم تزيف العديد من اللوحات في جبال تاسيلي باعتبارها تقليدا للفنون الاوربية [3]، بالإضافة إلى ذلك، اقيم معرض للفن الصخري عام (1956) تضمن اللوحات الجزائرية في متحف الفنون الجميلة في باريس للتعبير عن القوة الاستعمار الفرنسي والتفوق الثقافي خلال حرب التحرير الجزائرية التي انطلقت عام (1954) [4].

وهكذا نشرت الكثير من الكتب في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية[5]، على الرغم من أن هذه المنشورات كانت محدودة في كثير من الأحيان وتعبر عن وجهات النظر التي اقترحت بان أصول الرسوم إما غربية أو مشتقه من الفن الكلاسيكي (اليوناني والروماني)، ولا ننسى في كثير من الأحيان استنسخت الرسوم الصخرية بشكل سيئ، بل واحيانا تم تجاهل الرسوم أو حتى معرفة اصولها، ولكن هذه القاعدة ليست عامة فنحن ندين بالكثير للباحثين الذين تخلوا عن النظرة الاستعمارية الضيقة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فعلى الرغم من أن الأبحاث التي أجريت في فترة الأربعينيات وإلى الستينيات من القرن العشرين كانت مشبعة بالأفكار الاستعمارية، إلا أنها تشهد على وجود علماء عملوا في المواقع النائية لنسخ الرسوم الصخرية والذين واجهوا العقبات الكثيرة في عملهم الميداني المضني فكان عملهم العلمي الأساس لبحوث الفن الصخري فيما بعد.

3- ظهور أبحاث الفن الصخري الحديث (1970-2000)

برزت أبحاث الفن الصخري في شمال أفريقيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، في فترة كانت المناقشات تدور حول تاريخ تلك الرسوم ومعانيها وقد غيرت الأحداث السياسية والتاريخية الطريقة التي ينظر بها إلى علم الآثار في شمال إفريقيا خلال هذه الفترة، فقد تأثر الفن الصخري والبحوث الأثرية بتغيرات سياسية هائلة فعلى سبيل المثال، استقلال الجزائر، ونجاح الثورة في ليبيا، والاوضاع السياسية في الصحراء الغربية.

مع بداية سبعينيات القرن الماضي، ظهرت موجة جديدة من الباحثين الذين سافروا عبر أجزاء عديدة من مواقع شمال أفريقيا من أجل الكشف الاثري وإجراء مسح اللوحات فنية التي نقشت على الصخور، وقد أحدثت هذه الكشوف الجديدة ثورة في معرفتنا بالفن الصخري، وتم عمل إحصاء لعدد كبير من الرسوم الجديدة والأصلية، ومع ذلك، هناك اختلافات ملحوظة بين

---

(1) Henri Lhote: (1958)
(2) Fabrizio Mori: (1956). Pp. 211–229.
(3) Jeremy Keenan: (2002). Pp.131–150
(4) Savino di Lernia: (2008). Pp. 329–337
(5) Henri Lhote: (1958) // Fabrizio Mori: (1965b) // Henri Breuil: (1952)

البعثات الاثرية التي توفدها المؤسسات الكبرى الاجنبية وتلك التي يضطلع بها باحثون العرب لا سيما فيما يتعلق بعلاقتهم مع حكوماتهم الوطنية.

أن دراسة وتحليل المواقع الفنون الصخري في جبال أطلس الصحراوية والتي قامت بها الباحثة (مليكة حشيد) [1]، وايضا الباحث (Zboray) [2]، قد حازت بحوثهم تقدم كبير في دراسة الفن الصخري خلال هذه المرحلة، سواء في هضبة مسك (Messak) في ليبيا [3]، أو جبل العوينات (Oweinat) عند التقاء حدود مصر والسودان وليبيا، وظهر تطور في نظرية الأعمال الفنية في منطقة الصحراء الكبرى كما عبر عنها الباحث (Muzzolini) [4]، لتحل محل التعريف الكلاسيكي حول أسلوب وعمل الفن الصخري التي سبق تطبيقها.

بالإضافة إلى ذلك، حاول باحثون في شمال افريقيا، تغيير التاريخ الزمني المهيمن على بحوثهم من خلال تبني أطر ومفاهيم مبتكرة تأثرت إلى حد كبير بالإثنوغرافيا (دراسة الشعوب وثقافاتها) وعلم الآثار، والوراثة مثل دراسة الباحث (Holl) [5]، بينما حاول الباحث (Le Quellec) ربط أدلة الفن الفن الصخري بالميثولوجيا القديمة[6]، التي ساهمت أيضا في اظهار بعض اشكال الفن الصخري، والتسلسل التاريخي، والسياقات الثقافية للفن الصخري الصحراوي وقد اقترح الباحث (فكري حسن) وجهة نظر (الأبجدية) ومحاولته فك شفرة العناصر الفنية الموجودة في الفن الصخري [7]، وأخيرا، شهدت أبحاث الفن الصخري في نهاية القرن العشرين زيادة في الأساليب المتعددة الاختصاصات، لا سيما تلك المتعلقة بالألوان الصخرية وتأريخ تلك النقوش.

4- الفن الصخري في شمال أفريقيا (2000-2015)

كانت أبحاث الفن الصخري في شمال أفريقيا ذات أهمية خاصة في المحافل العلمية الدولية في السنوات من (2000) إلى (2015)، وأشير إلى بعض الأبحاث الأكثر تأثيراً التي تركزت بشكل رئيسي في وسط الصحراء وشرقها.

أنتجت الدراسات الاستطلاعية والحفريات في هضبة مسك (Messak) في جنوب غرب ليبيا أول تقييم زمني واجتماعي للفن الصخري

---

(1) Malika Hachid: (1992)
(2) András Zboray: (2005)
(3) Jan Jelinek: (1985). Pp. 125–165 // Rüdiger Lutz and Gabriele Lutz: (1995) // Axel Van Albada and Anne-MichelleVan Albada: (2000)
(4) Alfred Muzzolini: (1995)
(5) Augustin Holl: (2004). Pp. 33-95
(6) Jean-Loic Le Quellec: (2004)
(7) Fekri Hassan: (1993)

في العصر الحجري الحديث في تلك المنطقة، فهناك دراسة توضح ارتباط المقابر الحجرية الدائرية بالرسوم المنقوشة للماشية والحيوانات، ومنها أشكال الثيران مثلا وأرخ كاربون (14) المشع تاريخ (5200-3800) ق.م [1]، وأيضا في ليبيا جرت تنقيبات في طبقة تعود لعصر هولوسين (Holocene)[2] في موقع تاكاركوري (Takarkori) في جبال تادرارت أكاكوس [3]، حيث بدأ الاستيطان البشري الطويل في عصر الهولوسين ومنذ فترة مبكرة (يسمى محليا أكاكوس المتأخر) وقدم كاربون (14) المشع تاريخا (8300-6100) ق.م، فقد تواجدت مجموعات رعوية ذات تقاليد متميزة تعود مواقعها إلى (6400-3000) ق.م، ومن ثم فإن القطع الاثرية التي تشكل مئات المصنوعات اليدوية والألوان المستخدمة في الرسوم قد وفر الأساس لدراسة متعددة التخصصات وذلك باستخدام طريقة (Chaîne opératoire) في عهد هولوسين المبكر والمتوسط [4] .

وأيضا ضمن الصحراء الوسطى ولكن في الجمهورية الجزائرية وضمن موقع تاسيلي - ازجر(Tassili-n-Ajjer)، قام فريق جزائري-فرنسي برئاسة الباحثة (مليكة حشيد) (Malika Hachid) بمسح وبشكل منهجي للعديد من المواقع الاثرية التي تضم اللوحات الصخرية باستخدام طريقة (optically stimulated luminescence) التي تختصر (OSL) لتحديد عمر الرواسب الجيولوجية مثل الفخار والآجر والجدران الصخرية، وقدم

---

(1) Savino di Lernia and Marina Gallinari: (2010). Pp. 954–975.

(2) عصر هولوسين: وهي تعود للعصر الجيولوجي الحالي بدأت حوالي (11.650) ق.م من تاريخ الأرض أي منذ انتهاء العصر الجليدي الرابع عندما حدثت تغيرات مناخية بين حوالي (1700-1200) ق.م، على العموم الهولوسين فترة دافئة نسبيا بعد العصر الجليدي الأخير.

(3) أجريت تنقيبات في موقع تاكاركوري في جنوب غرب ليبيا ضمن عصر هولوسين منذ أوائل عام (1990)، وتعتبر هذه المنطقة واحدة من أقدم المناطق التي سكنها البشر في أواخر (10000) ق.م، وعثر على معظم اللقى الاثرية والرسوم الصخرية في الهواء الطلق بعيدا على الكهوف والملاجئ الصخرية:

Stefano Biagetti and Savino di Lernia: (2013). Pp. 305-338

(4) منهج (Chaîne opératoire) وهو مصطلح علمي يستخدم في علم (الانثروبولوجيا) (الانثروبولوجيا) أي (علم الاجناس)، ولكن الأكثر شيوعا استخدامه في علم الاثار، وفي الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهذا المصطلح فرنسي اعتبر أداة منهجية لتحليل الفنون والافعال الاجتماعية مثل صنع الأدوات الحجرية أو الفخار وبذلك فهو يدرس الأنشطة البشرية، ومن خلاله نفهم المجتمعات وتقنياتها وفقا لمنطق داخلي خاص بمجتمع ما، وأول من اقترحه عالم الاثار الفرنسي (André Leroi-Gourhan)، واتبعه علماء ساروا على نفس خطى هذه الطريقة:

Savino di Lernia, Silvia Bruni, Irina Cislaghi, Mauro Cremaschi, Marina Gallinaro, Vittoria Gugliemi, Anna Maria Mercuri, Giansimone Poggi and Andrea Zerboni: (2016). Pp. 381–402

تــاريخ (10000-9000) ســنة للرســوم الصــخرية التــي تعـود لمرحلــة ذوي (الرؤوس المستديرة) [1].

من وجهة نظر الباحثة (ياسمينة شايد سعودي) من الجزائر بـأن نقوش الجنوب الوهراني تقع ضمن العصر الحجري القديم الأعلى حوالي (30.000) سنة ق.م ولا يوجد ما يدعم وجهة نظرها [2].

أن حملــة تحديـد تــاريخ الرسـوم تعتبـر مشـكلة صـعبة وطويلــة للفـن الصـخري فـي الصـحراء، وقـام الباحـث (Dirk Huyge) وزمـلاؤه فـي موقـع قرتـا (Qurta) المصـري فـي سـهل كـوم أمبـو (محافظـة اسـوان) [3]، باكتشـاف لوحــة جميلــة محفـورة جزئيـا وكانـت مغطـاة بالكثبـان الرمليـة وتـؤرخ بواسـطة (OSL) لأكثر من (15،000) ق.م.

كما شهد بداية القرن الحادي والعشرين وعيا أكبر للحفاظ على الرسوم الصخرية، وإدارة المواقـع وتقديم بيانـات عن الفن الصـخري ويمكن تحديـدها بالنقاط التالية:

(1) تحول في التقنيات المستخدمة في مواقع الرسوم، مع التركيز بشكل أكبر على ترقيم وصيانة الرسوم الصخرية.

(2) الاهتمـام الكبيـر بمواقـع الرسـوم الصـخرية، واجـراء دراسـات متعـددة التخصصات تقوم بها مؤسسات مشتركة، وكمثال العمل الكبير الـذي قـام بـه الباحـث (Rudolph Kuper) وفريقـه فـي وادي السـورة (Wadi Sura) في الجلف الكبير (Gilf Kebir) في جنوب شرق ليبيا المحـاذي للـركن الجنـوبي الغربـي مـن مصـر حيـث تـم اسـتخدام أحـدث التقنيـات لتسجيل الموقع رقمياً [4] (الشكل 54).

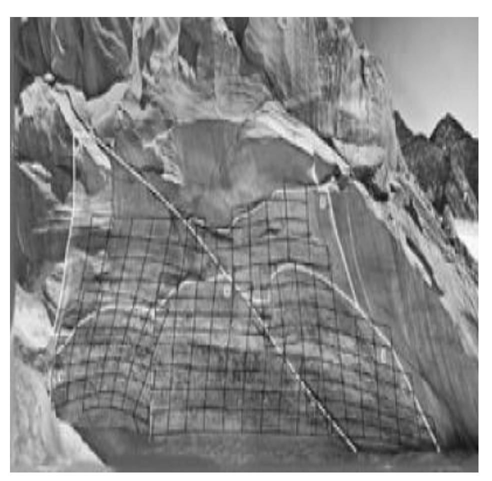
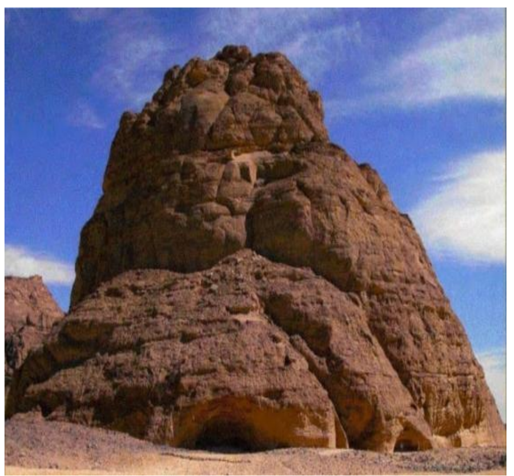
---

(1) Savino di Lernia: (2017). p. 8

(2) Yasmina Chaid-Saoudi: (2003). p. 69

(3) Dirk Huyge, Dimitri A.G Vandenberghe, Morgan De Dapper, Florias Mees, Wouter Claes, and John C. Darnell: (2011).Pp.1184–1193

(4) Hans Leisen, Sabine Krause, Heiko Riemer, Jürgen Seidel, and Erik Büttner: (2013). Pp. 42-49

شكل 54: وادي الكهوف في سورا (Sora) في جلف الكبير في جنوب شرق ليبيا المحاذي للركن الجنوبي الغربي لمصر اكتشف من قبل الاثاري (Almasy) عام (1933)، على جهة اليسار كهف السباحين والكهف على اليمين كهف الرماة (اليمين)، رسم صخري في وادي السورة (اليسار)

كمثال هضبة مسك (Messak) في جنوب غرب ليبيا أجريت تطورات على خطة إدارة مواقع الفن الصخري التي تشمل السياقات الجغرافية والأثرية، وكذلك الحفظ وسهولة الوصول إلى موقع الرسوم، وقدمت عدة طلبات للحكومة الليبية لوقف التجاوزات التي لحقت بالمواقع الاثرية نتيجة عمليات التنقيب عن النفط في جنوب غرب ليبيا(1)، وتعاونت هيئة دولية تضم الخبراء بالتعاون مع السلطات الليبية للحفاظ على الرسوم والنقوش الصخرية وخاصة موقع وادي ماتخاندوش (Matkhandush) في مركز مسك (2)، لكونه منطقة مهمة للفن الصخري الإفريقي الذي يعاني من الإهمال وعدم الحفاظ على الرسوم، وقد انتهى مشروع الحفظ والصيانة بشكل مفاجئ مع بداية الحرب الأهلية في ليبيا عام (2011)، كما تم اقتراح خطة تتناول استخدام أحدث الأساليب في التقنيات والتي طبقت في جبال تادرارت أكاكوس باعتباره موقع للتراث العالمي في ليبيا تحت اشراف منظمة اليونسكو العالمية، وهي منطقة مميزة للحفظ وادامة المواقع الفنية الصخرية في أوائل عام (2010)، فقد دعت اليونسكو لتقييم موقع التراث عبر الحدود بما في ذلك جبل

---

(1) Stephan Kröpelin: (2002). Pp. 405–423

(2) Stefano Biagetti, Emanuele Cancellieri, Mauro Cremaschi, Christine Gauthier, Yves Gauthier, Andrea Zerboni , and Marina Gallinaro: (2013). Pp. 55–74

العوينـات (Jebel Oweinat) والمنـاطق المحيطـة بـه عند الحـدود السـودانية والمصرية والليبية [1].

أصـبحت إدارة أرشـيفات الفـن الصـخري تحظـى بشـعبية متزايـدة فـي السـنوات الأخيـرة، وهـو الاتجـاه الـذي أصـبح ممكنـاً بفضـل الاعـداد المتزايـدة للرسـوم الصـخرية التـي يمكـن الوصـول إليهـا، ومـن الطبيعـي سـتكون بمتنـاول البـاحثين الأجانـب وغيـرهم للدراسـة ومـن الأمثلـة علـى ذلـك أرشـيف الفـن الإفريقي للرسوم الصخرية في جامعـة (Witwatersrand)، فـي جوهانسـبرغ (جنوب افريقيا)، ومشروع صور الفن الصخري في المتحف البريطاني.

لكن في أعقاب حركات (الربيع العربي) التي اندلعت في تونس وليبيا، واجه البحث عن الفنون الصخرية تحديات جديدة وتهديدات متزايدة، ليس فقط غضب الجهلة والاميين اتجـاه الآثـار والمـوروث الثقـافي، ولكـن أيضـا التجـارة الغير المشروعة بالآثار، خاصة وان مساحة منطقة شمال أفريقيا واسعة ومـن الصـعب سـيطرة الحكومـات المغاربيـة علـى الحـدود الدوليـة بيـنهم، إذا اضـفنا التهديدات الاجتماعيـة والاقتصـادية والأمنيـة التـي تواجـه النـاس فـي العديـد مـن بلـدان شـمال أفريقيـا، كلهـا أدت إلـى عـدم القـدرة علـى الحفـاظ وحمايـة الفـن الصخري الذي يعاني من خطورة السرقة والتخريب في أي وقت مضى [2].

على أية حال كان الرسم والتصوير هي أولى محاولات الإنسان للتعبير عن فكره سواء أكانت واقعية أم رمزية بل يمكن القول بأن التصوير هو الخطوة الأولى نحو الكتابة وتنقسم الفنون الصخرية بصفة عامة إلى نوعين رئيسيين من حيث الشكل وهما:

1- **النقوش الصخرية (gravure rupestre):** ينتشر في الشمال الافريقي في المنطقة الصحراوية والمنطقة الواقعة للشمال من الصحراء وحتى ساحل البحر.
2- **الرسـوم الصـخرية الملونـة (Peintures rupestres):** وتوجـد أغلـب في المنطقة الصـحراوية الوسطى والشرقية مثل جبل العوينـات علـى حـدود السودان وليبيا، وفي جبال تبستي بتشاد، وفي جبـال تاسيلي ازجر بـالنيجر والجزائـر، وجبـال الأكـاكوس فـي ليبيـا، كمـا توجـد فـي جبـال الهكـار فـي الصحراء الكبرى، أما في المغرب فلم يكتشف منه إلا في منطقة بني يسف جهة القصر الكبير على موقع واحد تم تسجيله [3].

توجد النقوش الصخرية إما على سطح الصـخر فـي العـراء أو فـي الحقـاف وهو الغـالب [4]، أو فـي الكهوف وهو النـادر، وذلـك نظـرا لظـلام الكهـف ممـا لا

---

(1) Savino di Lernia: (2017). p.9.

(2) Savino di Lernia: (2015). Pp. 547–549 .

(3) Eduardo Garcia Hernandez: (1941). Pp. 300-302

(4) عندما يجد الانسان ملجأ يحتمي فيه فانه يشيد بمساعدة قطعة من الجلد أو القماش خيمة، أو تكون الحقف بحد ذاتها وقاية له من الشمس أو المطر.

يساعد على النقش، والنقش الصخري يتم إما يعد تهذيب سطح الصخر وعمل ما يشبه اللوحة التي تنقش عليها الرسوم، أو أن يتم النقش على سطح الصخر بلا تهذيب، وعملية النقش تتم عن طريق:

أولا: حفر الصخر وذلك بحزه بآلة حادة على الحجر وعن طريق الخطوط يظهر الشكل العام المراد رسمه، ويلاحظ ان هذه الطريقة لا يمكن الفنان إلا من اظهار الخطوط الرئيسة للشكل المراد رسمه أو الإطار العام له، ولذا أغلب الأشكال المرسومة ترسم بالوضعية الجانبية وليست الأمامية، كما وأن الأبعاد المستعملة هنا هو البعدين الافقي والرأسي، أما البعد الثالث وهو العمق فانه غير معروف ولو أنه هناك بعض امثلة لجأ فيها الفنان إلى رسم الأشكال البعيدة أصغر حجما من نظيرتها القريبة [(1)].

ثانيا: يتم الرسم عن طريق استعمال وتد ومطرقة وذلك بطرق عدة نقاط على الصخر باستعمال الوتد وتكون النقاط المطروقة داخل الصخر في مجموعها الشكل المراد رسمه، ففي محطة شعبة الهلسة (شرق الجزائر) اكتشف الباحث (Solignac) رسوم نشرها في كتابه (الحجارة المكتوبة بمنطقة الشرق البربرية) حيث شاهد مجموعة واحدة من النقوش [(2)]، والرسم ربما يمثل كبش، ومن محطة كهف سيدي صالح (منطقة الهري التي تبعد (10) كم عن مدينة الخروب الحالية شرق الجزائر) حيث أطلق الباحث (Flamand) على الموقع اسم (محطة الهري) وقد احتوت على مجموعة من النقوش البعض منها تم بطريقة التنقيط لإظهار الشكل سواء كانت رسوم حيوانات غير أليفة و أشباح تمثل أشخاص خياليين [(3)]، أو يستعمل هذه الطريقة والتي قبلها (أي الحك بآلة حادة لإظهار الشكل الخارجي ثم الطرق باستعمال الوتد وذلك لتجسيد الرسم أو لتوضيح بعض تفاصيل الجسم مثل البقع التي على جسم الزرافة مثلا، ثم هناك أسلوب آخر للطرق وذلك بإزالة طبقة الصخر التي تمثل داخلية الشكل المراد رسمه ثم تهذيبه بالحك حتى يتكون منه نقشا غائرا يمثل الشكل المراد رسمه، وفي بعض الأحيان كان النقاش يلجأ إلى إزالة الإطار الخارجي المحيط بالشكل المراد رسمه وفي هذه الحالة يبدو الجسم عن طريق بروزه ويعرف بالنحت البارز، ويسمى الحز الذي تتركه الآلة على الصخر باسم (Patina).

الرسوم التي وجدت عموما اما حقيقية واقعية أي انها تمثل اشكالا معروفة بنسب تتفق وأجزاء المناظر المرسومة حسب وجودها في الطبيعة [(4)]، أما حقيقية ولكن تخيلية وفي هذه الحالة نجد الرسم يكون منظرا تقريبيا لان الرسام ينقش مناظر تخيلية من ذاكرته لأشياء ليست أمامه بل سبق وان شاهدها في

---

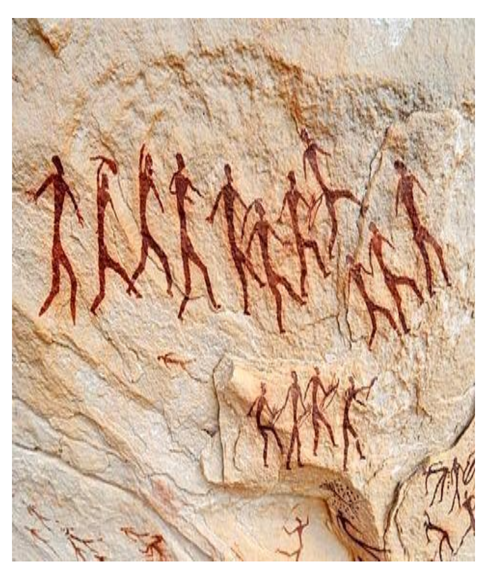
(1) James L. Forde-Johnston: (1959). Pp. 86-92
(2) Marcel Solignac et Joseph Bosco: (1928). Pp. 90-100
(3) Georges-Barthélémy Médéric Flamand: (1914). p. 434. Note 3
(4) مثلا إذا رسمنا فيل فيجب ان نراعي نسبة الأذن للقدم.

أماكن أخرى وربما منذ مدة بعيدة، ولذا تأتي الرسوم نوعا ما عن الواقع [1]، اما الرسوم الرمزية من الصعب جدا ادراك معانيها، ربما كانت رموزا للعبادة أو ما يشبه ذلك، والنقوش عامة اما تمثيل مناظر مفردة أي شكلا معينا قائما بذاته (حيوان مثل الفيل) أو منظرا كاملا (مثل عربة تجرها الخيول أو الثيران) أو مناظر مركبة من عدة اشكال منقوشة تكون لوحة متكاملة (مثل منظر رجال راجلين أو راكبين يطاردون صيدا)، وبالنسبة للنقوش يغلب عليها المناظر الفردية أي النقش الذي يمثل شيئا واحدا، والنقوش في معظمها تمثل صورا حيوانية مثل الفيل ووحيد القرن وفرس النهر والأسد والغزال والحصان والجمل، كما وأن القليل منها يمثل الادميين وصور الادميين هنا رمزية أي الوجه عادة غير واضح لصعوبة تمثيله بالنقش على الصخر وكان يمثل عادة كنقطة أو دائرة والجسم يمثل بالمواجهة والأرجل بالجنب اتجاه السير [2]، وإذا كان الإنسان ينقش رمزيا فان الرسوم الحيوانية كانت في غالبها واقعية اما النقوش التي تمثل الأشياء الأخرى كالعربات والاكواخ والأسلحة وما اشبه فقد كانت واقعية لأبعد الحدود [3] .

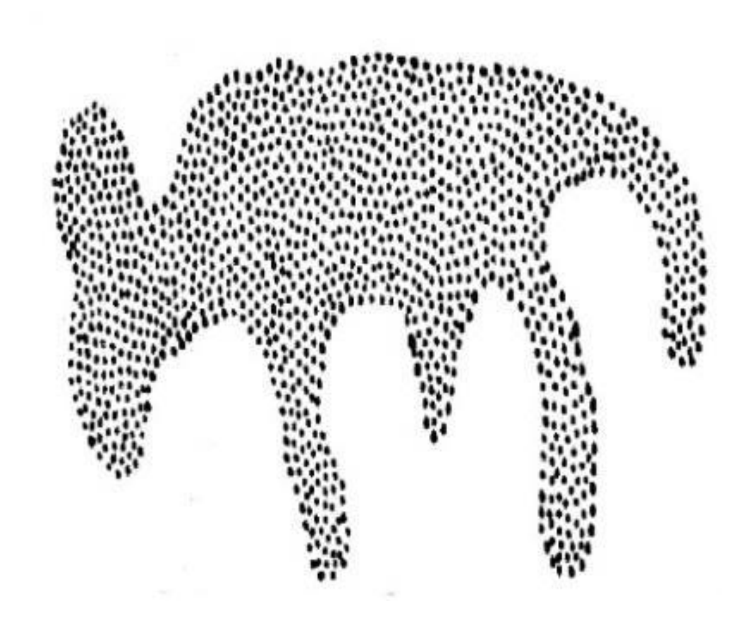
(1) Paolo Graziosi: (1962). Pp. 63-65

(2) مثل النقوش التي نجدها على المعابد المصرية الفرعونية.

(3) Fabrizzio Mori: (1965b). Pp. 32-41





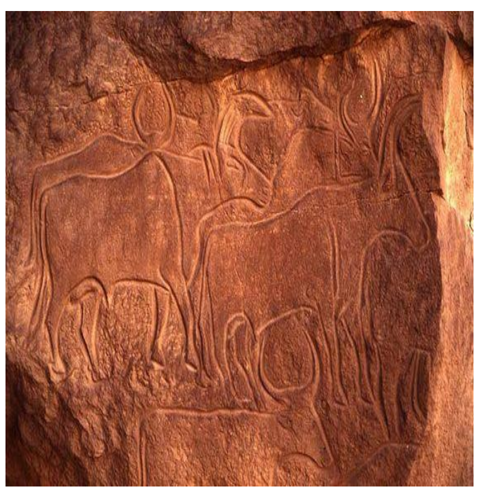


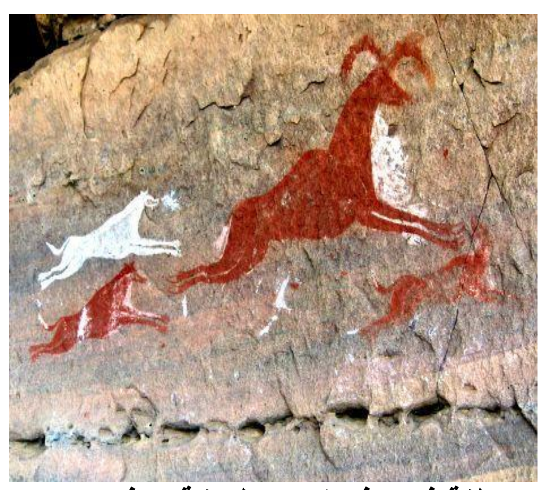
شكل 55: وحيد القرن بطريقة حفر الصخر بحزه بآلة حادة (الصحراء الليبية) (اليمين)، رسم ملون يمثل شكل مجموعة من الصيادين من العصر الحجري الحديث من منطقة ادرار (Adrar) في الصحراء الجزائرية (اليسار)، رسم من موقع محطة شعبة الهلسة (شرق الجزائر) يمثل حيوان غير محدد ربما كبش نفذ الرسم بواسطة التنقيط (الاسفل)

أما الرسوم الملونة (peinture rupestre) فقد كانت تمثل على سطح من الصخر، اما مصقول بفعل الطبيعة أو يقوم الرسام بصقل الجزء الذي يريد الرسم عليه ليعمل ما يشبه اللوحة، وهو على العكس من النقوش (gravure) يوجد في داخل الكهوف والقليل في الحقاف ولا يوجد منه شيء على الصخر التي في العراء إلا ما ندر وهو يمثل اما بالاستفادة من الألوان المختلفة التي في طبقات الصخر فتحك الصخرة بدرجات متفاوتة حتى يتم عن طريق تباين الألوان اظهار الشكل أو الأشكال المراد رسمها، واما عن طريق استعمال الألوان الصناعية، هذه الألوان تجهز عادة من مواد أولية أشهرها المغرة الحمراء (Ocre Rouge) ومنها الصخور ذات الألوان المختلفة يعمد الفنان إلى طحن هذه المواد عن طريق المهراس والرحى ثم يضيف اليها بعض الدهون الحيوانية والماء ويكون من هذا الخليط اللون أو الألوان المراد استعمالها في النقش ثم يبدأ في رسم الاشكال وعن طريق التناقض بين الألوان يظهر الشكل المراد رسمه، والألوان التي تستعمل عادة في مثل تلك الرسوم هي الأحمر والأبيض والأسود الغامق والفاتح والأشهب والأصفر، أما الألوان الخضراء والزرقاء فنادرة [1] ، كما في الشكل الأسفل كلاب تطارد غزلان برية واستعمل اللونين الأحمر والأبيض على أرضية الصخرة الرمادية[2].

(1) Abbe Henri Breuil: “Les Roches Peintes du Tassili-n-Ajjer” de congres Panafricain de préhistoire. Actes de la IIe Session. Alger. 1952. Pp. 113-118

(2) تظهر رسوم الكلاب في المغارات ذات الأثاث من العصر الحجري الحديث وهو حيوان وقع تدجينه لاشك خارج أرض المغارب، ولم يدخل إليها إلا فيما بعد، وكما تشهد الرسوم الصخرية بتيوت (Tyout) (الصحراء الجزائرية) فأن الكلب كان رفيق الناس في صيدهم عندما كان سكناهم في البرية والكلاب المرسومة بها آذان منتصبة فلعلها كانت من سلالة انحدرت من ابن آوى (Chacal) وهذا النوع من الكلاب أكثر انتشارا بشمال افريقيا، وهناك رسم صخري آخر بالجنوب الوهراني، يظهر صورة لكلب من النوع السلوقي الحالي وهو جنس أصله الشمال الشرقي لأفريقيا : اصطيفان اكصيل: (2007)، ص186





شكل 56: نقش صخري يمثل ثيران من منطقة فزان في ليبيا بطريقة تهذيب الصخر وإزالة ما يحيط بالشكل (النحت البارز) (اليمين)، شكل الكلاب تطارد غزلان الألوان هما الأحمر والابيض من جبال تاسيلي-ازجر (اليسار).

تاريخ الرسوم الملونة لاسيما تلك التي في الكهوف العميقة ممكنة إذا كان مستقر الذين رسموا تلك المناظر في عين المكان، فما على الآثاري إلا ان يقوم بدراسة المخلفات التي يعثر عليها والصور المرسومة، وفي إمكانه رسم صورة للثقافة التي يمثلها هؤلاء الاقوام بالإضافة إلى معرفة تاريخ تلك الرسوم على وجه التقريب، أما في حالة النقوش الصخرية وأغلبها في حقاف تشرف على العراء فمن الصعب معرفة تاريخها لان الاقوام الذين رسموا تلك المناظر لم يقيموا مدة طويلة في المكان، وإذا فرضنا انهم اقاموا فلا بد وانهم كانوا يلقون نفاياتهم بعيدا أو إذا رموها فوق صخور الحقاف فسرعان ما تذهب مع الريح ولا يبقى منها شيء، لذلك يعتمد في دراسة الرسوم الصخرية على نمط الاشكال الآدمية والحيوانات [1]، ومع هذا قام الباحث (Mori) بدراسة الرسوم الصخرية في ليبيا شمال سلسلة تاسيلي ضمن منطقة اكاكوس (Acacus) الواقعة إلى الشرق قليلا من واحة غات، وقد أخضعت مخلفات

---

(1) من الصعب تحديد الفترة الزمنية للرسوم الصخرية، فبعض علماء الاثار الفرنسيين ومنهم (Boube) و (Joleaud) و (Kühn) يحددون تاريخ الرسوم الصخرية إلى فترة العصر الحجري الأعلى (الدور القفصي)، اما (Gsell) فقد قدر تاريخ هذه الرسوم (3000) ق.م، بينما الباحثون (Voufrey) و (Obermaier) و (Flamand) بأن فن الرسوم على الصخور معاصر للعصر الحجري الحديث:

Hugo Obermaier: (1931). Pp. 65-74 // Léonce Joleaud: (1911). Pp. 19-36 // Raymond Vaufrey: (1939). p. 42 // Christiane Boube-Piccot: (1969) // Georges-Barthélémy Médéric Flamand: (1914). Pp.433-458

الإنسان الذي عاش بتلك المناطق النائية لكاربون 14 لتحديد الفترة الزمنية للرسوم الصخرية، فوضع (Mori) خمسة أدوار لفنون الصحراء، بينما حدد الباحث (Lhote) [1] الذي درس الرسوم الصخرية في جبال تاسيلي أربعة أدوار لأنه دمج الدورين الأول والثاني ببعضهما.

لقد ركزت أبحاث الفن الصخري في شمال أفريقيا على التسلسل الزمني للرسوم الصخرية، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة أساليب أكثر دقة لدراسة الفن الصخري وتحديد زمنه، ويعتبر هذا الفن جزء من علم الاثار الذي عادة ما يوجد على وجه الصخور في العراء، وغالباً ما تمتع ذلك الفن باهتمام كبير، حيث يمكن الوصول إليه بسهولة سواء في شمال حيث جبال الاطلس أو في الصحراء، كما وان الفن الصخري الذي قصده الناس في الماضي وتم استنساخه أو وصفه طالته يد العابثين فضاع بشكل لا يمكن إصلاحه، وبالتالي فإن التنقيب الأثري أن وجد في مواقع الرسوم يعتبر أمر أساسي لبناء قصة ثقافية لهذا الفن، كما توجد علاقة ثقافية بين التقاليد الحالية وتلك وجدت قبل آلاف السنين، كما إن اتساع منطقة شمال أفريقيا، وتنوع التقاليد الفنية فيه، وعمق التاريخ القديم أدت إلى تنوع الأساليب التي استخدمت لدراسة تاريخ الفنون الصخرية في أجزاء أخرى من شمال أفريقيا، ولذا قسمت هذه الأدوار إلى الخمسة تمثل فنون الصحراء وهي:

الدور الأول ـ فن الصيادين :

دور الحيوانات الوحشية الضخمة أو البابولوس (Papolos) (وهو جاموس افريقي منقرض) وهو في معظمه نقوش منحوتة على الصخر، وقد امتد هذا الدور زمنا طويلا، وعاشت فيه أقوام مختلفة، ولا نملك حفريات عن هذا الدور، ولذا من الصعوبة تقدير الفترة الزمنية الذي استغرقها، وقد نسب أحيانا إلى ثقافة القناصة (الصيد) بسبب غياب تمثيل الحيوانات الداجنة وبصفة خاصة الأبقار المجمعة في قطعان كبيرة يقودها ويراقبها الرعاة، وبالنسبة لهذه الحالة لابد من مشاركة الباحث (Lhote) في الرأي بضرورة تفادي التنسيب إلى خلفيات ثقافية لم تؤيدها بعد وثائق التنقيبات اللازمة [2]، على العموم يتفق الباحثين بان الفن الصخري الكثير منه من انتاج أقوام بيضاء (مرحلة الصيادين) [3] وتمثلهم الرسومات وهم يلبسون ساتر

(1) هنري لوت: (1967)، ص24-25

(2) فابريسيو موري: (1988)، ص43

(3) يعتقد الباحث (Lhote) بان رسومات وادي غات (هناك مدينة غات التي يسكنها الطوارق وهي واحة ليبية قريبة من الحدود الجزائرية ضمن جبال التاسيلي وكان لها دور كبير في التجارة الصحراوية) وما موجود في جنوب وهران (الاطلس الصحراوي) لا يوجد بها جنس زنجي كلهم من الجنس الأبيض، ومع هذا هناك رسوم من انتاج أقوام زنجية، وهذا ما أكده الباحث (Chamla) حول الهياكل العظمية فقد تبين بان (41%) من عينات الجماجم التي درسها كانت خالية من الصفات الزنجية، وانما=

العورة ويضعون الريشة على رؤوسهم وكان سلاحهم القوس والرمح والدرع[1].

على أية حال تركزت المناقشات حول الفن الصخري في شمال أفريقيا بين مؤيدي التسلسل الزمني الطويل مقابل الفترة الزمنية القصيرة، وليس من الغريب أن خصصت مساحة صغيرة لفهم جذور الفن الصخري في شمال أفريقيا، على الرغم من أن بعض المؤلفين قد أكدوا بان أصول ذلك الفن أما إلى جنوب غرب أوروبا (حيث حدد الفن الصخري إلى العصر الحجري القديم الأعلى ودرس في اوربا بشكل جيد) أو تقاليد جنوب غرب آسيا (نظرا للترابط بين مصر والشرق الأدنى القديم منذ زمن طويل) [2]، حتى في غياب دليل قاطع لوجود علاقات بين تلك المناطق وشمال افريقيا لدعم تلك الاقتراحات.

عندما أجريت الأبحاث الحديثة في موقع قرتا (Qurta) (في مصر) حول لوحات الرسوم المحفورة ويرجع تاريخها إلى العصر البليستوسين المتأخر (Pleistocene) [3] أي قبل (15000) سنة على الأقل (الشكل 57)، اقترح في وقتها الباحث (Huyge) على وجود علاقات محتملة مع آثار أواخر العصر الحجري القديم، ويقدر عمرها الحقيقي أقرب إلى (17000-19000) سنة مضت، والمعروف ان قرتا ليست موقعا معزولا، فهناك مواقع أخرى نجد فيها تقاليد فنية مشابه لرسوم قرتا، وتظهر بدورها تشابه من حيث الأسلوب مع تقاليد الفن في جنوب غرب أوروبا، ولا سيما فن المجدالين (Magdalenian) المتأخر[4]، وهناك مواقع أخرى تضم فنون صخرية تعود لعصر البليستوسين

=تعود للإنسان المتوسطي في الصحراء الوسطى، وأن رجال الطوارق الحاليين ينحدرون من الأصل المتوسطي، فهم طوال القامة، ذوي رؤوس مستطيلة، و وجه نحيف، أما الانف فهو مستقيم، واطرافهم طويلة :

Marie-Claude Chamla: (1968). Pp. 200-202

(1) Alexander Robert Wilcox: (1984). p. 44

(2) Philip E. Smith: (1968). Pp.1–39// Jan Jelinek: (2004)

(3) دام عصر البيلستوسين فترة طويلة يمتد (3) مليون سنة مضت، وينقسم إلى الأسفل والأوسط والأعلى.

(4) نقوش صخرية المجدالين (Magdalenian) تشير إلى الثقافة الأخيرة من العصر الحجري القديم الأعلى في غرب اوربا ويؤرخ إلى (17000 إلى 12000) سنة مضت، اكتشفت الرسوم في عام (1875) والرسوم من عمل الصيادين، وبعض الرسوم تمثل صيد الدب الأحمر والخيول وحيوانات برية متوحشة في أواخر العصر الجليدي الأخير (ورم) ومواقع المجدالين تنتشر من البرتغال وإلى غرب بولندا :

Dirk Huyge, Dimitri A.G Vandenberghe, Morgan De Dapper, Florias Mees, Wouter Claes, and John C. Darnell: (2011). p. 1190

المتأخرة، ولو انها لم تؤرخ بشكل جيد، كما هو في بعض رسوم منطقة فزان وقورينا ي (Cyrenaica) في ليبيا (1)، وكذلك في سيناء بمصر (2).

أما فكرة تقاليد الفنون الصخرية لمنطقة البحر المتوسط في عصر البليستوسين فهي ليست جديدة (3)، ربما تظهر أدلة من شمال وشرق إفريقيا تعيد الحياة لتلك الفكرة، فهناك اعتقاد بأن الفن الصخري في فترة أواخر عصر البليستوسين يمثل دليلاً على وجود تبادل ثقافي بين مجتمعات شمال أفريقيا في ذلك الوقت، وهذا التبادل سببه حدوث تغير في البيئية أدت إلى ظهور تقاليد الفنون الصخرية الأفريقية التي انتشرت إلى مناطق أخرى مشابه بيئياً، وإذا كانت تلك الظروف الشديدة الجفاف خلال أواخر العصر البليستوسين لا تساعد على الاستيطان البشري في منطقة الصحراء الكبرى لغاية عودة نشاط الرياح الموسمية الصيفية حوالي (10000) ق.م التي تؤثر على مناطق السافانا، ولكنها في نفس الوقت لا تؤثر تلك الرياح على مناطق أخرى من شمال إفريقيا، مثل المغرب العربي وساحل البحر المتوسط، وصولاً إلى وادي النيل (4) ، لقد سمحت ظروف البيئية بالاستيطان البشري خلال أواخر عصر البليستوسين، وقد تم توثيق وجود أدلة على التبادل الثقافي بين جنوب غرب أوروبا وشمال غرب أفريقيا حتى نهاية العصر البليستوسين(5).

إن الاشكال الطبيعية لأنواع الثيران من موقع قرتا (مصر) هي قديمة جدا تختلف عن نقوش أوائل عصر الهولوسين (Holocene) في منطقتي الصحراء وشمال إفريقيا، ومع ذلك اقترح العديد من المؤلفين وجود تقاليد الفن الصخري قبل العصر الحجري الحديث الذي يعود إما إلى أواخر عصر البليستوسين أو أوائل الهولوسين، على أساس وجود الموضوعات الفنية المشتركة، واستخدام الألوان في الرسوم الصخرية، هذه التقاليد الفنية الصخرية معروفة عموما باسم (الحيوانات البرية) وقد تم التعرف على اشكالها المنقوشة على الصخور (6).

---

(1) Umberto Paradisi: (1965). Pp. 95–101// Fabrizio Mori: (1974). Pp.87–92

(2) András Zboray: (2012). 57–60

(3) Paolo Grazioso: (1966). Pp. 265–271

(4) Mauro Cremaschi, Andrea Zerboni, Anna Maria Mercuri, Linda Olmi, Stefano Biagetti, and Savino di Lernia: (2014). Pp. 36–60// Peter B. de Menocal, and Jessica Tierney: (2012). p. 12

(5) Lawrence Barham and Peter Mitchell: (2008). p. 266

(6) Ginette Aumassip: (1993) // Fabrizio Mori: (1965b)



الشكل 57: نقوش في قرتا في مصر، تؤرخ إلى (15000) سنة، هذه الأعمال الفنية تمثل أقدم فن صخري مؤرخ في شمال إفريقيا.

أن عدم استقرار البيئة في نهاية العصر الجليدي الاخير قد أدى إلى مخاطر اجتماعية، مثل زيادة حركة انتقال السكان، أو استيطان المهاجرين في بيئات أخرى غير معروفة سابقا لهم، ومن المحتمل امتد الاستيطان البشري إلى الصحراء في بداية عصر الهولوسين من قبل مجموعات صغيرة من الصيادين التي هاجرت جنوبا من المناطق الشمالية للقارة الأفريقية [1]، ومع هذا هناك ندرة في الأعمال الفنية في المناطق الساحلية من شمال أفريقيا وفي الصحراء تحد من قدرتنا على إقامة روابط ثقافية للرسوم الصخرية في تلك المناطق، ويلاحظ وجود رسوم صخرية بكثرة في الصحراء من أوائل عصر الهولوسين فصاعداً يمكن أن تكون مرتبطة أيضا باحتياجات المهاجرين الجدد في العصر الحجري الحديث لتمييز المساحات الشاسعة وما تضم من موارد نباتية وحيوانية.

باختصار، من المحتمل أن الظروف البيئية بعد العصر الجليدي الأخير أدت إلى زيادة الهجرة بين صيادي أواخر عصر البليستوسين، مما سهل الاتصالات بين الأقاليم، وانعكست هذه الظواهر على المهاجرين الصيادين فأثرت على تقاليد الفن الصخري المشترك بين شمال افريقيا والصحراء، فعلى سبيل المثال لم يتم عزل الثور المحفور في موقع قرتا، والذي يعود تاريخه إلى أكثر من(15000) سنة مضت عن مواقع أخرى تضم

(1) Emanuele Cancellieri and Savino di Lernia: (2014). Pp.43–62

نفس سمات الثور، ويمكن اعتبار نقوش كهف الطيرة (Kaf Tahr) في جبل أكدار (Akdar) في برقة (ليبيا) هي تعبير عن تقاليد أواخر عصر البليستوسين، ومع ذلك، فمع ندرة الاثار يصعب ايجاد علاقات محتملة بين الناس الذين استوطنوا مناطق مختلفة من شمال أفريقيا.

الدور الثاني - فنون ذوي الرؤوس المستديرة (Round-Heads)

بالنسبة لمرحلة ذوي الرؤوس المستديرة فقد مثلتها مجموعة من الشعوب سكنت منطقة تاسيلي في فترة ما قبل التاريخ، وغالبا هذه الشعوب هي ذات أصول مختلفة، أما هذا الاسم الذي أصبحنا نعرفهم به فهو يعود إلى الشكل الفني الذي استخدموه في رسمهم للشخصيات الإنسانية حيث تبدو برأس دائري، وأول من أشار إلى هذه التسمية هو القس (l'abbé brueil) وقال عن هذه المشاهد أنها تمثل شعوب البقريات (الماشية) برأس في شكل قرص (tète discoïde)، لكن الباحث (Lhote) هو من سماهم باسم الرؤوس المستديرة ويعرفهم بأنهم يمثلون الأشخاص برأس دائري [1].

وفقا لمراجعة حديثة للباحث (Le Quellec) [2]، فإن أقدم فن صخري في شمال أفريقيا يأتي من إفري نعمار (Ifri n'Ammar) في المغرب [3]، ويمثل رسوم على شكل خطوط باللون الاحمر، وتغطيه رواسب الإيبرو- مورية (Ibero-maurusian) [4] ويؤرخ ما بين الألف الثالث عشرة وإلى الالف العاشر ق.م، كما عثرت خلال الحفريات على أجزاء من قوقعة سلحفاة تحتوي على آثار صبغة، وعلى الرغم من كون الباتنا (Patina) (الحز) شديد العمق، فإن الأدلة الواردة من إفري نعمار إلى جانب نقش قرتا (Qurta) في مصر لا نجد فيهما وجود لمجموعة الصيادين (hunter-collecters) (بمعنى مجموعات بشرية بدون رسوم رمزية جدارية) في أواخر العصر البليستوسين وأوائل عصر الهولوسين من شمال أفريقيا [5]، وفي الواقع الأمور غير مفهومة من الناحية التاريخية تماما، فقبل (50) عاما

---

(1) Henri Lhote: (1984) .Pp. 83-89

(2) Jean-Loic Le Quellec: (2014). p. 158

(3) تقع مغارة إفري نعمار في تراب جماعة أفسو (حوالي 50 كلم جنوب الناظور) وهي من المواقع الاثرية التي لها قيمة تاريخية وثقافية كبيرة، فاقدم تاريخ لهذا الموقع (110) الف عام، عثر في المغارة على اصداف استعملت كحلي، وعثر على ما يشابهها في موقع (صخول) بفلسطين وفي (واد جبانة) بالجزائر و (تافوغالت) أو (تفورالت) (Taforalt) شرق المغرب، اما الاشكال الرمزية في المغارة فيعتقد انها ترتبط بالإنسان الحديث الذي استوطن اوربا منذ (40) الف سنة .

(4) صناعة الإيبرو-مورية (Ibero-maurusian) عثر عليها في سواحل المتوسطية للمغرب والجزائر وتونس وفي موقع هوا فطيح بليبيا، وتعرف أحيانا بالصناعة الوهرانية وظهرت في العصر الجليدي الأخير ما بين (25000 وحتى 22500) ق.م، واستمرت حتى أوائل عصر الهولوسين (11000) ق.م.

(5) Alfred Muzzolini: (1995). p. 406

علق الباحث (Smith) [1] إلى وجود (فن مبكر جداً في شمال أفريقيا) يختلف عن الفن الجداري المعروف لدينا، ومع ذلك، فقد افترض العديد من الباحثين بالفعل وجود لوحات من عصر وأوائل الهولوسين، تمثل في ما يسمى ذوي الرؤوس المستديرة، التي ارتبطت بمجموعات البحث عن القوت، وتتميز بالأعمال الفنية الرائعة والمذهلة تمثل شخصيات مجسمة بدون ملامح وجه (عيون، أنف، فم، وما إلى ذلك): كما أن تميز السمات الجنسية (ذكر أم انثى) نادرة للغاية، مما دفع بعض المؤلفين إلى التكهن حول وجود نوع من التحريم الثقافي تمنع رسم الملامح الجسدية للشخوص ذكر أم أنثى [2]، وهذه الأشكال تظهر في عدة مواقع في الصحراء مع وجود اختلافات في الأسلوب، فهناك تباين واضح في أشكال الرؤوس منها (المستطيلة) واشكال رؤوس مستديرة عثر عليها في الصحراء الشرقية [3]، وقد صفت الدراسات المبكرة للرسوم الصخرية بان لوحات ذوي الرؤوس المستديرة هو أسلوب ثقافي مستقل ولهذا كانت موضوعا لعدد كبير من البحوث الثقافية، ولاحظ بعض الباحثين وجود عدد قليل جدا من صور الماشية الاليفة [4]، واعتبرت لوحات ذوي الرؤوس المستديرة هي إنتاج فني أو (مدرسة) للفنون، وان نقوش هذه المجموعات الرعوية المبكرة تؤرخ إلى نهاية الألفية السادسة ق.م [5] ومع ذلك، توحي الأبحاث الحديثة التي أجريت في جبال اكاكوس (Acacus) بأن هناك علاقة مع نظائرها ما بين مجموعات لوحات الأكاكوس المتأخرة ولوحات عصر هولوسين (Holocene)، وتشير لوحات وذوي الرؤوس المستديرة في جبال تادرارت اكاكوس (Tadrart Acacus) وحسب تواريخ (OSL)بين الرواسب لبعض المواقع جبال تاسيلي- ازجر في الجزائر إلى تأريخ لوحات ذوي الرؤوس المستديرة بين (10000-9000)عام مضت [6] .

---

(1) Philip E. L Smith: (1968). p.12
(2) Savino di Lernia: (2017). p. 14
(3) András Zboray: (2005)
(4) François Soleihavoup: (2007). Pp.157–158
(5) Jean-Loic Le Quellec: (2013). Pp.19–20
(6) Norbert Mercier , Jean-Loïc Le Quellec, Malika Hachid , Safia Agsous , and Michel Grenet:” (2012). Pp.367–373





شكل 58: موقع كهف إفري نعمار في ولاية الناظور في المملكة المغربية (اليمين)، البعثة الألمانية–المغربية التي قامت بالتنقيبات الاثرية في كهف إفري نعمار(اليسار)

على العموم اختلف الباحثون في تحديد الإطار الزمني لمرحلة الرؤوس المستديرة، ويمكن تقسيم آرائهم إلى ثلاثة أقسام:

1- **الإطار الزمني الطويل:** حدد الباحث موري (Mori) [1] مرحلة الرؤوس المستديرة بين (8000 و4500) ق.م وإنها أقدم الرسوم التي تعود إلى عصر البليستوسين، وقد تبنى هذا التصنيف أيضا كل من الباحث (Mtauveron) والباحثة (Ginette Aumassip) [2] واما الباحثة الإيطالية (Lapacciolu) حيث اعتبرت أن أقدم النقوش والرسوم في الاكاكوس تعود إلى عصر البليستوسين الأعلى بين (38) ألف و (18) ألف سنة مضت [3]، أما الباحث (Anati) فقد حصرها بين (7000 و5000) ق.م [4].

2- **إطار زمني متوسط:** حدد الباحث (Lhote) مرحلة الرؤوس المستديرة بين (5500 و4000) ق.م [5].

3- **إطار زمني قصير:** أما الباحث (muzzolini) فقد وضع هذه المرحلة بين (4000 و1000) ق.م بحيث يستمر تواجد شعوب الرؤوس المستديرة إلى

---

(1) مرحلة الرؤوس المستديرة تتضمن الرسوم والنقوش بالنسبة للباحث (Mori) وجميع الباحثين المتأثرين بآرائه.

(2) Ginette Aumassip : (1993). p.4

(3) بن بو زيد لخضر: (2018)، ص100

(4) Emmanuel Anati: (1999)

(5) Henri Lhote: (1984). Pp. 257-259

ما بعد المرحلة الرطبة التي حدثت في أواسط عصر الهلوسين، وفي مقال حديث له حدد هذه المرحلة بين (9000 و6000) ق.م[1].

على عكس مسألة التحديد الزمني، قام الباحثون بالتحقيق في مواضيع مثل توزيع الاجناس، وأساليب التقنية في الرسوم وتطور الأسلوب، والرموز البشرية وعلاقتها مع الحيوانات، بالإضافة إلى التوزيع الجغرافي والمناظر الطبيعية، ولكن على الرغم من الحجم الكبير والتنوع في البحوث التي تتناول لوحات ذوي الرؤوس المستديرة، إلا أن المرء ما زال يشعر بخيبة أمل في النتائج فالكثير من هذه الصور لا تزال غير مفهومة [2] ، مع هذا يمكن القول بأنهم من العناصر الزنجية [3]، وقد استخدموا الألوان في رسومهم، وامتازت لوحاتهم بانها أكثر تطورا وتعبيرا في رسم الأشكال الحيوانية والبشرية ومناظر الاحتفالات الدينية، وانتهى هذا الدور قبل ستة آلاف سنة ق.م، وقد قسم إلى مرحلتين:

مرحلة البداية: تمثلها رسوم خطوطها بلون واحد فقط، ثم بلون واحد ملأ كل الرسم وغالبا الأصفر أو الأخضر، أو الاحمر بعد ذلك.

مرحلة النهاية: وتمثلها رسوم مركبة الألوان، ويمثل فيها اجناسا من المتزنجين، وقدد حدد لها الباحث (Mori) تاريخا (8072 ± 100) ق.م [4].

---

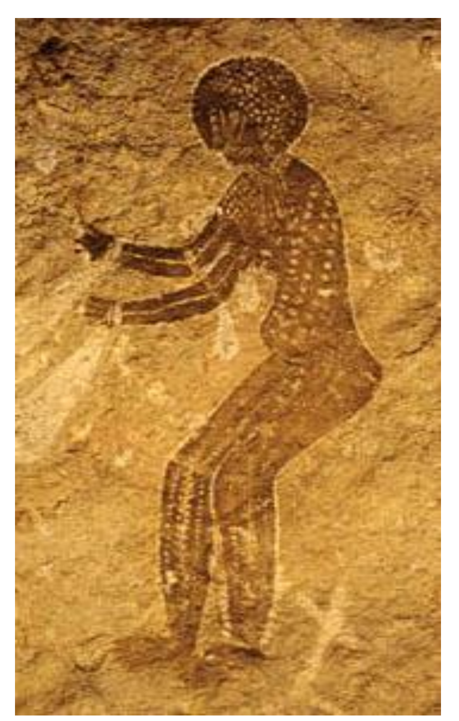
(1) Alfred Muzzolini: (2004). Pp. 23-24.

(2) Savino di Lernia: (1999). Pp. 39–48

(3) ان تسمية (الرؤوس المستديرة) (وهم من الاقوام الزنجية) التي ادخل هذا المصطلح أول مرة الباحث (Breuil) واستعملها من بعد الباحث (Lhote) لتحديد الدور الثقافي لفنون الصحراء:

Abbé Henri Breuil: (1954). Pp. 65-219

(4) صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص178





شكل 59: رسوم صخرية من فن ذوي الرؤوس المستديرة من منطقة تامريت[(1)] في جبال تاسيلي-ازجر بالجزائر، ويلاحظ الرأس مستدير، وعدم وجود ما يدل على جنس الاشخاص ذكر أم انثى

الدور الثالث الماشية، وفن الرعاة :

أطلق عليه (الدور الرعوي) (Pastor) استمد اسمه من بزوغ هذه المرحلة المحددة باستئناس الحيوان، وظهرت رسوم تعد بالمئات تمثل قطعان البقر التي يحرسها الرعاة، وهذا يدل على ظهور معطيات جديدة، فقد تغير النظام الاجتماعي وتغير أسلوب ومحتوى الرسوم، فقد اختفت الرسوم ذات الشكل البشري والطابع الأسطوري، وحلت محلها رسوم ذات مواضيع جديدة مثل تربية الماشية والتنقل عليها وحلب البقر والأنشطة المتنوعة للحياة القبلية[(2)]، فهناك الكثير من رسوم في شمال افريقيا تصور الماشية المحلية، أطلق عليها الباحث (Mori) تسمية (Pastorale) بمعنى (مجتمعات

---

(1) منطقة تامريت (Tamrit) :هي منطقة جبلية شديدة التعرية في جبال تاسيلي أطلق عليها الباحث (هنري لوت) غابة الحجارة (foret de Pierre)، وتقع إلى الشرق من (جانت)، وتقسم إلى تامريت العليا وتامريت السفلى: بن بو زيد لخضر: (2018)، ص 147

(2) Fabrizio Mori: (1965a). p. 38

الرعوية) وتنطبق التسمية على المجموعات الرعوية المنتجة للغذاء [1]، ويضم مصطلح (الرعوية) مجموعة متنوعة من المعاني، لذا فهو تصنيف شامل للغاية وعام ولا يمكن تطبيقه بشكل عشوائي على أي منطقة في شمال إفريقيا، فهناك تباين فني في معظم أنحاء شمال أفريقيا، ومع هذا فإن الاشكال تركز بشكل مكثف على الماشية الواسعة الانتشار ولها جذور ثقافية، فعلى سبيل المثال، ما يسمى رعاة تين-لالان (Ti-n-Lalan) في جبال أكاكوس في ليبيا يختلفون عن أولئك الرعاة الذين يعيشون في أبو نوره (Abo Niora) في الجزائر، بينما كلاهما من الرعاة على سبيل المثال، إلهة النصر فكتوريا (Victory) المجنحة (أو نايكي Nike) في مدينة ساموثريس (Samothrace) (جزيرة يونانية في شمال بحر ايجة) تختلف عن إلهة اغلاطيا المحتضرة (Dying Galatian) (إقليم اغلاطيا في تركيا الحالية) بينما كلاهما يحمل تسمية الهلنستية كونترا (Contra) [2] .

فمن الناحية الأثرية، ما زالت الدراسات مستمرة من أجل تقسيمات داخلية دقيقة للثقافات الرعوية، وتعتبر منطقتي أكاكوس، وميسك (Messak) في جنوب غرب ليبيا ومنطقة نبتة (Nabta) بجنوب مصر (تقع جنوب القاهرة على بعد 800 كلم، وعن معبد أبو سمبل 100 كلم) من بين أكثر المناطق التي درست في شمال أفريقيا، ومع ذلك، فأن تقسيم المجموعات الرعوية في العصر الحجري الحديث من المحتمل انها تشمل زمنيا بضعة قرون ولكنها في الحقيقة تفوق الالف سنة.

على اية حال فأن مصطلح (مجموعات الرعوية) تسمية غير دقيقة والأرجح هي أسلوب (ثقافي تاريخي) [3] ومن الافضل بحكم تجربة الباحثين يجب بذل المزيد من الجهود لفهم الاختلاف الإقليمي في الفن الرعوي بشكل أفضل، وخاصة في الرسوم الصخرية الصحراوية باستخدام عدد من الأساليب: ليس فقط طريقة أسلوب الفن ولكن أيضا الجمع بين السمات المادية للمواضيع البشرية وبين المكتشفات الاثرية، وتشابه الاجناس البشرية من وجهة نظر أثرية وثقافية [4]، ومع ذلك، لا تزال هناك عدة تساؤلات حول الفن الصخري الرعوي التي يتعين حلها، فعلى وجه الخصوص، لا تزال أصول الفن نفسه غير معروفة: هل هي محلية، أم أنها أتت من أماكن أبعد؟ كيف انتشرت الاساليب الفنية الرعوية في شمال افريقيا؟ كيف يرتبط الفن المصري بالفن الصحراوي؟

---

(1) Fabrizio Mori: (1965b)

(2) Alfred Muzzolini: (2001).Pp. 610

(3) David S. Whitley: (2011). p.72

(4) Savino di Lernia and Marina Gallinari: (2010). Pp. 954–975 // Jean-Loïc Le Quellec: (2013). Pp.19–20

لقد خصص الكثير من النقاش لفهم عصر الفن الراعوي الذي كان يعتقد أنه يتساوى مع تطورات مهنة الرعي في العصر الحجري الحديث، ومع ذلك، فإن العلاقات المفترضة بين الفن الرعوي والجماعات الرعوية لا تزال غير مؤكدة، باستثناء حالات قليلة للغاية، وأيضا هناك نقص في المعلومات بين الفن الرعوي وعلم الآثار، فعلى سبيل المثال، ليس من قبيل الصدفة، فإن ثقافة الفن الرعوي ينتهي مع وصول الحصان، والذي بدوره، يتوقف مع قدوم الجمل العربي في الواقع هناك تداخلات، والخلط عبر مناطق شمال افريقيا والتقاليد العريقة تجعل الصورة معقدة جدا، وكمثال نموذجي لهذا التعقيد فأن أصول الفن الرعوي بلا شك يؤكد بأنه (لا يوجد فن صخري رعوي قبل وصول الحيوانات الأليفة) [1]، ولكن ربما كانت هناك شعوب رعوية منذ فترة مبكرة لم يكن لديها فن صخري، ومن المثير للدهشة أن أولئك الذين أيدوا وجود الصيادين من أوائل عصر الهولوسين (Holocene) ومجموعات الصيادين لا يمكن مقارنتها بالمجموعات الرعوية المبكرة، ولكنهم حاولوا مساواة مع وجود أوائل المجموعات التي دجنت الحيوانات في وقت مبكر مع ظهور أوائل الفن الصخري الرعوي [2]، وبطريقة أخرى عبر عنها الباحث (Obermaier) (بدأ الفن الرعوي الأول بوصول أول ماشية محلية، ومن ثم ينبغي أن تكون مدة إنتاج الفن الرعوي متوافقة بشكل وثيق مع الأدلة الأثرية لوجود تلك الجماعات الرعوية، والتي ربما استمرت حوالي خمسة آلاف عام، على الرغم من عدم التوصل إلى اتفاق بشأن تاريخها المبكر) [3].

اقترح الباحث (Le Quellec) بخصوص رسوم الابقار بقوله: (لا يوجد أي مكان في وسط الصحراء الكبرى رسوم ابقار المستأنسة قبل الألف الخامسة ق.م) [4]، أن هذا الاقتراح غير صائب فالأدلة الاثرية من تادرارت اكاكوس (Tadrart Acacus) والمناطق المحيطة بها في ليبيا، توجد رسوم الأبقار ونوع من الأغنام والماعز في موقع تاكاركوري (Takarkori) وكذلك في موقع وان موهجاج (Uan Muhuggiag) [5]، وتؤرخ تلك الرسوم إلى (6450 إلى 6250) ق.م، ومع ذلك، لا يعني هذا هو التاريخ المبكر لرسوم الماشية المحلية وليس بالضرورة ان يكون التاريخ المبكر للفن الصخري، من المحتمل أن الأبقار المحلية والأغنام / الماعز دخلت شمال أفريقيا من خلال ممرات متعددة من الشرق، بما في ذلك الطريق البحري المؤدي إلى المنطقة المغاربية، وذلك في حوالي منتصف الألفية السابعة ق.م، وإذا نظرنا إلى الفن الصخري في جنوب غرب آسيا، فلابد وان تكون هناك

(1) Ibid: Pp. 19-20
(2) Alfred Muzzolini: (2001). p. 610
(3) Hugo Obermaier: (1931). Pp. 65-74
(4) Stefano Biagetti and Savino di Lernia: (2013). Pp. 305-338
(5) Savino di Lernia: (2013). Pp. 527-540

علاقات ثقافية أدت إلى انتقال التقاليد الفنية المختلفة الموجودة في الشرق الأدنى إلى شمال افريقيا، ومع ذلك، فإن الأبحاث في الشرق الأدنى التي تتناول الرسوم الصخرية كانت ولا تزال غير منظمة، وحتى تحديد الناحية الزمنية هي الأخرى نادرة ولم تبحث بشكل جيد [1].

أن الإنتاج الفني عبر شمال إفريقيا (على الأقل في المناطق الساحلية وفي وادي النيل) كان موجودا منذ العصر البليستوسين المتأخر، فمن المحتمل أيضا أن العلاقات الثقافية بين مجموعات الصيد وجمع القوت والرعاة الأوائل قد أثرت على التقاليد الفنية خلال الفترة أوائل عصر الهولوسين، كما يوجد تفاعل بين ذوي الرؤوس المستديرة وأصحاب الفن الرعوي وتظهر في الرسوم وبشكل خاص في مواقع وادي عفار (Afar) [2] أو دوبدوبي (Ti-Dobdobé) في جبال تادرارت أكاكوس في ليبيا، وتعتبر دليلاً فنيا على عمليات التبادل الثقافي المعقدة [3].



شكل 60: بقرة من فن الرعي من موقع تي-دوبدوبي في جبال اكاكوس

---

(1) Alison V. Betts: (2001). Pp. 786-823
(2) Jean-Loïc Le Quellec: (2013). p. 16
(3) Savino di Lernia: (2012). p. 34

قدم الفن الصخري الرعوي مجموعة رائعة من الأدلة حول المجتمعات المنتجة للغذاء ومنذ وقت مبكر، وقد أبرزت العديد من الدراسات جوانب من هذا التقليد الفني، مثل الأنشطة المنزلية اليومية، وأشكال رمزية، ورسوم رجال وإناث، وما إلى ذلك، ومن الصعب تفسير تطور الفن الصخري الرعوي عبر آلاف السنين وعلى جزء كبير من شمال أفريقيا، ولكن الصعوبة تكمن في فهم العلاقات بين الأساليب المحلية وما افرزته الجوانب الأثرية المحلية، ولهذا البحوث في دول شمال افريقيا غير متساوية، وينطبق هذا على العديد من المناطق، كما أن التنقيبات الأثرية محدودة جدا، وقد تركزت معظم الأبحاث في المناطق الوسطى من الصحراء الكبرى، بينما تعتبر مناطق الشمال الغربي من شمال أفريقيا ذات أهمية كبيرة وبنفس القدر، وعلى الرغم من أن المرتفعات الشمالية من الصحراء الغربية، والمغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا هي أقل بحوثا اثرية مع بعض الاستثناءات) [1] ولهذا مازالت هناك حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة في مناطق الصحراء الشرقية في مصر فهي الأخرى البحوث عنها ضعيفة ولا تفي بالغرض العلمي الدقيق [2].

أن الأشخاص المرسومين في هذا الفن ليسوا بملامح زنجية ففي هضبة الأكاكوس لونت بشرتهم باللون الأصفر أو الوردي الفاتح وتركت شعورهم بيضاء [3]، ويعتقد انهم مجموعة (التمحو) ذات البشرة البيضاء والشعر الأشقر وقد ربط هؤلاء الرعاة بمجموعة البحر المتوسط [4] وهذا يؤكد أن الرعاة من الاقوام المهاجرة أدخلت الحضارة الرعوية إلى شمال افريقيا، لان الضأن والماعز والبقر المربى لا توجد في القارة الافريقية انما عرفت في الشرق الأدنى القديم، وقد أكد الباحث (McBurney) ان الحيوانات المستأنسة في العصر الحجري الحديث ليست لها أصول بالمنطقة ولا يمكن ان تكون الأغنام والابقار قد تطورت من الحيوانات المتوحشة المحلية بأفريقيا الشمالية [5] ونستنتج أن الرعاة ما هم في الحقيقة إلا الجماعات البربرية الأولى التي أطلق عليها في الأول اسم (اللوبيون) تحولوا في مرحلة تالية من الصحراء إلى شمال افريقيا، وهذا واضح منذ الالف الرابعة ق.م بسبب حدة الجفاف المتزايد التي ذكرها الباحث (Mori) تلك التحولات التي بدأت ما بين (10) إلى (4) آلاف سنة الماضية حولت المنطقة إلى صحراء جافة مما جعل السكان يغادرونها .

(1) Jaâfar Ben Nasr: (2003). Pp.145–148
(2) Salima Ikram: (2009). Pp. 67-82// Heiko Riemer: (2009). Pp.31–46.
(3) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص105
(4) Fabrizio Mori: (1965a). p. 38
(5) محمد المختار العرباوي: (2002)، ص51

قسم الباحث (Mori) هذا الدور إلى ثلاثة أقسام أو مراحل: قديمة وجعل بدايتها ما بين الألف السادسة والألف الخامسة ق.م، ووسطى وحدد لها بداية الألف الخامسة ق.م، وحديثة وقد حدد لها منتصف الألف الخامسة ق.م، إلا أن فنون هذه الفترة بدأت تفقد طاقاتها الاستثنائية عندما استفحلت مظاهر الجفاف بالمنطقة وتدهورت تدريجيا إلى تخطيط مجمل بعد نوع من التعبير الرفيع الذي تجلت منه النزعات الطبيعية، وتلتقي آخر أعمال الإنتاج الرعوي بتلك الأعمال التي تنسب إلى دور الحصان الذي يشير في هذه المنطقة إلى فترة تاريخية أكيدة[1].

قام الباحث (Mori) بدراسة رسومات الدور الثالث المتعلق بالرعي في عدة مواقع أهمها (وان تلوكات) و (وان موهجاج) و (فوزيجارن) واحتوت ركام هذه المواقع على عناصر متنوعة من مخلفات الجماعات السابقة، ففي موقع (وان موهجاج) عثر على بقايا ماشية مستأنسة حدد تاريخها بالفترة ما بين (5500-4000) ق.م، وفي موقع (فوزيجارن) حدد تاريخ الرواسب العليا والسفلى (6000) ق.م، وفي موقع (وان تلوكات) حدد تاريخ الرواسب (4800) ق.م، ويعتبر (Mori) أن الألفية السادسة ق.م فاصلة بين عهدين: عهد الرؤوس المستديرة وعهد الرعاة، ويفترض أن الانقطاع في التسلسل بين فترة الرؤوس المستديرة والفترة الرعوية لم يكن قصيرا ولم يكن ثقافيا خارجا عن المجال، وبناء على هذا فإن ظهور الرعي في هذا الجزء من الصحراء يمكن أن يرد إلى منتصف الألف السادسة ق.م، ويرى (Mori) ان هذا الدور الحضاري أو الحلقة الثقافية تبدأ في الاختفاء حوالي الألف الرابعة ق.م حسب تحليل (Pollen) علم (اللقاح والأبواغ) [2] .

الدور الرابع ـ فن الخيل :

وهو الوقت الذي بدأت فيه صور الحصان تخالط غيرها من الرسوم والنقوش وحدد له منتصف الالف الثانية ق.م، ودخول هذا الحيوان إلى الرسوم الصخرية سواء كان منفصلا أو متصلا بعربة (Chariot)، رافق أسلوب الثنائي المثلث (Bi-Triangular) حيث يأخذ شكل الحصان والعربة بشكل مثلث، واستمرت آثاره حية حتى دور الجمل.

مع هذا هناك عدم اتفاق بين الباحثين حول الأسباب والآليات التي تؤدي إلى التغيير في الأساليب الفنية عبر الزمن، إذا كان الانتقال من البحث عن القوت إلى إنتاج القوت يؤدي حدوث تغييرات اجتماعية وثقافية داخل المجتمعات البشرية (لأن استراتيجية الحصول على القوت تؤثر على النظام الاجتماعي، والتنقل، والوصول إلى الأماكن والاقاليم، وطبيعة العلاقات بين الجنسين، والهياكل العمرية وما إلى ذلك)، وإذا كانت تلك التغيرات الاجتماعية

---

(1) فابريسيو موري: (1988)، ص 44
(2) محمد المختار العرباوي: (2002)، ص49

قد احدثت تغيرات في الفن الصخري، فسيكون من الصعب علينا تحديد التغييرات الفنية دون أن ترافقها حدوث تحولات اجتماعية جذرية، مثل البحث عن القوت إلى حرفة الرعي، ففي الصحراء الكبرى اعتبر تغير المناخ نحو الجفاف الشديد كدليل قوي على حدوث تغييرات اجتماعية وثقافية خلال عصر الهولوسين (Holocene) [1]، فظهرت اساليب جديدة في الفن مثل رسوم الحصان في شمال افريقيا والصحراء الكبرى، واطلق عليه (فن الخيل)، أن وصول هذا الحيوان المستأنس اعطى القوة للمجتمعات البدوية القديمة.

بعد عام (3900) ق.م، ساد الجفاف شمال أفريقيا، وأصبح الاتجاه قوي نحو السيطرة على الأقاليم واحتكارها لصالح الجماعات البدوية، كما شهدت الصحراء زيادة كبيرة في حركة انتقال السكان إلى الأقاليم الأقل جفافا، وأصبح الرحل اكثر انتشارا على مدار السنة كما وأصبح توفير الطعام يعتمد بشكل أكبر على الثروة الحيوانية، وخاصة الماعز، وذلك لندرة المواشي في منطقة الصحراء الكبرى في ذلك الوقت، انما اقتصر وجود الماشية في المناطق ذات الطبيعة الريفية في الجبال والواحات، ومن ثم زيادة الهجرات البشرية وحماية الأقاليم من قبل المجموعات البشرية أدى إلى نقص الموارد الطبيعية وبالتالي أثرت في المجتمعات، وقد قدمت التنقيبات الاثرية أدلة فيما يتعلق بتنظيم الاستيطان البشري والطقوس الجنائزية حيث ظهرت المدافن الأولى للشخصيات المتنفذة في المجتمعات البدوية، إن وجود النخب البدوية التي تمتهن حرفة الرعي خلال المرحلة الأخيرة من العصر الحجري الحديث يشير إلى تغيرات اجتماعية كبيرة ومنها ممارستهم تبادل السلع وربما التجارة داخل مناطق الصحراء الكبرى، ومن ثم توسعت لتشمل زيادة في الاتصالات بين شمال افريقيا الساحلية والمناطق المتوسطية الأخرى، وهذا بدوره حفز على نشر الأفكار والتقاليد بين المجاميع البشرية [2].

هذه الروابط الثقافية والاجتماعية الجديدة عرفت من خلال وجود بضائع غريبة غير متوفرة سابقا مثل الأحجار الكريمة والمعادن، كما تنوعت اساليب الدفن فأصبحت تشيد على شكل ملاجىء صخرية نجدها عبر شمال افريقيا [3]، ومن الطبيعي حدثت تغييرات ثقافية وابتكارات مهمة في الفن الصخري ايضا، مثل وجود رسوم أشار اليها بعض الباحثين بأنهم شخصيات مرموقة أو أرستقراطية مثل رعاة موقع تين - لالان في الصحراء الليبية الوسطى[4] ، وطبقا للباحث (Muzzolini) تظهر مدارس فنية في نقوش

(1) Jean-Loïc Le Quellec: (2013). p. 16
(2) Barbara Barich: (2014). Pp. 15–27.
(3) Augustin Holl: (2002)
(4) Benjamin Smith: (2000). Pp. 101-106

الخيول وفي اشكالها المختلفة ضمن مواقع مثل تازينة (Tazina) [1]، وتين عنيوين (Ti-n-Anneouin) في ليبيا، والاعمال الفنية تحت اسم إهيرن تاهيلاهي (Iheren-Tahilah) الذي ينتمي إلى مرحلة البقريات النهائية [2]، ونقشت أشكال الخيول بهيئة أشكال هندسية أحيانا كأن تكون رؤوس الحيوانات على شكل مثلث مع استخدام الألوان كالأحمر والأبيض ترافقها اشكال بشرية مسلحة تحارب على ما يبدو بالعصي الطويلة والرماح، وهناك اختلاف في تقاليد رسوم الخيل وخاصة في جنوب الصحراء، ويعتقد إنها تمثل ما يسمى بالمحاربين الليبيين [3] واسم (المحاربون الليبيون) لابد وانهم كونوا منزلة اجتماعية، ويمثل (المحاربين) رجال مسلحين بالرماح وجزء من أجسامهم مغطى بنوع من التجهيزات مثل شكل دائري رسم على الرأس، واحيانا يوضع ريش ثبت في شعر رأس المحارب.

أما التقاليد الفنية عند رعاة تين عنيوين(ليبيا) تبدو محصورة ضمن اقليمهم، بعكس أسلوب تازينة انتشرت على نطاق واسع من جبال أطلس الصحراوي بالجزائر وحتى الصحراء المغربية (تم تحديده بالمغرب أول مرة في موقع آيت وازيز (Ait Ouaziz)، ووادي نهر درعة Draa، وفي تازارين جنوب شرق إقليم ورزازات Ouarzazate) [4]، وهناك اشكال غريبة في أسلوب تازينة تمثل حيوانات مثل الظباء، والماعز، والابقار، أما التحديد الزمني فلايزال فيه إشكالية ومع ذلك، فإن الانتشار الواسع لهذا الفن التشكيلي إذا جاز لنا هذا التعبير يعتقد وجود تأثيرات واسعة النطاق وعلاقات اجتماعية تشمل شعوب رعوية تتميز بالقوة في أواخر العصر الحجري الحديث[5].

---

(1) نلاحظ انتشار أسلوب تازينة (Tazina) في النقوش الصخرية لوادي جرات، والذي يدل على التأثير الفني لمنطقة الأطلس الصحراوي، حيث قال الباحث (Huard) (إن هذا الفن متواجد في كامل أنحاء الصحراء سواء في شكل نقوش أو رسوم)، ومن جهة ثانية هناك تأثيرات حضارية قادمة من الصحراء يمكن ملاحظتها في منطقة تيارت، وأسلوب تازينة فني خاص بالنقوش يظهر في عدة اماكن من الأطلس الصحراوي حيث تكون قوائم الحيوان رقيقة وبشكل جميل، وأحجام الحيوانات متوسطة:

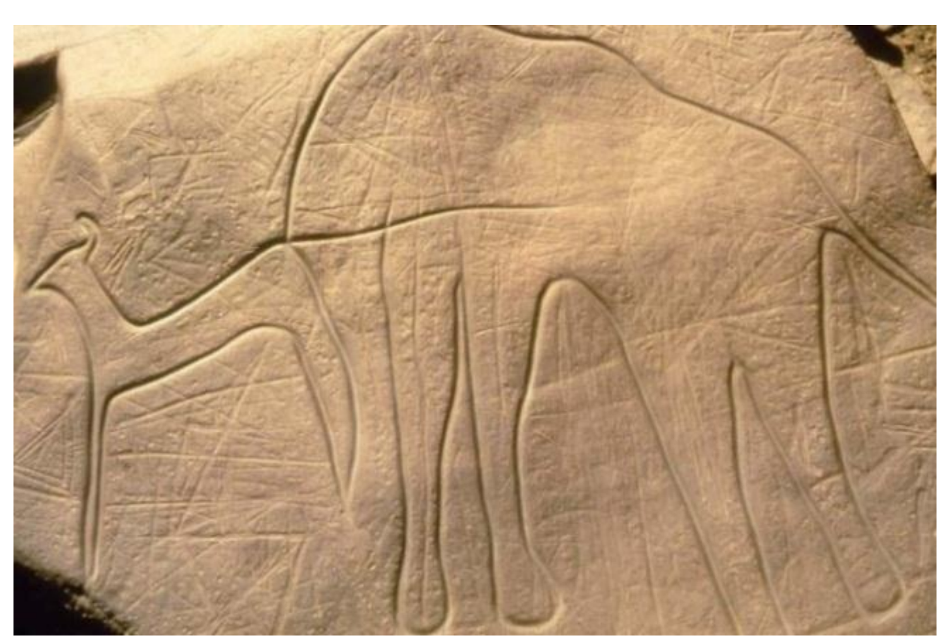
Malika Hachid: (1983). Pp.65-66

(2) بن بو زيد لخضر: (2018) ،ص110

(3) Anne C. Haour: (2003). Pp.181–234// Henri Lhote: (1972)

(4) Susan Searight: (2013). p. 37

(5) Savino di Lernia: (2017).p. 19



شكل 61: أسلوب تازينة نقش الحيوانات من موقع تازارين في جنوب شرق اقليم ورزازات في الصحراء المغربية

توجد دلائل أثرية لهذه الاتصالات تتمثل في العمارة الجنائزية والطقوس الجنائزية لفترة ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا ومع ذلك، هناك حاجة لمزيد من الأبحاث لإثبات هذه الاتصالات حتى يمكن ان نتوصل لفهم أوسع عن عمر اللوحات والنقوش بشكل عام ومنها نقوش الحصان، ومن الأدلة الأثرية التي تثبت متى دخل الحصان إلى شمال إفريقيا، وكذلك مقارنة الأسلحة في الفن الصخري أو التنقيبات الأثرية، ومع ذلك، لا يوجد اتفاق تام على تاريخ دخول الحصان في وقت مبكر إلى شمال أفريقيا لأن بقايا عظام تلك الخيول لا تزال بعيدة المنال عن التنقيبات الأثرية، وطبقا للباحث (Clutton-Brock) فقد دخل الحصان إلى شمال افريقيا عن طريق مصر منذ عهد الهكسوس حولي القرن السابع عشر ق.م [(1)]، ومع ذلك، فإن وتيرة الانتشار عبر شمال أفريقيا لا تزال غير مفهومة بشكل جيد، وتشير الأبحاث الجينية الحديثة التي أجريت على عظام بعض الخيول من المواقع الأثرية وجود اتصالات محتملة بين شمال أفريقيا وجنوب غرب أوروبا، ولكن ما زالت الفترة الزمنية غير مؤكدة [(2)].

هناك موضوع وجد طريقة في الفن الصخري في شمال أفريقيا، وهي نقوش العربة التي تجرها الخيول (العربة الطائرة) وقد تمت مناقشة المعنى

---

(1) Juliet Clutton-Brock: (1993). p. 65

(2) Jaime Lira , Anna Linder Holm , Carmen Olaria , Brandström Durling , Thomas P. Gilbert , Hans Ellegren , Eske Willerslev , Kerstin Lidén , Anders Götherström: (2010). Pp. 64-78

وتاريخها بشكل متكرر وقد استنتج بعض الباحثين من الأدلة الأثرية بأن أقدم حصان في شمال أفريقيا يرجع إلى حوالي منتصف الألف الثانية ق.م، ويبدو دخول الحصان رافقه دخول العربة أيضا إلى شمال افريقيا، ولكن هناك بعض الباحثين يرى رسوم العربات تعود إلى الالف الأولى ق.م ، ومع ذلك، تؤكد النقوش من فترة الأسرة الحادية عشرة وإلى التاسعة والعشرين في مصر وجود خيول وعربات بعجلات بين مجموعات من المفترض أنها نشأت في برقة (ليبيا) في وقت مبكر ما بين (1290-1070) ق.م، خلاصة القول، يضم فن الخيل عدة تقاليد فنية مختلفة بدأت في أواخر عصور ما قبل التاريخ وتستمر حتى العصور التاريخية، ولكن الامر يحتاج إلى إثبات نظري أو أثري.

الدور الخامس ـ الجمل، فن شعوب الصحراء :

بدأ الجمل يخالط النقوش والرسوم وقد حدد له بداية التاريخ الميلادي أو قبل ذلك بقليل، أما أساليب هذه الفترة فلا يمكن تحديدها تحديدا دقيقا، وترتبط دائما بالأشكال النحيفة، وتدل على الإهمال الكامل لكل الدوافع الخلاقة[1].

يعتبر ظهور النقوش، والرسوم، التي تصور الجمال هي مرحلة رئيسية أخرى للفن الصخري في شمال أفريقيا، واعتبر الباحثون الجمال دليل أثري للتعرف على بيئة عصور ما قبل التاريخ أو ما يعرف (فن ما قبل الجمل)، بالإضافة إلى أن (فن الجمل) المعروف يدرج ضمن الفترة التاريخية، ولعل الأدلة الأثرية من قصر إبريم (Qasr Ibrim) بالقرب من بحيرة ناصر (أسوان) في مصر[2]، هي المنطقة التي دخل الجمل من خلالها إلى شمال افريقيا حوالي (740) ق.م، بينما كانت الإبل معروفة في جنوب شرق شبه الجزيرة العربية منذ حوالي (1000) ق.م، وفي بلاد الشام حيث مملكة إبلا القديمة (Ebla) (تل مرديخ) وثقافتها آمورية، وقد تأسست إبلا في الالف الثالث ق.م، ومعنى أسم إبلا أو إيبلا من الإبل لان بعض أسماء المدن أخذت من أسماء الحيوانات (عجل = عجلون ...) وحرف الالف الأخير من الاسم إبلا مضافة معروفة باللغة السومرية التي تعتبر أقدم لغة مكتوبة ولهذا السومريين لا يقولون بابل انما بابيلا، واشنون اشنونا، كما أن الإبل معروفه منذ الالف الثالثة ق.م ومن ثم الجمل كان موجودا قبل الالف الأول ق.م والذي

---

(1) يمكن مراجعة الأدوار السابقة في كتاب (Mori) مع وصف للرسوم الصخرية في منطقة تادرارت اكاكوس: فابريسيو موري: (1988)، ص44 // هنري لوت: (1967)، ص 24-25// صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص 178

Fabrizio Mori: (1968). Pp. 31-39

(2) موقع مدينة قصر ابريم (Qasr Ibrim) الاثري في نوبا السفلى في مصر على جرف نهر النيل، وكان الاسم معروف منذ العصور القديمة من القرن الثامن ق.م وحتى (1813) م، وكانت المدينة مركز اقتصادي وديني وسياسي، لكن فيضان بحيرة ناصر بعد انتهاء بناء السد العالي في اسوان حولها إلى جزيرة واغرق ضواحيها، واعتبر قصر إبريم هو الموقع الاثري الوحيد في النوبة السفلى.

أطلق عليه في حينها جمالو (Gammalu) (حمار الصحراء) كما في نصوص تجلاتبليزر الأول (1115-1074) ق.م، وأسم الإبل ليس اسما عدنانيا لأنه لا يتصرف وليس له مفرد [1]، على اية حال الباحث (Mario Liverani) يقترح بان الجمل عرف أقدم من الالف الثالث ق.م [2].

وبالتالي، يمكن وضع تاريخ لدخول الإبل إلى شمال افريقيا في منتصف الالف الأولى ق.م، على الرغم من أن من الواضح تغيرات محلية واضحة، من وجهة نظر اسلوب، يعكس المذهب الإضافي الواضح في فن الجمال نوعا من الإرث عن فن الحصان، كما هو واضح بشكل خاص في وجود شخصيات بشرية ثنائية رسمت بشكل مثلث، بالإضافة إلى رسوم الإبل، فهناك مواضيع ترافق الإبل وهي مشاهد الواحات وأشجار النخيل وآبار المياه والبساتين وغيرها من جوانب الحياة اليومية في الصحراء.

لسوء الحظ، تم إهمال الفن الصخري الخاص برسوم الجمل، بل وتم تجاهله من قبل الباحثين ومنهم الباحث (Mori) [3]، غالبا ما كان يتم الحكم عليها بأنها بدائية وأقل أهمية من الفنون الأخرى، ومع ذلك، كانت رسوم الجمل واسعة الانتشار مما يدل على حركة استيطان الرحل في صحراء شمال افريقيا (الشكل 62)، ورافق رسوم الجمل الكتابة التيفيناغ (الكتابة البربرية الليبية) عبر الصحراء الكبرى، ويساهم فن الجمل الصخري في فهم استغلال مصادر المياه الجوفية، والتضاريس التي يغلب عليها بقايا الجبال البركانية الخامدة في بيئة صحراوية تغيرت بشكل كبير [4]، وقدمت الباحثة (Gallinaro) دراسة عن الفن الصخري في منطقة تادرارت اكاكوس وأطلق مصطلح (الجمل الحديث) (Modern Camel)، وتضمنت الدراسة الأعمال الفنية التي تم العثور عليها بالإضافة إلى مواضيع أخرى مضافة ودخيلة تضم عناصر حديثة للثقافة المادية مثل السيارات، والبنادق، وما شابه.

---

(1) صلاح رشيد الصالحي: (الوحدة الصحراوية)، (1998)، ص 47-49// صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص271-273

(2) الباحث (Liverani) أحد اعضاء البعثة الإيطالية التي نقبت في موقع تل مرديخ، واكتشف بقايا اثرية في الموسم الاول في تل مرديخ (إبلا) توضح ازدهار الموقع في فترة الالفية الثالثة ق.م:

Mario Liverani: (1973). 119ff

(3) Fabrizio Mori: (1965b)

(4) Savino di Lernia: (2012). Pp. 34-35



شكل 62: رسوم الجمل في موقع تين تبوراق (Ti-n-Taboraq) في جبال تادرارت أكاكوس جنوب غرب ليبيا، اكتشف عام 2009، ويحتوي على مجموعة رسوم من أنماط مختلفة، مع التركيز بشكل خاص على الجمال

نظرا لان الرسوم الصخرية تعتبر معرضا مفتوحا للفن في كل العصور منذ العصر الحجري القديم حتى اليوم، ويعتقد بأن نقش الأشكال الحيوانية عامة وتلك التي تتصف بحجمها الكبير خاصة ما هو إلا نوع من (السحر الاستعطافي) ومع هذا من الصعب تحديد الغرض من رسمها [1].

الفن الصخري في المملكة المغربية

إذا نظرنا إلى الخريطة لنبحث عن المناطق التي بها رسوم صخرية ترجع لفترة فجر التاريخ لوجدنا ان الرسوم الملونة الوحيدة المعروفة الآن موجودة في بني يسف أو يوسف (Beni Issef) بشمال المغرب الاقصى جهة القصر الكبير، والمناظر التي مثلها الرسام ملونة بألوان متعددة أهمها وأكثرها تكرارا اللونين الأحمر والاصفر، أما المناظر فتمثل صيد حمار الوحش وفيه يظهر فارسا يركب حصانا ويحمل قوسا وهو يطارد حمار الوحش [2]، وتذكرنا هذه اللوحة بلوحة (أم الدباغية) في العراق حيث كان سكان ذلك الموقع يتاجرون في جلد ذلك الحيوان الذي رسموه على جدران منازلهم (5700) ق.م، ولكن الأمر في المغرب الاقصى مختلف جدا إذ أن الخيول لم تظهر بالمغرب إلا في وقت متأخر جدا لأنها دخلت مصر مع الهكسوس قرابة (1800) ق.م أو بعدها

(1) صلاح رشيد الصالحي: (2014)، ص 77

(2) García Hernandez, E: (1941). Pp. 300-302

بقليل، وبطبيعة الحال استغرق وصولها مدة طويلة لأننا نرى في النصوص المصرية التي تصف حروبهم مع جيرانهم المشواش أن هؤلاء يستعملون عربات تجرها الثيران لحمل اسرهم، ولم يرد في تلك النصوص ما يفيد معرفتهم للحصان [1]، وأن كنا لا نستطيع أن نجزم بتاريخ الصور إلا أن الأسلحة المرسومة بجوار الفارس وهي السيوف المميزة لأوائل فترة البرونز بالمغرب توحي بأن هذه الصورة قد رسمت في عصر ما قبل التاريخ أي قبل (1100) ق.م [2].

أما النقوش الصخرية وهي التي تمثل الغالبية منها تنتشر من الأطلس المتوسط شمالا حتى الداخلة جنوبا، والمجموعة التي تمثل عصر فجر التاريخ موجودة بكثرة في جهات الاطلس الكبير، ولذا سأخذها كنموذج لتوضيح فنون المغرب في خلال هذه الفترة من واقع الرسوم الموجودة هناك [3]. أن أهم المناظر التي توجد بها الرسوم الصخرية بالأطلس الكبير هي المنطقة الواقعة للجنوب من مدينة مراكش في الحقاف الجبلية الموجودة بجهات ياجور(Yagour)، واوكمدن (l'Oukaïmeden)، والنواحي القريبة منها، وقد بدأ الكشف عن هذه الرسوم عام (1948)، وشارك في الكشف الباحثين (Pineau) و (Malhomme) و (Pinguet)، وقد واظب (Malhomme) في الاستمرار على تسجيل النقوش في خلال جميع المواسم التي أعقبت ذلك بانتظام لمدة عشرة أعوام، فخرج بحصيلة (1500) نقش في هذه المناطق (ياجور واوكمدن)، وتمتد جبال الاطلس الكبير للجنوب من مراكش في اتجاه من الشمال الشرقي وإلى الجنوب الغربي حتى تصل إلى ساحل المحيط عند اغادير وفي الناحية الواقعة للجنوب من مراكش ترتفع قرية ياجور والمنطقة المحيطة بها عن سطح البحر حوالي (2700) متر بينما ترتفع منطقة اوكمدن حوالي (2600) متر، وتنتشر النقوش في الصخور القريبة من القرى الصغيرة المتناثرة عند مدرجات الجبال وعند منحدرات الاودية مثل (تلات نكيس) و (أسيف نياجور) و (للامينة) و (تيزي نفليس) و (اكدال نواجس) وغيرها، الرسوم الموجودة هناك مختلفة منها مثلا نقوش دائرية ذات اهداب وداخل الدائرة انصاف أقواس بقطر الدائرة ثم خطوط الحز الغائر في وسط الدائرة وممتدة عن احدى نواحي قطر الدائرة للناحية الأخرى بشكل حلزوني ملتوي، هذه اللوحة الموجودة في تلات نكيس مرسومة على سطح صخري املس يواجه الشمس [4] (شكل 63)، وتوجد لوحتان اخريان من نفس الطراز مع اختلاف في الرسم فبدلا من استعمال الحز سارت العملية بحك الفراغ بين السطور حتى بدت السطور وقطر الدائرة بارزة.

---

(1) Oric Bates: (1914). p. 146
(2) André Jodin: (1966). Pp. 11-27
(3) Jacques Malhomme: (1952). Pp. 739-743
(4) André Jodin: (1964d). Planche V



شكل 63: نقش صخري من موقع تلات نكيس في منطقة ياجور في جبال الاطلس (عن Jodin)

اما اللوحات التي في تلات نيسك فهي نقوش بالحز، ونجد الباتنا (Patina) فيها عميقة وهي تمثل دوائر ومستطيلات وبينهما رسوم تمثل الخناجر ذات المقابض وهي شديدة الشبه بالخناجر السومرية من عصر فجر السلالات [1]، وهناك نقش بارز يمثل عربة حربية وقد مثل برمزية ولهذا النقش شبيه وهو نقش اكدال نواجس وفيه صورة سيف يعلوه حمار وقد نفذ الرسم بالنقش البارز بحك ما حول الرسم حتى بدت اللوحة ملساء والرسم بارز[2]، وفي نفس الموقع نقوش تمثل الفأس [3]، والغريب انه من نفس النوع الذي عثر عليه في بني يسناسن ونجد في (ازيب نكيس) نقشا بارزا يمثل البقرة بصورة واقعية جميلة [4]، بينما يجاور هذا النقش نقوش أخرى أغلبها أشكال رمزية غير مفهومة وهناك نقوش تمثل الكباش ذات القرون الملتوية، ثم نقش يمثل الأسد في ازيب نكيس ولكن النقش غير واقعي ولم يراعي فيه الرسام النسب بين أعضاء جسم الحيوان، وهناك رسوم أخرى تمثل النعام ورجال يحملون سهاما ويبدو من هيئة ملابسهم في النقوش انهم ربما عاشوا خلال عصر البرونز في المغرب.

---

(1) André Jodin: (1964d). Planche IX

(2) صلاح رشيد الصالحي: (1996) ، ص 183

(3) André Jodin: (1964d). Planche. X

(4) Ibid: Planche. XII

هناك رسوم يظهر فيها نقوش تمثل الفؤوس لا سيما الفأس المزدوجة الشبيهة بفؤوس بلاد الرافدين والفؤوس الكريتية [1]، وأيضا بعض النقوش تمثل فرسانا يركبون الخيول ويمسكون في أيديهم الدروع والفؤوس والرماح، اما النقوش الصخرية في (جرف الخيل) و (تافورالت) في وادي درعة فإنها تحتوي على رسوم تمثل العربات والخيول علاوة على أسلحة برونزية، اما الرسوم الموجودة في (أسلي) منطقة (سمارة) فتمثل الفرسان وهم يطاردون الفيلة [2].

مما سبق نجد ان الفنان أبدع بمواهبه رغما من قسوة المادة التي مثل عليها ففرض ارادته على الصخر وانطقه شكلا رائعا مستعملا تقنية جديدة لإبراز النقش بالحز ثم عن طريق النقش البارز والغائر فأبدع فيه ايما ابداع ورغما عن أن الفنان كان يراعي النسب المطلوبة بين أجزاء جسم الحيوانات إلا انه لم يكن يفصل ملامحها حتى جاءت في كثير من الأحيان رمزية، كذلك مثل الفنان مناظر مفردة للأسلحة والسيوف ومثلها بكثرة ملحوظة كانت مدعاة للبحث والتساؤل حتى عرف أخيرا السر في ذلك اذ ان مناجم النحاس قريبة من تلك المواقع ومن الأشياء ذات الأهمية الممثلة في النقوش والتي لا تقل أهمية عن الأسلحة هي العربات الحربية، ويعتبر موقع وادي السياد (Ec cayyad) بجبل باني [3]، من أحسن هذه المواقع لأنها تحتوي على عدد كبير من النقوش القديمة التي تمثل العربة الحربية ذات العجلتان، ويبدو أن ظهور هذا السلاح قد أعطى للقبائل التي كانت تربي الخيول قوة مكنها من بسط سيادتها على المنطقة، إلا اننا نجهل الزمن الذي وصل فيه الحصان إلى شمال افريقيا على وجه التحديد ما لم يعثر بطبيعة الحال أي نموذج لعربة حربية في إحدى الحفائر، وهناك نقش يصور رجل يتميز بوجود خصلة شعر جانبية في رأسه كما يرتدي قميصا وحزاما عريضا، وقد صور أقرب إلى الواقعية منه إلى الرمزية.

وجدت في مواقع مختلفة من دكالة [4] لوحات من الحجر الرملي وعليها نقوش بالحز بآلة حادة وهي تمثل مناظر رمزية هندسية في أغلبها وموجودة على قطع من الصخر المصقول وبعضها على شكل حرف (V)، ولا يعرف على وجه اليقين كنه هذه اللوحات ولا السبب الذي من أجله وضعت هناك، ولكن الباحث (Denis) يظن بأن هذه العلامات انما تمثل إحدى مراحل الكتابة التصويرية، فاذا كان هذا صحيحا فان المغرب أيضا كان عنده بدوره كتابته التصويرية في نفس المرحلة التصويرية في نفس المرحلة الزمنية التي

---

(1) André Jodin: (1964d). Planche. VII
(2) Martinez, J: (1941). Pp. 233-236
(3) Ronald Wolff: (1976). Pp. 53-68
(4) دكالة: وهي منطقة تاريخية تقع بين الدار البيضاء شمالا و مراكش شرقا و عبدة جنوبا والمحيط الأطلسي غربا، ومركزها مدينة الجديدة.

كانت في بلاد الرافدين أو خلال عصر فجر التاريخ، إلا ان المرء ليتساءل ولماذا لم تتطور هذه الكتابة التصويرية بالمغرب إلى كتابة عادية شأنها شأن بلاد الرافدين ومصر ولماذا بقي المغرب حتى العصر التاريخي بلا كتابة وحتى في العصر التاريخي اعتمد على الخط البونيقي ولم ينفرد بخط خاص به إلا في وقت متأخر جدا حيث ظهر التيفيناغ (راجع الفصل الثالث) إلا أن بعض الباحثين يرى ان الخط الليبي وهو غير التيفيناغ هو حلقة الوصل بين الكتابة التصويرية والتيفيناغ، ولكن يبدو ان الامر يحتاج إلى الكثير من البحث والتقصي والدراسة حتى يمكننا أن نقول شيئا مفيدا في هذا الموضوع[1].

الفن الصخري في ليبيا

اثبتت الدراسات النقدية الحديثة حول النقوش الصخرية لما قبل التاريخ في ليبيا في مواقع (عين تفنيت) (إقليم طرابلس) وموقع (بالهروج السوداء) في شمال شرق فزان ومناطق (الكليبة، وزنككرة) (إقليم فزان) وفي كهف (وان موهجاج) بوادي تشونيت (مركز الأكاكوس) ما توصل اليه علماء الاثار الايطاليين (نيوفيل) و (باراديسي) و (فرانكو ساتين) ان الثقافات الافريقية للعصور الحجرية منفصلة عن تلك التي نشأت بالقارة الاوربية وان العصر الحجري الحديث في شمال افريقيا يعاصر الدور الأخير من العصر الحجري القديم في اوربا، وأول من أشار إلى هذا الرأي الباحث (جوسيبي سيرجي) وتعد بحوثه أهم المراجع حول مضمار النقوش الصخرية في ليبيا [2].

أما عن مواضيعها الفنية فيرى الباحث (الناضوري) ان بعض الرسوم الصخرية في ليبيا لها ما يشابهها في الرسوم المصرية الفرعونية، فالرجل ذو خصلة الشعر الجانبية يمثل الإله آمون رع في الدين المصري القديم، والخصلة الجانبية ورد ذكرها في نصوص التوابيت من الدولة الوسطى، وهناك أيضا رسوم لشخص يشبه لحد ما الإله المصري (بس)، ونقش آخر يمثل رجل وقد ترك ذقنه طويلا فهو يشبه رسم الإله اوزيريس المصري، وقد عثر على بعض اشكاله جنوب طرابلس [3]، كما تظهر رسوم الكباش ذات القرون الملتوية والتي تحمل البعض منها فوق رؤوسها رموزا بيضاوية الشكل في وهران

---

(1) Alexis Denis: (1967). Pp. 161-196

(2) باراديسي، و : النقوش الصخرية لعصور ما قبل التاريخ، ليبيا القديمة، العدد الأول، 1964، ص 11 // فرانكو ساتين: النقوش الصخرية بالكليبة و زنككرة، ترجمة عيسى سالم، ليبيا القديمة، المجلد الثاني، 1965، ص21-22 // باربارا باريش: تقرير البعثة الإيطالية الليبية المشتركة، ترجمة مصطفى عبد الله، ليبيا القديمة، المجلد 15 و 16، 1987، ص55-58

(3)رشيد الناضوري: (1981)، ص139-146

بالجزائر، وبرقة في ليبيا، وازيب نكيس في جبال الاطلس الأعلى بالمغرب، وهذه الكباش تشابه الكبش المصري في العصر الفرعوني [1].

أما في منطقة جبارين ضمن جبال تاسيلي جنوب غرب ليبيا فقد عثر على رسوم صخرية اطلق عليها (لوحات جبارين) تمثل أحدهما أربع فتيات صغيرات برؤوس طير، وهي بذلك تشبه رسوم الإلهة تحوت إلهة المقاطعة الخامسة عشر في صعيد مصر، أما اللوحة الثانية أطلق عليها (منظر القربان) فهي ذات تأثير مصري أكثر تحررا مما هو في رسوم المعابد المصرية، فالأشكال تمثل رجالا ونساء لهم رؤوس الطير، وقد سرحت شعورهم بالطريقة المصرية، ورسوم الأكواب في اللوحة تشبه أكواب مصر ما قبل الأسرات، وحتى الملابس التي يرتديها الرجال هي أقرب إلى الملابس المصرية التي نقشت في مقابر الفراعنة [2].

بعض الرسوم والنقوش الليبية اعتبرت بداية الكتابة التصويرية فمن وجهة نظر الباحث (جورج حداد) بدأ الإنسان الكتابة برسم الصور للتعبير عن أفكاره فالإشارات الهندسية وصور الناس والحيوانات المدهونة على الصخور والمسماة (Petroglyphs) أي ان الرسوم الصخرية من العصر الحجري الحديث والموجودة في البلاد المطلة على البحر المتوسط هي رسوم لا تمثل أصواتا معينة فالتصوير هو تمثيل صوري أو رمزي، لذا فان الكتابة التصويرية وجدت في أماكن كثيرة عند الإنسان القديم في الشرق الأدنى القديم وجزيرة كريت واسبانيا، وفي المجتمعات المتأخرة بين قبائل أمريكا الشمالية وافريقيا وأستراليا[3]، أما الباحث (شارل اندرية جوليان) فيرى أن ان تاريخ الرسوم الصخرية في شمال افريقيا يعود إلى العصر الحجري الحديث، ولا نعلم البتة ان البربر (الامازيغ) اقاموا مدنية تعتمد على الكتابة اداتها لغتهم [4].

فكرة بسيطة عن الفن الصخري في الشرق الأدنى القديم

عثر في العراق على نقوش صخرية في موقعين أحدهما في الضفة اليمنى من وادي حوران قرب وادي الحسينيات (Hussainiyat)، والثاني في الضفة اليمنى من الوادي الرئيسي قرب خرائب قصر (Muhaiwir) وكلا النقشين تمت بواسطة آلة حادة، والأول معالمه واضحة وقد درست بشكل مفصل، اما الثاني فمعالمه غير واضحة، وتمثل النقوش اشكالا حيوانية منها الجاموس أو بوفالو (Buffale)، والغزال، والماعز أو الوعل (Ibexes)، وشكل ايائل (Crevids) ذوات القرون المتشعبة، والحصان أو ربما الحمار، وهناك

---

(1) رشيد الناضوري: المغرب الكبير، العصور الحجرية، الجزء الأول، بيروت، 1981، ص139

(2) محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص 183-194

(3) جورج حداد: المدخل في تاريخ الحضارات، طرابلس، 1958، ص59-60

(4) شارل اندري جوليان: (1969)، ص 62 و 78

شخص يمتطيه، اما أشكال الأشخاص فهي أقرب إلى الأشكال الصبيانية، وقد عثر قرب مواقع النقوش الصخرية على بعض احجار الصوان تعود من حيث صناعتها إلى العصر الحجري الحديث، ومن المحتمل ان هذه النقوش تمت من قبل عدة فنانين وفي مختلف الأوقات، وأول رسم صخري عثر عليه في العراق في الصحراء الغربية وعرف لدينا خلال المسح الجيولوجي في حافة منطقة (Gaár) عام 1978 وليست هناك تفاصيل عنه [1].

اما الرسوم الجدارية فتظهر في موقع أم الدباغية في جزيرة الموصل، ويعتقد الباحث (طه باقر) ان أقدم مثال من هذا النوع من الفنون يعود إلى تبه كوره (الطبقة 14) من الألف الرابعة ق.م، ولكن أفضل نموذج عرف في عصر جمدة نصر من تل العقير في جنوب العراق وعلى جدران المعبد الملون، وقد تم الرسم على جدران طليت باللون الأبيض بالمادة الجصية، وبعدها قام الفنان بتحديد العناصر المطلوب رسمها باللون الأحمر والبرتقالي ثم حددها مرة أخرى بلون اسود، وأهم رسوم تل العقير التي وجدت كاملة في المعبد وعلى واجهة دكة المذبح على مقدمته بعرض (2.60) متر وارتفاع (90) سم تقريبا وعلى الجانبين (3.60) متر وشملت الرسوم صور الأسود رابضة أو راقدة إلا ان اجسامها كانت مرقطة ببقع سوداء فاعتقد المنقبين بانها فهود وليس اسودا وخلفية اجسام الفهود هي اللون الأبيض، كما عرف السومريون النقوش البارزة والمسطحة والمسامير الفخارية المخروطية التي استعملت في معابد الوركاء[2].

كذلك منحوتات مصفوت وهي تقع قرب قرية تعرف باسم (حذف) كائنة عند سفوح جبال عُمان وعلى إحدى الصخور المتساقطة نقشت اشكال آدمية تؤدي رقصة جماعية يحملون حول وسطهم ما يشبه الكيس لوضع عدة الصيد والشخص في الوسط ذو عجز كبير وتركيب جسمه يختلف عن الاخرين ربما تكون امرأة، اما النقش الآخر فهي نقوش فردية يبدو شخص حاملا كيسا ومعه عدة الصيد وهي عصا طويلة، ونقوش مصفوت عملت بالنحت البارز بآلة حادة لها ما يشابهها من حيث أسلوب النحت الغائر على الصخور في تنجانيقيا في مقاطعة كوندوا (Kondoa) في شرق افريقيا، ونقوش ورسوم في السواحل الشرقية لإسبانيا وشرق البحر المتوسط ضمت مناظر للصيد بالسهم والنبال، ونقوش مصفوت الملونة مماثلة إلى نقوش (جطل هويوك) في بلاد الاناضول التي تعود إلى الألف السادس ق.م، هذا إضافة إلى نقوش (هيلي) القريبة من مديمة العين في أبو ظبي وتعود إلى الألف الثالثة ق.م، اما الصور المنحوتة في

---

(1) Jaroslav Tyrácek and Rahim M. Amin: (1981). Pp. 145-149

(2) مؤيد سعيد: (1985)، ص267-270

وديان الجبل الأخضر الوعرة في عُمان فهي تعود إلى نهاية العصر الكاشي، ونرى فيها صور رجال على صهوات الجياد أو على الجمال[1].

عثر على نقوش ورسوم صخرية في المملكة العربية السعودية ومن الصعب تحديد تواريخها، ولكن يعتقد أنها تعود زمنيا إلى العصر الحجري الحديث فقد عثر بالقرب من تلك النقوش صناعات حجرية مثل رؤوس السهام وكاشطاة حجرية، وتظهر في الرسوم أشكال بشرية وحيوانات وخاصة البقرية والكلاب بالإضافة إلى الأشكال الهندسية، وبعض الرسوم توضح كما لو كان الحيوان يتبع الإنسان ويبدو ان كلا النوعين (الابقار والكلب) كانت مستأنسة وتعتبر جزء من الحياة اليومية، وأغلب الحيوانات التي نقشت على واجهات الصخور تحتل الماشية مكانا مهما في القبيلة وتحدد مدى ثراء ومكانة الفرد فيها، ففي منطقة جبة (Jubbah) بشمال المملكة العربية السعودية نرى نقوش تمثل حيوانات منها الجمل وهو يعيش في المناطق الجافة الحارة إلى جانب حيوانات تلائمها المناخ الرطب مما يدل على فرق بعدة لآلاف من السنين وبيد مختلف الفنانين، أما النقش الآخر من منطقة جبة فيمثل نقش النساء بأرداف بارزة وكأنهن في حالة رقص بينما نقش الرجال بأجسام نحيفة وطويلة، لقد اعتمد مجتمع العصر الحجري الحديث على الصيد وجمع الطعام ولدينا نقش من نفس الموقع رجال يحملون حيوان [2] .

في تركيا اكتشف عدد كبير من الرسوم الصخرية بلغ عددها(160) لوحه من الفن الصخري من قبل الاثارية الألمانية (Anneliese Peshlow-Bindokat) عام (1949) بالقرب من بحيرة بافا (Bafa) عند سفح جبل لاتموس (Latmos) في إقليم انطاليا بتركيا وهي تصور الحياة اليومية لمجتمع أواخر العصر الحجري الحديث والعصر النحاسي مع اشكال حيوانية أما الاشكال البشرية فقد رسم الرأس بشكل رمزي بينما صورت الاجسام بالأمام، أما النساء رسمن بالجانب مع وركين كبيرين، والرسوم تشبه رسوم حاصي لر (Hacılar) وموقع جطل هويوك (Çatalhöyük) من العصر الحجري قبل الفخار، واستخدم اللون الأحمر المصنوع من خليط أكسيد الحديد والماء في تخطيط الرسوم على خلفية الصخر باللون الابيض، واستخدمت أصابع اليد أو

---

(1) ربيع القيسي: (1975)، ص75-88 // سامي سعيد الأحمد: (1985)، ص141-142 و ص 257-259

(2) هناك مواقع أخرى تضم نقوش ورسوم كثيرة واكتفيت بموقع جبة (Jubbah) شمال المملكة العربية السعوي، وهناك مواقع أخرى تضم مثل هذا النوع من الفنون مثل وادي قرع (Qara) في منطقة جيزان (Jazan)، وموقع آخر بالقرب من ساكاكا (Sakkaka) شمال المملكة، ورسوم منطقة عالية (Alia) في نجران (Najran)، ونقوش موقع جبل الرايات (al-Raat) في شويميس (Shuwaymis)، وكذلك الرسوم الصخرية من موقع قريب من تيماء (Tayma) بشمال المملكة ...الخ :

Majeed Khan: (2013). Pp. 447-475

أدوات أخرى بالرسم، وقدر تاريخ تلك الرسوم (6000-8000) ق.م وهذه الرسوم تتعرض للإزالة حاليا من طرف عمال المناجم [1]، أما الرسوم الجدارية في قرى العصر الحجري الحديث نجد لوحة جدارية من جطل هويوك، ربما تظهر ثورة البركان وبجانبه قرية جطل هويوك واللوحة باللون الأسود على جدار طلي باللون الأبيض تاريخ اللوحة (6200) ق.م [2]، ومن نفس الوقع لوحة على جدار منزل رقم (8) في جطل هويوك ضمن الطبقات VIII وVII رسمت النسور وهي تمزق أجسام بشرية عديمة الرأس ، وهكذا فان النسور لها دور في طقوس الدفن وبلا شك هذه تعتبر طقوس سحرية رمزية، ولا يمكن أن نستبعد أهمية هذه الطيور في معتقدات تلك العصور [3].

لدينا الكثير من النقوش والرسوم الصخرية في إيران، واليمن، وعُمان، ومصر كما أشرت سابقا، ومن وجهة نظري ان الفن الصخري لوحة مفتوحة للجميع، والذين تركوا لنا رسومهم شاخصة تعبر عن مفهوم ديني أو دنيوي أو حتى اعلامي ترسمها مجموعة بشرية لإثبات وجودها في المنطقة أمام منافسيها من المجاميع البشرية الأخرى، أو ربما نوع من التذكير والحفظ لشخصيات أو ثروات حيوانية، أو ربما رسوم تمثل احتفالات سنوية يقيمها سكان عصور ما قبل التاريخ.

---

(1) Aydin Dha: (1918)

(2) صلاح رشيد الصالحي: (2010)، ص21

(3) حتى الآن تم اكتشاف هيكلين عظميين بدون رأس في جطل هويوك، الهيكل العظمي رقم (1466) في القبر (F.29) في المبنى رقم (1)، والهيكل العظمي (4593) في القبر (F.492) في المبنى رقم (6) وفي كلتا الحالتين تم قطع الرأس وإزالته بعد الدفن:
Ian Hodder and Craig Cessford: (2004). p. 35 // Peter Andrews: (2005). Pp. 261-278

المبحث الثاني

أفكار مستنبطة من الرسوم الصخرية

ان دراسة معاني النقوش والرسوم الصخرية بأشكالها البشرية، والحيوانية، والرمزية يتطلب مجهود كبير لا يفي بمؤلف واحد يلم بكل المفردات لتشمل مناطق الفن الصخري في دول شمال افريقيا، ولهذا وجدت الكثير من المؤلفات للباحثين الأجانب والعرب واتصفت بحوثهم بالعلمية وبحسن الاختيار والتحليل [1]، ومن تلك المراجع القيمة سوف اتناول بعض الأفكار التي توضح العلاقات القديمة بين الشرق (مصر وجنوب غرب آسيا) والغرب (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) تلك العلاقات أدت إلى انتقال المؤثرات الشرقية نحو الغرب فتركت بصماتها على بعض أفكار الفن الصخري، وقد تناول زملائي الباحثين من قبل اثر مصر على فنون الصحراء في شمال افريقيا وسوف اشير إلى بعض تلك المؤثرات، كما سوف اتطرق إلى طائر النعام في الرسوم الصخرية لأنه شكل أحد مصادر الغذاء عند السكان القدماء، وكذلك الاستفادة من الريش والبيض، وأخيرا اذكر الدين من وجهة نظري عند سكان شمال افريقيا من خلال الرسوم التي تتصف بالرمزية ويمكن تفسيرها بانها طقوس دينية عند القدماء، وربما هذه الأفكار وما طرحه الباحثين تقدم صورة أوضح واوسع للفن الصخري أحد مميزات التي ينفرد بها قدماء شمال افريقيا.

1ـ طقوس الثور المقدس:

إن الاحتفالات الطقوسية لها مكانة هامة في الحياة الاجتماعية للشعوب البدائية، وهذا ما نجده عند الرؤوس المستديرة حيث تكثر المشاهد المعبرة عن الطقوس الاحتفالية، وهي في شكل مشاهد طقوسية، فلا شك انها ذات هدف ديني أو سحري رغم أن معالمها الأساسية غير معروفه [2]، ويختلف الرقص واشكال الراقصين باختلاف الطقوس وموضوع الاحتفال، وهؤلاء الراقصين يتخذون زينة وديكور مختلفة من أقنعة أو تزينات جسدية وحتى الأدوات التي يحملونها تعبر عن التنوع الثقافي في حضارة التاسيلي، ومن بين مشاهد الرقص الطقوسية توجد طقوس غريبة مرتبطة بأبقار مقدسة، حيث تظهر مجموعة من الأشخاص تحيط بالحيوان سواء في النقوش أو الرسوم

(1) كنت اود ان اذكر كافة الكتب التي تناولت الفن الصخري ولكن ارتأيت ان يجاهد من يخوض بهذا المجال ان يبحث في المواقع الالكترونية ضمن هذا الموضوع، وسيجد مبتغاه حتما، وغالبية البحوث قيمة وقد تمتعت بمطالعة كتب الباحثين وبحوثهم طيلة كتابة هذا الفصل سواء من كان في دول المغرب العربي أو في مصر.

(2) بن بو زيد لخضر: (2018) ، ص 182

الصخرية، ففي تين هناكتن(Ti-n-Hanakaten) [1] يوجد مشهد لثور محاط بـ (6) اشخاص أحدهم يحمل عصا ونجد في المشهد شخص يقفز على ظهر الثور، وآخر يتحضر لتنفيذ نفس القفزة واثنين آخرين قرب رأس الحيوان [2] ويبدو ان تلك الشخصيات في وضعية رقص طقوسي، فهل هي طقوس سحرية كمقدمة للتضحية بالحيوان ؟ لأننا نجد مشاهد مشابهة في وادي ماثندوش (wadi mathenduche)، وفي وادي زردة (wadizerda)، وفي نقوش وادي إساغان (wadi isaghan) وكل هذه المناطق في فزان.

هناك مشاهد لمس الأبقار والقفز فوقها موجودة أيضا في منطقة (صفار) [3] حيث يوجد مشهد يمثل عدد كبير من الشخصيات الصغيرة تقفز فوق الأبقار، تدل هذه المشاهد على ملامح أسطورية غير معروفة ويمكن أن تكون معبرة عن أسطورة ما متصلة بالأبقار لا تزال معالمها غائبة عنا، ولا نستبعد كون المشهد له علاقة بعبادة الأبقار، وفي منطقة تراشورى (trachori) نجد ما يقرب من (11) شخصا يحيطون بثور، من بينهم مجموعة من النساء تلمس الثور من أنحاء جسمه المختلفة، فهذا المشهد والمشهد السابق في تين هناكتن تدل على عبادة الابقار المقترنة بخصوبة النساء [4]، وهناك مثال مشابه في صورة الإلهة المصرية (نوت).

في الواقع فان عبادة الابقار كانت منتشرة في أنحاء مختلفة من العالم خاصة من العصر القديم، ففي مصر الإلهة (حتحور) (hathor) كان يرمز إليها بالبقرة، وفي جنوب وادي النيل تزخر ثقافة كرمة culture de (karma) بالكثير من الأثار عن عبادة الأبقار [5]، ومن جهة ثانية يذكر هيرودوت (أن الليبيون من مصر إلى بحيرة تريتون لا يلمسون لحم الأبقار ولا يربون الخنازير، وتعتبر النساء انه من الإثم أكل لحم الأبقار، وذلك من اجل

---

(1) تين هناكتن يقع على بعد (200) كلم من جانت (Djanet) في جبال تاسيلي يعد أغنى المواقع الصحراوية حيث الآثار مرتبطة برسوم صخرية تعود إلى كل المراحل، المستوى الأسفل في الموقع يعود إلى الحضارة العطرية، ويعود تأريخ العصر الحجري الحديث فيه إلى (6605 و 5550) ق م:

Nour-Eddine Saoudi: (2002) .p. 78

(2) Jean-Loic Le Quellec: (1993). p. 319.

(3) توجد منطقة صفار في قلب منطقة جبلية صخرية متآكلة جدا مع مسالك صعبة، و نقاط الماء الرئيسية تتواجد في قلب صخور يستحيل أن تصل إليها الأبقار، لعل هذا هو سبب قلة رسوم البقريات فيها: بن بو زيد لخضر: (2018)، ص 186

Henri Lhote: (1958). Pp. 131-138

(4) Jean-Loic Le Quellec: (1993). p. 320

(5) ثقافة كرمة في شمال السودان (نوبيا القديمة) بدأت مع نهاية الألف الرابعة ق.م وعرفت ازدهارا بين (1750-1500) ق.م، وهي متواجدة في محور التأثير الحضاري المصري-الافريقي –الصحراوي، كشف فيها (20) ألف قبر وعرفت ظاهرة تشويه قرون الابقار:

(ايزيس) الآلهة المصرية [1]، بل كانوا يكرمونها أيضا بالصيام والاحتفالات[2].



شكل 64: لوحة من منطقة تين هناكتن في جبال تاسيلي تمثل طقوس متعلقة بالأبقار المقدسة

تقديس الثور في بلاد الاناضول

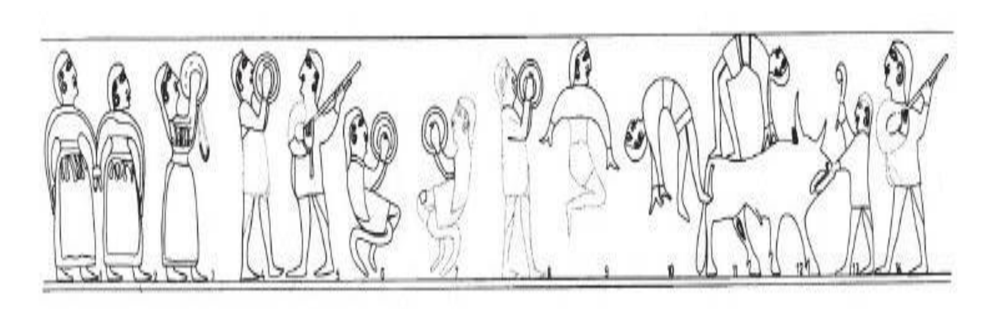
كان تقديس الآيل قد تركز على الصيد وعبادة الإله الحامي (Tutelary) وحيوانه المقدس، اما تقديس الثور فقد كان ضمن طقوس قرابين الثيران تكريما الى إله العاصفة، وهناك مشهد بالنحت البارز على زهرية صور فيها وثبة الثور عثر عليها في تل يوسينديد (Hüseyindede) [3]

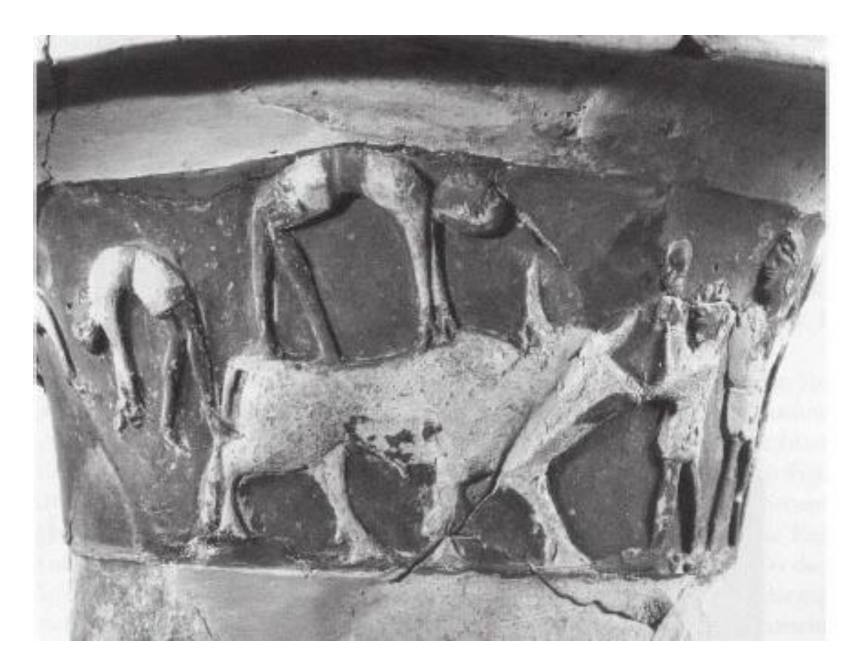
(1) الإلهة ايزيس أم الإله (حورس) وأخت وزوجة الإله (أوزوريس) تمثل بامرأة تحمل قرص الشمس بين قرنيها.

(2) Hérodote IV,186

(3) تل (Hüseyindede) موقع حثي قديم في منطقة سونكورلو (Sungurlu) في محافظةِ قوروم (Corum) في تركيا، حوالي كيلومتر جنوب بلدة يروكالو(Yruklu)، اولى عمليات التنقيبات في الموقع كانت عام 1997، حيث اكتشف اناء عليه مشهد بالنحت البارز يمثل ثور في حالة القفز.

ويؤرخ الى (1500) ق.م [1]، ومن المحتمل يؤدي طقس ديني مكرس لعبادة إله العاصفة.





شكل 65: مشهد وثبة الثورِ على زهرية من النحت البارز من (Huseyindede) (1500) ق.م (عن Sifahi 2000).

نلاحظ تصوير وثبة الثور على زهرية كان جزأ من مشهد لطقس كبير يشارك فيه الراقصين والموسيقيين، والبهلوانات [2]، وهناك زهرية اخرى عثر عليه في تل اناندیك (İnandik) وتؤرخ إلى القرن السابع عشر ق.م[3]، وفيها أربعة اقسام: المشهد الرابع من الأعلى صور الموسيقيين والبهلوانات إضافة

(1) Piotr Taracha: (2002). p. 9
(2) Ibid : Pp. 9-13
(3) Patrick E. McGovern: (2003). Pp. 175-177

إلى الثور في حالة وثبة، ويشارك الكهنة في الموكب، أما القسم الثالث: فقد صور الموكب يتجه نحو منضدة القرابين والمذبح والعرش المقدس الذي يجلس عليه رجل وامرأة ربما يمثل الآلهة أو على الأقل كاهن وكاهنة اللذان يمثلان الآلهة، القسم الثاني: صور اثنان من القرابين واحد إلى إلهة تجلس امام منضدة القرابين والاخر اضحية ثور أمام إله العاصفة، وقد صور بشكل ثور جالس على سرير، وفي القسم الاول: صور فيها التحضيرات للعيد، على الأغلب مشاهد الزهرية تصور طقوس الزواج المقدس، وبذلك فان زهرية (انانديك) تصور المهرجانات والمواكب تكريما للإلهة (إنانا) (Inanna) وتعتبر الدليل على انتشار طقوسِ الزواج المقدس الرافدية في الحضارة الحثية، ومن ثم فهي تشبه إلى حد ما الإناء النذري من الوركاء [1] التي تصف الزواج المقدس بين الإله دموزي والإلهة إنانا [2] .

اما الزهرية الثانية فهي من تل يوسينديد (Hüseyindede) (في اقليم قورون Çorum) وعليها مشهد يماثل ما ذكر اعلاه في زهرية (انانديك) [3] في القسم الأعلى موكب من الراقصين والمغنيين يقودون ثور كقربان، وكما في زهرية انانديك يتجه الموكب الى المذبح ومنضدة القرابين وعرش يجلس عليه شكلين، القسم الثالث: حامل القربان ومعه موسيقي يقترب من إله جالس خلف منضدة القرابين، وهناك ثلاثة اضاحي حيوانية تقاد باتجاه الإله، احدهما على ما يبدو آيل (على الرغم من ان شكل قرونه غير عادية)، والآخر كبش أو عجل، والثالث من الصعب تميزه لوجود كسر في الزهرية اما القسم السفلي: فقد احتل من قبل ثيران تجري بشكل متناقض [4].

(1) عثر على الاناء النذري في منطقة معابد (انانا) في الوركاء من الطبقة العائدة لـ(جمدة نصر)، وقد صنع الإناء من المرمر بارتفاع ثلاثة اقدام ويعتقد انه يعود إلى النصف الثاني من الالف الرابع ق.م: صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص 149-150

(2) Michelle Wimber : (2009). p. 7

(3) Tayfun Yildirim: (2008). Pp. 837-850

(4) Tayfun Yildirim: (2008). p. 844



شكل 66: زهرية عليها مشهد قرابين من موقع (Hüseyindede) (عن 2005Yildirlm)

في الوثائق المسمارية الحثية فان العروض البهلوانية مع الثيران المقدسة تؤدى أمام إله العاصفة ضمن المواكب الطقوسية الاحتفالية [1]، وفي مهرجان يقام في المملكة الحثية المكرس إلى (Teteshapi)، تؤدى الطقوس في منطقة تاوينيا (Tawinia) التي تقع على بعد (15) كلم جنوب غرب حاتوشا، ويطلق عليه (ثور الإله)، واقيم الاحتفال لغاية حكم الملك تلبينو (1500–1525) ق.م، حيث تجري إراقة السائل القرباني (NIN.DINGIR) من قبل الكاهنة، ودور الثور الأول غير واضح تماما، ثم يليه بعد ذلك الثور الثاني كقربان مكرس إلى إله العاصفة في معبده [2]، وفي احتفال حثي آخر، يؤدى من قبل سكان منطقة توخوميرا (Tuhumiyara) فان الملك بنفسه يسكب السائل القرباني على الثور ومن ثم (أسم الثور) يمرر إلى الكاهن، الذي بدورة يسكب السائل القرباني عليه ويضربه بصولجان من حديد، ومن ثم يبدا الموكب، على الرغم من ان وثبة الثور لم تذكر في النصوص، مع هذا هذه السلسلة من الطقوس تؤكد قدسية الثور [3].

كما نلاحظ كان للثور مكانة مقدسة لدى شعوب الشرق الأدنى القديم وشمال افريقيا وحركات الرقص أمام وفوق ظهر الثور هي طقوس دينية تقدم

---

(1) Piotr Taracha: (2002). Pp. 13-17
(2) Ibid : Pp. 13- 15
(3) Billie Jean Collins: (2010). p.65

لقوى الطبيعة التي تمثلها آلهة لها أسماء تختلف حسب المكان والزمان، وتبقى هذه الطقوس تؤدى برفقة الثور، يبقى السؤال ايهما أسبق في ممارستها شمال افريقيا أم بلاد الاناضول، في البداية ليس لدينا نص كتابي في كلا الموقعين انما نعتمد على الاثار، ففي بلاد الاناضول نجد زهرية اناندیك (عثر عليها بمسافة 50 كلم شمال شرق انقرا تركيا الحالية) والتي نقشت عليه طقوس الرقص على الثور، وتعود زمنيا إلى أواخر القرن السادس عشر ق.م، أما الشكل في الفن الصخري فيعود إلى الدور الثالث المعروف (الماشية، وفن الرعاة) وتاريخه غير متفق عليه بين الباحثين ربما يعود إلى الالف الخامسة ق.م وبذلك فهو أقدم عهدا من زهرية اناندیك من بلاد الاناضول، وإذا كان الامر كذلك فحتما انتقلت المؤثرات الثقافية من شمال افريقيا عبر البحر المتوسط نحو سواحل شرق المتوسط أو إلى اوربا، ومن هناك انتقلت الطقوس إلى بلاد الاناضول حيث مارسها الشعب الحثي علما بأن اصولهم هند- اوربية وصلوا بلاد الاناضول عبر مضيق البسفور واستوطنوا مناطق شمال نهر قزيل ارماك واسسوا دولتهم اطلقوا عليها حاتتي حكمت لمدة 300 عام (1620-1200) ق.م .

2- طائر النعام في الحضارات القديمة

كما أشرت سابقا فأن الرسوم الصخرية معرضا مفتوحا للفن في كل العصور، وتناولت شتى الاشكال الإنسانية والحيوانية، وسأكتفي بالنقوش والرسوم التي تصور طائر النعام، لأن هذا الطائر له مكانة في الأعمال الفنية التي برع في تخليدها الإنسان القديم، ففي شمال إفريقيا نجد النقوش والرسوم التي تصوره وهو في حالة هروب أمام صياد أو حيوان مفترس كالأسد، وفي بلاد الرافدين ومصر كان يقدم كقرابين للآلهة أو تقديمه من ضمن الهدايا المقدمة للملوك، فهو من ضمن السلسلة الغذائية للبشر، وريشه يختلف عن ريش الطيور الأخرى فهو اكثر نعومة وحجم كما تم الاستفادة من ريشه وبيضة للاستخدامات المنزلية، أما مناطق تواجد هذا الطائر فتتصف بالاتساع ضمن المناطق الشبة جافة من المغرب وموريتانيا غربا وإلى العراق وجبال زاكروس شرقا [1]، وكانت السيطرة لصنف من النعام أطلق عليه (camelus Linnaeus) والذي لا زال موجودا في جنوب المغرب وشرق موريتانيا، بينما انقرض من الجزائر وإلى العراق بفعل عمليات الصيد واختلاف الظروف البيئية التي توفر مصادر الغذاء لأكبر طائر على الأرض، أن تأثير الإنسان هو الدافع الأكبر لانقراضه، ونزول مناطق تواجده إلى العروض الجنوبية، فما زالت فصيلة النعام (molybdophanes Reichenow) تتواجد في شمال شرق إثيوبيا والصومال وإلى شمال كينيا، وفصيلة الثانية (massaicus Neumann) في شرق كينيا وشمال تانزانيا، وأخيرا فصيلة

(1) صلاح رشيد الصالحي: (2014)، ص 73-110

النعام الثالثة (australis Gurney) في شمال ناميبيا وزمبابوي وإلى شبه جزيرة الكاب في جنوب أفريقيا [1].

أن التوزيع الجغرافي والتاريخي لهذا الطائر في شمال أفريقيا والشرق الأدنى القديم تحدده نوعين مختلفين من البحث الأثري، فالأول يعتمد على النقوش والرسوم (Petroglyphs) المكتشفة على الصخور والقحاف والتي تم نقشها بطرق حجر الصوان على جدار صخري وبالحز يتم تشكيل الحيوان المراد نقشه، بينما الرسوم تعتمد على تهيئة واجهة الصخر واستخدام الألوان في رسم الحيوان منفردا أو تجمع حيوانات عدة في لوح واحد، ويرى الباحث (Mori) بان نقش الأشكال الحيوانية عامة وتلك التي تتصف بحجمها الكبير خاصة ما هو إلا نوع من (السحر الاستعطافي)، لكنه تراجع عن فكرته وأكد صعوبة تحديد الغرض من رسمها [2]، أما الثاني فهو نحت صورة الحيوان على الصخور بأنواعها أو على الأختام الاسطوانية، وهذا الاختلاف في السجل الأثري بين حضارة شمال أفريقيا ومصر والعراق يعود إلى التطور في مجال الحضارة، ولكل دولة لها خصوصيتها وتطورها في المجال الحضاري حسب ما توفره الطبيعة من مستلزمات الإبداع الفني، ونظرا لاتساع دائرة انتشار هذا الطائر فسوف اذكر مناطق تواجده، وما هي نوعية الأثر الذي خلده في العصور القديمة، وخاصة ريش النعام الذي وجد مرافقا للملوك والنبلاء كما أوضحت الرسوم الجدارية، ثم البيض الذي استخدم كأقداح وأواني وأوعية للعطور، و جهزت المقابر به كأثاث جنائزي، كما عثر على الكؤوس للشرب مصنوعة من بيض النعام في قصور الملوك والأغنياء، وعلمت الطبيعة هذا الطائر كيفية الاستفادة من بيضه فليس كل ما تضعه إناث النعام ويرقد عليه ذكر الطائر يفقس إنما يبقى عدد منه في مكانة في الرمال فيكون غذاء للأفراخ الصغيرة [3].

أن الانتشار الواسع لقشور البيض يعطينا انطباع على كثرة تواجد هذا الطائر، واتساع مناطق تواجده آنذاك، وإذا أردنا معرفة إلى أي مدى اتسعت مناطق تواجده وإعداده، علينا تتبع انتشار قشرة البيض واستخداماتها في دول العالم القديم، كما لو إننا إذا أردنا ان نعرف الانتشاري الحضاري لبلاد الرافدين فعلينا معرفة إلى أي مدى انتشرت فيه الأختام الاسطوانية، ويمكن مقارنتها أيضا في انتشار النقود الرومانية التي هي دليلنا لمعرفة انتشار النفوذ الروماني[4].

هناك نقش بارز في موقع (ازيب نكيس) ضمن جبال الأطلس الصحراوي في المغرب يمثل أكباش ذات القرون الملتفة وطيور النعام ورجال

(1) Denis C. Deeming: (1999). p. 4

(2) فابريتشيو موري: (1988)، ص 53

(3) Peter Roger Stuart Moorey: (1994). p. 128

(4) هنري فرانكفورت: (1965)، ص 68

يحملون سهاما ويبدو من هيئة ملابسهم أنهم ربما عاشوا خلال عصر البرونز في المغرب [1]، وهذه النقوش تقع حاليا في بيئة تتصف حاليا بالجفاف، فوجود ذلك الطائر مع نقوش موقع (إسلي) في منطقة (سماره) التي تمثل الفرسان وهم يطاردون الفيلة فلابد وأنهم مثلوا حالة وجودها في تلك المناطق عندما كانت الصحراء الأفريقية الكبرى أكثر خضرة ووفرة بالمياه مما هي عليه الآن، وان مناخ شمال أفريقيا استقر كما هو عليه الان منذ (3000) ق.م على الأقل [2].

أما الرسوم الصخرية فتظهر في وادي (تامريت) و (فم الحسن) بوادي (درعة) جنوب غرب المغرب، نرى رسوم لعدد من طيور النعام وهو في حالة هروب، وهذه الرسوم هناك ما يشابها في رسوم طرابلس في ليبيا وتعود إلى الألف الثالث ق.م، وتنتمي غالبية هذه الرسوم إلى مرحلة العصر الحجري الحديث بوجه عام [3].

ومن المواقع التي ترجع لما قبل فترة الفخار هناك موقع في جهة مدينة (طرفاية) بالصحراء جنوب غرب المغرب، وجدت شقاف أواني مزخرفة من بيض النعام، ووجوده بكثرة يدل حتما على ان هذا الطائر كان يتواجد بأعداد كبيرة وشكل مادة غذائية لسكان الموقع [4] ، كانت الأواني حجرية هي الأولى ثم تلاها الأواني الفخارية البدائية الصنع، ومن بين الاواني الفخارية نوع اطلق علية فخار (Castelluccio) ذو الأصول (الصقلية) ويؤرخ إلى العصر الحجري الحديث [5]، وقد عثر على ما يماثله في الجزائر وتونس، وقد زخرف بأشكال متعددة منها الطيور، وماعز بري، وأشكال أدمية، وكلها تتميز بان الأشكال المرسومة تأخذ شكل هندسي، وبألوان احمر فاتح وقاتم على سطح أحمر أو أبيض، وعثر على هذا الفخار في موقع (كاف تحت الغار) القريبة من مدينة (تطوان) [6]، والرسم يضم أربعة نعامات في حالة وقوف وأعطي للريش اللون الأسود والشكل برمته خطوط هندسية، وقد كرر الرسم على سطح الوعاء ثلاث مرات.

(1) Juan Martinez: (1941). Pp. 233-236
(2) Stéphane Gsell: (1913). Pp. 88-89
(3) رشيد الناضوري : (1981) ، ص 144
(4) Robert Letan: (1967). Pp. 137-150
(5) Charles Goetz: (1942). Pp. 60-106. (p. 95. N. 2)
(6) Gabriel Camps: (1961). p. 381



شكل 67: نقشت أربعة نعامات على فخار بربري من شمال افريقيا

إذا أمكن أن نكتب تاريخا للمغرب مستقلا بذاته فلا يمكن فصل الجزائر وتونس بعضهما عن البعض، وهما دولتين لا يوجد بينهما حواجز طبيعية، والمعطيات الأثرية أعطت تشابه من حيث النبات والحيوان بينهما وتوضح وجود أدوات العصر الحجري القديم إلى جانب نقوش الفيل، وفرس البحر، والكركدن، والبقريات، والزرافات، والظباء، والنعام [1]، وقد قدم الاثاري (Vaufrey) دراسة عن النقوش والرسوم الملونة جنوب (وهران) (جبال الأطلس الصحراوي) في المناطق (فكيك)، و (عين الصفرا)، ولاية (افلو)، وأيضا ولاية (تيارت)، ولاحظ أن أكثر الحيوانات الممثلة بالصور هو الجاموس القديم حيوان ذو قرنين طويلين جدا وانقرض مع طغيان البيئة الصحراوية، وحدد تاريخ الصور إلى العصر الحجري الحديث ثم يليه صور الفيل والزرافة ذات الرقبة القصيرة وكلاهما انقرض في العهد الروماني بسبب كثرة الطلب عليهم وقتلهم في المسارح الدائرية الرومانية [2]، ثم تظهر رسوم الزرافات والنعام وهناك مشاهد الأسود، وبنات آوى، وخنزير البري، والنعام عثر عليه في (بكاف مسوار) (بلدية واد شرف المختلطة) [3] ، وقد لاحظ الاثاري (Lhote) وجود اختلاف بين نقوش الحيوانات في جنوب وهران عن نقوش الحيوانات في جبال تاسيلي-ازجر(Tassili-n-Ajjer) في جنوب شرق

---

(1) لم يعثر على الآيل والحيوانات اللبونة آكلة اللحوم إلا ابتداء من العصر الحجري المتوسط (الموستيري أو عصر ما بين الجليدي ريس- ورم): شارل اندري جوليان: (1969). ص 43

(2) رجب عبد السلام الاثرم: (1998)، ص 27

(3) Raymond Vaufrey: (1939). p. 58

الجزائـر والتـي صـورت فـي حالـة الجـري مـثلا سـرب النعـام وهـو فـي حالـة هروب، أما في جنوب وهران فهي منفردة وفي حالة وقوف (1).

كذلك ضمت نقوش جنوب وهران تمثيل الحيوانات بالاتجاه الأمام مباشرة وتجمع الأسود والنعام معا في نقش واحد أو فيلة وماشية ونمور ولا وجود للأشكال الآدمية (2)، فهل الأسد يحتل مكانة الإنسان بالنقش؟ أم ان تلك النقوش الجماعية توحي بوجود طقس ديني معين! القسم الآخر من النقوش مثلت فيه الأبقار المدجنة سويتا مع الفيلة والظبي والنعام، ربما هذه تأثيرات صحراوية حدثت خلالها إضافات لأشكال حيوانية غير مدجنة إلى جانب الأبقار، وقد وجد هذا النقش في وادي سيورا (Saoura) عند منحدرات الأطلس الصحراوي المطلة على الصحراء الإفريقية الكبرى (3).



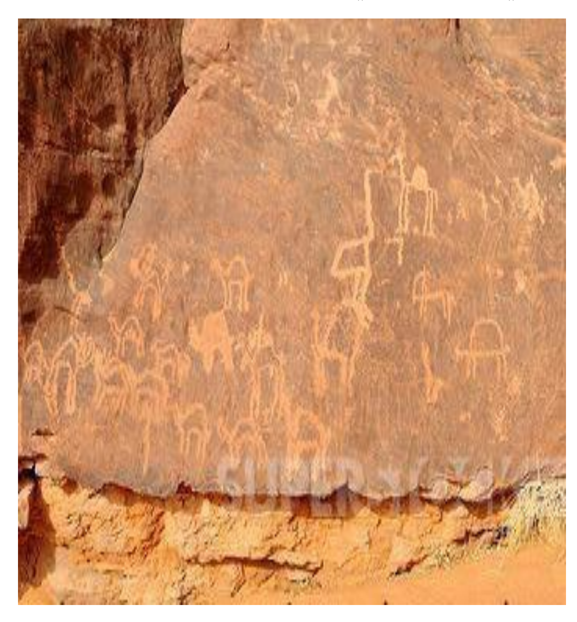
شكل 68: رسوم ملونه من وادي سيورا عند منحدرات الاطلس الصحراوي جنوب وهران

---

(1) Henri Lhote: (1970). p. 197
(2) Ibid: (1970). p. 174
(3) Ibid : p. 174

وفي ولاية (الجلفة) جنوب الجزائر سجل الباحثان (Huard) و (Allard) ثلاثة وأربعين موقعا للنقوش الصخرية، ومنها موقع بالقرب من قرية (سيدي مخلوف)(Sidi Makhlouf) ويعود إلى مرحلة الصيادين صورت الحيوانات الضخمة كالجاموس القديم والفيلة والكركدن والأسود والنعام واشكال بشرية [1].

من أفضل مواقعِ النقوش تلك التي نجدها في جبال (تاسيلي-ازجر) في جنوب شرق الجزائر حيث سجل (15000) نقش، ومن خلال الرسوم على صخور تاسيلي يمكن تتبع التغيرات المناخية وتطور الحياة الإنسانية من (10000) ق.م وإلى القرون الأولى من ميلاد المسيح، فعند هضبة (ديدر) (Dider) جنوب اهرير (Iherir) في جبال (تاسيلي-ازجر) وعلى مسافة (30) كلم من الصخور المنقوشة بشتى الرسوم الحيوانية منها الزرافات والنعام والغزلان، البعض من النقوش بالحجم الطبيعي، وما يلفت للنظر بان النقش الخاص بالنعام يمثل أربعة نعامات في حالة جري وقد راعى الفنان التاسيلي النسب وحجم الطير وبالتساوي مما يدل على تراكمات فنية وأداء جميل على اللوح الصخري [2]، ونقش آخر يمثل جمل ونعامة من (تادرارت) (Tadrart) في جبال تاسيلي ازجر.





شكل 69: نقش مثل جمل ونعامة من تادرارت في جبال تاسيلي (اليمين)، شكل نقش نعامتان أحدهما تقف على ظهر ثور من جبال الهكار جنوب الجزائر (اليسار)

(1) Paul Huard et Leone Allard: (1976). Pp. 67–124
(2) Ahmed Kerzabi: (1981). p. 25

عثر في جبال (الهقار) على نقش يمثل ثور ذو قرون طويلة تقف فوقه نعامة والملاحظ لا يوجد علاقة بين النقشين مما يدل على ان الجاموس إضافة متأخرة إلى النقش ربما يعود إلى عصر الرعاة الذي جاء بعد عصر الصيد، وقد حدد الباحث (Lhote) هذا العصر بالدور الثالث وهو خليط من الرسوم الملونة والنقوش[1]، ويمكن القول بان الفترة التي نقشت فيها رسوم الثور والزرافة والفيل والنعامة كانت مرافقة إلى ظهور الجمل كواسطة للنقل في الصحراء الكبرى ولفترة بداية العصر المسيحي، ومن خلال الحفريات لوحظ وجود أشجار السرو في جبال الهكار والتي اختفت تماما في الوقت الحاضر[2].

تتصف تضاريس ليبيا بأنها هضبة صحراوية مترامية الأطراف فهي جزء من الصحراء الأفريقية الكبرى وتنحدر تدريجيا من الجنوب إلى الشمال وتتخللها سلاسل جبلية جرداء وقد حظيت تلك المرتفعات باهتمام الباحثين لأنها احتوت على النقوش والرسوم الصخرية فقد زارها الرحالة الأوربيين منذ فترة مبكرة من القرن التاسع عشر[3]، ولسنا بصدد ذكر رحلاتهم لكن ما يهمنا أشكال النعام التي مثلت على الصخور، وقد أشار المؤرخ اليوناني هيرودوتس بان المنطقة التي يسكنها البدو الرعاة مليئة بالحيوانات البرية ومنها بقر الوحش والظباء والنمور والنعام والثعابين [4] والتي سجلها الباحث (Mori) في جبال (تادرارت اكاكوس)[5]، ففي موقع (تين لالان) عند وادي (تشونيت) و(تاكيسيت) في جبال اكاكوس عثر على نقشان لزرافة ونعامة وجاء نقشهما في نزعة طبيعية فقد استعملت تقنية في نقش النعامة ساعد على جعل مؤخرة الجسم والريش أكثر نعومة وحدد زمنها إلى دور الجمل.

---

(1) صلاح رشيد الصالحي: (2014)، ص 84 هامش 25

(2) صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص 45-48

(3) حول الرحالة الأجانب وزيارتهم لمواقع النقوش والرسوم : محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص 121-125 // رجب عبد السلام الاثرم: (1998)، ص 19-22

(4) Herodotus: (L.C.L) Translated by A. D. Godley. IV. 192

(5) فابريتشيو موري: (1988)، ص 73 و IV. 192202

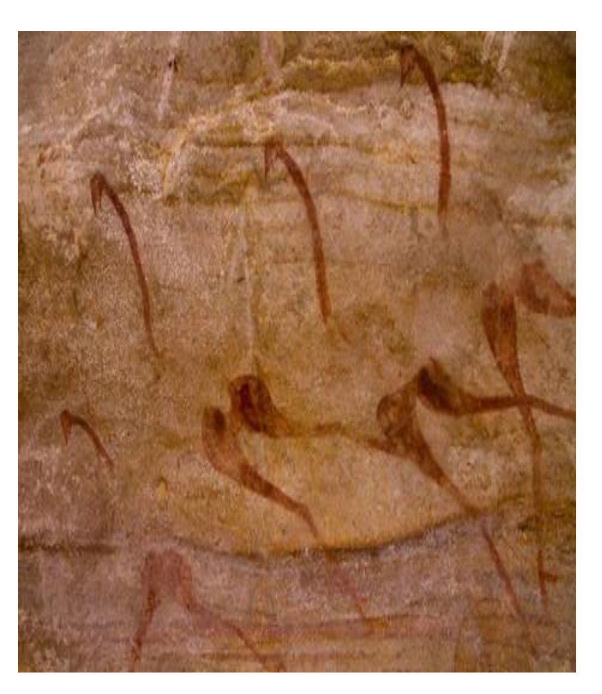



شكل 70: نقش يمثل نعامة من موقع تين لالان في وادي تشونيت في ليبيا (اليمين)، شكل نقش نعامتان من موقع وادي مثكاندوش في جنوب ليبيا (اليسار)

مثلت النعامة في وادي (تشونيت) وهي في حالة الجري وتعود إلى دور الرعوي القديم [1]، ومن موقع وادي (مثكاندوش) (Wadi Methkandoush) في الجنوب الليبي الصحراوي مثلت النعامة بالحز على واجهة صخرية مكرر مرتين والثانية مثلت بحجم أصغر للدلالة على بعدها وكلاهما في حالة وقوف.

أما الرسوم الملونة فقد أعطى موقع (عين عيدي) الأكاكوس رسم ملون لنعامة تشبه إلى حد كبير النعامة المنقوشة في (تين لالان) وقد رسمت بلون أبيض، وهي فعلا رائعة من حيث تأثير الحركة والرسم فالساقان منفرجان تماما وفي وضع الركض الكامل والريش واسع تقطعه مناطق فسيحة غير ملونه، والمشهد الاخر نعامة أخرى راكضة، وثالثة رسمت بالأبيض في حالة سكون، وهذه الأخيرة جميلة جدا ساقاها متوازيان تقريبا والرقبة منحنية وأبعاد النعامة الراكضة (20 سم X 20 سم) وتعود للدور الرعوي [2].

(1) فابريتشيو موري: (1988)، و 192202 .IV : ص73
(2) المصدر نفسه: ص 151-152




شكل 71: رسم ملون يمثل نعامة في حالة هروب الرسم من موقع (عين عيدي) الأكاكوس (جنوب ليبيا) (اليمين)، رسم سرب من النعام في حالة هروب الرسم من وادي الخيل في الجنوب الليبي (اليسار)

من موقع (وادي الخيل) في وسط الصحراء الليبية مشهد مثل على واجهة صخرة ويظهر في النقش أسد ينقض على نعامة من الخلف، وقد صور الفنان رأس النعامة وقد مال إلى الوراء وقد جلست على قدميها لإثبات ثقل الأسد والألم الناتج عن خالبه، وفي لوح صخري آخر من نفس الموقع مثل أسد ينقض على نعامة وهي في حالة هروب وقد دفعت رأسها إلى الوراء دليل الصدمة[1]، وعلى لوح صخري آخر صقيل نقشت سرب من النعام في حالة جري أو ما يعرف بالهروب [2].

في النقوش المصرية نتوصل بان سكان ليبيا القدماء من (التمحو) و(الليبو) الذين استوطنوا المناطق الشرقية من ليبيا المحاذية لمصر بان رجال تلك القبائل كانوا يضعون فوق رؤوسهم ريشة النعام أو ريشتين كحلية شخصية لهم، وقد دفعهم ذلك بالطبع إلى اصطياد هذا الطائر باستمرار، هذا ان لم يكن قد حاولوا استئناسه [3]، وتظهر رسوم لبعض الصيادين وهم يرتدون ملابس

---

(1) باولو غراتسيوزي: (1968) ، الألواح : (b. xiv) و (a. xv) و (a. xxvi) و(a. xvi) و (a.ix)

(2) المصدر نفسه: لوح (B.XVI)

(3) رجب عبد السلام الاثرم: (1998)، ص 28

جلدية ويلبسون أقنعة من رؤوس الحيوانات كالغزلان والذئاب والفهود وهم يخدعون الحيوانات التي يريدون اصطيادها كالزراف والنعام [1]. وقد صور الليبي الصحراوي سرب من النعام في هروب جماعي محتمل من إمام الصيادين وجد النقش في منطقة وادي الخيل (الجنوب الليبي).

ومن مخبأ (وان موهجاج) الأكاكوس عثر على نقوش عدة منها طائر النعام، واجريت تنقيبات في الموقع حيث عثر في الحفرة الاختبارية على عظامه في الطبقات (10 و 9 و 8 و 7) ومعها عظام ثيران و ماعز و أكباش وسلحفاة [2]، ولوحظ وجود العديد من المواقد وعظام ماعز وبقر، وهذا يشير إلى تجمع بشري جديد، وتأكد غياب الحيوانات الوحشية ربما اتجاه مناخ ليبيا نحو الجفاف منذ أربعة عشر ألف سنة قبل الميلاد وبكلمة أخرى أن نقوش الحيوانات المفترسة واكلات العشب (الزرافة والنعامة) جاءت بعد انقراضها وما بقي منها قد تحدد وجوده فيما بعد في منطقة السفانا التي تقع تحت حزام الصحراء الأفريقية الكبرى [3].

من المحتمل كثرة النقوش والرسوم في صخور جبال ليبيا تعود إلى اعتقاد القبائل الليبية بوجود قوى سحرية تكمن وراء الأشكال المنقوشة تمنحهم القدرة على اقتناص فرائسهم أو درء خطرها عنهم، قد يكون هذا الرأي مقبول لكن ما هو تفسير العديد من المشاهد الرمزية والخطوط والأشكال الهندسية؟ يعتقد الباحث (Denis) [4]، أن هذه العلامات الرمزية بكافة أشكالها أنما تمثل إحدى مراحل الكتابة التصويرية، وقد قدم مقارنة شيقة بين تلك النقوش الرمزية التي عثر عليها في منطقة (دوكالة) بالمغرب مع ما عثر علية في الجزائر، وتلك التي وجدها في فنون الصحراوية بليبيا فخرج بحصيلة (1125) علامة وتخطيطا [5] أحتفظ بها علم الخطوط وأطلق عليها الخط الليبي، ولكن من الصعب فك تلك الرموز [6].

العلاقات الثقافية بين وادي النيل وشمال افريقيا

عندما نتطلع لخارطة مصر فأن وادي النيل هو الجوهرة التضاريسية لهذه الدولة العريقة منذ القدم، ينبع نهر النيل من البحيرات الاستوائية وهضبة الحبشة ويشق طريقه عبر أراضي صخورها جيرية وتربتها سوداء (بالهيروغليفية خمت) بمعنى (الأرض السوداء) حتى يصب في البحر المتوسط، وبذلك يقسم الصحراء (بالهيروغليفية دشرت) بمعنى (الأرض الحمراء) إلى شرقية ما بين النيل والبحر الأحمر وغربية امتدادها مع

(1) هنري لوت: (1967)، شكل 66-67

(2) Charles Reed: (1960). Pp. 110-145

(3) صلاح رشيد الصالحي: (2007)، ص 301

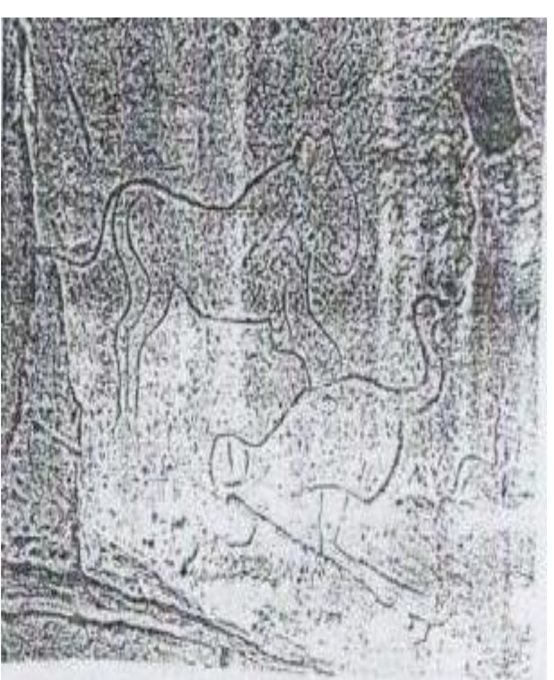
(4) Alexis Denis: (1971). Pp. 161-196

(5) شارل ادري جوليان: (1969)، ص 78

(6) صلاح رشيد الصالحي: (2007)، ص 295

الصحراء الكبرى، وقد أطلق هيرودوتس على مصر (هبة النيل) [1]، وعلى ضفاف النهر استقر الإنسان والحيوانات بكافة أشكالها ومع نهاية الألفية الرابعة ق.م أقام المصريين أولى أسراتهم التي أسست حضارة تتميز بالأصالة وأقاموا المنشآت العمرانية والدينية وما وصلنا عن الحضارة المصرية من مقابر ملكية ومعابد ضمت نقوش ورسوم جداريه ملونه، ومنحوتات حجرية لا تحصى هي التي ستكون دليلنا للتعرف على طير النعام وتواجده ومكانته في التراث المصري .

من مدينة (هابو) في صعيد مصر نقش يمثل نعامتان تحركان جناحيهما، واعتبرهما الباحث (Kuentz) بأنهما نعامتان على الرغم من أن الأجنحة صغيرة ولا تناسب حجم الجسم الكبير [2] (شكل 72).

شكل 72: نقش من موقع وادي الخيل(ليبيا) يمثل أسد يهاجم نعامة (اليمين)، نقش نعامتان من مدينة (هابو) في صعيد مصر (اليسار)

وهناك نص بالهيروغليفية على مسلة تحت رقم (34001) محفوظة حاليا في متحف القاهرة يشير إلى طائر النعام: (مثل الإله آتوم (Atem) في شرق السماءِ، عندما ترقص النعامات في الوديان) [3].

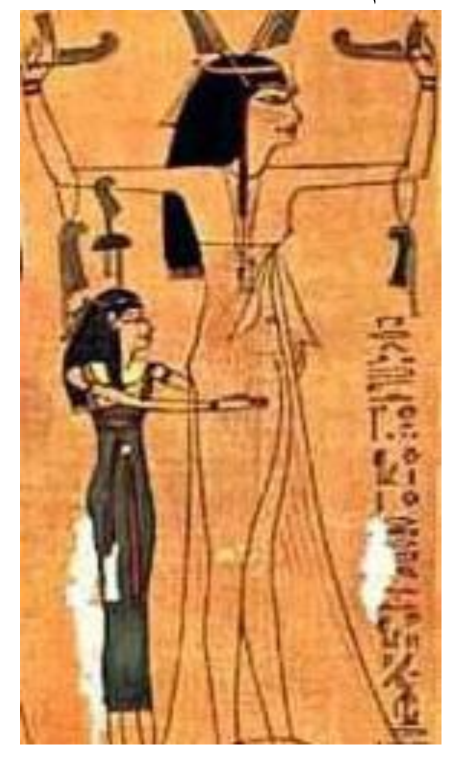
---

(1) آنا رويز: (2005)، ص 17

(2) Charles Kuentz: (1924). p. 87

(3) Ibid: p. 85

كانت للنعامة حضور في الميثولوجيا المصرية ومنذ فترة مبكرة فقد أعتبر هذا الطائر شعار الإلهة (امنتيت) أو (Amentet) أو(Amenta) أو (Imentet) أو (Amentit) أو (Imentit) آلهة الموت والغرب، التي تستقبل الموتى في العالم الأسفل، وكانت الإلهة (آمنتيت) تزن قلوب الموتى بميزانها فتضع القلب المتوفي في كفة الميزان وريشة النعام في كفة أخرى حتى تسمح للميت بالحياة ما بعد الموت، كما ورد في النص: (على الإنسان أن يعيد العدالة إلى الجميع ، مثل ريشة النعامة، فذلك الطير، على خلاف الطيور الأخرى، كل الريش متساوية) [1]، وقد مثلت الإلهة بسيدة جميلة على رأسها ريشة نعام أو أحيانا طائر الصقر، ويعتقد أنها تعيش في شجرة على حافة الصحراء وهو المكان المناسب حيث يعيش النعام آنذاك [2].





شكل 73: الإلهة (امنيتيت) وهي تضع على رأسها ريش النعام (اليمين)، شكل الإلهة ماعت تضع على راسها ريشة نعام

---

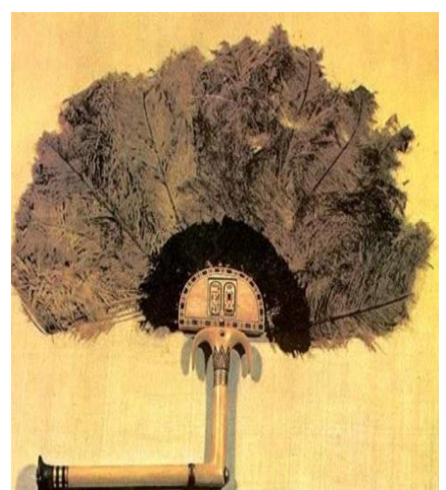
(1) Frédéric Portal: (2003). p. 50

(2) الإلهة (امنتيت) في الأصل تعني مكان غروب الشمس، لاحقا أصبح الاسم يطلق على المقابر والقبور، التي شيدت على المرتفعات الصخرية أو الجبال على الضفة الغربية من وادي النيل، والمصريون الأقباط يترجمون اسم (Anemd) إلى اسم الإله هاديس (Hades) اليوناني إله الموت عند الإغريق:

Ernest A. Wallis Budge: (1895). p. 134

أصبحت النعامة في عام (2600) ق.م ترافق الإلهة (ماعت) أو (معات)[1] إلهة الصدق والعدل والمثالية والخلق والاستقامة، وكانت (ماعت) شيئا مجرداً وليس كائنا، وكان رجال القضاء يلقبون بكهنة (ماعت) وكانوا يمثلونها في هيئة امرأة جالسة أو واقفة وعلى رأسها ريشة النعام [2]، كما وضع الإله اوزيرس (Osiris) على رأسه ريشتان لنفس الطائر [3]، هذه القدسية جعلت زوجات الفراعنة وبناتهم يزين شعورهن بريش النعام لأنها رمز الخصوبة والحياة الجديدة، وكان شاعا في عهد المملكة الحديثة ان يضع الجنود ريشه النعام واحدة أو ريشتان على رؤوسهم كدليل على النصر في المعركة [4]، بل ان الضباط وقادة العربات الحربية في عهد المملكة الحديثة يزينون رؤوسهم بريش النعام [5].

كما صنعت من ريش النعام المراوح ذات مقابض من ذهب وجد نموذجا لها في قبر (توت-عنخ –آمون) (1350) ق.م من الأسرة الثامنة عشر.




شكل 74: مروحة من ريش النعام ذات مقبض من الذهب عثر عليها في قبر توت-عنخ-آمون كما صورت على جدران مقابر ملوك مصر (اليمين)، شكل يمثل رحلة صيد للنعام للملك توت-عنخ-آمون من المقبرة الملكية في وادي الملوك بالأقصر (اليسار)

---

(1) الإلهة (ماعت) زوجة الإله (تحوت) وابنة الإله (رع)، وهي إلهة قديمة ، ومعنى الاسم (الحقيقة الكاملة) ، ويطلق عليها (معات العظيمة)، و(الإلهة معات قوانين السماء التي لا تغير) والرجل المصري يقول (الإله سيحمي بمعات الحق) :
Ernest A. Wallis Budge: (1895). p. 121

(2) احمد أمين سليم: (2002)، ص 202 - 203

(3) المصدر نفسه: ص 163

(4) Adolph Erman: (1972). p. 524

(5) Bruce Trigger: (1996). p. 9

لدينا مشهد صور على جدار قبر الملك الشاب توت-عنخ-آمون يركب عربه حربية يسحبها حصانين وقد شد وتر قوسه إلى أقصى حد مصوبا سهما اتجاه نعامة في حالة هروب، وهي تنظر باتجاه الفرعون دليل الخوف، ويجري خلفها كلب، والعمل الفني برمته متقن فالملك يرتدي شعر مستعار قصير من الخلف وطويل في الجانبين وهو طراز (نوبي) يتم ارتدائه في المعارك الحربية ورياضة الصيد [1]، كما مثلت المراوح على الرسوم الجدارية لأنها تعتبر من المعالم الملكية في مصر، كما وكانت المراوح تحمل وراء موكب الفرعون لحمايته من أشعة الشمس، وأيضا توضع مراوح قرب العرش لتلطيف درجة حرارة الطقس المرتفعة في الصيف وكلها صنعت من ريش النعام [2]، وقد استعمل بيض النعام ضمن الأثاث الجنزي الذي يرافق الميت إلى العالم الأسفل قبل عصر ما قبل الأسرات [3]، بل أن قشور البيض لهذا الطائر تغطي حضارة ما قبل الآسرات في الوجه القبلي (نقادة I، ونقادة III) وعلى طول وادي النيل وفي منطقة الفيوم [4].

أما قبر ميراير (Meryre) (قبر 2 في تل العمارنة)، وهو مراقب البيوت والأرباع الملكية للزوجة الملكية العظيمة (نفرتيتي) حيث صور على جدار القبر مجموعة من الليبيين يعرضون بيض النعام الذي استعمل لحفظ العطور، والريش لعمل المراوح للفرعون (امنحتب الرابع) (اخناتون) [5]، وكشفت التنقيبات الأثرية عن قطع من بيض النعام البعض منها ملونه في موقع (البداري) (وهي بلدة تقع قرب قاو الكبير بأسيوط) وفي (نوبيا) بجنوب مصر[6]، وهي محفوظة الآن في المتحف الشرقي في بنسلفانيا، كما عثر على بيض النعام وبكثرة في قبر طفل في مدينة (هيراكنوبولس) (Hierakonpolis) وهو اسم اليوناني يعني (مدينة طائر الباز)، واسمها المصري القديم نيكخن (Nekhen) اسمها الحديث (كوم الأحمر)، كما وضع قشر البيض في مقابر الأغنياء وهو حاليا في متحف (اشمولين) في أكسفورد[7]، واستعمل قشر البيض كمجوهرات بسيطة على شكل خرز بهيئة أقراص مستديرة صغيرة مثقوبة في الوسط وتعلق بخيط جلدي كعقد، وقد عثر

---

(1) Henry T. G. James: (2001). Pp. 188-187

(2) حول بيض و ريش النعام مع ريش الطاووس راجع :
Nile Green: (2006). Pp. 27-78

(3) Winifred Needler: (1984). Pp. 306–307

(4) Helene J. Kantor: (1948). Pp. 46- 51

(5) David Conwell: (1987). p. 31.Fig. 12

(6) حول تسلسل الحضارات ما قبل الأسرات المصرية الوجه القبلي : وائل فكري: (2009)، ص 23

(7) Béatrix Midant-Reyne: (2003). p. 41 ff

على نماذج تعود لعصور ما قبل التاريخ[1] وأخرى نفس شكل العقود تعود للأسرة الثانية والعشرين[2]، والحجم الأكبر من أقراص القشرة المثقوبة تعلق في الإذن، أو الجبين أو تزخرف به الملابس[3] وفي أحيان أخرى تعلق على الرقبة كتعويذة حيث تثقب من جهة وتقطع الجهة الأخرى لعمل شكل ما، وأحيانا يتم طلاء القشرة واستعمالها في تطعيم التحف الفنية في مصر [4].

أما الأواني فهي الوحيدة التي عرفت من الحاجات المصنوعة من بيض النعامة، والقليل منها نشر عنه، ولكن هناك تشكيلة من الأنواع تؤرخ إلى الأسرة الثامنة عشر وتضم وعاء وكأس وكلاهما تم عمل فتحة من الأعلى، ومن المحتمل فان الكأس كان لديه مقبض من الخشب [5]، وعثر على ستة أوعية من بيض النعام لحفظ العطور في واحة (الداخلة)، وربما استعملت لشرب الماء قبل صناعة الأوعية الفخارية [6].

لقد استمرت مكانة النعام وريشه في فترة حكم (البطالسة) فقد عثر على منحوتة بهيئة بيضة النعام عليها نقوش تمثل طقوس دفن الميت في سراديب الموتى (البطالمة) بالإسكندرية [7]، وأحيانا يطلى البيض ويصدر إلى الجزر بحر (ايجة) في العهد البطالمة، وأيضا في فترة خضوع مصر للسيادة الرومانية ربما لأغراض دينية فقد عثر على العديد من البيض الملون في مدينة برنيقي (Berenike) الإغريقية في إقليم (ابيروس) (Epirus) (255-238) ق.م [8]، وفي مصر القبطية يمثل البيض ولادة وإحياء السيد المسيح، ويزخرف ويزخرف داخل الكنيسةَ في أغلب الأحيان هذه الرمزية انتقلت إلى الكنائس الشرقية والغربية [9].

عرف صيد النعام بمصر منذ قديم الزمان، فقد صنع من قشر بيضه الخرز والدلايات وأيضا الأواني، كما استخدم البيض المزين بالنقوش منذ عصر ما قبل الأسرات وعلى ما يبدو لهذا القشر المنقوش معنى ديني، وتطلب الحصول على النعام وريشه وبيضة الاعتماد على التجارة التي كانت لها أهمية كبيرة في العالم القديم، ومن بين مناطق التي شهدت ازدهار تجارة النعام ومخلفاته هي أماكن تواجده في ليبيا والنوبة (جنوب مصر)، وبالمناسبة فأن

---

(1) David Wengrow: (2006). p. 20
(2) Lucas, Alfred: (1962). p. 38
(3) Winifred Needler: (1984). p. 306
(4) Jacke Phillips: (2008). II: 155
(5) Thomas, Angela: (1981). p 87 no. 755
(6) Sheikholeslami, Cynthia May: (2000). Pp. 33, 58 no. 13, 126 H
(7) Nile Green: (2006). p. 30
(8) Sidebotham, Steven E., and Willeke Wendrich (eds.): (2000). Pp. Pp. 140 - 142
(9) Alfred Butler: (1884). Pp. 77 - 79

تجارتـه واقتنـاء الـريش والبـيض اسـتمر إلـى العهـد الكلاسـيكي (اليونـاني والرومـاني) والبيزنطـي حيث كشف عن قشور البيض من جهـة أو الانتشـار الواسـع لرسـوم الطيـر علـى الفسيفسـاء فـي منـاطق جنـوب وشـرق مـدن البحـر المتوسط [1] .

لكـن التجـارة ليسـت الوحيـدة التـي تـورد النعـام ومنتجاتـه إلـى مصـر القديمة إنما الهدايا التي يقدمها الملوك والتابعين الصغار لفراعنـة مصـر، وكلمـا كانـت الهـدايا متنوعـة وغريبـة فـي شـكلها أو حجمهـا الكبيـر أو غلائهـا ونـدرتها كلما كانت السيادة المصرية قوية ولها القدرة على فرض سيطرتها على الأقـاليم القريبة والبعيدة، كانـت مفـردات الهـدايا وفـق رغبـات الفراعنـة ولهـا رغبـة فـي عيـونهم مثـل الفضـة (مـن بـلاد الأناضـول) (تعتبـر اغلـى ثمنـا مـن الـذهب)، وأحجـار الـلازورد الأزرق مـن بـلاد الرافـدين، والنسـاء كزوجـات ومحظيـات للفرعـون لتقويـة العلاقـات مـع الممالـك المجـاورة، والبخـور مـن بـلاد البونـت (يعتقد جنوب الجزيـرة العربيـة، اليمن، أو الصـومال) لاستخدامه فـي المعابـد، والقائمـة طويلـة ومتنوعـة، ومـن ضـمن الهـدايا طيـر النعـام، فلـدينا مشـهد يمثـل رجل (نوبي) شعره قصير من الخلف وطويل علـى الجـانبين، يرتـدي جلـد نمـر مرقط كاشفا عن صدره يمسك بنعامـة وظبـي، وهـو واحـد مـن مجموعـة رجـال يحملون الهدايا إلى الفرعون.





شكل 75: رجل نوبي ضمن وفد يقدم هدايا للفرعون ومن بينـهـا نعامـة وظبـي مـن عهـد المملكـة الحديثـة (اليمـين)، يقـود مصـريان نعامـة والـريش والبـيض هدية للفرعون من عهد المملكة الحديثة (اليسار)

(1) David Conwell: (1987). p. 33

أن المشهد يعود إلى عهد المملكة الحديثة وعلى ما يبدو أن هذا الطائر أصبح نادرا ومن ثم شيء نادر بما فيه الكفاية حتى يقدمه النوبيين من أقصى جنوب مصر هدية إلى سادتهم في (طيبة) (الأقصر حاليا) وتقديم الريش والبيض للفراعنة، وربما أيضا استورد من بلاد (البونت) [1]، ومشهد آخر يمثل مصريان احدهما يمسك نعامة بحبل مربوط في رقبتها والثاني يحمل ثلاث ريش بيد اليمنى وسله فيها ثلاث بيضات باليد اليسرى يقدمها هدية إلى البلاط الملكي، والرسم يمثل العلاقات بين وادي النيل وقبيلة البجا (Beja) (اغلب سكان هذه قبيلة تنتشر في المدن السودانية على ساحل البحر الأحمر ومدن ارتيريا وجنوب مصر) [2].

لن تكون هناك دراسة مكتملة من الجانب التاريخي إلا وبلاد الرافدين لها حضور متميز، فالقدم في الوجود والأصالة الحضارية تفرض نفسها دائما على باقي المناطق المجاورة له، ومن أهم المعالم التضاريسية في العراق النهرين دجلة (ادكنا Idigna) والفرات (بوراتو أو بوراتم Puratum)، فكلاهما ينبعان من بلاد الأناضول وبعد جريانهما الطويل والبطيء والهادئ ولكنهما مفعمان بالخير للإنسان والحيوان والمزروعات يلتقيان بنهر واحد (شط العرب) يصب في الخليج العربي (بالأكدية البحر السفلي أو بحر شروق الشمس)، أما في الشمال فسلسلة من الهضاب والجبال تشكل معلم تضاريس آخر يختلف كليا عن وسط وجنوب بلاد الرافدين.

لقد استوطن طائر النعام في صحاري الشرق الأدنى القديم وفي بلاد الرافدين لأن البيئة ملائمة لهذا لطائر الذي استوطن العراق وكان من فصيلة (struthio camelus)، ووجد بكثرة على الضفة اليسرى من نهر الفرات [3]، وربما في أماكن أخرى مثل سهل سوريا، وفي شرق الجزيرة العربية وقريبا من الرياض (المملكة العربية السعودية) نقش بالحز يمثل نعامة ومعها (11) فرخ، والمشهد فيه تداخل فهناك شكل ذئب وآدمي ربما إضافة متأخرة.

---

(1) James Henry Breasted: (1906). Part 3. Pp. 37 , 475

(2)ورد اسم البجا في النصوص المصرية منذ عهد امنمحات الأول (Amenemhat) من الأسرة الثانية عشر حيث تمكنت قواته من فرض سيطرتها على تلك المجموعة العرقية في جنوب الشلال الرابع والتي لها لغة وتقاليد خاصة، لدراسة أوسع عن قبيلة البجا: Martine Vanhove: 2006

(3) George Rawlinson: (1862–1867). p. 228 // Xenophon: Anabasis. 1. v. 3.



شكل:76 نقش صخري من منطقة الرياض في السعودية يمثل نعامة وفراخها

لقد اخضع بيض النعامة من بلاد الرافدين للدراسة والتحليل واستنتج بأنه نفس النوع النعام الذي كان سائدا في سوريا وشمال أفريقيا، وهو اكبر الطيور حجما ومراوغ وفي الأرض المفتوحة يحقق هذا الطائر سرعة كبيرة تصل إلى (26) ميل في الساعة لذلك اصطيادها يحتاج إلى مهارة [1]، وأطلق علي النعام بالسومري (gir- gid-da) وتعني (الطائر ذو الأرجل الطويلة) وكلمة (gam-gam) تعني (محسن أو حسن النية)، و بالأكدية (-gamgam mu)، وأما التعبير الآشوري (sha-ka-tuv) و (se-ip-a-rik) كلاهما يعطي معنى (الأرجل الطويلة).

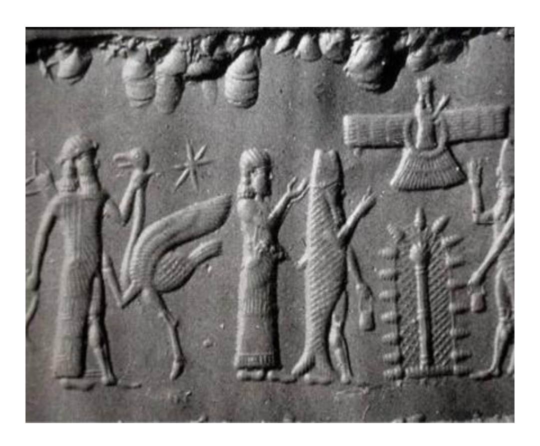
شاع وجود النعامة في الفن الرافدي غالبا بعد (1300) ق.م ، عندما أشارت الحوليات الملكية الآشورية إلى قتله وتأسيرة، والبعض منها نقل إلى المنتزهات العامة وعرضها على المواطنين الآشوريين [2]، ونادرا ما صورت على الأختام الاسطوانية قبل الألفية الثانية ق.م، ولكنها ظهرت في أختام العهد

---

(1) Peter Roger Stuart Moorey: (1994). p. 127

(2) أهتم سنحاريب (704-681) ق.م بمدينة نينوى فشيد سورا لها طوله (8) أميال، وأقام (15) بابا ، وشق الطرق و الساحات العريضة، وشيد قصرا له، وبني حديقة ضخمة تشبه جبل امانوس في سوريا حيث زرعت فيها كل أنواع النباتات وأشجار الفاكهة، وانشأ البساتين وجلبت الأشجار من سوريا مثل نبات المر، وكانت تلك المنتزهات تجري فيها رياضة صيد الأسود والنعام التي يمارسها ملوك آشور: هاري ساكز: (2003)، ص 132

الآشوري الوسيط (من القرن 15 إلى القرن 10 ق.م) [1]، فهناك لوحة طينية من العهد البابلي القديم عثر عليها في (كيش) تصور رجلا يمتطي نعامة [2]، وختم آشوري يعود إلى الألفية الثانية يصور الإله آشور بأربعة أجنحة يخنق نعامتان كل واحدة في جانب وكلاهما في حالة فزع ورفرفة الأجنحة، وتوجد كتابة مسمارية في القسم الأعلى من الختم [3].





شكل 77: طبعة ختم أسطواني يمثل الإله آشور بخنق نعامتان (اليمين)، طبعة ختم أسطواني يعود إلى العهد الاشوري الحديث يمثل صيد النعام والكاهن يرتدي رداء السمكة يقف أمام الشجرة المقدسة وخلفه الملك الاشوري (اليسار)

لدينا طبعة ختم يعود إلى العهد البابلي القديم صور فيه الإله مردوخ يمسك بذيل نعامة وبيده الأخرى سيف وإمامهم نعامة صغيرة وكلاهما في حالة جري، أما طبعة الختم من العهد الآشوري الحديث فيمثل الإله يمسك برقبة نعامة وبيده الأخرى آلة من الصعب تميزها لكن غالبا تستعمل لقتل الطائر وعلى ما يبدو موقع النجمة فوق النعامة دليل على أنها (طائر قرباني) والى جانب هذا المشهد يقف الملك خلف كاهن يرتدي رداء بهيئة السمكة ويحمل بيده سطل ماء وباليد الأخرى مقشة يرش بها الماء المقدس (مياه دجلة) رمز الحياة على الشجرة المقدسة (ربما شكل نخلة)،وهذا الكاهن ورداء السمكة يرمز إلى قوة مياه المحيط في باطن الأرض المتمثلة بالإله ايا (Ea) [4]، وفوق الشجرة المقدسة صور الإله آشور داخل قرص الشمس المجنحة [5].

---

(1) Elizabeth Douglas Van Buren: (1939). Pp. 87- 88

(2) Peter Roger Stuart Moorey: (1994). p. 128

(3) Elizabeth Douglas Van Buren: (1939). p. 88. fig. 94

(4) Enrico Ascalone: (2007). Pp. 72-73

(5) الختم يعود إلى العصر الآشوري الحديث (القرنين 9 و 8) ق.م من نمرود (كالخ Kalhu)، صنع من الحجر الاستاتيت، طول الختم (3,51) سم.

من بين عدة أشكال من الحيوانات تظهر النعامة على الأختام الاسطوانية التي تعود إلى العهد الآشوري الحديث، والختم المشهور وله علاقة بأسلوب النحت الآشوري ويعود إلى اورزانا (Urzana) ملك موصاصير (Muşaşir) (يعتقد إنها مدينة (راوندوز) الحالية كانت مقر عبادة الإله خالديا) في شمال شرق آشور في أواخر القرن الثامن ق.م، وحاليا معروض في (Hague) في لاهاي بهولندا، وصور الختم بطل أسطوري يمسك برقاب نعامات في حالة هجوم عليه من الجانبين [(1)].

ان المنحوتات التي صورت هذا الطير على الأختام الاسطوانية لا توضح ما هي الأساليب أو الحيل التي كانت تستعمل لمطاردته على الأقدام [(2)]، ولكن على الأكثر وحسب ثقافات المجتمعات البدائية فان القوس والنبال استعمل في قتله، يطلق رامي السهام سهمه على ما يعتقد نعامة، وهذا ما ظهر في زخرفة على أحد الكؤوس البرونزية وتنسب إلى القرن العاشر ق.م من غرب إيران أنجز من قبل فنانين مهرة متأثرين بالأسلوب الفني البابلي [(3)]، ونموذج آخر وعاء برونزي حاليا محفوظ في متحف اللوفر بباريس محتمل يعود إلى العهد الاخميني زخرف عليه صيد النعام، وصور رماة السهام يمتطون ظهور الجمال والخيول [(4)]، وبنفس المضمون يظهر رامي سهام آشوري في مشهد صيد النعام على شظية إناء مزجج يعود إلى القرن السابع ق.م من القصر الشمالي الغربي في نمرود [(5)]، واعتمد العرب على سرعة خيولهم في مطاردة هذا الطائر:(عند المطاردة يميل خيالتهم إلى الجري بخط مستقيم من أجل اللحاق بالنعام) [(6)].

على الرغم من فائدة لحم هذا الطير (بالأكدى يطلق على لحم النعام Iurmû في القاموس الآشوري شيكاغو CAD) وأعتبر غذاء للآلهة والملوك، ومع هذا هناك رغبة شديدة للحصول على الريش والبيض الكبير، فقد استخدم الريش لعمل المراوح كما هو مصور بالنحت البارز في القصور الآشورية حيث يحيط بالملك خدم أو ما يعرف بالمخصيين بالآشوري (سا ريش) حاملين المراوح لحماية جلالته من أشعة الشمس وحرارة الجو[(7)] ، بينما هناك عدة استعمالات للبيض منها الاستفادة من قشره في علاج بعض الأمراض، ويدخل

---

(1) Dominique Collon: (1987). no. 405
(2) Berthold Laufer: (1926). p. 22
(3) Peter Calmeyer: (1973). Pp .50-51. Fig .6
(4) André Parrot: (1953). Pp. 1 ff. pls. I-III
(5) Max Mallowan: (1966). Pp. 119-120 . fig. 61
(6) Berthold Laufer: (1926). p. 14
(7) Nile Green: (2006). p. 33

في إعداد الأدوية بعد طحنه وإضافته إلى الأعشاب والماء أو البيرة إذا كانت الالتهابات في المجاري البولية [1] .

صنع من بيض النعام كأوعية في حضارة بلاد الرافدين واثبت التنقيبات وجوده وبكثرة في المقابر التي تم اكتشافها، لكن تعرضت قشور البيض للتكسير بسبب الإهمال وعدم تسجيلها من قبل المنقبين خلال عملهم، وعلى ما يبدو لا توجد في التقاليد الرافدية زخرفة بيض النعام كالنقش بالحز أو تصاميم ملونه بعكس بعض الثقافات الأخرى، فلدينا مثال عن تلوين وزخرفة بيضة من سوسة (عاصمة عيلام) عثر عليها في قبر يعود إلى أواخر الألف الثالثة ق.م[2].

أما في بلاد الرافدين فهناك أدلة على استعمال البيض كأقداح للشرب وأوعية للسوائل قبل الألفية الثالثة ق.م وربما أقدم من ذلك ، فقد كشفت التنقيبات على وجود شظايا من بيض النعام في (تل كناس) (Kannas) في الفرات الأوسط ، كما عثر عليه في موقع الوركاء الطبقة الرابعة في الغرف المجاورة للمعبد الجنوبي، واستعمل البيض كؤوس للشرب في عهد سلالة أور الثالثة (2600-2400) ق.م، حيث وجد في المقبرة الملكية في أور، وكان العديد من قشور البيض محطمة، ومع هذا أمكن تجميع كسر لبيضة نعام وكانت الفتحة العليا مزخرفة بمادة الزفت وهي تحت رقم (اور 9255) [3]، وتم تقليد شكل البيضة بالذهب والفضة مع زخرفة الحافات العليا والقواعد كما في المقبرة الملكية في اور تحت رقم (PG 779) (U. 11154) [4]، ويعلق الاثاري (وولي) (Woolley) : (في كل مكان من المقبرة الملكية في اور نجد شظايا بيض النعام مما يدل انه كان شائع الاستعمال، وقد طليت بالون الأحمر) [5].

---

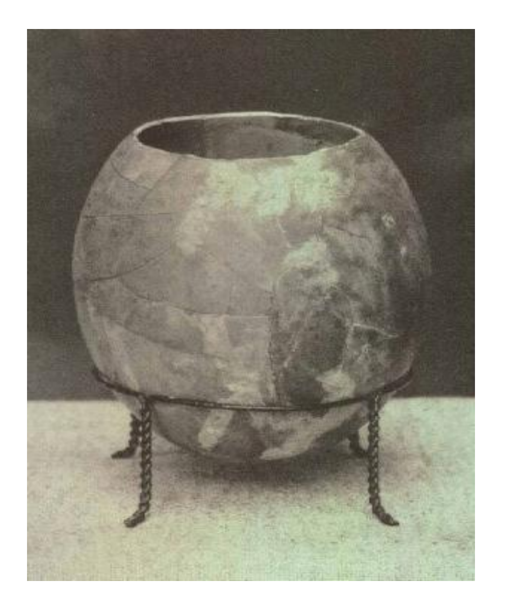
(1) صلاح رشيد الصالحي: (2009-2010)، ص255- 257

(2) Roland de Mecquenem:, (1943). p. 82. Fig 68. 3

(3) Leonard Woolley and others: (1934). p. 283. Pl .156

(4) Ibid: (1934). Pp. 283 , 567 , pl. 170

(5) Ibid: (1934). Pp. . 423, 439. 443. 449. 459. 467. 491 : 1956 : 141
141




شكل 78: كأس من بيض النعام من سلالة أور الثالثة، اكتشف في المقبرة الملكية كأثاث جنائزي، مزخرف بمادة القير في الفتحة العليا (اليمين)، شكل كأس من بيض النعام وجد في مقبرة كيش (A) كأثاث جنائزي (اليسار)

تعود مقبرة كيش (A) زمنيا إلى الربع الثالث من الألفية الثالثة ق.م وضمن ثمانيــة قبــور علــى الأقــل وهــي: (القبــور 2، 43، 75،88، 90، 104، 120،128) وقسمت إلـى (3%) للـذكور، و(2%) للإنـاث، (1%) للأطفـال/ المراهقين ومن مجموع (154) قبرا مسجل احتوت على بيض النعام أغلبها كؤوس، وقد كتب الاثاري (Mackay) في (تقرير تنقيبات المقبرة (A) في كيش ، بلاد الرافدين) ونشر في متحف (Field) (Memoirs, Vol. I, No. 1) يقول (Mackay): (وجد شيء نادر في القبر (2) عبارة عن كأس صنع من بيضة نعامة حيث قطع ثلث من قمة الصدفة البيضة وصقلت الحافة جيدا (شكل 24)، وكانت هذه الوحيدة من نوعها وجدت في المقبرة، علما ان هناك الكثير من كسر قشر البيض لكن بحالة سيئة لا يمكن إعادة تركيبها وصيانتها، ولكن عثر في إحدى غرف البناية الكبيرة المشيدة بالآجر المحدب (plano-convex) تبعد حوالي نصف ميل عن مقبرة كيش (A) و يبدو أنها من نفس الفترة الزمنية) [1] .

من خلال البحث نستنتج أن طائر النعام دخل في الميثولوجيا الرافدية والمصرية والشعوب الصحراوية منذ فترة مبكرة، فكان له صراع مع الآلهة ومن الطبيعي فهو الجانب الخاسر دائما، واستعمل بيض الطائر كأثاث جنائزي

---

(1) صلاح رشيد الصالحي: (2014)، ص99-101

يرافق المتوفي في حياة ما بعد الموت، واعتباره أحد مكونات أثاث القصور الغنية، كما استعمل ريشه كمراوح للملوك والنبلاء ولحد الآن نتفاخر بان الرجل الغني والسيدة الأنيقة يحملان بأيدهم أو ينامون على ريش النعام لنعومته وغلائه، ثم تحول الطائر إلى حالة الطريدة في رياضة الصيد التي مارسها ملوك آشور، وهذا الاعتداء الجائر على مناطق تواجده والصيد العشوائي ومصادرة بيضة جعله يختفي تدريجيا من عالمنا مثل الحيوانات المفترسة الأخرى كالأسد والنمر اللذان كانا لهما سيطرة سابقا على منطقة واسعة الامتداد وحاليا لا وجود لهما في عالم الشرق الأدنى [1].

(1) المصدر نفسه: ص73-110

المبحث الثالث

الفكر الديني في النقوش الصخرية

لا يوجد فرع من فروع الاثار لدية القدرة – عند تفسير الأعمال الفنية-أن يقهر الصعاب وأن يذلل العقبات كفرع الاثار التي تختص بالنقوش والرسوم الصخرية في شمال افريقيا، فبعد جهود استمرت مئة عام من اكتشاف ووصف أماكن تلك النقوش في الصحاري والمرتفعات، لا نجد تعليلا كاملا لموضوع يتكرر ظهوره آلاف المرات، إنه شريط الأشكال المتمثل في مناظر تصور الحيوانات المفترسة وآكلات العشب والشخوص البشرية منقوشة في الكهوف والقحاف، وتلك الأشكال مضى على اكتشافها فترة طويلة، وقسم آخر مازال ينتظر جهود الباحثين، ولابد من الاعتماد على فرع آثار ما قبل التاريخ لتفسير بعض الأشكال وارتباطها زمنيا، إذ لا يكاد بالإمكان الاعتماد على المصادر الكتابية فهي غير معروفة لهذا تظهر الصعوبة في تفسير النقوش، ولاشك في أن الأسلوب الفني للنقوش الصخرية قد ساعدنا على فهم جانب من فكر أصحابها، ومع هذا لابد من الاستقراء والتأمل في الأشكال الصخرية من أجل الوصول إلى صلب الفكر الديني للمجموعات البشرية التي عاشت في فترات العصور الحجرية القديمة.

يبقى تفسير العدد اللامتناهي الغير مفهوم من الإنجازات الفنية لفنون الصحراء مما يشكل حيزا في تفكير الباحثين يكاد يكون رئيسيا، وإذا ما حاول أحد أن يكون نظرة شاملة حول مخزون هذه النقوش من أجل الوصول إلى تفسير شامل يكمن وراء تواجدها فعلية ان يقسم هذا المخزون إلى قسمين:

1- الاشكال هي عبارة عن اعداد ضخمة من النقوش الفنية فسرت مواضيعها من خلال المشاهد الدالة على مفاهيم اقتصادية معروفة كالرعي، أو قيم اجتماعية ضلت متداولة حتى اليوم، تلك النقوش حددت ضمن زمن وحقبة تاريخية معينة.

2- بالمقابل النصف الثاني من الأشكال تتألف من أعداد ضخمة من النقوش وبأحجام مختلفة وفي مواقع أثرية متباينة ومتباعدة بمسافات شاسعة، لكن هناك قاسما مشتركا يجمع بين النقوش هو استمرارية الأفكار المصورة والمشاهد الخالدة التي تعطي تفسيرا دينيا صرفا صاغته عقلية بدائية.

لاشك أن هناك معوقات تقف وراء قلة البناء المعلوماتي حول مضمون الدين لدى القبائل البدائية التي مارست نشاطها الاقتصادي في الصيد وجمع القوت ثم مزاولتها لمهنة الرعي في المرحلة التالية، ضمن فترات العصور الحجرية القديمة في شمال افريقيا، ويأتي في مقدمة تلك المعوقات انعدام الكتابة، وهي نتيجة حتمية لتطور الانسان الفكري عبر سلسلة من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أوصلته إلى نهاية العصر الحجري الحديث، ومن ثم بداية فجر التاريخ، عندما ظهرت أولى الرموز الدالة على الكتابة التي صارت

أيضـا الوسيلة التـي عبر الانسـان القديم بهـا عن أفكـاره الدينيـة، وهـي بـدورها حصيلة تجارب أجيال عديدة، تناقلتها الشفاه مغيرة ومهذبة في مفاهيمها، وجاء التدوين ليعطي المشـهد الأخير لشكل الـدين، وإذا كـان مـا ذكرنـاه واضـحا في حضارات العراق ومصر، فأن النقص في التطور الحضاري القديم فـي شمال افريقيا نجده واضحا لعدم توصل المجتمعات القبلية فيها إلـى أبجديـة الكتابـة، ومـن ثـم بقيـت النقوش الصـخرية التـي تصـور اشـكالا حيوانيـة وبشـرية عالمـا مبهما أوجد معاني وتفسيرات حصرت في نطاق البيئـة وتفاعل الانسـان معهـا، وفي بعض الأحيان يعطي الباحثين تفسيرا باعتقاد القبائل بوجود قوى سـحرية تكمـن وراء الاشـكال المنقوشـة تمـنحهم القـدرة علـى اقتنـاص فرائسـهم أو درء خطرها عنهم.

إذا أخـذنا بهـذا كحقيقـة واعتبرناهـا واقعـا نفسـر مـن خلالـه الأشـكال الحيوانية والبشرية التي رسمت بعناية وواقعية مـع استعمال الألوان بدقـة، فمـا هـو المعنـى الـذي تطرحـه العديـد مـن المشـاهد الرمزيـة والخطـوط والأشـكال الهندسية فـي أحيـان أخـرى؟ وإذا اعتبرناهـا نـوع مـن الكتابـة التصـويرية وهـي المرحلة الأولى نحو الكتابة المقطعية ولكن لمـاذا لـم تتطـور الكتابـة التصـويرية إلـى كتابـة مقطعيـة؟ مـن الصـعب الإجابـة مادامـت النقـوش صـامته لا تـوحي بالمعنى الكامل من وراء تواجدها بين جنبات صخور الصحراء.

إذا كانت هناك عدة تفسيرات لمعـاني النقـوش، فهنـاك شـبة اتفـاق بعـدم اعتبارها صيغة جمالية لتزين القحاف والكهوف بتلك الأشكال في المحددة، لأن الهدف من تلك الملاجئ الصخرية توفير الأمان للقبائـل المتنقلـة وراء الطرائـد، أو سـعيا وراء الكـلأ لرعـي قطعـانهم، أو اعتبارهـا ملاجـيء تحمـي المجموعـة البشرية من الرياح والعواصف شتاء ولابد ان تلك القبائل تتركهـا صـيفا لتقيم في مستوطنات مؤقته في العراء [1].

وبما أن هذه القحاف والكهوف عالم مفتوح لكل البشـر منـذ القـدم وإلـى اليوم فأن نقوشها تعرضت إلى الإزالـة أو التحريـف أو الإضـافة المتعمـدة ومـن ثم كان على علماء الاثار تحديد مـا هـو قـديم ومـا هـو مضـاف وحـديث، فكانـت جهود الباحثين (Mori) [2] و (Lhote) [3].

فكرة البداية والنهاية في الدين القديم

عند قراءة تاريخ الأمم نجد ان الدين يشكل ظـاهرة أساسية فـي تكـوين الشخصـية، بـل محورهـا الـذي يـدور الانسـان حولـه، وان مجتمعـات الصـيد والرعـي توصلت إلى فكرة الدين بصيغة بدائية تمت صـياغته بعقليـة مـا زالـت في بداية تكوينها، ولكي تتطور تلك المفاهيم الفلسفية البسيطة إلى آلهـة تقيم فـي

(1) Gabriel Camps: (1961). p. 63

(2) فابريسيو موري: (1988)

(3) هنري لوت: (1967)

معابـد وترافقهـا طقـوس احتفاليــة وتــدعمها أســاطير تتحــدث عــن الآلهــة واختصاصاتها وقدراتها الخفية وموقع الانسان الضعيف منها وبالتـالي مقدار إيمانـه بهـا [(1)]، ولابـد وان تغيـر الـنمط الاقتصـادي للمجموعـات البشـرية مـن الصيد إلى الاقتصاد الزراعي جعلته يشيد القرى الزراعية وتقسيم المجتمع إلـى طبقات، وهذه بدورها تؤدي إلى خلق كيانات سياسية تجمع حولها القبائل في مجتمع أكثر ترابطا واتحادا يضمن الولاء للسلطة المركزية.

ضمن الطرح السابق علينا ان نفهم مسبقا اعتماد مجتمع المغاربي في فترة العصر الحجري الحديث على تدجين الحيوانات ورعيها دون الزراعة [(2)] التـي يبـدو ان ظهورهـا هنـاك قد تـأخر إلـى مطلـع العصـر التـاريخي بوصـول طلائع الاستيطان الفينيقي في أواخر الالف الثانية ق.م [(3)]، ومن ثم لا نتوقـع ان يحدث تطور في المفاهيم الدينية القديمة وإيصال الـدين مـن الملاجـئ الصـخرية إلى إقامة معابد وتماثيل آلهة ذات اختصاصات محددة، ولكن في المجال الديني بشكله البدائي نلاحظ تشابه مفرداتـه فـي كافـة مجتمعـات الشـرق الأدنـى القديم لأن عقليـة الإنسـان واحـدة لكنهـا تتغيـر ضـمن زمـان ومكـان، وبمـا ان المفهـوم الـديني لـدى المجتمعـات الحضـارية الاكثـر تطـورا (العـراق، ومصـر، وبـلاد الشـام، وبـلاد الاناضـول، وإيـران، والاغريـق) قـد درسـت بمنهجيـة واخضـعت الأشـكال الرمزيـة والواقعيـة للدراسـة والمقارنـة فكانـت المحصـلة مـادة غزيـرة يمكننا الاستفادة منها والاستعانة بهـا سـواء للمقارنـة أو الاسـتدلال علـى الأفكـار الفلسفية الدينية في شمال افريقيا.

هنـاك اتفـاق بـين البـاحثين علـى ان الـدين البـدائي نشـأ نتيجـة الجهـل المعرفـي والأمـل فيمـا هـو أفضـل مـن الحـادث فعـلا، مـع بعـض الخيـال النـاجم بالضرورة عن الجهل والامل، لأن الدين هو السجل الأمثل للواقع الـذي عايشـه القدماء وحاولوا من خلاله تفسير ما حـولهم ومـا يحـيط بهـم مـن ظـروف كونيـة وطبيعية وكوارث، وما يختلج في داخل نفوسهم من خوف وأمان، فأخذت تلـك المجتمعـات البشـرية فـي غيـاب الكتابـة المعبـرة تـنقش الأشـكال علـى جـدران الصخر وفي الكثير منها مضمون واحد رسمت فـي مواقـع الاثريـة رغـم ابتعـاد المجموعات البشرية الواحدة عن الأخرى، على اية حال لدينا دراسة قيمة أجـاد بهـا الباحـث بـن بـو زيـد لخضـر [(4)]، فكانـت دراسـته شـيقة ومـا اطرحـه الان

---

(1) أشـار الباحـث بـن بـو زيـد لخضـر الأسـطورة عنـد ذوي الـرؤوس المسـتديرة يمكـن مراجعتها: بن بو زيد لخضر: (2018)، ص 173-175

(2) مـن المعـروف ان الزراعـة اكتشـفت فـي العصـر الحجـري الحـديث، واطلـق علـى ذلـك العصـر بالثورة الزراعية ضمن المنطقـة الشـمالية مـن بـلاد الرافـدين وتمتـد حتـى منطقـة قيليقيا أو سيليزيا (بلاد الاناضول):

Robert M. Adams: (1965). Pp. 40-42

(3) طه باقر: (1968)، ص2

(4) بن بو زيد لخضر: (2018)، 214-246

سيضيف أفكارا عن الدين في الفن الصخري لشمال افريقيا، وسوف اصنف الأفكار الدينية بما يلي:

أولا - الخير والشر :

من المعروف ان القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الديانات كافة ما هو وضعي أو سماوي هو الخير والشر وما يحدث من صراع بين هاتين القوتين، فالإنسان البدائي لم يكن فيلسوفا إلا أنه أنشغل بمحاولة معرفة أمور هي فلسفية بعينها، ولابد أنه فكر ايهما يحتل الصدارة: الموت أم الحياة؟ وربما دفعه تفكيره إلى تقسيم قوى الطبيعة إلى قوتين تعملان في اتجاهين متعاكسين، أحدهما قوة ايجاب فيها النفع والحياة والوجود والتكاثر بعناصره الثلاثة النبات والحيوان والإنسان، وتعطي هذه القوة الامطار والأمان الذي لابد منه، وهذا هو الخير بالنسبة للإنسان القديم، والقوة الأخرى فيها ضرر كالموت والظلام، وانعدام المطر، وبالتالي توقف الطبيعة عن العطاء، ومن ثم انعدام الأمان وسيادة الخوف وهذا هو الشر.

لاحظ الانسان القديم في شمال افريقيا توقف الحياة بحلول الظلام وشعوره بالخوف من فتك الضواري، كما لاحظ ظاهرة شروق الشمس وعودة الحياة إلى طبيعتها، ولابد انه حدد الليل بالشر والنهار بالخير، وإذا افترضنا ان هذه المعاني قد توضحت في عقليته وهي في طورها التكويني فكيف يستطيع ان يعبر عن هذه المفاهيم بالنقوش والرسوم؟ هنا نفترض ان الحيوانات التي تلحق به ضررا وأذى وتسبب مجابهتها الموت أو عدم قدرته على صيدها، ربما لكبر حجمها أو قوتها الجسدية وشدتها وسرعتها في الفتك، ومن جهة أخرى أنه لا يستسيغ لحومها لأنه وعبر تجارب طويلة في الصيد توصل إلى حالة الانتقاء الغذائي فميز بين ما هو مرغوب وما هو مرفوض طعمه، ومن ثم حدد شكلية الشر بالحيوانات المفترسة كالأسد والنمر المرقط والفيل والزرافة والضباع والافاعي، وعلى ما يبدو ان الخوف من هذه الحيوانات مازال قائما في عقولنا مما ورثناه من عصر الصيد الطويل، فنحن على سبيل المثال نخشى الافاعي واغلبنا لم يرها على حقيقتها، وعند دخولنا غرفنا الخاصة وهي مظلمة يتملكنا الخوف من شيء قد يسبب لنا الأذى كالأفاعي والعقارب وربما ما هو اكبر من هذا.



شكل 78: مشهد لفيل ضخم غاية في الابداع بالألوان الطبيعية في منطقة أمراسوزي (Amarasouzi) في وادي أوماشي (Wadi Oumashi)، هضبة تاجيلاهين(تاسيلي)

نجد وفرة في النقوش والرسوم (Petroglyphs) تصور أشكال حيوانات مفترسة، وقد تم نقشها بطرق حجر الصوان على جدار صخري، فهناك لوحات عثر عليها في منطقة تين لالان، ووادي كيسي، وواد تشونيت، ووادي عويص، ووادي كيسان في ليبيا، تظهر أشكال هذه الحيوانات بأوضاع وحركات مختلفة، اما في نقوش وادي الخيل فاهم الحيوانات المفترسة التي تم نقشها هي الأسود والفيلة وفي نقوش جبل بزيمة جنوب برقة احتلت الزرافة مواضع عدة من صخور الجبل، بينما في نقوش الآجال رسوم الفيلة تتسم بكبر الحجم، ومن بين الحيوانات الممثلة نذكر الفيلة في وادي جرات حيث يوجد فيل عملاق يبلغ طوله ستة أمتار، أما في الرسوم الصخرية فمشاهدها قليلة يمكن أن نذكر منها فيل في منطقة تيسالاتين (tissalatine)، كما توجد فيلة بيضاء اللون قد تكون من الحيوانات الأسطورية، ونقش حيوان وحيد القرن وهو يظهر بشكل كبير فقد تم إحصاء (86) مشهد له في وادي جرات (بجبال تاسيلي)، إضافة إلى الحيوانات السابقة الذكر فقد مثلت حيوانات أخرى منها : الغزلان، والأسد، والفهد، والحمار الوحشي، هذا الأخير نجد له مشهد فريدا من نوعه يمثل صيادين برؤوس حمر وحشية في منطقة تمنزوزين (Timenzouzine)، وتظهر رسوم صخرية فيها التماسيح في إن اتيان (in itinan) وفي وادي جرات توجد (4) نقوش لتماسي ، أما بقايا التماسيح فإننا نجدها في وان راشلة (wa-n Rachla) جنوب تاسيلي وقد أرخت في

الألف الثالثة ق.م، وتقش يمثل القردة في تين تزاريفت (tin tazarift)، اما الأسماك فهي موجودة في مشهد (السباحين) في تين تزاريفت، وفي مشهد (الإله الكبير الصياد) في منطقة صفار (جبال تاسيلي) [1]، وقد فسر الباحث (Mori) هذه الاشكال العملاقة بانها نوع من السحر الاستعطافي، ثم تراجع وأكد صعوبة تحديد الغرض من رسمها [2].

إذا اعتبرنا ان نقوش الحيوانات المفترسة ماهي إلا تصوير لحالة وجودها في تلك المناطق عندما كانت الصحراء الافريقية أكثر خضرة ووفرة بالمياه مما هي علية الان، فان التنقيبات الاثرية لم تعثر على عظام تلك الحيوانات قرب مواقع القحاف والكهوف، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأنها انقرضت بعد ان حدثت تغيرات مناخية في نهاية العصر الجليدي الأخير واتجاه مناخ دول شمال افريقيا نحو الجفاف منذ أربعة عشر ألف سنة ق.م، بكلمة أخرى ان نقوش الحيوانات المفترسة جاءت بعد انقراضها وما بقي منها قد تحدد وجوده فيما بعد في منطقة السفانا التي تقع تحت حزام الصحراء الافريقية الكبرى.



شكل 79: صياد ذو ملامح زنجية يحمل قوسا يقف أمام الزرافة (جبال تاسيلي ليبيا)

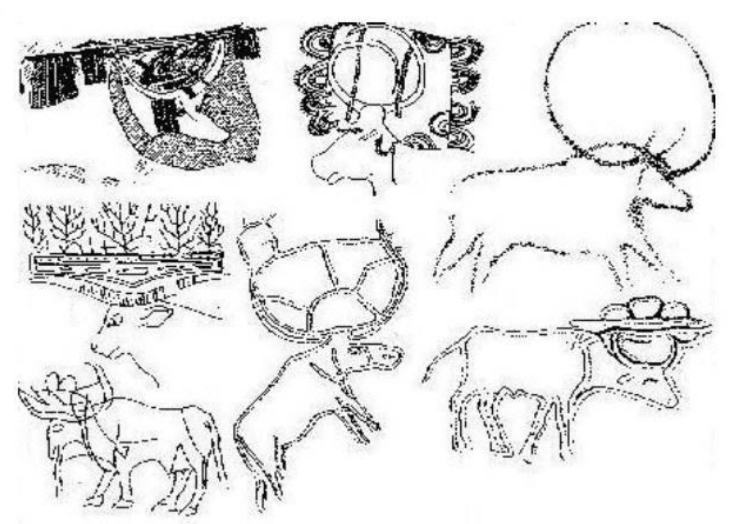
---

(1) بن بو زيد لخضر: (2018) ، ص159-161

(2) في حضارة بلاد الرافدين اعتبر الأسد يمثل الموت، وفي وادي النيل لم تعبد الحيوانات المفترسة كآلهة انما جسدوا آلهتهم بجسد إنسان وبرأس حيوان كالصقر والبقرة والقطة ...الخ وحتى هذه الحيوانات لم تعبد انما كان رمز هذه الحيوانات يضاف إلى الجسد البشري للإله.

مهما يكن الامر فان تلك الحيوانات هي منافس للإنسان في غذائه وأماكن تواجده قرب المياه، وتسبب له الأذى وقد صورها على حقيقتها دون ان يتوصل إلى ظاهرة تركيب الأشكال كما هو الحال في مصر والعراق عندما اوجدوا أشكالا مرعبة ومركبة تجمع ما بين جسد أسد وذيل على شكل افعى ولديه اجنحة صقر، واعتبرت آلهة شريرة ولو ان هذه الأشكال تعود إلى مطلع فجر التاريخ إلا إنها كانت معروفة واخذت هذه الحيوانات الخرافية المركبة اماكنها في داخل المعابد أو بوابات القصور أو أسوار المدن واحيانا زينت تلك الأشكال الخرافية جدران مدينة بابل والهدف من هذه الأشكال المركبة التي تمثل الشر هو إخافة من لا إيمان في قلبه عند دخوله المعبد أو المدينة لما يتركه هذا الحيوان من خوف وشر وهو الشيطان نفسه رمز الشر.

اما الحيوانات التي تمثل قوة الخير فقد أختار سكان شمال افريقيا ذوات القرون من آكلات العشب والنعامة، فهذه الحيوانات لا تسبب له الضرر وهي أيضا تشكل سلسلة غذائه، ويمكن تدجينها وتربيتها وهي التي قادته إلى اقتصاد الرعي والتخلي عن مهنة الصيد كاقتصاد أساسي لذلك حظيت بالتقديس، وحدد أنواعها بالثيران والابقار والكباش والغزلان والوعل والنعامة، واعتبر تكاثرها خيرا واستمراريتها ديمومة لحياته، في حين توقف نسلها بسبب الجفاف أو الأمراض تشكل ركودا ونذير شر وخوف وانعدام الأمان، وتعطي نقوش الأكاكوس اعدادا وفيرة من الأشكال للآكلات العشب، وكذلك نقوش وادي الخيل، وموقع جبل بزيمة وكلما تدرجنا زمنيا من فترة الصيد إلى الاقتصاد الرعي مع ملاحظة زيادة رسوم آكلات العشب على حساب نقوش آكلات اللحوم.



شكل 80: زوائد وأشياء فوق الابقار في مناطق مختلفة من تاسيلي تدل على التقديس

اعتقد الانسان القديم في تلك المناطق بوجود صراع بين القوتين الخير والشر مستندا إلى واقعه اليومي وهو يرى انقضاض الضواري على طرائدها، وحالة الليل والنهار، والموت والولادة كلا أمام نقيض فأخذ يصور تلك الحالة من الصراع والتي نراها واضحة في موقع وادي الخيل [1]، ويظهر أسد ينقض على النعامة من خلفها وقد صور الفنان رأس النعامة وقد مال على الواء وجلست على قدميها لإثبات الثقل والالم الناتج عن مخالب الأسد، وفي مشهد آخر من نفس الموقع يظهر أسد ينقض على نعامة وهي في حالة هروب وقد دفعت رأسها إلى الوراء دليل الصدمة، وفي لوح آخر من ذات الموقع شكل الأسد ينقض على ثور، وعلى ما يبدو لم يراع الفنان النسب في جسم الأسد خاصة الرأس الذي أحتوى أذنين قصيرتين، وعلى مسافة قصيرة من النقش السابق يظهر رسم فيل ضخم يتقدم بخطوات تدل على الهيجان والعنف فالناب طويل والرأس يأخذ مستوى الجسم، ويقف أمامه تيس ذو قرون في حالة استسلام كامل، فقد اختفت حركة الأرجل ووقوفه يدل على حالة السكون المطبق، وقد يعمد الفنان الصحراوي إلى نقش فيل يجري خلف ثور، أو سرب من النعام في حالة جري أو ما يعرف بالهروب [2].

هناك حالة ثانية تطرحها الأشكال عندما يأخذ الخير زمام المبادرة ويدخل في حلبة الصراع ضد رموز الشر، فقد صور الفنان الصحراوي هذه الصيغة عبر نقوشه الصخرية آخذين بالاعتبار ان طرح الفكرة لا يكون (بقلب الطاولات) بمعنى لا نتوقع ان نجد نقشا تنقض فيه آكلات العشب (عنصر الخير) على الحيوانات المفترسة (عنصر الشر) فهذه الصورة تناقض قانون الطبيعة تماما، ولم تصلنا مثل هذه الفكرة في نقوش ورسوم الحضارات القديمة، وفي هذه الحالة يفترض من يدخل الصراع قادر على قتال الحيوانات المفترسة ويحمي الأرض والحيوانات العشبية ويدافع عن الخير ويمتلك القوة التي تهبها السماء له، فيدخل البطل يحمي الخير وقد نقشت رسوم تمثل البطل بشكل انسان وهو يصارع تلك الضواري، فمن الموقع الاثري (صغد) (ليبيا) نرى نقش رجل وهو في حالة القفز ويده اليسرى مرفوعة والمقبض رسم وكأنه كف ملاكم بينما يده اليمنى يختفي مقبضها خلف رأس الفيل الذي نقش وهو يقف أمام الرجل وكأنه في حالة استسلام، أما رأس الرجل فقد رسم بشكل مستدير خاليا من أية ملامح [3]، ويبرز من جسم البطل عضو ذكري مضخم وهو دليل على الحالتين أحدهما حالة تميز كرجل وليس انثى ما دام الوجه خاليا من التعابير الدالة على الرجولة، وثانيها ان ابراز عضو الذكورة هو

(1) باولو غراتسيوزي: (1968)، لوح B&A XVI
(2) المصدر نفسه: لوح B&A XVI
(3) باولو غراتسيوزي: (1968)، لوح 25 و 26

دلالة على قوة سماوية كونية تمثل الخير ومن ثم يملك قوة لأنه مدافع عن الخير كذلك نقش الفيل بعضو ذكري لأنه يمتلك قوة كامنة تمثل الشر.



شكل 81: نقش صخري بموقع فجة الخيل (الجنوب الوهراني) لكبش متوج بقرص ويحمل عقدا في رقبته، يقف أمامه شخص رافعا يديه فيما يشبه حالة التضرع ويدير ظهره للكبش

هناك مشهد آخر من وادي الخيل فيه شكل رجل يقف على قدم واحدة والثانية يسدد بها ضربة لحيوان يقف أمامه، وقد ظهر في النقش مؤخرة الحيوان واسفل البطن واختفت الملامح الأخرى ربما بتساقط الشظايا الصخرية للنقش، مع هذا يمكن ان نستدل منه على ان الشكل يمثل أسد، كما أن وضعية اليد اليمنى للرجل جاءت مرفوعة إلى الأعلى بينما بقي من اليد اليسرى وحتى المفصل مما يدل على انه يسدد ضربة نحو رأس الأسد واختفت هي الأخرى مع ملامح الأسد [1]، هنا حل الإنسان محل الرموز الحيوانية كمدافع عن الأرض والحيوانات العشبية ضد قوى الشر من الحيوانات المفترسة، ويدفعنا هذا التأكيد على ان الإنسان (البطل) في المشاهد السابقة لا يمثل عنصر الخير بقدر ما يمثل المدافع والحامي للخير من أشكال الشر ذات الرموز الحيوانية، وكل هذا الصراع يشكل عناصر ميثولوجية دخلت الدين كعامل أساسي.

(1) باولو غراتسيوزي: (1968)، لوح a xxxv

ثانيا ـ عبادة الأرض والسماء:

تطرح الأشكال الصخرية نقوش انثوية في وضع واحد يظهر فيها تفاصيل الجسم، فمن موقع تين لالان (ليبيا) وعلى ارتفاع أربعة أمتار عن سطح الأرض نقش انثى في وضع مواجه، ينتهي الرأس بأذنين طويلتين جدا اما العينان والانف فقد أشير اليهما بثلاث حفر صغيرة ويتسع الصدر فوق بطن كبيرة جدا تتشابك فوقها الذراعان وبشكل يبرز تفاصيل الذراع اليسرى التي تنتهي منقطعة عند الرسغ، وينفرج الطرفان السفليان وينتهي الطرف الأيمن عند الركبة اما الطرف الايسر فينتهي عند الكعب، ويظهر العضو الانثوي بشكل واضح [1]، ونقش آخر يمثل انثى يبدو من تقاطيع الوجه انها لا تمت بصلة إلى عالم البشر، فقد فلق أعلى الجمجمة وظهر عليها نتوءان وحفرت العينان في وسط الرأس، وأشير إلى الفم إشارة عابرة ورسم الفك في زاوية حادة وجاء الطرفان العلويان غير مكيفين تكيفا جيدا ولا كاملين، ويبرز الثديان في شكل مثلث حاد الزوايا، أما شكل الفخذين فقد رسما بنفس الأسلوب في اللوحة السابقة، وحفرت هذه اللوحة بالحفر العميق، ولهذا النقش مثيل له في وادي قزة (ليبيا) [2]، اما نقوش وادي الخيل فتقدم نفس الأشكال الانثوية بفتح اليدين إلى الأعلى بتشكيل زاوية قائمة عند الرسغ، أما الأطراف السفلى فقد فتحتا وشكلت زاوية قائمة يتكرر أكثر من أربعة عشر مرة، ونقشت الأشكال أحيانا متقاربة ومتباعدة أحيانا أخرى، اما الرأس فقد مثل بدائرة بداخلها ثقب وفي بعض الأحيان يكون خاليا من أي شيء [3].

مهما يكن الامر فإن الأشكال الانثوية في وضعية الاستلقاء على الظهر وإبراز الأعضاء التناسلية لابد ان له مدلولا رمزيا حاول الانسان القديم التعبير عنه من خلال بدائية الفكرة، ولا شك قدماء سكان افريقيا الشمالية في عصر الصيد ومن بعده الرعي لاحظوا عملية التوالد العجيبة (في نظر الانسان القديم بشكل عام) ما بين الحمل والولادة وهي من خصائص المراءة وحدها، كما لاحظوا تربة الأرض التي يخرج منها النبات ويتوالد ويتكاثر فهي خصوبة وهي قوة كونية لا تستطيع تفكيك اسرارها غير ان يقارن ما يحدث في الاخصاب والعطاء والميلاد من خواص الانثى مع اخصاب الأرض وهو نوع من الميلاد المتجدد للنبات والحيوان، وبذلك فان الأرض والانثى كلاهما استمرارية للحياة، فكما ان الأرض تقف عن العطاء لفترات من السنة ما بين الصيف والشتاء أو سنوات تقل أو تنعدم فيها الامطار فتتوقف عن التوالد وربما ينتشر الموت جوعا، كذلك الانثى عي الأخرى تقف عن العطاء والولادة في فترة سن اليأس، فترسخت الحالتان في العقلية المغاربي القديم وآمن بان

(1) فابريسيو موري: (1988)، لوح 37
(2) المصدر نفسه: ص 74-75
(3) باولو غراتسيوزي: (1968)، الأشكال 111 وما بعدها

الأرض هي الانثى وبالعكس، فقد عثر في تنقيبات الاثرية ضمن فترة ظهور القرى الزراعية للعصر الحجري الحديث في العراق وبلاد الشام وبلاد الاناضول على تماثيل صغيرة اطلق عليها الإلهة الأم (Mother Goddes) وهي بهيئة انثى تأخذ أوضاعا مختلفة ما بين الوقوف أو الجلوس ولكن الشكل المشترك في هذه التماثيل كافة ابراز الثديين والورك وبحجم كبير للدلالة على الخصوبة وتؤكد الباحثة في علم الانثروبولوجيا (Jequetta Hawkes) أن أقدم التماثيل التي عثر عليها المنقبون كانت على شكل إناث وتعود إلى خمسة عشر ألف عام (العصر الحجري القديم الأعلى) وهي تماثيل ضخمت فيها الأعضاء التناسلية وقد أطلقت عليها تسمية (افروديت الولادة) [1].

قام الإنسان بنحت الصخور فأنجز منها تماثيل رائعة تجسد حيوانات تحصى بمكانة كبيرة في تفكيره الروحي، وتعرف باسم تماثيل الحدبة الدائرية (rondebosse) بالإضافة إلى المطاحن والمدقات الضخمة وبعضها معروض اليوم في متحف باردو [2]، وهناك تماثيل من نوع آخر تمثل أشكال شبه إنسانية وأخرى تمثل منحوتات لنساء بدينات يعرفها الباحثون باسم الفينوسيات (vénus) [3] مثل تلك التي وجدت في مقبرة تين هينان في الابالاسا بتمنغاست (جبال الهكار بالجزائر) [4].

---

(1) Jequetta Hawkes: (1963). Pp. 53-57

(2)بن بو زيد لخضر: (2018) ، ص89

(3) الإلهة (Vénus) وهي إلهة الجمال والحب والحرب لدى الرومان، وتعرف لدى الإغريق باسم (افروديت)، وعند السومريين إنانا بمعنى (سيدة السماء)، وفي فينيقيا تعرف باسم (ستار) بمعنى (النجمة)، وفي التوراة (استير) بمعنى (النجمة)، وعند الحوريين او الخوريين باسم (خيبات) واحيانا (شاوشكا)، وفي مكة قبل الإسلام تعرف باسم اللات أو العزى أو مناة واصل الاسم عناة، وفي اليمن (عشتار سمين) بمعنى (عشتار السماء) أو عثار أو عطار، وعبدها العرب قبل الاسلام باسم (بلتيس) وهي قريبة من اسم (بلقيس) الذي ورد في التوراة عند ذكر النبي سليمان، وفي عيلام (سيدة عيلام)، وفي بلاد الشام عشتروت، وأثرت، وأشيرا، وبعلة أو بعلات، واللات....الخ : صلاح رشيد الصالحي: (2017)، الجزء الثالث، ص85-89

(4) تين هينان (tin-hinan) تعتبر بمثابة ملكة أو جدة الطوارق الأولى وهو ما يدل على الدور الذي لعبته المرأة في الصحراء، يعود تاريخ هذا القبر الى ما بين القرن الرابع والخامس الميلادي لوجود حلي وأثاث جنائزي يعود إلى العصر الروماني:

Attilio gaudion: (1967). p.80.





شكل 82: سيدة براسمبوي في فرنسا تعود إلى (28) ألف سنة ق.م (اليمين)، تمثال سيدة الأرض من النمسا تعود إلى حوالي (24) ألف سنة ق.م (الوسط)، تمثال الإلهة الام من موقع جطل هويوك تعود إلى (7500) سنة ق.م (اليسار).

نجد في منطقة تامريت (Tamrit) في جبال تاسيلي [1] مشهد يمثل اثنين من الفينوسيات (أو الإلهة الأم) وهما امرأتان عاريتان [2] كما توجد الكثير من المشاهد التي تشبهها، ففي موقع جبارين نجد أربعة من النساء يرقصن وتوجد بجوارهن امرأة جالسة وضم المشهد أيضا أبقار محاطة بشكل أفعواني وهؤلاء يقومون برقص إيقاعي وفق نسق معين، وفي نفس المنطقة يوجد مشهد سماه القس (Henri Breuil) باسم (جوزيفين تباع من طرف إخوتها) [3] حيث تظهر في المشهد أربعة نساء عاريات، هذه المشاهد التي تمثل نساء عاريات هي مشاهد ذات خصوبة عالية [4]، فهي تشبه صور وتماثيل النساء التي أكتشفت في مناطق مختلفة من أوربا والتي تعود إلى العصر الحجري القديم (Paliolithique) وتمثل نساء بدينات يعرفن باسم (الفينوسيات) أو الإلهة اللأم،

ولا يتعلق الأمر فقط بالمشاهد الصخرية، فقد وجدت الكثير من التماثيل التي تمثل نساء وهو دليل آخر عن تقديس الخصوبة والمرأة، منها تمثال حجري يمثل امرأة في قبر (تين هينان)، وهو لا يشبه أي من تماثيل العصور القديمة أو على الأقل لا يشبه تمثال (تانيت)، وقد اكتشف في الأبالاسا (الهكار) سنة (1934) وهو محفوظ في متحف باردو [5]، وفي سنة (1908) اكتشفت تسعة تماثيل أسطوانية الشكل الجهة العلوية منها تمثل صور شبه إنسانية في منطقة (Tabelbalet) شمال التاسيلي [6].

---

(1) Henri Lhote: (1958). p. 38

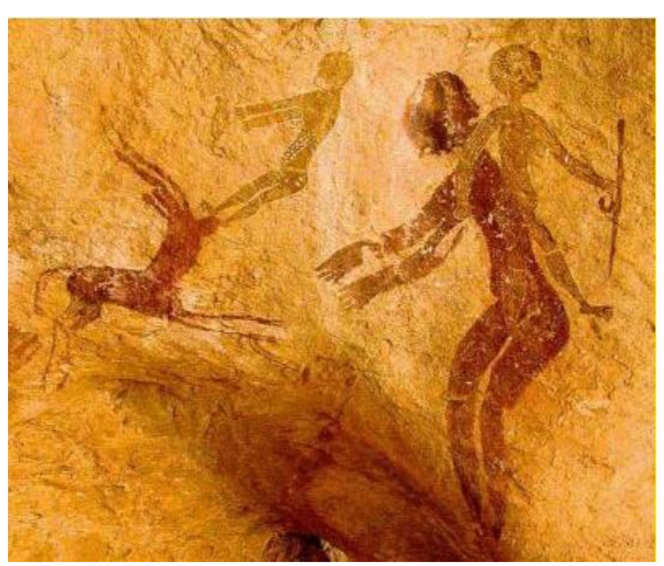
(2) Ibid: p. 56 fig 14

(3) الاب (Henri Breuil) احد مكتشفي كهف لاسكو (Lascaux) في مونتينياك بفرنسا عام (1940) واعتبر من المواقع التاريخية وضم الكثير من الرسوم الجدارية و النقوش الفنية وأرخ إلى عصور ما قبل التاريخ.

(4) Henri Lhote: (1962). p.72

(5) بن بو زيد لخضر: (2018) ، ص221

(6) يان ايلينيك: (1994)، ص 118-149





شكل 83: اثنـان مـن الفينوسـيات مـن موقـع تامريـت فـي تاسـيلي (اليمـين)، لوحة من موقع جبارين فـي جبـال تاسيلي الآلـهـة ذات رؤوس الطيـور تمامـا مثل الالـهة المصرية (اليسار)

من موقع (جبارين) وهي إحدى مناطق تاسيلي الغنية بلوحات فن ما بل التاريخ في الحراء، وهي تعني في لغة التوارك (الطوارق) كما يقول (Lhote) (العمالقة)، وهي في ذات الوقت عربية الأصل فالجبارون والجبارين مفرد جبار وهو جمع مذكر سالم وليس جمع تكسير (الجبابرة) ، ويبدو أطلق الاسم على المنطقة لوجود بعض رسومات ضخمة بلغ أحد الرسومات ثمانية عشر قدما من الارتفاع، وقد عثر الباحث (Lhote) عام (1938) على لوحة أطلق عليها (الربات ذات رؤوس الطيور) تمثل أربعة فتيات برؤوس طير [1] وحجم اللوحة (27 X 37) سم وموضوعها أربع فتيات رشيقات جدا في مقتبل العمر، واستخدم الفنان أربعة ألوان فخص كل واحدة منهن بلون: الامامية بلون بني غامق، والتي خلفها باللون الأبيض، وتلي خلفها عن اليسار باللون الأصفر، والأخيرة باللون الأحمر، وقد ارسل شعر الرأس في تسريحات عادية مما اعتدنا في تسريحات نساء قدماء المصريين، وانتهت التسريحة بما يشبه الأفعى المنتصبة أو لعلها خصلة شعر أعدت لتكون كذلك [2]، ويعتقد الباحث (بازامة) بان تمثل (التقويم السنوي) وذلك لوجود

---

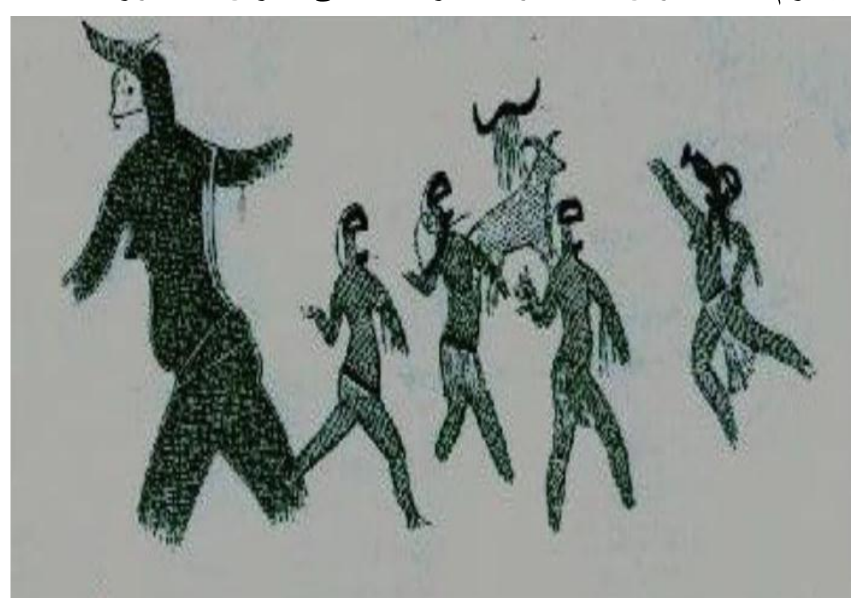
(1) إنسان برأس طير أشبه ما يكون (إبيس) (Ibis) ذلك الحيوان المقدس للإله المري (تحوت) .

(2)محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص187

صلة بين تحوت وآلهة جبارين الإناث [1]، بينما يرى الباحث (بن بو زيد لخضر) انهن يمثلن الخصوبة [2] .

أما الرسوم التي تتسم بالذكورة ومنها أشكال منفردة وجماعية، فقد جاءت فيما بعد، مما يجعلنا نتصور ان هناك عصرا سيطرت فيها الأمومة، وإذا كان افتراض الباحثة (Jequetta Hawkes) فان ليبيا القديمة مثلا سيطر عليها عصر الامومة قبل ان تعود سيطرة الرجل في عصر الرعي، وإذا كانت النقوش قد انفردت في تصوير الإناث بالأوضاع السابقة فإن البعثات الاثرية لم تعثر على تماثيل انثوية في مواقع القحاف والكهوف، ربما اكتفوا بالنقوش؟ مادامت الكهوف قادرة على استقبال تلك المجموعات البشرية باستمرار مع قدرة الصخر على الاحتفاظ بالنقوش ولفترة طويلة ففي كلتا الحالتين هناك تطابق سواء كان نقشا أم تماثيل.

لقد أشرنا سابقا اختلاف تقاسيم الوجه من تمثيله بدائرة خالية من الملامح، أو أحيانا إضافة حفرة أو اثنتين ربما للدلالة على العينين أو فلقة الرأس أو تقاسيم الوجه أقرب إلى عالم الحيوان منه إلى البشر هذه الاختلافات وغيرها تفسر على أساس أقنعة ترتديها الانثى وقد تكون كاهنة أو فتاة تنتخب لأداء طقس الخصوبة وهذا الانتخاب للفتاة شرق عظيم لها ولأهلها حسب المفهوم القديم مادامت النساء قابضات على أسرار الحياة ومن هنا فإن مظاهر التقديس كان يلازم تلك الطقوس القديمة وتخلد برسمها على جدران الصخور.



شكل84: الراقصات المقنعات في تين تزاريفت (جبال تاسيلي)

---

(1)حول هذا الموضوع راجع: المصدر نفسه: ص 200-219

(2) بن بو زيد لخضر: (2018)، ص215-216

وفي المجتمعات الافريقية التي ما زالت على بدائيتها هناك كاهنات يرتدين اقنعة ويؤدين رقصات وحركات ويقمن بترديد عبارات لها طابع سحري ولابد وأن هذه الحركات من الموروث الثقافي القديم لتلك القبائل التي لا زالت على بدائيتها.

ثالثا ـ عبادة الشمس والقمر :

كانت عبادة الشمس منتشرة في المغرب العربي فقد ذكر هيرودوتس بان الليبيين يقدمون القرابين للشمس والقمر، أما في الصحراء فقد ذكر هيرودوتس بأن الأتارنتس (Atarantes) [1] يلعنون الشمس بأقذع السباب لآنها تأذيهم وهؤلاء يعيشون في منطقة تبعد مسيرة عشرة أيام عن أرض الجرمنت [2]، ولعل موطنهم تاسيلي أو الهكار.

لدينا مشهد الشمس في تيسوكاي (Tissoukai) (جبال تاسيلي) ويمثل دائرة كبيرة تحيط بدائرة أصغر ذات إشعاعا(شكل 85) ، وفي الجانب الأيسر للدائرة الكبيرة نجد ثلاثة رؤوس للأبقار ، مع رمز يمثل الهلال، مع وجود أنصاف دوائر بيضاوية تشبه التلال أو الجبال عددها ستة، أربعة منها متسلسلة واثنين آخرين متقابلين، وفي الجهة الخلفية شخص يلمس طرف الدائرة ،وتوجد شخصية أخرى مقنعة وفي الخلف أيضا مجموعة من الأبقار، وإلى يسار المشهد نجد شخصية أخرى في وضعية الرقص قد تكون امرأة إن وجود هذه العناصر مجتمعة في هذا المشهد يدل **أولا** :على أن هذا المشهد هو تجسيدا لأسطورة لها علاقة بعبادة الشمس والقمر، **وثانيا** :أنها تعبيرا عن أسطورة الخلق لوجود كل عناصر الطبيعة الشمس والأرض والقمر والإنسان والحيوان، وأنصاف الدوائر تمثل الجبال التي يعيش فيها هؤلاء الأقوام، وكما هو واضح وجود ارتباط بين الشمس والأبقار المقدسة، فالكائن الذي يعلو رأسه قرص الشمس يبدو أنه مشرف على المشهد، أما الدائرة الكبرى فتمثل الأرض والدائرة الصغيرة ذات الأشعة هي الشمس تسلط أشعتها على الأرض المستندة على قرون الأبقار، فالمشهد يجسد اعتقاد هؤلاء السكان بقدسية الأبقار أيضا.

من جهة أخرى يمكن أن تكون هناك علاقة محتملة بين القرون والهلال، وهي ناتجة عن الارتباط بين الأبقار والقمر في المشاهد فكثيرا ما نجد هلال مرسوما على الأبقار، وارتباط قرون الأبقار مع القمر في المشهد السابق الذكر في تيسوكاى، ولدى الرؤوس المستديرة نجد أحيانا قرون عظمية الحجم ترسم لوحدها أو متراكبة مع شخصيات كبيرة مقنعة فمن الممكن أن هذه القرون إنما تمثل الهلال، وقد لاحظنا سابقا وجود عبادة للقمر لدى الليبيين، ولا شك لدينا أن الإنسان قد عبد القمر منذ أقدم العصور، ففي العهدين القرطاجي

---

(1) يرى الباحث (Gsell) بإنهم أجداد الهاوسا (Haoussa) في نيجيريا :
Stéphane Gsell: (1915). p.318

(2) Hérodote IV,184

والروماني في بلاد المغرب كانت الإلهة تانيت (Tanit) معبودة رئيسية في المنطقة وهي ربة قمرية (déesses lunaires) ففي المشاهد الصخرية هناك عبادة للقمر لدى الرؤوس المستديرة لوجود عدد كبير من الشخصيات ذات قرون وكذلك لوجود زوائد بين القرون تمثل قرص الشمس أو القمر في شكله الكامل (البدر)، وكذلك لتواجد رموز للهلال إلى جانب صور الأبقار، ويمكن أن يكون وجود الهلال تجسيدا للطقوس التي تقام على ضوء القمر، تمجيدا له ويتم التضحية بالأبقار في المكان [1].



شكل 85: يدل على عبادة الشمس في تيسوكاي في جبال تاسيلي

رابعا- طقوس الاخصاب :

لقد أصبحت لدينا حالة تشابه بين انثى في حالة الاستلقاء والاستسلام مع إبراز الاعضاء التناسلية وهي مهيأة للإخصاب والولادة، كما أن الأرض منبسطة وما عليها من مرتفعات وهي في حالة استسلام من أجل تكاثر النبات والحيوان، ولابد وأن القدماء توصلوا بالملاحظة إلى دورة الحياة للكائنات بما فيها شخصيتهم البشرية فوصلوا إلى نتيجة ملموسة أمامهم بان الانثى لا تلد إلا باقترانها برجل ينتج عنها الولادة ومن ثم استمرارية الحياة للمجموعة، كما لاحظوا ان الأرض المقفرة تدب فيها الحياة عندما تمطر السماء فيخرج النبات ويتكاثر الحيوان ويتحقق الأمان بوجود الغذاء للمجموعة، فمع وجود الرجل

---

(1) بن بو زيد لخضر: (2018)، ص 188-190

في الحالة الأولى والسماء في الحالة الثانية كمخصبين وبالتالي حاله أساسية وضرورية ومكملة للمشهد، كما ربطوا بين عقم المرأة وجفاف الأرض كحالة واحدة، من هذا المنطلق نقشت لوحات الاقتران على صخور الأكاكوس باعتبارها طقوسا دينية كانت شائعة والغرض منها الإيحاء إلى الأرض ايحاء قوي بان تضمن تكاثر النبات والحيوان والانسان.

هناك مجموعة من النقوش تصور الاقتران [1] (شكل 86 1) نرى في المشهد انثى مستلقية على جهة اليسار وقد انفرج طرفاها السفليان ووضعت عليهما يديها، وجاء رسم الوجه جانبيا أما باقي الجسم فقد جاء في وضع المواجهة، وقد أبرز الفنان وضع الحلي في اليدين بعناية فائقة، اما الشعر فانه ينزل على شكل خطوط متوازية، وإذا كانت ملامح الوجه قد اختفت مع سقوط بعض شظايا الصخر فإن نقش القلادة الشبكية كان جميلا وهي تتدلى من رقبة طويلة ورقيقة، وهناك سوار على كل من الساعد الأيمن وعلى الرسغ الايسر من نفس الطراز ويكتمل الزي بحزام واسع يلف الخصر، اما الاثداء فلم تظهر لأن القلادة الشبكية تغطي الصدر كله، ويقف أمام المرأة المستلقية رجل في وضع منحن قليلا ويرتدي قناعا حيوانيا يشبه إلى حد كبير الحيوانات الكلبية، ويبعد الرجل عن المرأة بخمسة وعشرين سنتمترا ويصل إلى مهبل الانثى عضو ذكري بحجم مضخم وبشكل مثلث غير عادي يتلاقى طرفه مع فتحة الفرج [2].

ومن نفس الموقع (شكل 86 2) نرى شكل رجل تبدو عليه الحركة فقدماه مثنيتان، والرأس مغطى بقناع كبير مستدير وينتهي بقرنين والعضو التناسلي نقش بشكل غير عادي، اما وضعية المرأة فهو الوضع الاستلقائي فالساقان منفرجان، والرقبة طويلة، ويرى كذلك الثدي الايسر وقد رسم على شكل مثلث، أما اليد اليسرى فتنتهي إلى الخلف بينما اليد اليمنى تمسك بالساق اليمنى [3].

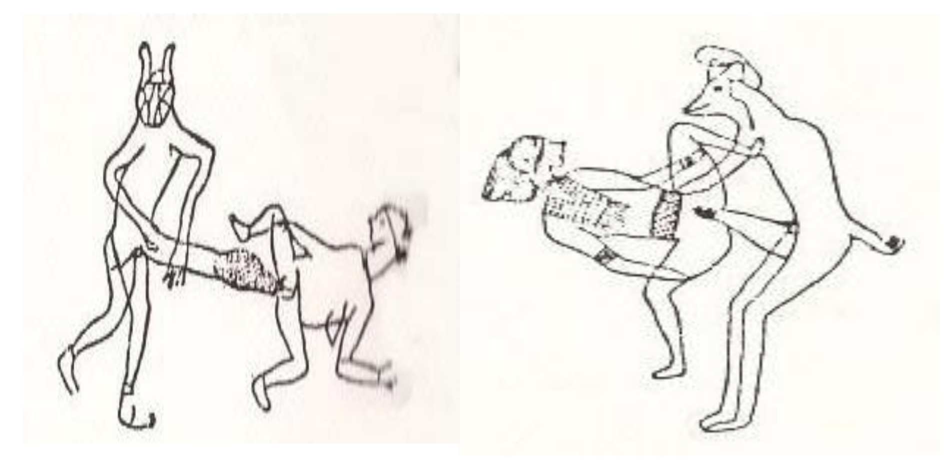
ان الفكرة الكامنة من وراء عملية الاقتران أو ما يعرف باسم (**الزواج المقدس**) هي زيادة خصوبة الأرض وهي من تقاليد العصور الحجرية القديمة والتي استمرت كطقوس دينية متعارف عليها حتى العصور التاريخية لدى مختلف شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم، وإذا كانت هذه الطقوس الدينية مورست في الكهوف والقحاف إلا انها انتقلت إلى المعابد فيما بعد، ويعتقد الباحث أنيس فريحة [4]، أن هذا النوع من الممارسة كان يستعمل بشكل عام في وقت لم يكن الزواج معروفا بل عندما كان الزواج اجتماعيا مشتركا النساء للرجال والرجال للنساء في القبيلة الواحدة، ومع اتجاه الانسان إلى الرعي ثم

---

(1) فابريسيو موري: (1988)، لوح 38
(2) المصدر نفسه: ص76
(3) المصدر نفسه: ص77 لوح 41
(4) انيس فريحة: (1980)، ص59

الزراعة واقامته القرى الزراعية الأولى فرض الرجل سيطرته الكاملة وتحول المجتمع برمته نحو تحديد العلاقات الاجتماعية وفرض الزواج الذي يحدد ارتباط الرجل بالمرأة ومن ثم نقلت طقوس الخصب إلى المعبد باعتبارها مظهرا دينيا خالصا ولازمت هذه الطقوس اعراف وتقاليد تحدد شكلية الشعيرة الدينية، والتي أصبحت من اختصاص الكاهنة العظمى التي تمارس **(الزواج المقدس)** مع الكاهن الأعظم أو الملك الذي يمارس اختصاصات دنيوية ودينية، والشخوص التي تمارس الزواج المقدس لا تعبر عن نفسها انما تعبر عن الآلهة ذاتها [1] .

أما طقوس الخصب كما وصلت الينا من صخور الصحراء الليبية فقد كانت تتم داخل الكهوف، ولابد ان لها موعدا محددا ويقوم به رئيس القبيلة أو الكاهن ويرتدي اقنعة خاصة كما في (شكال 86 1) الرجل فيه يرتدي قناعا أقرب إلى الحيوانات الكلبية، وفي (الشكل 86 2) يظهر وهو يرتدي قناعا له قرون، وهذا يدفعنا إلى افتراض أن القرون التي يرتديها الرجل في هذه اللوحة لها ارتباط بشكل أو بآخر بالقمر لأن الهلال يأخذ شكل القرون.



شكل 86: 1-2 من نقوش تين لالان الصخرية (الأكاكوس) تمثل طقوس الاخصاب أو (الزواج المقدس) (اليمين)، شكل2: من نقوش تين لالان (الأكاكوس) تمثل طقوس الاخصاب أو (الزواج المقدس) (اليسار)

(1)عادة ما تستخدم عبارة (وضع السرير) للإشارة إلى الزواج المقدس، وتصادف مراسيمه في عيد رأس السنة السومرية زاك موك (zag-mug)، حيث تقام احتفالات كبيرة في بلاد سومر(القسم الجنوبي من بلاد الرافدين)، ويطلق على طقوس الزواج المقدس باليونانية هيروس كاموس(Hieros Gamos)، وعرف زواج الخصب بأسطورة الإلهة عشتار والإله تموز، وفي بلاد الشام أسطورة عشتروت والإله بعل ولهذه الطقوس وقت محدد من كل عام ويرافق زواج الخصب احتفال كبير: صلاح رشيد الصالحي: (2017)، ص 103 -107

ارتداء الأقنعة في الطقوس الدينية

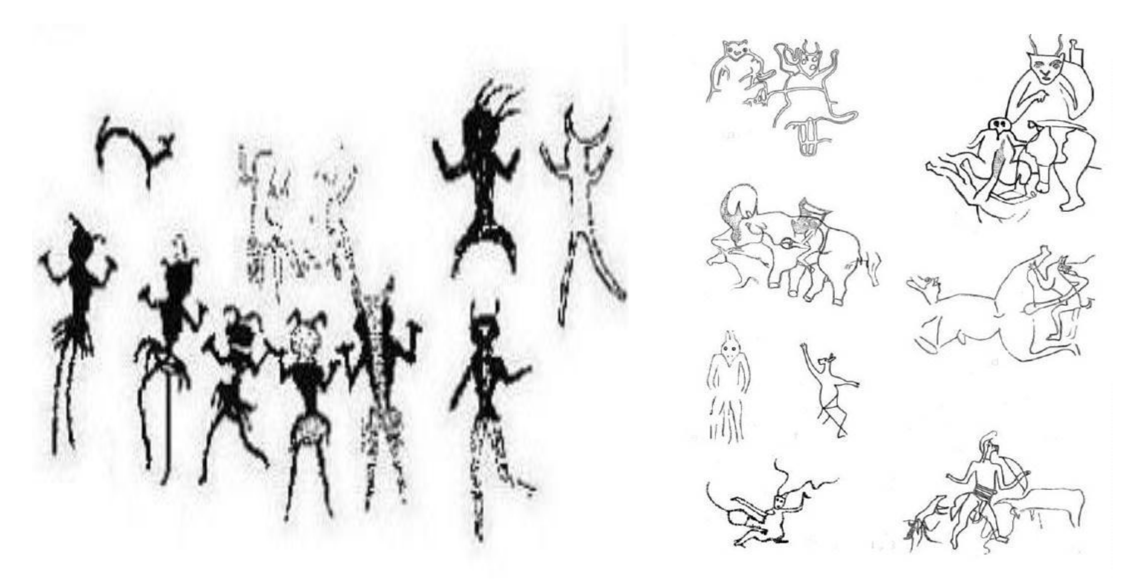
في المشاهد التي تمثل طقوس الخصب نجد الاشكال ترتدي اقنعة حيوانية، والمعروف بان الإنسان استعمل القناع منذ العصر الحجري القديم حيث وجدت عدد من الرسوم الصخرية والنقوش التي تعتبر تمثيلا للرأس المقنع كالإله المقنع أو الساحر، أما في جبال تاسيلي فهناك أدلة على وجودها منذ فترة قديمة تعود إلى مرحلة الجاموس العتيق (bubaline) ضمن نقوش وادي جرات، والأقنعة متنوعة في فن الرؤوس المستديرة، فهناك أقنعة لشخصيات برؤوس حيوانات سماها الباحثين باسم (théranthropes)، كما توجد أقنعة طقوسية مثل أقنعة موقع (صفار) (في جبال تاسيلي) كما أن الرأس الدائري في حد ذاته قد يمثل أقنعة دائرية مثلما نشاهده لدى الشعوب الإفريقية (1).

تعتبر الأقنعة أدوات مادية تحمل معاني رمزية، بحيث يعطي الشخص لنفسه مظهر يشبه الحيوان أو الكائن الأسطوري، ويمكن أن يعطي القناع للشخص الذي يرتديه مظهرا مغالطا (faux visage)، بحيث يضع الراقصين والراقصات القناع ليغيروا صور وجوههم بقصد الحماية من القوى أو الأرواح الشريرة أثناء الطقوس، فالشخص يشعر بأن هيئته الإنسانية ضعيفة فيتنكر في هيئة جديدة وغالبا ما تكون كائنا أسطوريا أو حيوانا طوطميا، وقد يكون الهدف من ارتداء القناع هو الحصول بشكل مؤقت على صفات الكائن الذي يمثله القناع فقد كانت الأقنعة في حد ذاتها عبارة عن فتيشات (2)، وبهذه الصفة كانت تقدم لها القرابين من حين لآخر حتى تستطيع الاحتفاظ بقدرتها على المساعدة فهي تعد بمثابة أشياء مقدسة، ولدى بعض الشعوب ذات الديانات الروحانية القناع يجسد الأرواح التي يعتقدون بوجودها، والأقنعة لها وظائف عديدة فهي تستخدم في الممارسات الدينية، وقد تكون هذه المناسبة لها علاقة بأساطير مثل أسطورة نشأة الكون، فالرقص بالقناع يهدف إلى تجسيد الظواهر الأسطورية وتخليدها، وقد تمثل الأقنعة أرواح الموتى حيث وجدت أقنعة مدفنيه (masque funéraire)، والهدف منها تجسيد الكائنات فوق الطبيعية والتحول إلى صورتها وهذه الكائنات إنما هي مخيلة الإنسان، وربما المشاهد التي تمثل رؤوس حيوانات إنما تمثل قناع لأجل الصيد، ولو أن العديد من المقنعين لا علاقة لهم بالصيد فهم عادة معزولين عن الحيوانات أو مرتبطين بمشاهد الرقص الجماعي والفردي أو ضمن مشاهد جنسية كما في وادي جرات، ونلاحظ أن غالبية الأقنعة لها علاقة بالموضوع السحري الديني أو بالمظاهر الأسطورية، كما نجد نسبة كبيرة منهم في رقص جماعي أو فردي، أما في النقوش في وادي جرات فهي موجودة في مشهد جنسي، وهناك القناع السحري الذي يضعه السحرة والكهنة وهذا ما نجده في موقع أونرحات،

(1) بن بو زيد لخضر: (2018)، ص204

(2) الفتيشية: هي تقديس الأشياء المسحورة، والتمائم، والخرز، والتصور أن قوى الكون تجتمع فيها لذلك اتخذت الآلهة صفة هذه الأشياء المقدسة، ومن الأمثلة عن الفتيشات نذكر الأقنعة والتيجان والرموز المختلفة والزينات لدى الشخصيات.

وأقنعة أخرى يرتديها الراقصون في موقع (صفار) الشكل البدائي للأقنعة يستمد من صورة الحيوان والأقنعة مرتبطة بالحيوانات وصفاتها تشبه صفات الحيوانات الطوطمية، وعندما يضع الإنسان القناع فإنه يجسد هو نفسه ذلك الكائن معتقدا أنه قد تجسد فيه، وهناك علاقة وثيقة بين القناع والحيوان المقدس عند الصيادين في منطقة النيل والصحراء أي الارتباط الروحي مع الحيوان الطوطم، ويوجد لدى بعض الشعوب الروحانية ارتباط بين الحيوان والأرواح والأقنعة، حيث يملك هؤلاء المقنعين قوى سحرية قد تدل الهيئة على الحيوان الطوطمي المرتبط بهم كروح أو شيطان، كما نجد عند المصريين القدامى أقنعة ذات أصل حيواني مثل أنوبيس (Anubis)(حارس الجبانة) برأس ابن آوى، والإلهة حتحور برأس بقرة (Hathor)، والإله حورس(Horse) برأس صقر[1].



شكل 87: اشكال تمثل شخصيات قضيبيه وآلهة الخصوبة من جبال تاسيلي بالجزائر (اليمين)، لوحة تمثل رجال مقنعين من موقع صفار بالتاسيلي أطلق عليهم اسم (الشياطين الصغار) (اليسار)

خامسا ـ تقديم القرابين :

عندما حدد الخير والشر وعبادة الأرض والسماء والشمس والقمر وإقامة طقوس الإخصاب، لا يكتمل البناء الديني إلا بتقديم القرابين كحالة شكر أو استعطاف وهو الغالب، أو لطرد الشر والتخلص منه وهو النادر، وتقدم القرابين إلى القوى المكلفة بالقوت والأمان أو المسببة للمرض والموت، وتصور الإنسان القديم ان بإمكانه التقرب من هذه القوى طمعا في خيرها،

---

(1) بن بو زيد لخضر: (2018)، ص 205-209

لذلك لم يبخل ذلك المخلوق الضعيف بالعطاء فقدم القرابين الحيوانية من صيده أو ماشيته وتصور الأشكال القرابين عثر عليها في الموقع الاثري تين لالان (شكل88 1)، تظهر امرأة مستلقية على ظهرها وقد فتحت ساقيها ورفعت الذراع اليمنى إلى الوراء والذراع اليسرى خلف العنق، ووقف أمامها رجل يميل صدره ورأسه إلى الخلف قليلا متصلا بالمرأة بواسطة العضو التناسلي المضخم طبقا لما هو معتاد، وينتهي هذا عند الفرج ولا ترى من الرجل إلا ذراعا واحدة تمتد مستقيمة إلى مستوى العضد وأصابع اليد مفتوحة تماما، وإلى خلف الرجل يظهر رجلان يحملان عصا افقية يتدلى منها حيوان لعله وعل أو تيس ذو قرون طويلة [1].

المشهد الثاني الذي وجد في نقوش وادي الخيل (شكل88 2) تظهر فيه أنثى مستلقية بالوضعية ذاتها التي ذكرناها سابقا وعلى الجانب الايسر والايمن تيسان بقرون [2]، ومشهد آخر من نقوش جبل بزيمة [3] ، صور فيه رجالا يؤدون حركات جماعية واتجاهات أجسادهم مختلفة ويحملون في أيديهم أشرطة أو عصي ملتوية أو ربما أدوات تستعمل في طقوس تقديم القرابين ومعهم ثور ذو قرون طويلة، ومن نفس الموقع مشهد أقتصر على رجلين يؤديان نفس الصيغة من الحركات التي ذكرناها في اللوح السابق ومعهم ثور بقرون .




شكل 88: رقم (1) نقش من تين لالان (الأكاكوس) تمثل طقوس الاخصاب وتقديم القرابين (اليمين)، رقم (2): من نقوش وادي الخيل الصخرية الإلهة الانثى (الأرض) وعلى الجانبين قرابين (اليسار)

---

(1) فابريسيو موري: (1988)، ص79 لوح 45

(2) باولو غراتسيوزي: (1968)،لوح XXV (A)

(3) انجلو بيشي: (1964)، لوح LXV (A) and (B)

هذه الأشكال تدفعنا إلى افتراض بأن تقديم القرابين الحيوانية كانت مكملة لطقوس الاخصاب، وان تقديم الوعل أو التيس يدل على انتهاء الطقوس وستجود الطبيعة بعطائها وخيرها، كذلك تقديم القرابين يرافقه رقص جماعي يؤديه رجال القبيلة كنوع من الاحتفالية تسبق التضحية، فالثور هنا في حالة وقوف حتى ينتهي الاحتفال ويتم التضحية به كقربان، بعكس المشهد السابق فان الوعل معلق على عصا لأنه حيوان بري غير مدجن، وعلى ما يبدو ومن خلال النقوش التي تصور الثيران تدفعنا إلى إعطائها المرتبة الأولى كقرابين حيوانية، ويصف الباحث (أنطوان مورتكارت) بأن الثور والبقرة هما شعار الحياة ورمز الخصوبة [1]، وكان الثور من القرابين المفضلة للإله رع إله الشمس المصري، ولازالت التقاليد الليبية العريقة في الوقت الحاضر تعلق قرون الثيران أو الاكباش التي تم تضحيتها على أبواب المنازل، وكذلك ما زالت بعض قبائل دولة ناميبيا (في جنوب غرب افريقيا) والتي يعتمد اقتصادها على رعي الابقار والثيران تضع قرون الثور على مقابر موتاهم ويزداد عدد القرون على القبر حسب مكانة المتوفي وثروته، أما التيوس فتحتل المرتبة الثانية كحيوانات القرابين ثم يليه الوعل، وهكذا طبقا للنقوش التي وصلتنا على حالتها الأولى، وقد تظهر بعض الإضافات على شكل خطوط أو إشارات لكنها لا تنطوي على دارس الفنون الصخرية.

بلورة الدين في شمال افريقيا

من خلال الأشكال السابقة توصلنا إلى شكلية الدين لدى قدماء المغاربة ضمن دورين الصيد والرعي، ومما ذكر هي عناصر أساسية تلائم عقلية المجتمعات البدائية، وإذا كنا نرى فيها قصورا ولا تتبع المنطق في مضمونها فهذا يعود إلى تجريدها من الروح والغيبيات التي لا نشعر بوجودها على أشكال النقوش الصخرية، لكن لو نظرنا اليها من جانب آخر يعتمد على روح الانسان وعقله وبدائيته الفكرية وحسب مداركه البسيطة فسنجد ان تلك المفاهيم الدينية القديمة مقبولة، فقد عرف القدماء الخير والشر كقوتين مختلفتين فأحب الخير ونبذ الشر من خلال تفريقه رسوم **الأولى** بكثرتها ووضوحها، **والثانية** بانعزالها وقلتها، ولابد أن يؤدي هذا إلى صراع بين القوتين فعمد إلى تصوير الحيوانات المفترسة وهي تنقض على آكلات العشب.

وحتى تكتمل الصورة بربط القوتين الخير والشر بقوة أكبر، أتجهوا نحو عبادة المظاهر الكونية فكانت عبادة إلهة الأرض التي وجدوا فيها عناصر متشابه مع الانثى، وبما ان حالة الاقتران لابد لها من رجل كذلك إلهة الأرض لابد لها من قوة كونية مكملة، والمعروف ان الانسان يصل لفكرة نحو القرائن والنقائض في شتى المجالات، فوجد السماء كقرين للأرض ومكمل لها ويحنو عليها ويغطيها من كل جانب يعطيها المياه لتخصب وتصبح منزا ابدي للآلهة

(1) أنطوان مورتكات: (1985)، ص195

المباركين، فكان لابد من رموز تمثل آلهة السماء فصنعوا الأقنعة ذات القرون، (شكل الهلال وكأنه قرون) يرتديها الكاهن عند أداء الطقوس الدينية، أو كانوا ينقشون أعضاء ذكرية مبالغا في حجمها للدلالة على غزارة المياه عند تساقط الامطار لتخصيب الأرض.



شكل 89: يمثل ربة القمر السيدة السوداء من موقع جبارين في جبال تاسيلي

بعد معرفة عبادة القوى الطبيعية عمد قدماء الليبيين إلى إيجاد طقوس دينية لزواج الخصب الذي يرافقه احتفالات ورقص يشارك فيها افراد القبيلة بكاملهم، ومن المحتمل مراسيم طقوس الخصب تبدأ في بداية فصل الربيع حيث ينمو النبات ويتكاثر الحيوان، وبعد انتهاء الطقوس تقدم القرابين الحيوانية (ثور أو كبش.. الخ) عرفانا وتقربا للأرض والسماء واستمرارا لديمومتها وفرحا برضا القوى الخفية.

ما ذكر أعلاه يعتبر المرحلة الأولى من نشوء الاعتقاد الديني ضمن تسلسل التطورات التي سارت عليه الديانات القديمة التي واكبت التحولات الاقتصادية للمجتمعات وانتقالها نحو النشاط الزراعي، وظهور السلطة السياسية، وبناء المعابد وإدارتها من قبل الكهنة أصحاب المراتب والامتيازات، ومن المحتمل بان الكهوف والحقاف التي ضمت النقوش والرسوم الصخرية كانت لها قدسية وكأنها معابد طبيعية، ولهذا زينت بشتى الأشكال الحيوانية والبشرية، كما نرى في المعابد المصرية التي تضم شتى

الرسوم والنقوش والمنحوتات، كذلك نفس الحالة نجدها في معابد بلاد الرافدين من حيث الرسوم والمنحوتات والزينات، ونجدها أيضا في القرى الزراعية في بلاد الاناضول ما دامت تلك الرسوم لا تشكل حالة جمالية لدى القدماء بقدر ما كان لها تفسيرات وتذكير بطقوس معينة حتما.

الفصل السابع

طرق انتقال التأثيرات الثقافية
من الشرق الادنى القديم الى
الدول المغاربة

المبحث الاول

الطرق المقترحة التي سلكها أقوام فجر التاريخ

إلى غرب البحر المتوسط

في الفصول السابقة ذكرت وجود تأثيرات في المجال الثقافي وصلت شمال افريقيا، وهي تأثيرات حضارية قديمة ذات أصول عراقية، ومصرية، وحتى من بلاد الاناضول، واليونان، والفينيقيين على جوانب من حضارة المغاربية، فحضارة الشرق الأدنى القديم عرفت منذ القدم بأصالتها (1)، وكانت المصدر لكثير من المظاهر الحضارية والثقافية التي انتشرت في انحاء مختلفة من دول شمال افريقيا (2).

واذا كنا في مجال البحث عن نماذج للقرى القديمة التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين على الاطراف الجبلية التي تحد الهلال الخصيب (خارطة 14) فأننا يجب أن نضع في اعتبارانا أن كثير من المواقع لم تخضع مخلفاتها لاختبار كاربون 14 أو غيرها من طرق التأريخ المطلق التي تساعد على معرفة تأريخها، ولذا فسأكون بطبيعة الحال حذرا في عقد المقارنة وسأبدأ بالمواقع القريبة والمماثلة لأقدم الفترات في بلاد الرافدين وهو موقع حسونة ثم بعدها اتناول المواقع البعيدة على مراحل ذلك لأن الانتقال الحضاري كان في القديم يتم غالبا على عدة مراحل وفي خلال انتقالها كانت تستقر بعض الوقت في مواقع وتتشكل في بيئة جديدة بشكل متفاوت في ذلك المكان ثم تنتقل بهيئة جديدة إلى مكان أخر وهكذا.

وقد تنتقل المفردات الحضارية مباشرة من بلد إلى اخر ومن شعب إلى أخر وأحيانا تنتقل عن طريق بلد ثالث (3)، وقد تحتفظ بعض الشعوب بتأثيرات حضارات شعوب أخرى فترة من الزمن ثم تنقلها إلى بلاد اخرى (4)، وفي هذه الحالة تضاف أفكار واساليب جديدة ولكنها لا تلغي الفكرة الأساسية الأولى التي ولدت وتطورت وانطلقت من بلاد الرافدين.

ولا يقتصر البحث عن القرى الزراعية الاولى وتدجين الحيوان، انما تمتد لتشمل النشاط التجاري الواسع في البر والبحر بين بلاد الرافدين والاقطار المجاورة (5) والذي كان نتيجة حتمية لافتقاد بلاد سومر إلى بعض مواد الخام الضرورية كالمعادن ومنها النحاس والفضة والذهب والأحجار وعلى الاخص

---

(1) طه باقر: (1948)، ص8
(2) والتر، ب أمري: (1967)، ص2
(3) جورج حداد: (1958)، ص27
(4) جورج حداد: (1958)، ص29
(5) صموئيل كريمر: (1956)، ص82-83

الاوبسيدين، وحجر الصوان، والحجر الجيري، والاخشاب [1]، وفي الحقيقة باستثناء الطين الموجود في كل مكان من السهل الرسوبي وصنع منه الفخار والأواني الأخرى خلت البلاد فعليا من الموارد الطبيعية ولهذا السبب كانت التجارة ذات اهمية حيوية ونشأت في فترة مبكرة شبكة واسعة من الطرق تربط بلاد الرافدين ببقية أنحاء الشرق الادنى [2]، كما وأثرت الهجرات البشرية من وإلى بلاد الرافدين في نقل المؤثرات الحضارية، فقد وصل التأثير الحضاري العراقي القديم إلى مصر وبلاد الاناضول وكريت وقبرص وجزر بحر ايجة[3]، ووصل ذلك التأثير شرقاً إلى بلاد فارس وقفقاسيا وحتى الهند مركز الحضارة السندية [4]، وهكذا فالثقافة السومرية الأكدية أصبحت كالفنار الذي يرسل شعاعه على كل الثقافات العالم القديم [5] .

قدمت نقوش الكرنك التي تعود لنهاية الالف الثانية ق.م، وصفا دقيقا لانتصار الملك المصري مرنبتاح على الليبيين القدماء، وقد أشارت هذه النصوص بأن الليبيين كانوا تحت قيادة شخص يدعى مري بن أدد رئيس قبيلة الليبو وقد سبق وان تطرقنا اليه، وما يهمنا بان اسم مرة بن أدد اسم متداول في مملكة سبأ في اليمن جنوب الجزيرة العربية، كما أن اسم أدد أو حدد معروف بانه إله العواصف والغيوم في الاساطير الرافدية، والمعروف أن إضافة أسماء الأشخاص لأسماء الآلهة أمر معتاد في حضارات الشرق الأدنى القديم، وشمال افريقيا يقصد به ترضية هذه الآلهة والتبرك به، ولدينا اسم (كبر) ورد على جدران معبد هابو باعتباره زعيم قبيلة المشواش، وان هذا الزعيم جاء أمام فرعون مصر بعد هزيمته يرجو الصفح من أجل ابنه الأسير[6]، واسم كبر معروف في نصوص الدولة المعينية ، كما ان هناك تشابه مع بعض الأسماء ملوك الدولة الاشورية، لدرجة حملت بعض الباحثين إلى القول بأن قبيلة المشواش الليبية تنسب إلى الاشوريين، وفسرت من قبل بعض الباحثين أن أحد ملوك آشور توفي في مصر وترك الحكم لابنه لوجود تشابه واضح بين أسماء الأشخاص في هذه الاسرة مع بعض أسماء ملوك آشور، وبعود هذا إلى الوحدة التي كانت بين مشرق الوطن العربي ومغربه منذ عصور ما قبل التاريخ ، سواء من الناحية اللغوية أو الناحية العرقية [7].

---

(1) عامر سليمان: (1983)، ص195

Dominique Collon: (1987). Pp14-16

(2) جوان اوتس: (1990)، ص15

Gordon V. Childe: (1964). p.104

(3) نجيب ميخائيل ابراهيم: (1964)، ص78

(4) Leonard C Woolley: (1930)

(5) Bedŕich Hroznŷ: (1953). p.237

(6) مصطفى كمال عبد العليم: (1966)، ص30

(7) علي فهمي خشيم: (1995) ، ص5، 56، 63

كما ذكرت النصوص المصرية القديمة أسم (نمرث)، وهو اسم والد شيشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الليبية في مصر خلال الفترة ما بين (945-715) ق.م، وورد في اللغة الأكدية بصيغة (نمر)، ويعني المرعب والمخيف، وفي النقوش السبئية في اليمن بصيغة (نمرن) و (نمرت) و (ونمرم) ، وفي النقوش الليبية القديمة على شكل (نمر) و (نمرد) و(نمرل) و(نمرث)، وعند العرب تعني نمر من ضرب السباع أخبث من الأسد، واشتق منه اسم نمرود الملك المعروف، وهكذا الاسم متداول عند سكان بلاد الرافدين ووادي النيل أيام الفراعنة كما هو شائع عند قدماء الليبيين على طول الشمال الافريقي [1].

ولابد ان نتساءل كيف وصلت المؤثرات الحضارية العراقية إلى شمال افريقيا عبر مسافة بعيدة، وفي زمن أفتقد الانسان القديم إلى وسائل النقل المعروفة الان؟ وهل كانت الصلات مباشرة أم غير مباشرة؟ ليس من السهولة الاجابة على هذه التساؤلات دون ان نتطرق إلى الطرق البرية والبحرية التي سلكها القدماء في انتقالهم من الشرق الادنى القديم باتجاه شمال افريقيا وبلاد الاناضول واليونان وإلى اوربا.

كانت الطبيعة المكشوفة لتضاريس بلاد الرافدين ساعدت على عدم تشجيع العزلة الاجتماعية وتسهيل انتشار الافكار الجديدة بسرعة سواء اكانت فنية أم سياسية في حين قادت شحة المواد الخام إلى موقف متسم بالتطلع إلى الخارج ويلاحظ ذلك في الأدلة الأثرية المكتشفة في شبكات التجارة الواسعة[2].

أمدنا موقع تل السلطان في اريحة (جهة البحر الميت في فلسطين) ، (خارطة 14) ببعض المخلفات الهامة، ففي الطبقة السفلى التي تعلو الأرض البكر عثر على مخلفات أثرية تنتمي إلى الثقافة النطوفية ثم تلتها طبقة ما قبل الفخار العصر الحجري الحديث (Pre Pottery Neolithic A) حيث أقيمت الأبنية من اللبن وأخذت شكلا دائريا، اما الطبقة التالية ما قبل الفخار لعصر الحجري الحديث ب(B.B.N.B) لاحظ المنقبون تطورا في البناء فالجدران والأرضية طليت بالطين مع بعض أدوات معمولة من الاوبسيدين، وعثر على هذه الثقافة في مواقع أخرى في الاردن [3]، تقع أريحة في منطقة معقدة مناخيا مناخيا فهي تقع ضمن أقليم شبه صحراوي جاف من ناحية ومن ناحية أخرى تقع في غور الاردن وهو منخفض يقع تحت البحر بسبعمائة قدم، لذا فإنها من المناطق الشديدة الحرارة ولا تصلح لأن تكون ميدانا لثورة انتاج القوت، والطبقات التالية في اريحة أعطت دلائل على انتاج القوت وقد قدم كاربون 14 قراءات التالية لموقع تل السلطان :

---

(1) محمد علي عيسى: (2012)، ص205-206

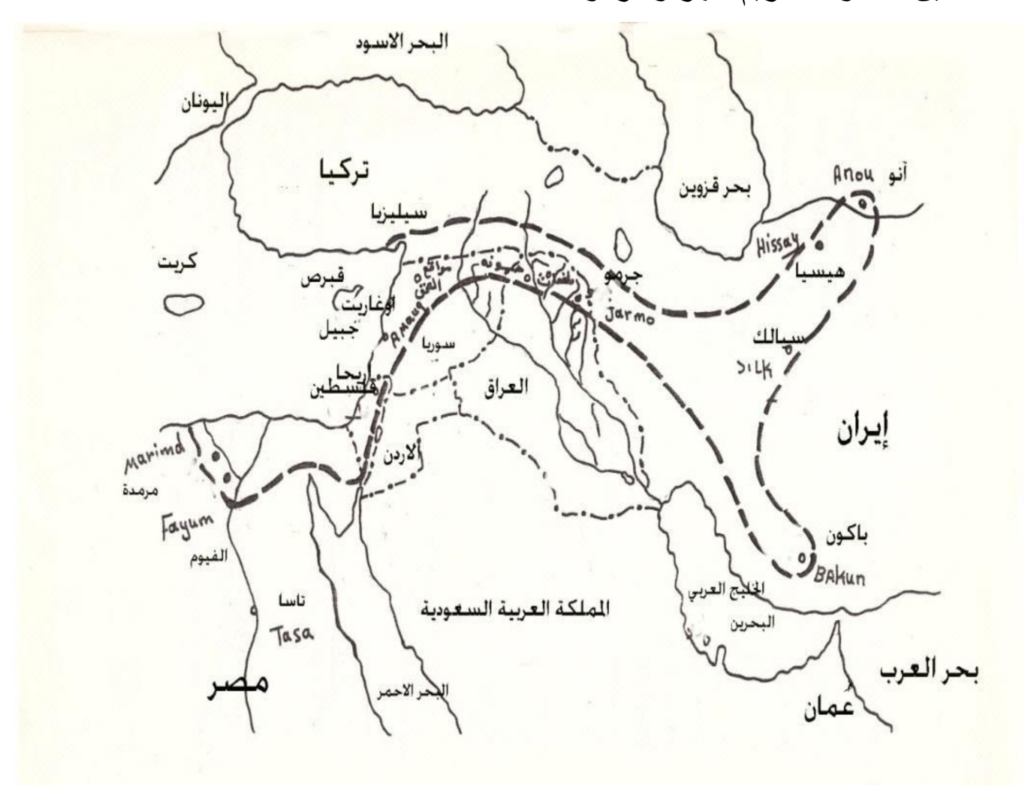
(2) جوان اوتس: (1990)، ص20 - 21

(3)عز الدين غربية: (1981) ، ص70-71

Kathleen Kenyon: (1956). Pp.101-107

الطبقة السفلى البكر 8250 ق.م (±)
P.P.N.A 7750 ق.م (±)
P.P.N.B 6500 ق.م (±)

وترجع أهمية موقع تل السلطان إلى عدم وجود فراغ زمني بين طبقاته مثل تلك بين مجموعة كريم شهر وجرمو [1].



خريطة 14: انتشار القرى الزراعية الأولى في الشرق الأدنى القديم

تعتبر فلسطين حلقة الاتصال بين بلاد الرافدين ومصر، لذلك اعتبرت معبرا للهجرات البشرية من بلاد الرافدين إلى سوريا عن طريق (دجلة والفرات) وهما مهمين لحركة السفن والقوافل التي اختارت الطريق المحاذي للنهر، ومن الفرات ينحني الطريق عند ماري إلى الشمال ليصل إلى سوريا عبر تدمر وينحرف طريق اخر باتجاه حلب ثم باتجاه البحر المتوسط [2]، ويستمر الطريق الاخر من جنوب سوريا إلى فلسطين ثم شبه جزيرة سيناء ومن ثم دلتا مصر [3].

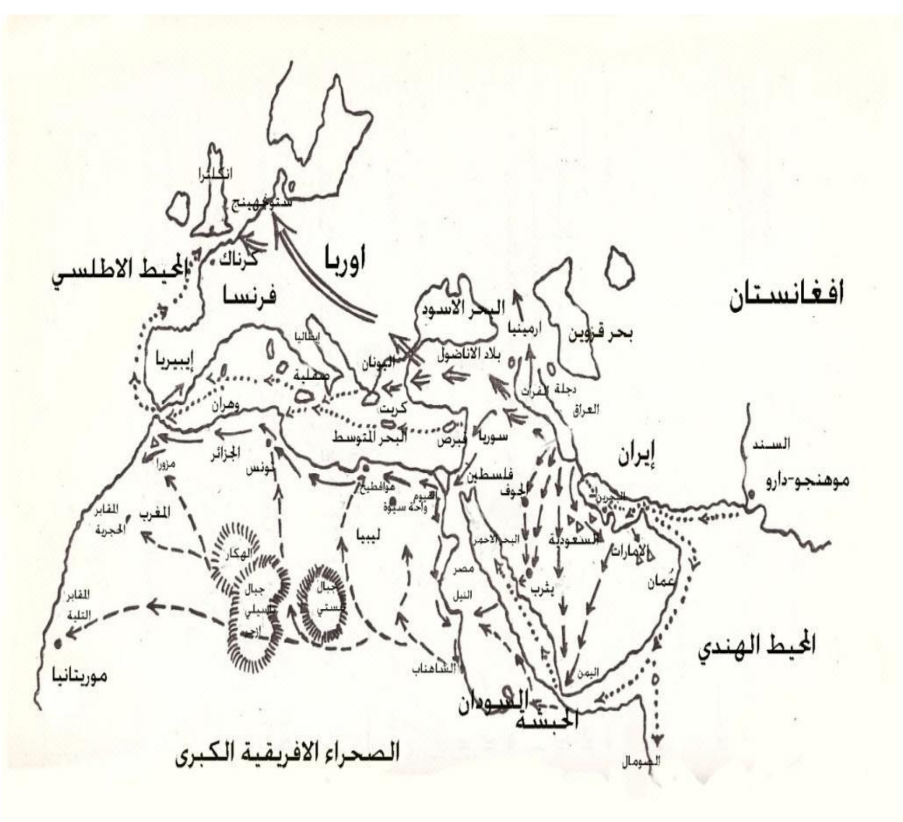
---

(1)Robert John Braidwood: (1975). p.135

(2) هورست كلنغل: (1987)، ص23-24

(3) يعتبر هذا الطريق أكثر استخداما سواء للهجرات الجزرية أو الحملات العسكرية، وقد أستخدمه الفراعنة في فرض سيطرتهم على فلسطين وسوريا وكذلك سار عليه الهكسوس في احتلالهم لمصر في عام 1786 ق.م: سليم حسن: (1940)، ص142.

وفي الطرف الشمالي الشرقي للبحر المتوسط حيث تلتقي الحدود الحالية بين تركيا وسوريا وبالقرب من منطقة سيليزيا التركية حيث يوجد العديد من المواقع المعاصرة لثقافة حسونه والتي تم الكشف عنها، فبالقرب من البحر المتوسط وعند الموقع التاريخي الشهير المعروف برأس شمرا (اوغاريت القديمة) عثر المنقبون على أثار لقرية تاريخية يسبق ظهور الفخار [1]، وفي مارسين في الجنوب الشرقي الاناضول وفي موقع جديدة بسهل العمق في سوريا [2]، وفي مواقع أخرى عثر على بقايا قرى معاصرة لفترة حسونة (خارطة 14)، كانت جدران منازل تلك القرى مبنية من الطين ألا أن اساساتها كانت من كسر الحجر وصنع السكان فخارهم بأنفسهم وهو يشبه فخار جرمو وحسونه وصنعوا ادوات من الحجر قريبة الشبة بمثيلاتها من مواقع فترة حسونة الاخرى.



خريطة 15: طرق المواصلات بين الشرق الأدنى القديم وشمال افريقيا: الخطوط على شكا نقاط هي الطرق البحرية، والخطوط المستقيمة المتقطعة هي الطرق الصحراوية، الخط المستقيم هو طرق برية

---

(1) Margaret S. Drower: (1968)
(2) Robert John Braidwood: (1953). Pp.189-190

اما موقع جبيل في لبنان [1] على ساحل البحر المتوسط فيوضح بقايا قرى فيها اثار لمواقد مع مخلفات انتاج زراعي وتماثيل صغيرة مصنوعة من الحجر الجيري، وقد اقترح الباحثون واستنادا إلى الأدلة الآثارية انه يعاصر فترة حسونة [2]، وقد ساعدت جبيل على انتقال ثقافة حسونة إلى جزر البحر المتوسط، فقد اشتهرت جبال لبنان بثروته الخشبية حيث أطلق علية (جبل الارز) وتحدث الإنجيل عن غاباته الظليلة العطرة [3]، واستخدمت هذه الأخشاب لصناعة السفن في جبيل فكانت سفنها تمخر عباب البحر المتوسط منذ فترة طويلة سبقت وصول الفينيقيين أضافة إلى أن جبيل كانت تصدر الاخشاب إلى مصر [4]، ويعود تاريخ المستوطنات الزراعية في جبيل إلى حوالي نهاية الالف السابع وبداية الالف السادس ق.م ± نتيجة فحص كاربون 14 [5]، وفي موقع جايونو تبه سي (Çayönü Tepesi) [6] الواقع في اعالي نهر الفرات في شمال مدينة ديار بكر عثر على طبقة تمثل قرية من طراز جرمو (قبل ظهور الفخار) [7]، امتازت صناعاتها الحجرية لاسيما من حجر الاوبسيدين بالدقة ولم يعرف سكان هذا الموقع من الحيوانات المدجنة سوى الكلب، بينما كان غذاؤهم الرئيسي يعتمد على صيد القطعان البرية كالغزال، اما الطبقة الثانية فتشير إلى تدجين الخراف والماعز وربما الخنزير كما عرف سكان الموقع زراعة القمح والشعير وبعض البقول وقد كشفت الحفائر عن وجود مساكن شيدت من الطين على اساس من كسر الحجر، وقد عثر على عدد من الابر كانت تستعمل كمثاقب وقد اعطى كاربون 14 قراءة لهذا الموقع يقدر 7500 ق.م ± [8] .

---

(1) تقع جبيل أو (بيبلوس) (Byblos) (باليوناني) أو جوبلا (بالعربي جبيل) شمال بيروت الحالية على خليج صغير عند مصب نهر إبراهيم (أدونيس سابقا) وعلى بعد 45 كلم شمالي بيروت، واسم بيبلوس اليوناني يعني أساسا: الورق، وصار يقصد بها: الورق المكتوب، وبالتالي: الكتاب، حيث اعتبرت بذلك المدينة الأم للكتابة ومنها أيضا بقيت تسمية: (Bible) – الكتاب المقدس-في اللغات العالمية حتى اليوم. وهي مدينة الأبجدية الحديثة الأولى: نعيم فرح: (1973)، ص 14// جان مازيل: (1998)، ص 43

(2) Maurice Dunand: (1956). p.74

(3) هورست كلنغل: (1987)، ص23

(4) كانت مصر تستورد الخشب من الساحل السوري–الفلسطيني، فقد وجد اسم الملك نار–مر على كسرة فخارية هناك والمعروف ان فخار مصر كان معروفا في فلسطين وجبيل: جان فيركوتر و(اخرون): (1986)، ص285

(5) Robert John Braidwood: (1975). p.136

(6) Özdogan, Mehmet and Özdogan, Aslı: (1998). Pp. 581-601

(7) Robert John Braidwood: (1953). Pp.189-190

8) Oates .David and Joan: (1976). p.60 (

اما المواقع الاخرى بأسيا الصغرى والتي تمثل نشأة القرى هي حاصيلر (Hacilar) [1]، يقع الموقع الاثري على بعد (25) كم جنوب غرب بوردور (Burdur) [2] ويلاحظ في هذا الموقع استواء أرضية الحجرات وجدرانها كما كما وان جماجم الموتى كانت تزين بنفس طريقة تزيين أهل ثقافة أريحة لموتاهم، وعرف سكان حاصيلر زراعة القمح والشعير ويقدم كاربون 14 القراءة التالية لموقع حاصيلر 6750 ق.م (±) .

أشهر الموقع جطل هويوك (Çatal Höyük) من العصر الحجري الحديث يقع على بعد (37) كم جنوب شرق قونية (Konya) [3]، تقدر مساحة الموقع (32) ايكرا ويطل على نهر صغير، وقد عرف سكان جطل هويوك زراعة أنواع من الحنطة والشعير البريين وتدجين الماعز والماشية مع استمرارهم في صيد الغزلان، وقد صنعوا الاوعية من الخشب، اما بيوت الموقع فقد شيدت من الطين على أسس صخرية وليس في البيوت أبواب بل يتم الصعود لها بسلالم خشبية، ويعتبر هذا التصميم في البناء هو نوع من الوسائل الدفاع مما يدل على عدم الأمان، واحتوى كل بيت على مصطبة مرتفعة دفن تحتها الموتى، وعثر على تماثيل من الطين للإلهة الام بأوضاع مختلفة مضطجعة ومنحنية في وضع ولادة، أو تلد ثورا أو رأس كبش، كذلك عثر على مغازل من الطين وابر حياكة مصنوعة من العظام، اما المعادن فيدل وجودها على مزاولة النشاط التجاري فالرخام من جبال طوروس والزجاج البركاني الأسود الذي صنعوا منه الرحيات فقد جلب من جبل حسن داغ والاصداف والنحاس من سواحل البحر المتوسط[4] .

وإذا كانت الطبقات الأولى (XIIE-A) من موقع جطل هويوك خالية من الفخار فان الطبقات التي تلتها عرفوا صناعة الفخار، وقدر تاريخ المستوطنة من بداية الالف السابعة ق.م وحتى (6200) وإلى (5900) ق.م [5]، ولوحظ أن الفخار والصناعات الحجرية الاوبسيدين قريبة الشبه بصناعات حسونة

---

(1) James Mellaart: (1961). Pp 299-231

(2) تعتبر حاصيلر من المستوطنات القديمة في جنوب غرب تركيا وتؤرخ إلى الالف الثامن ق.م، وأن مرحلة ما قبل الفخار العصر الحجري الحديث في حاصيلر غير مؤكد تماما:

James Mellaart: (1970) // Refik Duru: (1989). Pp. 99-105

(3) صلاح رشيد الصالحي: (1996)، ص195

(4) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي: ص193-195

(5)موقع جطل هويوك أو (كاتال هويوك) وتلفظ بالتركية (تاتال هويوك) وتعني كاتال (شوكه) وبالبغدادية (جطل) وهويوك بمعنى (تل)، الموقع يعود إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث وعلى بعد (140) كم عن جبل حسن وشيدت المساكن من الطين الغريني:

James Mellaart: (1962). Pp. 41-110

وسامراء، ويرى الباحث (Braidwood)، بان جطل هويوك عبارة عن نسخة غربية لثقافة حلف [1].

وقد نشطت الاتصالات بين العراق القديم وبلاد الاناضول عندما أزداد الطلب على الحجارة المختلفة وعلى الاخص الاوبسيدين حيث جلب من منطقة جفتلك (Ğiftlik)، البركانية القريبة من مرسين على ساحل البحر المتوسط، وكذلك استورد من أرمينيا وقد أستعمل الاوبسيدين في صنع المرايا وادوات الزينة للنساء والاطفال [2]، واخذت الطرق التجارية لما قبل التاريخ باتجاهين هما:

1- من اواسط الاناضول باتجاه الشرق عبر سنجار وتلعفر والموصل ومواقع كرى رش، المغزلية، يارم تبه، أم الدباغية، حسونة، الثلاثات قوينجق الاربجية، وتبه كورة [3].

2- من أطراف بحيرة وان شرق الاناضول ويدخل إيران ثم يمر بالعراق في منطقة قلعة دزة مارا بسهل بنجوين في منطقة رانيه ومنها إلى سهول أربيل، وكركوك، والسليمانية، ثم يمر بجرمو –قالينج أغا ومطاره، وجوخه مامي [4].

وكلا الطريقين السابقين ينطلقان باتجاه أوربا أحدهما يخترق مضيق البسفور إلى أودية يوغسلافيا، والثاني يجتاز بلاد اليونان وجزيرة كريت وصقلية ثم ايطاليا وفرنسا ومنها إلى شمال افريقيا [5].

كانت قبرص على اتصال دائم مع العالم الايجي وكريت من جهة وسورية وفلسطين ومصر من جهة اخرى، فهي مصدر للنحاس، وقد عثر في موقع (Khirokitia) على قرية يرجع تاريخها لعصر ما قبل الفخار فيها منازل مبنية بشكل جيد ومشيدة باللبن على أسس من حجر الكلس وعثر كذلك على أبنية دائرية يبلغ عددها ألف مسكن [6].

و إذا تتبعنا الأوجه الحضارية للمدنيات التي شهدتها كريت والجزر الايجية وبلاد اليونان منذ أقدم العصور نلاحظ تأثرها بحضارات الشرق الادنى القديم، فالطبقات الأولى التي لم يتوصل الانسان لمعرفة الفخار وتظهر في المواقع تيسالي (Thessaly) قرب لاريسا (Laritsa) وعند سيسكلو (Seskle)

---

(1) Robert John Braidwood: (1975). Pp.136-137

(2) رضا جواد الهاشمي: (1972)، ص258-260

(3) بهنام أبو الصوف: (1985)، ص191 -193

(4) المصدر نفسه: ص191-193

(5) Bedŕich Hrozný: (1953). Pp.236-237

(6) هناك عدة مصادر لمعدن النحاس من داخل هضبة الاناضول إلى شمال وادي الرافدين الرافدين وبلاد الشام كما كان يصل إلى جنوب العراق عن طريق الخليج العربي مرورا بدلمون (البحرين) من مصدره في الجبل الاخضر في مكان (عُمان) : محمد صبحي عبد الله الدليمي: (1990)، ص70// محمد صبري قدسية: (1995) ، ص114

Robert John Braidwood: (1975). p.138

James Mellaart: (1975). Pp.129-131

تشابه الطبقات التي سبقت معرفة الفخار في مستقرات العراق القديم امثال جرمو، ففي موقع سيسكلو عثر على بيوت مستطيلة الشكل من الطين ذات أسس من الحجر، وفي فترات لا حقة عثر على تماثيل لأشكال أنثوية من الطين أو الحجر من المحتمل أنها تمثل الإلهة الأم، كما وان الفخار الذي وجد في المواقع اليونانية أمثال ليرنا وديميني تشابه كل الشبة الفخار العراقي القديم من فترة حلف [1] .

ويعلل الباحثون التشابه بين صناعة العصر الحجري الحديث في جميع مواقع بلاد اليونان المكتشفة حتى الان متأثرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بحضارة حلف العراقية ومواقع ما قبل التاريخ في وادي الرافدين [2]، وعن طريق بلاد اليونان انتقلت إلى جزيرة صقلية، وجزيرة مالطة، ثم تونس، والجزائر، والمغرب.

يقع وادي النيل خلف الحزام المحيط بالهلال الخصيب وحضاراتها تتميز بأصالتها وقدمها وان المجتمعات الزراعية التي ترجع لبداية عصر الأسرات قد تأثرت بصفة خاصة بعملية تدجين الحيوان وزراعة الحبوب بغرب آسيا عامة وبلاد الرافدين بصفة خاصة، ولو أن الباحث (Clark Desmond) لا يقر بذلك بل يرى ان المجتمعات المصرية في عصر ما قبل الأسرات قد تمكنت من تدجين الحيوانات والنباتات في بيئتها محليا بصفة مبدئية وبعد ذلك استبدلت تلك الفصائل من الحيوانات والنباتات بأخرى مستوردة من بلاد الرافدين [3]، ويظهر أول أثر لتدجين الحيوان من الانواع العراقية بمصر في الموقع الصغير الكائن على شاطئ بحيرة قارون بالفيوم، وقد عثر في الموقع على بقايا القمح في مخازن للغلال [4] .

اما الموقع الثاني الذي قدم نفس الفصائل الوافدة من بلاد الرافدين فقد كان موقع مرمدة على شاطئ فرع الرشيد للشمال الغربي من القاهرة وهي قرية من طراز حسونة، ولو انها متأخرة من الناحية الزمنية عن موقع الفيوم ويعطي كاربون 14 القراءات التالية لكل من الفيوم ومرمدة:

الفيوم 4275 ق.م (±)

مرمدة 4100 ق.م (±)

ومرمدة تفترق زمنيا عن حسونة (1500) عام ويعتقد الباحث (Braidwood) ان هذه المدة معقولة لانتقال المؤثرات الحضارية للقرى الزراعية من بلاد الرافدين إلى مصر في تلك الحقبة [5].

---

(1) سامي سعيد الاحمد: (1980)، ص11-12

(2) Chester G. Starr: (1961). p.15

(3) Robert John Braidwood: (1975). p. 139

(4) Gordon V. Childe: (1954). Pp. 50-76

(5) Robert John Braidwood: (1975). p.139

ولا تقتصر التأثيرات الوافدة من بلاد الرافدين إلى مصر في انتشار القرى الزراعية وتدجين الحيوان، فالآثار المكتشفة توضح عمق العلاقة بين الدولتين فاذا كانت ليبيا وشبه جزيرة سيناء وسوريا تمون وادي النيل بالمواد الخام الضرورية جدا فأن سومر كانت تقدم لمصر الافكار الثقافية [1]، والتي انتقلت بفعل الهجرات البشرية من بلاد الرافدين إلى مصر سواء كانت تلك الهجرات لغرض الاستيطان أم النشاط التجاري.

يرى بعض العلماء انه حدثت هجرات متعددة ومتتاليه وعلى شكل موجات جماعية من سكان العراق القديم إلى مصر وبحدود منتصف الالف الرابع قبل الميلاد، واستمرت بالتوجه حتى بداية الالف الثالث ق.م [2]، وأن القادمين من الجدد أحضروا معهم مدنية أرقى من مدنية السكان الاصليين الذين لم يعرفوا في ذلك إلا صناعة الآلات والأواني الحجرية [3]، ومن المحتمل أن المصريين اقتبسوا نظام الكتابة في العراق القديم وذلك في نهاية عصر ما قبل الأسرات والأسرة الأولى أي في الفترة التي ظهرت فيها التأثيرات الحضارية لبلاد الرافدين في مصر، فقد ظهرت الكتابة في مصر دون أن يكون لها سابقة تقتدى بها فأن أقدم نص كتابي مصري يعود إلى الأسرة الأولى ولم تكن كتابه بدائية ابدا وكانت الكتابة التي استخدمها المصريون على الحجر في هذه المرحلة قد استكملت نظام الكتابة المقطعية، ولم نعثر على دليل واحد لهذا التطور السريع في الكتابة الهيروغليفية [4] ، وهناك من يؤكد أن تطور الكتابة المصرية كانت في العراق[5] .

ويقول الباحث (جان فيركوتر) حول ظهور الكتابة الهيروغليفية في مصر: (أن ظهور الكتابة في مصر في نفس الوقت الذي ظهرت فيه في بلاد الرافدين لا يمكن ان يفسر ألا انه تقليد للكتابة السومرية التي كانت موجودة حينذاك حيث ان كلا النظامين (الكتابيين) يعتمد الأسس نفسها ويتضمن عناصر من النوع نفسه) [6].

وتأثرت مصر بالفن العراقي القديم في الرسم والنحت والنقش ومن أبرز الامثلة على ها الاقتباس أشكال غريبة من بلاد الرافدين مثلت بالنحت البارز على مقبض سكين جبل العرق الذي عثر عليه في صعيد مصر، ويظهر في النقش مجموعة من الرجال يقبضون على أسدين ومثل هذا المشهد مألوف في جميع الازمنة في وادي الرافدين لكنها نادرة جدا في مصر فالبطل بين الأسدين

---

(1) أ. وادل: (1999)، ص254-264

(2) محمد سيد غلاب و يسري الجوهري: (1968)، ص497

(3) سليم حسن: (1940)، الجزء الاول، ص142-143// فرج بصمه جي: (1947)، ص88 // محمد صبحي عبد الله الدليمي: (1988)، ص75

(4) محمد صبحي عبد الله الدليمي: (1988)، ص 71-72

(5) جون ولسن: (1955)، ص86- 97

(6) جان فيركوتر و(اخرون): (1986) ،ص273

تقليد في كل تفاصيل مظهره وملبسه ولحيته وشعره الملفوف حول راسة والمجدول بضفائر في القفا وحتى طريقة رسم عضلات الساقين غير مصرية[1].

وشمل الاقتباس النقش على الاواني الفخارية، فقد كانت صناعة فخار حضارة الوركاء المتأخرة، وحضارة جمدة نصر، وعصر فجر السلالات واضحا على مصر في الدور الجرزى (Gerzean)، ويظهر هذا التأثير أكثر وضوحا في حضارة جرزي المتأخرة [2]، وان ما يطلق عليه بـ(ثورة جرزي) والذي لا يعني في الواقع إلا الظهور المفاجئ للفخار البرتقالي ذي الزخرفة الحمراء [3].

واستوردت مصر الأختام الاسطوانية من عصر جمدة نصر في بلاد الرافدين (التي ربما تقابل عصر ما قبل الأسرات المتأخرة في مصر) [4]، واقتبسوا أيضا أسلوب الدخلات والطلعات في أقدم الأبنية المصرية المشيدة بالآجر تشبه معابد الفترة الشبيهة بالكتابة في بلاد الرافدين في جميع المسائل الفنية الهامة كذلك أخذت مصر من بلاد سومر بأن جعلوا المقبرة التي تضم رفاة الموتى تذكار يخلد اصحابها [5].

وأدخل المهاجرون العراقيون القدماء إلى مصر المعادن كالنحاس والذهب، وأن استخدامهم لهذين المعدنين أنما هو تأثير بلاد الرافدين الذي تميزت صناعته المعدنية النحاسية والذهبية بالتقدم واستعملا في مجالات عديدة [6].

وأدخلت تربية الحيوانات المنزلية كالثور والحمار والماعز [7]، ويؤكد أصحاب هذا الرأي أن القادمين الجدد من أسيا إلى مصر جاءوا على شكل جماعات وليس أفراد متخذين طريقين:

1- **الطريق الأول**: يمر بسوريا وفلسطين وشبه جزيرة سيناء ثم دلتا مصر، ولهذا الطريق امتداد إلى شمال أفريقيا، وتذكر النصوص المصرية عن وجود هجمات لقبائل ذوى شعور طويلة مرسلة على ظهورهم قادمة من ليبيا ونظرا للدمار الذي ألحقوه بمصر فقد حاربهم الفرعون مرنبتاح ومن ثم رعمسيس الثالث من بعده [8]، ويبدأ هذا الطريق من شمال افريقيا

---

(1) هنري فرانكفورت: (1965)، ص140-141

(2) Bahnam Abu Al-soof: (1985) , p.133

(3) جان فيركوتر و(اخرون): (1986) ، ص273

(4) أ. اردال: (1999) ص57// جان فيركوتر و(اخرون): (1986)، ص274 // عز الدين غربية: (1981)، ص85

(5) هنري فرانكفورت: (1965)، ص 66

(6) محمد صبحي عبد الله الدليمي: (1988)، ص66

(7) سليم حسن: (1940)، الجزء الأول، ص142 -143

(8) عز الدين غربية: (1981)، ص44// محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص55

Oric Bates: (1914) ,p.34

ويصل مصر وعند بحيرة التمساح يمر شمال سيناء ثم فلسطين عند بئر السبع، ثم مدينة الخليل، والقدس، ثم سهل مرج بني عامر، ويعبر نهر الاردن إلى سوريا والعراق، وكانت مصر ترتبط بطريق يمر عبر هوا فطيح (ليبيا) وعبر الصحراء هضبة الأكاكوس في ليبيا ثم تونس (1)، والجزائر، والمغرب (خارطة 15) ويلاحظ أنتشار أنواع من المقابر في شمال افريقيا وهي مقابر التي تشبه الكوه (Niche) ومقابر الكوشة (Ceuchet) وهي تأثيرات مصرية فرعونية أقيمت على مواقع تربط مصر بالمغرب العربي(2).

2- **الطريق الثاني**: المار عبر الجزيرة العربية أو ما يعرف ببلاد البونت (Punt) التي ازدهرت الحركة التجارية فيها للحصول على البخور والتوابل والروائح العطرية التي كانت ضرورية جدا لممارسة الطقوس الدينية لكل من المصريين والعراقيين القدماء (3)، ومن المرجح أن تكون يثرب أو اتريبو باللغة الأكدية (uru la-at-ri-bu) (4) المركز التجاري في في الجزيرة العربية لأنها تمثل ملتقى طرق الاتصال بين بلاد الرافدين ومصر ليس فقط للتبادل التجاري بل انتقال الكثير من الانجازات الحضارية لكلا القطريين (5)، ومن يثرب يتفرع الطريق إلى البحر الاحمر الاحمر فوادي الحمامات في مصر ومدينة قفط (Ceptes) عند ثنية قنا ثم صعيد مصر (خارطة 15)، ومن المعروف أن طريق البحر الاحمر إلى مصر ثم وادي الحمامات كانت تستعمل منذ زمن بعيد جدا، وقد وجدت تماثيل قديمة مهجورة للإله (مين) في القفط على الطرف المصري من تلك

(1) يذكر هيرودوتس، عند وصفه للقبائل التي تعيش جنوب تونس بان رجالها يرسلون شهورهم للأمام أو الخلف، كانت الصحراء الكبرى مسرحا لهجرات الشعوب وتعايشها ونزوحها في اتجاهات مختلفة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فيما بين الالف الثامن والالف الثالث ق.م أو حتى بعد هذا التاريخ وهذا يعني تمازج سكان شمال افريقيا وسكان منطقة جنوب غرب آسيا (العراق وبلاد العرب وبلاد الشام): محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص105-106// رالف لنتون: (1961)، ص15-25

Herodete;"Histeries leeb" Vol.4, no.180

(2) Gabriel Camps: (1961). p.184

(3) ابراهيم شريف: ص80-83

(4) يمكن القول ان الطريق التجاري من بلاد الرافدين عبر الصحراء وإلى البحر الأحمر هو نفس الطريق الذي كانت مسرحا للعمليات العسكرية للملك نبونائيد (556-539) ق.م ملك بابل، واستغرقت عشرة سنوات (553-543) ق.م وذكرها الملك البابلي في حولياته ومن المدن التي وردت في نصوصه مدينة ادمو (Adamu) وهي دومة الجندل، ومدينة ددانو (Da-da-nu) بمعنى (ديدان)، ومدينة العليا (al-Ulā) ، ومدينة فداكو (Pa-dak-ku) وهي فدك، ومدينة خبرا (Ḫi-ibra-a) بمعنى خيبر، الهدف من حملة نبونائيد السيطرة على الطريق التجاري الصحراوي: صلاح رشيد الصالحي: (2017)، الجزء الثاني، ص 239

(5) هنري فرانكفورت: (1965)، ص154

الطريق وهي تعود إلى العهد الجزري أو الأسرة الأولى [1]، ويؤكد وجود هذا الطريق ايضا على نظرية وجود قوم المعروفين في الاساطير المصرية (أتباع حورس) [2]، كما تم العثور على مقابر من بداية عصر الحضارة الجرزية في الجزء الشمالي من الوجه القبلي بصعيد مصر تضم بقايا جماجم ذات الرؤوس الطويلة وبينها جماجم ذوي الرؤوس المستديرة، ولابد أن هذا النوع الثاني هو بقايا جنس سلالة جديدة غازية (Derry) [3]، ولعل اندماج كلا الجنسين أدى إلى ظهور شعب موحد هو الذي أوجد مصر التاريخية [4].

لم تشكل الصحراء الشرقية والغربية عائقا اما التبادل التجاري وانتقال الافكار والاساليب الحضارية بين مصر والاقوام في اماكن بعيدة فلم يكن المناخ جاف كجفافه في الوقت الحاضر في معظم اجزاء عصر ما قبل الأسرات بل كانت الصحراء الشرقية والغربية ماتزال آهلة بالسكان وان وجود المستوطنات فيها جعل مصر محطة الالتماس بين آسيا وافريقيا فاستفادت من ابتكارات المنطقتين [5].

يعتقد أن أصل اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) واللغة العربية القديمة واحد، وان وجدت بعض الاختلافات فيعود هذا إلى إسقاط بعض الكلمات في بلاد العرب وبقاؤها في وادي النيل أو العكس، أو بسبب الإبدال والقلب [6]، وان هناك تجانس بين اللغة المصرية القديمة والليبية القديمة التي اعتبرها الباحث (روسلر) بان اللغة الليبية القديمة سامية (جزرية) مثلها مثل فروع السامية المتواجدة في شبه جزيرة العرب والشام وبلاد الرافدين ووادي النيل وشرق افريقيا [7]، وتشترك اللغة المصرية القديمة مع اللغة الليبية في طبيعة أفعالها، وجذور الضمائر المطلقة (أي المنفصلة) وكلتاهما تصوغان جمع المؤنث بأسلوب متقارب، وفي الاثنين يستعمل حرف (ن) علامة إضافة غير مباشرة، وفي كلا اللغتين الكلمات الأصلية البدائية مشتركة [8]، وقد ذكر المؤرخ هيرودوت بان سكان واحة (سيوة) في غرب مصر هي مزيج بين اللغة المصرية والاثيوبية ، والجدير بالذكر أن سكان واحة (سيوة) ما زالوا

---

(1)هنري فرانكفورت: (1965)، ص154

(2) الإله حورس: يطلق عليه حورس الاكبر واحد من أقدم الالهة في مصر كان قد جسد وجه السماء فكانت الشمس عينه اليمنى والقمر عينه اليسرى، أما حورس الاصغر فهو ابن اوزريس وايزيس وهو يحمل قرص الشمس على راسة: واليس السير .أي .أ .بودج .ك. ت: (1989)، ص165

(3) جان فيركوتر و(اخرون): (1986)، ص272 -273

(4) عبد الحميد زايد: (1969)، ص16

(5) جان فيركوتر و(اخرون): (1986)، ص274

(6) محمد عزة دروزة: (1376 هـ)، ص 5

(7) محمد المدلاوي: (1990)، ص168 // محمد المختار العرباوي: (1993)، ص 168

(8) علي فهمي خشيم: (1990)، ص 127

إلى الآن يتحدثون اللغة الليبية القديمة (الامازيغية)، والتي لا تختلف عن بقية اللهجات الليبية المنتشرة بالكثير من مناطق شمال افريقيا والصحراء الكبرى وما وراءها[1].

أما الطريق الآخر فيتجه نحو جنوب الجزيرة العربية إلى اليمن ومنها عبر مضيق باب المندب إلى جيبوتي والصومال فيصعد باتجاه مصر أو باتجاه الصحراء الافريقية الكبرى، ومن المحتمل أن تجار مصر والعراق القدماء قد التقوا في ذلك الوقت (عصر جمدة نصر) أما على سواحل الجزيرة العربية الجنوبية أو ساحل الصومال طلبا للبخور الضروري للطقوس الدينية [2].

هناك مقابر تلية في البحرين ومن الصعوبة تحديد الفترة الزمنية التي تم فيها أنشاء القبور التلية في البحرين، والتي فتحت أكثر من مرة، وطالتها يد العبث وقد تم تحديد فترة أنشائها إلى حضارة باربار(2500-2000) ق.م، واني أعتقد أن القبور التلية في البحرين أقدم من ها التاريخ، فقد عثر في المعبد الاول باربار على كسرة فخار متعددة الالوان من طراز أوعية جمدة نصر مع أقداح مخروطية الشكل معروفة في بلاد الرافدين من عصر فجر السلالات الاول ويعتقد الاثاري (Mackay) الذي نقب في المقابر التلية أن البحرين كانت مقبرة تجلب لها الموتى لأن العظام مجزئة وغير منتظمة وعلى العكس يرى الباحث (Cornwall) الذي نقب هو الآخر في نفس المقابر أن البحرين كانت مستوطنة وفيها حضارة الدولمن تعود إلى منتصف الالف الثالث ق.م ، وبذلك تكون المقابر التلية في البحرين أقدم عهدا من نظائرها في مصر والصحراء الافريقية الكبرى، اما مقابر الحجر في البحرين فهي أقدم قبور البحرين وتعود إلى عصر باربار المتقدم، كذلك المقابر الحجرية في هيلي في دولة الامارات العربية، ومقابر حفيت في الامارات العربية وبالنسبة إلى قبور حفيت الواقعة جنوب واحة البريمي حيث تقع مدينة العين فهي تعود إلى فترة جمدة نصر أو ما يعرف بحضارة أم النار (3000 -2600) ق.م، ويظهر تشابه أواني فخارية صغيرة لها جؤجوء مزدوج وحافة مشطوفة مثنية إلى الخارج وبعضها مزين بالمغرة الحمراء وزينة ثنائية اللون على الكتف وامكن بواسطتها المقارنة مع أواني المنطقة الوسطى والجنوبية من بلاد الرافدين وجميع هذه الأواني يرجع تأريخها إلى عصر جمدة نصر، وانتقلت عبر هذين الطريقين إلى القارة الافريقية، وتعتبر مصر حلقة الوصل مع الدول المجاورة في شمال افريقيا، فإننا نرى مقابر الملوك المصريين الاوائل كانت تبني من الطوب على شكل حجرة تحت الارض يغطيها سقف من الخشب في مستوى سطح الارض ويوضع فوقها كوم كبير من الرمل والحصى، وهذا ما يعرف ايضا بالمقابر

(1) محمد علي عيسى: (2012)، ص270-272

(2) هاري ساكز: (1979)، ص 48 // فدريكو دو اجوستيني: (1968)

التلية في مصر [1]، اما المقابر الحجرية فقد عثر على مقابر مؤلفة من حجرة دفن أحد الملوك وكانت جدرانها مبينة بالطوب وكسيت جدرانها من الداخل بقطع من الحجر الجيري ولكن لم يمض على ذلك العهد مائة وخمسون سنة حتى وجدنا هؤلاء الملوك يبنون مدافنهم الملكية على شكل اهرام من الحجر وهو قبر الملك زوسر [2].







شكل 90: القبور التلية في البحرين (اليمين)، مقابر حفيت في دولة الامارات العربية (اليسار)، مقابر هيلي في دولة الامارات العربية (الاسفل)

---

(1) جيمس هنري برستد: (1969)، ص58

(2) أشرف على بناء الهرم المدرج المهندس المعماري (امنحتب) للملك زوسر من السلالة الثالثة في عام (294) ق.م، وبذلك يعتبر أقدم بناء حجري على شكل مساطب، ثم تطورت المقابر فاستعملت أنواع من الصخور الجرانيت والحجر الجيري في مقبرة الملك الفرعوني وديمو (Udimo) في ابيدوس، وكذلك كشفت مقابر حجرية في جبانه شعبية في حلوان تعود إلى الأسرتين الأولى والثانية تضم آلاف القبور: جيمس هنري برستد: (1969)، ص86 // نعمت اسماعيل علام: (1975)، ص72-73

Karen Frifelt: (1975). Pp.57-80

من الآراء الاخرى التي تثبت صحة الهجرة البشرية عن طريق بلاد البونت (Punt) أن المهاجرين الجدد نقشوا قصة على جدران معبد (أدفو) بصعيد مصر تسمي القادمين الجدد أتباع حورس الذين حملوا معهم فنونا جديدة إلى مصر [1]، ويضيف الباحث (ولتر .ب. امرى) في تعليقه عن الهجرات الجماعية إلى مصر والطرق التي سلكها العراقيون القدماء بقوله (أن القرائن التي لدينا واهمها النقوش التي تزين مقبض سكين جبل العرق والتي كانت من بين الرسوم التي عليها صور تمثل معركة بحرية تشترك فيها قوارب مصرية بحته مع أخرى غريبة لم تستخدم من قبل في مصر وهي ذات مقدمات ومؤخرات عالية تشبه تلك التي صنعت في وادي الرافدين، لهذا لا نخطئ في ان أصلها عراقي قديم، وكانت السفن ذات المقدمات العالية تسمية خاصة في اللغة الأكدية (^{gis}shmu-gur-makurru) ويكشف لنا أسم هذه السفينة بأن نوعا من وسائط النقل النهرية العراقية القديمة كانت مخصصة للرحلات البحرية في الخليج العربي لذلك نعرف سبب المقدمة العالية لها فمياه البحر عميقة وحمولة السفن المسافرة فيه كثيرة لذلك تكون المقدمة العالية قادرة على صد امواج البحر وتقليل اثرها على داخل السفينة [2]، كما يمكن ملاحظة شعب غريب عن الشعب المصري من خلال المظهر العام في الزي واللحية واللباس وطريقة شد شعر الرأس) [3]، وإذا صح هذا الاستنتاج فلابد وان العراقيين القدماء قد استعملوا قوارب عبر طريق بحري من الخليج العربي وبحر العرب ثم البحر الأحمر، فأن أقدم نموذج للسفن الشراعية تم كشفة في تل ابو شهرين (موقع اريدو) في دور العبيد في حدود (4000) ق.م وبالإمكان تاريخه ايضا إلى (4500) ق.م لاسيما في القسم الجنوبي وهذا زمن يضاهي طور الفيوم أي العصر الحجري الحديث في مصر، وتقدم لنا الأختام الاسطوانية لعهد الوركاء نقوشا تتمثل أحداهما سفينة كبيرة الحجم ذات مقدمة ومؤخرة عالية تحمل اشخاصا وحيوانات، وبضائع مما يوحي بحجمها الكبير وقدرتها على الابحار لمسافات بعيدة ولعلها هي السفن التي استخدمت في الخليج العربي والبحر الأحمر [4].

---

(1) سليم حسن: (1940)، ص142-143// عز الدين غربية: (1981)، ص82
(2) رضا جواد الهاشمي: (1981)، ص44
(3) والتر، ب امرى: (1967)، ص30
(4) اندرى بارو: (1979)، ص122 // بهنام ابو الصوف: (1985)، ص191-193



شكل 91: نقش نذري عثر عليه في مغراوة (مكثر) بتونس، وهناك الكثير من هذه النقوش في المغرب القديم

ومما يعزز هذه النظرية أن النصوص المسمارية تعطي اسماء بلدان كانت بلاد الرافدين تتعامل معها تجاريا منها (ميلوخا) (Melukkha) التي يظن انها تمثل الصومال أو الحبشة موطن شعب ذو بشرة سوداء [1]، ومنطقة (مگان) (Magan) ويعتقد انها عُمان ومنها يستورد النحاس، ثم (دلمون) (Tilmun) التي تمثلها جزيرة البحرين [2]، ويؤكد هيرودتس أن البخور كان يستعمل في بابل ولكننا لا نعلم في اي وقت أدخل ذلك لأول مرة، ولابد وان الحصول على

(1) قد تكون مليوخا (Melukkha) منطقة وادي الاندوس في الهند ومن الصعوبة تحديد هذه المنطقة وكان يجلب منها الذهب فالنصوص الأكدية تذكر الاسم فقط فربما تمثل السواحل الغربية من الهند، وهناك طريق شمالي يربط الشرق بالغرب بين المحيط الهندي وبحر العرب عبر الخليج العربي وامتداده البري إلى ساحل البحر المتوسط: ليو اوينهايم: (1981)، ص78 // جان بوتيرو: (1986)، ص58و80 و95 و 129// عز الدين غربية: (1981)، ص42-43

(2) عامر سليمان: (1983)، ص196

البخور كان يتطلب استيراده من جنوب الجزيرة العربية او الشاطئ الصومالي ولذا فان طريق البحر الاحمر كان معروفا [1].

وما دمنا نتحدث عن العلاقات التجارية الرافدية مع جنوب الجزيرة العربية وشمال افريقيا وبالتالي انتقال الثقافة بما فيها اللغة الأكدية فيمكن اجراء عملية مقارنة اللغة الأكدية باللغة الليبية القديمة، وحتما ستثير الكثير من الدهشة لدى من يتشكك في انتماء الليبيين القدماء لمناطق شبة الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد الرافدين، بسبب التشابه الكبير بين اللغتين الليبية والأكدية، رغم وقوع الأكدية في أقصى شرق الوطن العربي، ووقوع اللغة الليبية القديمة في أقصى غرب هذا الوطن، ويبدو ذلك التشابه واضحا من خلال اشتراكهما في مراحل تطورهما من خلال ما يطلق عليه اللغة السامية (الجزرية) ونجد اللغة الليبية القديمة تتشابه مع اللغة الأكدية في مجال التصريف، وقد أشار الباحث الألماني (روسلر) ان اللغة الليبية القديمة تلتقي مع اللغة الأكدية في عدد كبير من الجذور، وهو ما يؤكد وحدة الأصل، والقرابة المعجمية بين اللغتين، وقد كانت اللغة الليبية القديمة لا تميز بين التعريف والتذكير شأنها في ذلك شأن اللغة الأكدية [2]، ومن خلال كل ذلك تتضح قرابة اللغتين، وهو الامر الذي يؤدي إلى خطأ ما جاءت به نظريات العلم الاستعماري حول الأصل الأوربي لسكان المغرب القديم، الذي ما زال يروج له الإقليميون وأعداء الأصل المشترك لسكان المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج العربي [3].

وتجدر بالملاحظة وجود علاقة بين كتابات ظفار بعُمان مع اللغة الليبية القديمة، حيث تنتشر كتابات ظفار في مناطق الأحقاف ومنها منطقة ظفار المناطق المحيطة بها وما زالت حية حتى اليوم تنطق (33) حرف وقد نقشت على الصخر، أو كتبت على الصخر بالحبر الأسود والاحمر، ويمكن اجراء مقارنة بين كتابات ظفار مع كتابات التيفيناغ فنجد تشابه كبير بين الكتابتين، ومما لا شك فيه أن التيفيناغ كتابة منتشرة بالمناطق الجنوبية من ليبيا حيث موطن الجرميين التي كانت عاصمتهم مدينة جرمة، ورغم أنه لم يثبت بعد علميا ان هذه الكتابة هي التي كان يستعملها الجرميين، إلا أن مجريات الأحداث تشير إلى أنهم كانوا يستعملون تلك الكتابة [4].

---

(1) هنري فرانكفورت: (1965)، 154

(2) جمال الدين الخضور: (1997)، ص100

(3) محمد علي عيسى: (2012)، ص269

(4) Pierre Léveque: (1973). Pp. 295-304

تصحيح كتابي لحروف التيفيناغ		الحروف في ظفار للمقارنة	الحروف الأمازيغية تيفيناغ إركام			الحروف في ظفار للمقارنة	الحروف الأمازيغية تيفيناغ إركام		
‖	A	┌┴┐	┌┴┐	ع	18	O	O	أ	1
V	+	Ч	Ч	غ	19	Ƹ	Ƹ	!	2
‖‖	H	H	Ӿ	ف	20	⊖	⊖	ب	3
—	O	♀	Ƶ	ق	21	+	+	ت	4
ʌ	●	⁄⁄	K	ك	22	I	I	ج	5
F	♀		Kᵘ	ك	23	ʎ	ʎ	ح	6
┌┴	T		Xᵘ	ك	24	Y	X	خ	7
┌┴┐	-o-	X	X	ك	25	Λ	Λ	د	8
┌┐	⊙	И	И	ل	26	Q	Q	د مفخمة	9
┌┐	Φ	⊏	⊏	م	27	O	O	د مرققة	10
⅄	Θ	|	|	ن	28		Ж	ز مفخمة	11
ƎE	↑	Φ	Φ	هـ	29	Ж	Ж	ز مرققة	12
8	∩	8	8	و	30	⊙	⊙	س	13
♁	˥	U	U	و	31		ℭ	ش	14
O-	Γ	ƹ	ƹ	ي	32	Ø	Ø	ص	15
M	⅄	8	8	بين ساكنين	33	E	E	ض	16
	|						E	ط	17

جدول 9: الحروب الظفارية من عُمان وما يقابلها الحروف الامازيغية

مما لا شك فيه نرى التطابق واضح بين الكتابة الظفارية والتيفيناغ فقد ضمت صخور ظفر مئات من النقوش كذلك نفس الحالة في مناطق المغرب القديم سواء من حيث التقنية أو من حيث المواد المستعملة في الكتابة؟ فقد علق الجغرافي (سترابون) بان سكان المناطق المغاربية يشبهون البدو الرعاة العرب وان خيولهم لها رقاب أطول مما هو موجود في المناطق الأخرى [1]، ومن ثم يمكن القول إن معظم الحروف الظفارية هي نفسها في اللغة الليبية القديمة (الامازيغية) خاصة خلال القرن الثالث والثاني ق.م، والتي اكتشف منها حتى الان أكثر من (1300) نقش في مناطق متفرقة من ليبيا وتونس

(1) سترابون: الكتاب السابع عشر، (وصف ليبيا ومصر)، 3. 17. 19

والجزائر والمغرب، وخير مثال على ذلك تلك التي عثر عليها في منطقة مغراوة، مكثر بتونس وأيضا في الصحراء الكبرى والتى رافقت الرسوم الصخرية بعض الأحيان [1] (جدول 9).

اما موقع الشهيناب (Shahnab) قرب الخرطوم في السودان فتمثل قرية زراعية تشبه الفيوم في ثقافتها والمسافة بين موقع الشهيناب وموقع الفيوم (1500) ميل ويعطي كاربون 14 قراءة لها الموقع (3300 ق.م ± 400) أي ان التأثيرات الثقافية والتقاليد الزراعية التي انتقلت من الفيوم إلى الشهيناب قد استغرقت ألف عام وهو ما يؤكد الرأي الذي ذكرته من حيث المدة التي استغرقتها وصول التأثيرات العراقية الوافدة من حسونة إلى الفيوم في مصر [2].

لهذا نرى بوضوح خطوات التطور الحضاري من كريم شهر عبر ملفعات إلى جرمو ومنها إلى حسونة ثم الفيوم في مصر، وإلى قلب القارة الافريقية الشهيناب في اعالي نهر النيل حيث وصلت إلى هناك اما من ناحية الزمن فهناك فاصل يبلغ مداه (3500) عام بين جرمو والشهيناب بالسودان، ومع هذا لا يستبعد (أ.ج. أركل) الذي نقب في (شهيناب) في الخمسينات من القرن الماضي بأن يكون الماعز قد أستأنس أول الأمر بمنطقة (دوارف) بالصحراء الجزائرية [3] إذ تؤخذ بقايا عظام الحيوانات المتوفرة في المواقع، على أنها الحيوانات مستأنسة [4].

ولم تكن الصحراء الكبرى في افريقيا عائقا أمام حركة انتقال السكان فيؤكد الباحث (Gsell): (ان الاكتشافات المتزايدة للرسوم الصخرية المنتشرة في جبل العوينات في ليبيا – وفي جبال تبستي-ازجر في الجزائر، والنيجر، وجبال الهكار تشير إلى وجود صحراء أميل إلى الخضرة مع وفرة الثروة الحيوانية)[5]، هذا إلى جانب أنتشار مقابر الكوة ومقابر الشوشات والتي اعتبرت تأثيرات فرعونية مصرية على اطراف الصحراء الكبرى، فقد عثر عليها في الحبشة ومقابر النوبة (Nubi) في السودان أضافة إلى جنوب مصر، ومنطقة فزان (Fezzan) في ليبيا، ومنطقة قسنطينة في الجزائر، وتظهر في

---

(1) محمد علي عيسى: (2012)، ص274-279

David J. Mattingly: (2003). Pp. 226-279

(2) Robert John Braidwood: (1975). p.139

(3) تعتقد الباحثة (Bate) المختصة في علم الحيوان التي درست بقايا حيوانات مستأنسة توصلت إلى أن الماعز لم يستأنس محليا، وأن كهف (دوارف) بالصحراء الجزائرية احتوى عظام ماعز مستأنس أقدم من بقايا موقع شهيناب: أم الخيرالعقون: (2013)، ص198

(4) هـ. ج. هوغو: (1980)، ص 612

(5) Stéphane Gsell: (1918). p.173

المغرب كلا النوعين من المقابر في منطقة تافيلالت (Tafilalet)، وفي موريتانيا ايضا[1].

وهكذا نرى انتشار الرسوم الصخرية والمقابر الفرعونية في أطراف الصحراء الكبرى دليل على أن التأثيرات الحضارية كانت تأخذ الطرق الصحراوية المتعارف عليها والتي بقيت نفس الطرق تستعمل حتى القرن التاسع عشر مع مجيء الاستعمار الاوربي من أجل الاستكشافات والسيطرة الاستعمارية فيما بعد [2].

أما بالنسبة لاوربا [3]، وهي أكثر بقاع العالم ميزة من حيث كثرة الدراسات الاثرية التي تناولت عصر ما قبل التاريخ بها، فمن المعروف أن اوربا لم تكن موطنا لأغلب الحيوانات المدجنة التي تعيش فيها اليوم بل أغلبها وفدت اليها من غرب آسيا، ان انتقال الاساليب والمعتقدات الجديدة في الحياة والثورة في انتاج الطعام وتدجين الحيوان لم تحدث مرة واحدة بل استغرقت زمنا طويلا وتم على عدة مراحل وعلى يد أقوام مختلفة، وعلى الرغم انه كانت هناك تحركات بشرية هي التي حملت هذه المؤثرات الحضارية إلا اننا لا نعرف حجم تلك الجماعات التي نقلت الثقافات وإلى أي مدى سارت كل جماعة على وجه التحديد [4].

ولقد أخذت تلك الثقافات المرتبطة بالقرى الزراعية وتدجين الحيوان دروب ومسالك شتى وأن كنا لا نعرف على وجه التحديد الدروب التي ساروا فيها في رحلتهم الطويلة إلى سواحل الاطلسي إلا ان قراءة كاربون 14 بالنسبة لأول القرى الزراعية بهولندا يشير إلى (4200) ق.م (±)، اما بالنسبة إلى بريطانيا حوالي (3500) ق.م (±) وإلى (2250) ق.م (±) وهذا تاريخ متأخر جدا[5]، ويحملنا الامر إلى افتراض أحد الحلين:

1- اما أن تكون ثقافة القرى الزراعية قد بدأت رحلتها فعلا منذ فترة حسونة (5600) أو (5100) ق.م، ثم أخذت تنتقل من مكان لآخر ومن جماعة للأخرى حتى وصلت الجزر البريطانية.

---

(1) Gabriel Camps: (1961). p.185

(2) بو عزيز يحيى و(اخرون): (1984)، ص125–145

(3) لقد أثرت بلاد الرافدين على المدنية الاوربية أكثر من أي مركز أخر من مراكز المدنيات المبكرة ويظهر هذا التأثير على الحضارة الاغريقية القديمة، والحضارات الهلنستية، وهذا التأثير كان واضحا في النظم الاقتصادية والسياسية التي تضمنتها هذه الحضارات، وعن طريق الحضارات الهلنستية انتقلت إلى الامبراطورية الرومانية واصبحت جزء من تقاليد غرب اوربا ولازالت الكثير من النظم الاقتصادية والاجتماعية سارية في المجتمع الغربي الحديث يمكن ان ترد أصولها إلى بلاد ما بين النهرين: رالف لنتون: (1961)، ص209-213

(4) Robert John Braidwood: (1975). Pp.142-143

(5) Ibid: p.144

2- أو ان هذه الثقافة قد انتقلت في وقت متأخر من حضارة العراق القديم في الالف الثالثة ق.م مثلا أو بعدها بقليل، وانتقلت برا وبحرا من مكان لآخر حتى وصلت إلى سواحل المحيط الاطلسي.

ويميز هذه الفترة في سواحل المحيط الاطلسي وجود نوع من المدافن الكبرى التي يسميها الأثاريون النصب التذكارية (القبور الميجاليثية) وهي موجودة قرب السواحل بأوربا الغربية في فرنسا (الكرناك) (Carnac) وفي بريطانيا (ستونهينج) (Stonehenge)، وفي المغرب لا تتعمق هذه القبور الميجاليثية داخل البلاد، ولهذه القبور شبه كبير بالأبنية الدائرية لفترة حلف من ناحية وقبور ومايسنيين ببلاد اليونان من ناحية اخرى.

ولابد من ان ناقلي ثقافة القرى الزراعية قد سلكوا الطرق الساحلية إلى اوربا (خارطة 15) عن ثلاث طرق:

1- عبر بلاد الاناضول ثم مضيق الدردنيل أو مضيق البسفور وبلاد اليونان وإلى جزيرة صقلية، وجنوب ايطاليا ومنها إلى فرنسا وسواحل اسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا ومن ثم شمالا بريطانيا وإيرلندة.
2- عبر البلاد الاناضول وحوض الدانوب وعبر أودية يوغسلافيا إلى المانيا وهولندا.
3- من سوريا إلى قبرص وجزيرة كريت ثم تونس أو يستمر الطريق إلى جزيرة سردينيا ثم إلى شرق اسبانيا وشمال افريقيا مرورا بسواحل اوربا الغربية [(1)].

أما إذا كان الانتقال قد تم عن طريق البحر المتوسط وهو أمر غير مستبعد أذ ان هناك مناظر عدة تبين صورا لسفن فترة العصر الشبيه بالكتابي مرسومة على بعض المخلفات التي عثر عليها بمصر مما يثبت وجود طريق بحري بين مصر وبلاد الرافدين منذ عصور قديمة.

كذلك نجد بين أثار الأسرة الثانية بمصر سفنا مصرية كبيرة الحجم، وقد تأكد ذلك من واقع قوارب الشمس التي تثبت أن حجمها (وقد كانت القوارب حقيقية من الخشب) كبير أي أن تلك السفن المصرية كانت لها القدرة على القيام بسفرات طويلة، ونجد في عصر الامبراطورية رسوم في معبد طيبة المشيد من قبل الملكة حتشبسوت سفنا ضخمة متجهة إلى بلاد بونت جنوب الجزيرة العربية، وشواطئ الصومال تحمل ملاحين، وبضائع من اخشاب عطرية، وبخور جاف، وخشب الابنوس، والعاج وذهب بلاد (امو)، وخشب القرفة، والكحل والقرود والكلاب وجلود الفهود، وهذه الرسوم لفترة متأخرة (القرن السادس عشر ق.م) الا انها ولاشك كانت مثل هذه السفن متعارف عليها وشائعه الاستعمال قبل ذلك التاريخ، كما وان السفن الشراعية كانت موجودة في الرسوم على الاواني المصرية وهي قبل (3000) ق.م، ويعتقد أن السفن

---

(1) Robert John Braidwood: (1975): Pp.142-143

المرسومة على هذه الاواني غريبة عن وادي النيل وأن اصلها من منطقة الخليج العربي، ومهما يكن من أمر فأنها تبرهن على ان الشراع قد اخترع قبل عام (3000) ق.م [1]، ولكن بقيت مشكلة الملاحة فالبوصلة لم تعرف إلا في العصر الحديث إلا ان عدم معرفة البوصلة لم تكن لتمنع الفينيقيين والاغريق والرومان من بعدهم من عبور البحر المتوسط بل والمحيط الاطلسي إلى بريطانيا وايرلندا وجزر الخالدات (الكناري) [2]، ولم يكن المصريون وحدهم هم الذين ركبوا البحار بل كان أهل جبيل ايضا ونقول أهل جبيل ولم نقول الفينيقيين لان النصوص المصرية التي ترجع لعصر الدولة القديمة تتحدث عن سفن جبيل بينما تتحدث نصوص العهد المتأخر عن المدن الفينيقية الموجودة بارض كنعان، ومن المحتمل أن جبيل كانت تمثل فترة مبكرة من تاريخ بلاد كنعان على الأرجح ان اهلها مارسوا التجارة قبل وصول الفينيقيين[3].

اننا لا نعرف على وجه التحديد اين وصلت سفنهم ولكن الذي لا شك فيه انهم كانوا يمخرون عباب البحر المتوسط حوالي (2800) ق.م وربما قبله، وعلاوة على جبيل كانت مدينة اوغاريت (رأس شمرا) الوثيقة الصلة بالعراق القديم سواء قبل التاريخ أم في عصر فجر السلالات كانت تلك المدينة من أقدم المدن التي لها اسطول بحري وقد كانت تجارتها تربط ما بين سواحل البحر المتوسط وجزره.

---

(1) جيمس هنري برستد: (1969) ، ص 128

Gordon V. Childe: (1964). p.92

(2) بعثت قرطاج في اواسط القرن الخامس ق.م برحلات استكشافية أحدهما بقيادة هملكو القرطاجي جابت سواحل اسبانيا وعبرت مضيق جبل إلى سواحل اوربا الغربية البرتغال وفرنسا وبريطانيا وايرلندا، وهدف هذه الرحلة تحويل تجارة القصدير والرصاص إلى قادس في اسبانيا، وهي منطقة تابعة الى قرطاج، اما الرحلة الثانية فكانت بقيادة حنون (Hanno) وصلت على الأرجح إلى الكمرون أو الكونغو وهدفها اقامة مستوطنات قرطاجية والحصول على الذهب ونقله إلى جزيرة هرنه (قرنه) بدلا من ليكسوس المركز التجاري الفينيقي القديم في المغرب، وكان الادلاء والترجمان في هذه الرحلة من المغاربة مما يدل على معرفتهم في شؤون الملاحة البحرية: صلاح رشيد الصالحي: (2018)، ص1-7

Donald Harden: (1971). Pp.162-165

وأقام الملك الشاب يوبا الثاني (Juba II) مستعمرات في مواقع طبيعية أحسن اختيارها لتكون شعاعا للنفوذ الروماني واهتم بالاستكشافات على الساحل الافريقي الأطلسي، وألف عدة اجزاء في التاريخ الليبي وباللغة اليونانية على عهد الامبراطور أغسطس وقد فقدت تلك الكتب، ولا شك ان يوبا الثاني ليبي الاصل (بربري) المولد والنشأة والمثقف باليونانية والملم باللاتينية وهو ملك بن ملك قادر على ان يصل بسلطانه وسيطرته على كل ما يحتاجه لتأليف كتابة عن المناطق التي تقع إلى شرق من دولته موريتانيا الطنجية:

Duane W. Roller: (2003). p. 1–3

(3) Alan Cardiner: (1964). Pp.88-89

وهناك من الاقوام الذين ركبوا البحر هم الكريتيون ويربطهم بالعراق القديم صلات ثقافية فهناك تشابه كبير في رموز العبادة لا سيما في عصور ما قبل التاريخ من الإلهة الام، والحمامة، ورأس الثور ذي القرنين، والثعبان، والفأس المزدوجة، وهي رموز لها قدسية في دور حلف، اما في فن العمارة فيظهر في مباني الثولوس الدائرية [1]، ولقد وصل الكريتين بسفنهم إلى ما وراء صقلية ثم جاء المايسنيون الذين وصلوا إلى أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) وبالمناسبة فان الاغريق كانوا يطلقون على المايسينيين اسم بناء هرقل ومن المحتمل أنهم اطلقوا هذا الاسم نتيجة لمستعمرة اقامها المايسنيون هناك [2].

---

(1) طه باقر: (1973)، ص219

(2) Michel Ponsich: (1970). Pp.23-26

المبحث الثاني

تأثيرات حضارة الشرق الأدنى على الدول المغاربية

اتفق الباحثون على ان المراكز الثلاثة الأولى التي أشرق فيها فجر التاريخ هي بلاد الرافدين ووادي النيل ووادي السند [1] تلك المناطق تمثل أكثر المناطق العالم المأهولة، ويتميز مناخها بالحرارة والجفاف، اما من الناحية الجغرافية فهناك رابطة قوية توحد ليس فقط المناطق الثلاث فحسب بل تتعدى حدود وادي النيل حتى تصل إلى المحيط الأطلسي، فمصر وبلاد الرافدين والبنجاب تقع جميعها في اودية أنهار دائمة الجريان تخترق هضبة صحراوية متصلة تلك الهضبة على الرغم من كونها وحدة واحدة ألا ان بعض المظاهر التكتونية فصلت بعضها عن البعض، وتعتبر الصحراء التي هي امتداد تلك المنطقة من الناحية الغربية تكتنفها الكثير من المرتفعات والمنخفضات التي تصل بعضها إلى تحت مستوى سطح البحر، والصحراء العربية هي امتداد طبيعي للصحراء الافريقية الكبرى ولكن يفصلها عن بعضها منخفض وادي النيل والاخدود الشرقي الذي يجري فيه البحر الاحمر.

وإلى الشرق من ذلك السهل تنحدر الصحراء إلى منخفض بلاد الرافدين والخليج العربي وخلفها ترتفع جبال زاكروس والمرتفعات الموازية لها والمكونة لهضبة إيران الغربية والتي هي في الحقيقة امتداد طبيعي للصحراء هذه المنطقة ولو انها تنتمي جغرافيا لهضبة الاناضول وارمينيا إلا انها من الناحية المناخية أقرب إلى الصحراء العربية، ومن الناحية الشرقية تنحدر الهضبة نحو منخفض وادي السند.

وهكذا نرى أن المنطقة الواقعة بين شمال افريقيا وباكستان عبارة عن منطقة جافة في مجملها وهي على الرغم من تباينها الظاهري إلا انها في حقيقة الامر منطقة مترابطة لا يفصل بينها اية عقبات كأداء تقف حائلاً من ناحية (التضاريس) دون ترابطها وقد أدت هذه الوحدة الاقليمية إلى اطلاق مصطلح

---

(1) يظهر تأثير العراق في حضارة السند في الفخار، فقد عثر على أواني فخارية في موقع موهنجو-دأرو (Mohenjo-daro) (يقع غرب نهر السند (اندوس) في مقاطعة لاركانا Larkana) متأثرة بطراز الوركاء وجمدة نصر اما أشكال الاختام الاسطوانية فهي متأثرة إلى حد ما بالفن العراقي من خلال الطرق التجارية الثلاثة مگان وهي عُمان، ودلمون جزيرة البحرين، وميلوخا من المحتمل انها وادي الهندوس حيث مواقع موهنجو-دأرو وحرابه (Harappa) (تقع حرابة في البنجاب وعلى مسافة (24) كلم غرب (Sahiwal) عند نهر رافي Ravi)، واستعلمت هناك الاختام المنبسطة والاسطوانية، وهي متأثرة من حيث النقوش بالحضارة العراقية ويغلب عليها الاشكال الحيوانية والاساطير الهندية وأشكال الالهة، وما يقدم لها من نذور وهبات وأرخ موقع موهنجو-دأرو حوالي (2400 -2100) ق.م: بصمه جي فرج: (1947)، ص88 // أنطوان مورتكات: (1967)، ص31

Bedřich Hrozný: (1953). Pp.156ff

الافرو- اسيوي [1]، ولما كان بحثنا يعني بصفة خاصة بتوضيح التأثيرات الشرق الأدنى القديم على شمال افريقيا في عصر فجر التاريخ ، وقد سبق ان أوضحت المخلفات المادية لكل دول المغاربية، لهذا افرد هذا المبحث للمقارنة ومدى وصول تأثيرات بلاد الرافدين أو مصر الى شمال افريقيا ويقضي التسلسل الزمني ان ابداء بأقدم الصناعات.

1- الصناعات الحجرية
2- الاواني الفخارية
3- التعدين
4- الفنون والعمارة

1- الصناعات الحجرية [2]

اذا عقدنا مقارنة بين الادوات الحجرية في العصر الحجري الحديث بالعراق القديم والعصر الحجري الحديث بالشمال الافريقي لوجدنا ان الصناعات الحجرية فيما يتفق بالفؤوس الحجرية والشفرات والقاشطات والمثاقب والمهراس والرحي واحدة في كل المناطق الحضارية وقد لا يفترقان إلا في الانواع المختلفة من الاحجار التي تصنع منها تلك الادوات، وقد استعرض الباحث (Gimpera) [3] العصر الحجري الحديث في فترة المتأخرة في كل من اسبانيا وبلاد المغرب وخرج بنتيجة ان الصناعات الحجرية الفخارية التي شاهدها في صناعات تلك الفترة انما هي صناعات متأثرة بثقافة مصر في عصر ما قبل التاريخ والتي هي بدورها من تأثيرات بلاد الرافدين وصلت إلى مصر ومنها انتقلت إلى الدول المغاربية.

اذا ما قارنا بين الأواني الحجرية التي وجدت في جرمو وتلك التي وجدت في سوق الخميس بايت واحي في المغرب أو في الجزائر وليبيا (راجع الفصل الثاني) لوجدنا تشابها كبيرا بينهما ومع ذلك لم يسبق للباحثين ان درسوا هذا الموضوع بما يستحقه من عناية، فقد ذكر الباحث (pudigaudeau) عن أصل الأواني الحجرية (ان الاواني الحجرية الصحراوية بدون مقابض والمكتشفة في شمال افريقيا عامة انما هي اكتشاف رائع يوضح خط انتشار الأواني الحجرية من مصر إلى غرب افريقيا، واني أؤكد على ان مصر هي

---

(1) مصطلح الافرو-اسيوي سياسي جغرافي ظهر في الستينات من هذا القرن (يحدد الباحث (Childe) مسرح هذا الانقلاب الحضري من الصحراء الكبرى والبحر المتوسط في الغرب وإلى وادي السند شرقا ومدار السرطان جنوبا، وقد اتضح أن الاحوال الطبقية والطبيعية كانت مناسبة لحدوث تطور انقلابي في هذه المنطقة ويعتبر بلاد الرافدين مركز هذه المنطقة:

Gordon V. Childe: (1964). Pp.77-79

(2) راجع الفصل الثاني (العصور الحجرية القديمة في شمال افريقيا) لمعرفة المواقع الاثرية التي عثر فيها على الاواني الحجرية.

(3) Pedro Bosch Gimpera: (1952). Pp. 503-508

مهد صناعة الأواني الحجرية) [1]، وعلى العكس فان الباحث (Childe) وهو متخصص في العلاقات الثقافية بين بلاد الرافدين ومصر فانه يرجع أصل الأواني الحجرية إلى بلاد الرافدين [2].

2- الاواني الفخارية [3]

ان الأواني الفخارية **النوع الأول** الخشن المظهر الذي عثر عليه في مناطق الصحراء وجبال الاطلس الأعلى (راجع الفصل الثالث) [4]، تعتبر في الحقيقة صورة مكررة من فخار حسونة القديم في الطبقة (1A) [5]، أو مشابه لما عثر عليه في مصر في عصر ما قبل الأسرات، إذ نجد أواني من حجر المرمر فصناعته تمت باليد ومفخورة بطريقة بدائية سمجة وخالي من الزخارف، وهذا النوع المغاربي من هذه الأواني قد عثر عليها في كهف الخزيل[6] وكهف عشقار [7] و كلاهما يقعان إلى الجنوب من طنجة كما عثر ايضا في كاف تحت الغار [8]، بجهة تطوان وتمارا جنوب الرباط، وقد عثر عليها في الطبقة التي تقع اسفل طبقة الاواني الكمبانية مباشرة [9]، أما الفخار في الجزائر فهو من النوع الخشن المصنوع باليد الخالي من الزخرفة والالوان باستثناء بعض الخطوط والحفر والدوائر الصغير، وهو لغرض الاستعمال الجنائزي حيث يوضع في المدافن كجزء من الأثاث الجنائزي الذي يرافق الميت، وبذلك تكون الأواني الفخارية هي الأثاث الجنائزي الوحيد الذي يعثر عليه [10].

اما **النوع الثاني** من الفخار الذي عثر عليه بالمغرب فهو الفخار المعروف بالطراز الشبيه بالكمثري (Cardiale) وهذا النوع من الفخار يشبه لحد كبير

---

(1) Odette Du Puigaudeau et Marion Senones: (1967). Pp.151-159

(2) Gordon V. Childe: (1954). p.94

(3) راجع الفصل الخامس، المبحث الأول (الفخار في عصر فجر التاريخ في شمال افريقيا) لمعرفة المواقع الاثرية التي عثر فيها على الأواني الفخارية.

(4) André Jodin: (1964c). Pp.325-329

(5) طه باقر: (1973)، ص209 .

(6) André Jodin: (1958)

(7) Henry Koehler: (1931). Pp. 32-34.

(8) كلا الموقعين غار كحال وكاف تحت الغار نقب فيهما الاثاري الاسباني (Tarradell) خلال الفترة الحماية الاسبانية:

Miguel Tarradell: (1955). p. 307

(9) André Jodin: (1957). Pp.353-360

(10) حسين فهد حماد: (2003)، ص 18// غوتي منال، وسيلة سلاف: (2015-2016)، ص33

طراز حسونة النموذجي [1]، ليس فقط من ناحية الصناعة بل من ناحية الزخارف التي نفذت بطريقة الحز بقطعة من قلم القصب قبل ان يفخر [2].

اما **الطراز الثالث** وهو الكمباني فهو يشبه طراز حلف الذي جاء إلى شمال افريقيا عبر طريقين:

1- طريق الصحراء من وادي النيل عبر البحر الأحمر وإلى مصر ومنها الواحات الليبية وعبر الصحراء الافريقية الكبرى إلى المغرب.

2- الطريق الثاني عبر البحر المتوسط وجزيرة كريت وجزيرة صقلية وإلى شمال افريقيا.

وقد صاحب ظهور هذا النوع من الفخار ظهور الادوات المعدنية النحاسية منها البرونزية وهذا النوع من الفخار الذي بداء في حلف في حدود (6000) ق.م إلى (4800) ق.م [3]، نراه في بلاد المغرب يؤرخ إلى حدود عام (3100) ق.م [4]، وليس هذا الامر بغريب أذ لو تتبعنا خط هجرة ذلك الفخار لوجدناه على النحو التالي في جطل هويوك في آسيا الصغرى (575) ق.م[5]، ق.م[5]، ومنها عبر مضيق البسفور أو الدردنيل وحتى بحر ايجة، وفي سهل ميسارا (Mesara) بكريت ومنها إلى صقلية [6]، ومن صقلية يتفرع التأثير الثقافي إلى فرعين سار أحداهما عبر البحر المتوسط إلى سردينيا [7] وكورسيكا وجزر البليار فجنوب ايبيريا وسواحل البحر المتوسط المغربية، بينما عبر الاخر البحر إلى مالطه، فتونس حيث قابل تأثيرا حضاريا أخر جاء به البحارة الذين ساروا بمحاذاة الشاطئ الافريقي من غرب آسيا إلى شمال افريقيا [8].

لم ينتقل فخار حلف من بلاد الرافدين إلى شمال افريقيا مباشرة بل عبر هذه المراكز واستغرق انتقاله الالف السنين ولابد وانه في كل مركز من تلك المراكز قد اكتسب صفات محلية قبل ان ينتقل للمحطة التي تليها، كما وان هناك تشابها بين فخار العبيد (4800-3700) ق.م وفخار غار كحال (2800-2700) ق.م، ويظهر التشابه بين فخار العبيد وفخار موقع ليرنا في اليونان، وفخار موقع كرمونا بإسبانيا، وفخار موقع بالميليا بالبرتغال، ثم فخار موقع

---

(1) يتميز فخار حسونه النموذجي بزخارف خطوط مستقيمة وخطوط متصالبة ومتقاطعة ومثلثات والغالب على الأواني الفخارية نوع الجرار الكروية ذات الرقابة المستطيلة القائمة والكؤوس أو الطاسات: طه باقر: (1973)، ص210

(2) André Jodin: (1964c). Pp.325-329

(3) Robert John Braidwood: (1975). p.156

(4) De Wailly A: (1976). p.51

(5) Robert John Braidwood: (1975). p137

(6) Biagio Pace: (1954). p.34

(7) Pollini, M: (1950). p.42

(8) Bernabo Brea L: (1953-1954). p.212

غاز كحال قرب سبته شمال المغرب، ومن المعتقد ان انتقال هذا الفخار تم عبر بلاد الاناضول ثم بلاد اليونان ومن بعد اسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا، ويمكن دراسة بحث قدمه الباحث (Terradell) حول فخار غاز كحال [1]، وعلى هذا الاساس ففي وسعنا ان نقدم جدولا زمنيا حسب قراءة كربون 14.

العراق القديم		المغرب القديم	
السنة	الأواني الفخارية	السنة	الأواني الفخارية
5600 ق.م	فخار حسونة القديم	4000 ق .م	الفخار الموجود بمتحف طنجة نوع بدائي خشن وهو فخار الخزيل)
5100 ق.م	فخار حسونة النموذجي	3500 ق.م	الطراز الكمثري Cardial
4800 ق.م	فخار حلف	3100 ق.م	الطراز الكمباني او Beakerware
3700 ق.م	فخار العبيد	2800 –2700 ق.م	فخار غاز كحال (قرب سبته)

جدول 8: الفخار في شمال افريقيا وما يقابله في بلاد الرافدين

3- التعدين [2]

على العكس من بلاد الرافدين الذي عرف المعدن منذ وقت مبكر من عصر ما قبل التاريخ فأن معرفة شمال افريقيا للنحاس تم قبل وصول الفينيقيين في أوائل الالف الأول ق.م ولم يكن معروفا حتى اواسط هذا القرن.

لقد اثير جدل كثير في الخمسينات من هذا القرن حول معرفة الدول المغاربية للنحاس وأنقسم المؤرخون إلى مؤيدين معرفة سكان شمال افريقيا للبرونز في نفس الفترة التي عرف فيها المصريون القدماء استعمال ذلك المعدن وبين من ينفي تلك المعرفة واعتقدوا ان سكان شمال افريقيا على العموم قد انتقلوا من العصر الحجري الحديث إلى عصر الحديد مباشرة [3]، وقد لاحظ الباحث (Jodin) في الرسوم الصخرية نقوشا تمثل نوعا من السيوف القديمة التي لا تشبه بأي حال من الأحوال السيوف الحديثة أو السيوف التي كانت تستعمل في العصر الإسلامي، وقارنه بدليل آخر وهو وجود الفخار الكمباني وهو النوع الذي عثر عليه في اسبانيا مع الادوات البرونزية فكتب مقالا في مؤتمر ما قبل التاريخ في الجزائر مؤكدا وجود عصر للبرونز في شمال افريقيا قبل وصول الفينيقيين [4]، ونظرا لان الادلة المادية التي وجدت ضئيلة (أذ كانت لا تتعدى بضع قطع من الحلي البرونزية والنحاسية وسيف واحد وبعض رؤوس حراب

(1) Miguel Tarradell: (1954). Pp.344-358

(2) راجع الفصل الخامس، المبحث الثاني (الاثار الحجرية والمعدنية في فجر التاريخ) لمعرفة المواقع الاثرية التي عثر فيها على الاثار المعدنية.

(3) Gabriel Camps: (1961). p. 446

(4) André Jodin: (1952). Pp.131-132

وثلاثة من الفؤوس في المغرب والعديد من الاساور والحلي المعدنية في الجزائر وتونس) فقد اعتبر جميع تلك المواد مستوردة من اسبانيا وعد بداية عصر البرونز بالمغرب حوالي (1500) ق.م أي خمسمائة عام قبل وصول الفينيقيين [1].

ولو أخذنا تنقيبات الاسبان في الصحراء المغربية خلال فترة الحماية [2]، والكشف عن المناجم القديمة للنحاس والمنتشرة في نواحي مراكش وجنوبها على تخوم الصحراء [3]، تؤكد ان تلك الاسلحة انما صنعت في المغرب ولم تستورد من الخارج، وهذه الاسلحة فيما لو قارناها بأسلحة العراق القديم مثلا لوجدنا ان الخناجر المنقوشة على صخور جبال الاطلس الكبير أكثر شبها بنظائرها في بلاد الرافدين من الانواع الاوربية، ومع هذا يختلف مصدر النحاس في شمال افريقيا عن العراق القديم، فمصدر النحاس متوفر في دول المغاربية اما في بلاد الرافدين فقد كان هذا المعدن يستورد اما من هضبة إيران أو من ارمينيا أو بلاد الاناضول أو من جبل الأخضر في عُمان، فقد اكتشفت بعثة هارفارد الاثارية في وادي صمد (Wadi Şamad) (في عُمان) افران استعملت في تعدين النحاس كما يحتمل ان تكون هناك معالجة لخام النحاس في هيلي (الامارات العربية)، وفي وادي جيزي الذي يعد أحد أغنى اقاليم النحاس في عُمان اضافة إلى الساحل الشمالي لمضيق هرمز فقد عرفت هناك مواقع كثيرة للنحاس [4].

ولكن صناعة التعدين نفسها قد جاءت من المشرق، فقد عرف المصريون النحاس فقد حصلوا عليه من سيناء، فصنعوا الأدوات النحاسية كالأزاميل النحاسية، والآلة النحاسية البسيطة التي كانوا يستعملونها في تفريغ قطع الاحجار لتصبح أواني جميلة الشكل، وساعدتهم الأدوات النحاسية في بناء الأهرامات بقطع الصخور، فقد عرف إنسان حضارة البداري حوالي منتصف الالف الخامسة ق.م معدن النحاس وان انتشاره يلاحظ في حضارة جرزة بصورة اكثر [5]، ولا بد ان صناعة التعدين قد وصلت إلى شمال افريقيا عبر طريق البحر المتوسط في الالف الثالث ق.م أي قبل وصول الفينيقيين، فقد اظهرت النقوش المصرية في المعابد ومقابر أوائل حكم الأسرات عن سفن كبيرة الحجم لها القدرة على الابحار لمسافات طويلة وجدت على اثار العهد العتيق في مصر بالإضافة إلى العثور على سفن الشمس قرب الاهرامات كما أسلفنا.

---

(1) André Jodin: (1957). Pp.353-360

(2) Bernardo Sáez martin: (1952) .Pp.659-662

(3) Rasenberger B: (1970). Pp71-108

(4) الاثار في دولة الامارات العربية المتحدة، ادارة الاثار والسياحة دولة الامارات العربية المتحدة: ص29

(5) جيمس هنري برستد: (1969)، ص85-97 // عبد العزيز عثمان: (1967)، ص 67

4- الفنون والعمارة [1]

ا- العمارة: تختلف عمارة الشرق الأدنى القديم عن عمارة دول المغاربية، فنجد ان المباني الدينية والمقابر في متداخلة في شمال افريقيا ومن الصعوبة التمييز بينهما، فقد سكن المغاربة القدماء في الكهوف الطبيعية ودفنوا موتاهم فيها، وتظهر هذه الكهوف في مناطق جبال الاطلس الكبرى واطلس التل واطلس المتوسط وجبال الريف فعلى سبيل المثال وليس الحصر كيفان بالمغارى في تازة، وكهف تماريس بجهة الدار البيضاء، وفي ليبيا مثل كهف (حكفت الطيرة)، ومغارة (هوا فطيح) الواقعة في المرتفعات الوسطى من الجبل الأخضر، و(كهف النعامة)، و(حكفت الضبعة) (Hagfet Dabba)...الخ ويرى بعض العلماء ان سكان شمال افريقيا كانوا يفضلون السكن في العراء سواء في الخيام أو الأكواخ [2]، وقد اتخذ سكان الشرق الأدنى القدماء سكنى الكهوف ومنها كهف شانيدر، وكهف زرزي، وهزارد مرد، والكهوف المنتشرة في ايران، وبلاد الاناضول وفلسطين وسيناء...الخ ولعل حاجة الانسان إلى السكن في الكهوف أملته عليه الظروف الطبيعية المحيطة به، وبذلك فهي من التقاليد الموروثة عن العصور القديمة .

ومع زيادة عدد السكان وقلة الكهوف الطبيعية التجأ ساكن الكهوف إلى حفر الكهوف الصناعية والتي تعرف باسم الحوانيت، وهي فتحات داخل الصخر تم تعميقها بشكل كهف صناعي يحتوي على حجرة واحدة أو أكثر وشكل الحجرات بيضوي أو مستطيل أو مربع كما هو في كهوف تبسة شرق الجزائر وكهوف تيبازا على الساحل الغربي للجزائر، وكهوف تازة شرق المغرب وكهوف ازمور قرب الجديدة جنوب الدار البيضاء.

كان يتم دفن الموتى في أرضية الكهف بطقوس بسيطة، وقد عرف الشرق الادنى اسلوب حفر الكهوف الصناعية منذ زمن أقدم من شمال افريقيا، ففي العراق كهوف (الطار) جنوب غرب كربلاء ويبلغ عددها 400 كهف وربما استخدمت لأغراض دفاعية أول الامر أو محطة تجارية ونقطة مرور في عصور قديمة، ثم اتخذت فيما بعد قبورا عثر فيها على مخلفات اثرية تعود إلى فترة قديمة ربما أقدم من الفترة الكاشية والهلنستية [3]، وأيضا كهوف مجول جنوب عنه على الفرات، وهي مقابر حفرت بمهارة ويظهر فيها ابواب وهمية وهي من التقاليد الفرعونية مع بعض الرسوم والاشكال الهندسية [4]، وهناك كهوف عند شاطئ جبيل في لبنان تم حفرها بنفس الطريقة والشكل [5] ، كما

---

(1) راجع الفصل الرابع (العمارة الدينية والدنيوية في فجر التاريخ في شمال افريقيا) لمعرفة المواقع الاثرية التي عثر فيها على العمارة الدينية والدنيوية.

(2) Gabriel Camps: (1961). p. 63

(3) تقرير موجز لتنقيبات البعثة اليابانية في كهوف الطار، 1984، ص283

(4) قحطان رشيد صالح: (1987)، ص182

(5) William Culican: (1961). p.151

حفر عرب الانباط مدينتهم داخل الجبل في الأردن، وتظهر هذه الكهوف في سيناء ايضا فلابد وانها انتقلت عبر مصر إلى شمال افريقيا فهي اكثر انتشارا في تونس وشرق الجزائر.

اما الشكل الثالث فهي القبور الحجرية (الدولمن) التي تنتشر في شمال افريقيا حيث تظهر القبور في المريبس والمرس وجوف الرمل وجبلية ودار سيرو والدار الكبيرة وعين داليا ودايت الكسايب أما في الجزائر فتكثر بالشرق الجزائري بكل من عين الباي، ورأس عين بو مرزوق، وسيقوس (Sigus)، وسيلا (عين مليلة)، وبونوارة (Bou Nouara) .. الخ، ويؤكد الباحث (Raynaud) ان المقابر الحجرية في شمال افريقيا شرقية الأصول لها ارتباط بالقبور الحجرية في لبنان والمقابر في أور وابيدوس وقبور هراكوبوليس [1].

ونلاحظ وجود القبور الحجرية في هيلي دولة الامارات والبحرين [2]، والقبور الحجرية في مصر وتعود إلى فترة أقدم من عصر الاهرامات وعلى الأرجح ان هذا النوع من المقابر وصلت إلى دول المغاربية عن طريق جزر البحر المتوسط كجزيرة كريت وجزيرة صقلية وسردينيا وهذا ما يؤكده الباحث (Jodin) (ان البحارة والصيادين في البحر المتوسط وصلوا إلى نواحي طنجة عبر مضيق جبل طارق، واقاموا المقابر الحجرية، ومن ثم نقلوا تلك التأثيرات إلى اسبانيا والبرتغال وبريطانيا ولأسباب غامضة تخلو عن السير نحو الجنوب والانتشار على السواحل الافريقية) [3].

اما المقابر التلية (تمولي) والمكتشفة في شمال افريقيا (راجع جدول توزيع المقابر التلية في شمال افريقيا)، أن تصميم هذا القبر لا تختلف عن الابنية الدائرية (Tholos) المعروفة في الشرق الادنى القديم ، فقد عثر على الأبنية الدائرية والشبه دائرية في بلاد الرافدين مثل زاوي جمي على الزاب الكبير ذات قطر حوالي مترين، وعثر بداخلها على بقايا جماجم للحيوانات كالماعز والاغنام، كذلك عثر على الأبنية الدائرية في كريم شهر شرق جمجمال، وفي موقع كرد على اغا على الزاب الأعلى في محافظة أربيل، وفي موقع نمريك على الضفة الشرقية من نهر دجلة ضمن حوض سد الموصل غرب ناحية فايدة (محافظة دهوك)، وهذه المساكن الدائرية أو الشبه الدائرية هي الأقدم وتعود فترة انشائها إلى مطلع العصر الحجري الحديث لما قبل الفخار (ب)

---

(1) Henry Raynaud: (1937). p.59

(2) تظهر مدافن هيلي الحجرية تأثيرات حضارتي بلاد الرافدين وبلاد السند، وهناك مقابر حجرية في البحرين وهي مقابر الحجر وتعود إلى فترة باربار المتقدم، واستعملت حتى العصر اليوناني وهي أقدم قبور عرفتها البحرين: عبد القادر التكريتي: (1979)، ص 212- 209

(3) André Jodin: (1964e). p.44

(P.P.N.B)، وهي مساكن ارضيتها من الحجارة الكلسية والجدران من الطين وعثر بداخلها على مجارش حجرية [1].

على الرغم من أن الأشكال الأولى للسكن كانت اكواخا دائرية أو بيضوية الشكل واسافلها غائرة إلى أعماق معينة في الأرض إلا ان تطور المساكن الدائرية حدث في عصر حلف، فقد عثر في موقع الاربجية في الموصل على عشرة مبان مشيدة من الآجر أو كتل الطين المرصوص على أسس من الحجارة ولها ملاحق بنائية مستعرضة (مستطيلة) [2]، ويمكن تصنيف الابنية الدائرية لهذا العصر حسب وظائفها:

1- ابنية دائرية ذات قدسية وذلك بسبب سمك الجدران واساساتها التي يتطلب تعاون سكان القرية في تشييدها.
2- لأغراض سكنية استنادا إلى ما عثر فيها من مخلفات منزلية مثل المواقد والفخاريات.
3- لأغراض عامة استنادا إلى موقعها في مركز التل وذات جدران ضخمة ربما مكان لاجتماع اهل القرية.
4- لأغراض اقتصادية كاستخدامها مخازن وهي تقع في منطقة ذات انتاج زراعي وفير [3].

أن انتشار هذا النوع من الأبنية الدائرية، فقد عثر على الأبنية الدائرية في المملكة العربية السعودية وتعود للعصر النحاسي، وهو يقابل فترة العصر الحجري المعدني في العراق، كما عثر عليها في وادي عرعر اقطارها بين(10-12) م، ثم في منطقة حائل مثل الكهيفية (Al Kihayfiyah)، وموقع جبل اسمان، ولوحظ اشكال أبنية بيضوية، وعثر ايضا على الأبنية الدائرية في منطقة القصير، ومنطقة الرياض، ويحدد تاريخ هذه الأبنية بين الالف الخامس والالف الثالث ق.م، اما اليمن فقد عثر في موقع اسفل جبل العرقوب في منطقة خولان الطيال ابنية دائرية تعود إلى عصر ما قبل التاريخ وهذه المساكن غائرة بعمق (30) سم، وعثر فيها على حجارة الرحي وكسر الفخار، وكذلك في الخليج العربي في مواقع المقابر الحجرية في جبل حفيت، و تعود إلى الالف الرابع والالف الثاني ق.م، ثم مقابر هيلي في الامارات العربية عليها في المملكة العربية السعودية، واليمن، والخليج العربي ، وعثر في سوريا على الأبنية الدائرية في موقع تل مريبط شرق حلب، وتل الرماد غرب دمشق، اما فلسطين فموقع اريحة (تل السلطان) تعود الأبنية الدائرية إلى العصر النطوفي

(1) يوكد الآثاريان فؤاد سفر وسيتون لويد على وجود الأبنية الدائرية في حسونة إلا ان استخدامها قد يكون لأغراض ادارية أو اجتماعية أو سياسية او دينية (كمعابد): عدنان مكي عبد الله: (1985)، ص297

(2) محمد صبري قدسية : (1995)، ص135 -136

(3) أكرم محمد عبد كسار: (1982)، ص78-79

(العصر الحجري الحديث السابق لظهور الفخار)، و في موقع عين الملاحة قرب بحيرة الحولة، وفي الاردن ضمن موقع البيضاء قرب البتراء [1].

في قبرص موقع (خيروكيتيا) (Khirokitia) ضمن فترة العصر الحجري الحديث السابق لظهور الفخار عثر فيها على (1000) مسكن دائري قطرها ما بين 3-4 م إلى 7-8 م مشيدة باللبن على أسس من الحجر الكلس [2]، وكذلك عثر على الأبنية الدائرية في بلاد الاناضول في موقع (جايونو تبه سي) (Çayönü Tepesi) جنوب شرق تركيا وموقع عاشق هويوك وموقع حصيلر (Hscilar) جنوب غرب تركيا، واغلب الأبنية الدائرية تعود إلى العصر الحجري السابق لظهور الفخار ويعاصر جرمو ما قبل الفخار في العراق، اما في إيران فقد عثر على هذه الأبنية الدائرية في موقع كنج داره قرب هرسين (Harsin) وتحتوي الأرضية على رماد وحجارة محترقة، كذلك في موقع تبة اسياب ضمن منطقة كراسو (Karasu) شرق كرمنشاه قطر الأبنية عشر أمتار والاستيطان موسميا، ثم موقع على كوش في منطقة خوزستان والمساكن دائرية الشكل عبارة عن حفر جدرانها من كتل الطين بدون ملاط [3].

على اية حال فان قبر مزورا في المغرب الأقصى والأبنية الدائرية لعصر حلف كليهما يشتركان بالشكل الدائري، وإذا كنا نعرف وظيفة الأبنية الدائرية في الشرق الأدنى القديم فأن قبر مزورا بقي غامضا فلم يعثر على دليل مادي يوحي أذا كان مدفنا أم معبدا.

ان اقامة القبور التلية معروفة في الشرق الادنى القديم، فيلاحظ انتشار المدافن التلية في البحرين ويقدر عددها مائة ألف قبر تسمى (طعموس) [4]، وكذلك تظهر المقابر التلية في شرق المملكة العربية السعودية [5]، وفي مصر [6]، ومن خلال المكتشفات الاثرية في البحرين يلاحظ ان الطقوس الجنائزية واللقى التي عثر عليها في معبد باربار في البحرين والتي تعود إلى فترة جمده نصر، أما المقابر في الخليج العربي وشرق الجزيرة العربية، وعُمان فتؤرخ إلى الفترة الواقعة ما بين أواخر الالف الرابع ق.م وإلى مطلع القرون الميلادية، وهي متأثرة بقبور جمدة نصر مع فارق ان قبور عُمان جماعية أو عائلية، بينما قبور جمدة نصر فردية [7]، وانتقلت عبر الجزيرة

---

(1) محمد صبري قدسية : (1995)، ص 69- 75 و 85-88 و 94-114

(2) James Mellaart: (1975). Pp.129-131

(3) محمد صبري قدسية، (1995)، ص124-131

(4) عبد القادر التكريتي: (1979)، ص163-175

(5) احمد عبيدلي: (1983)، ص24-30

(6) جيمس هنري برستد: (1969)، ص85

(7) رضا جواد الهاشمي: (1980)، ص33

العربية إلى مصر ثم الصحراء الافريقية ومن ثم شمال افريقيا ويمكن تتبع خط انتشار هذا النوع من القبور على أطراف الصحراء لدول المغرب العربي.

اما الطقوس الجنائزية المصاحبة للميت في مقابر دول المغاربية، فقد لوحظ التأثير حضارات الشرق الأدنى واضح من رش الرماد الأحمر داخل القبر أو تلوين الميت بصبغة حمراء، وحتى تجريد الموتى من لحومهم وخلط عظامهم وكلها طقوس مارسها سكان الشرق الادنى القديم منذ فترة ما قبل التاريخ في حضارة حسونة وضمن موقع تل الصوان [1] وفي عصر حلف [2]، وفي عصر العبيد في موقع اريدو ويظهر هذا النوع من الطقوس الجنائزية في الحضارة النطوفية في فلسطين، وفي بلاد الاناضول ضمن موقع جطل هويوك[3]، هذا اضافة إلى انتشار هذه الطقوس في الجزائر ضمن مقابر التذكارية (الميجاليثية) في سطيف وتظهر هذه الطقوس الجنائزية في تونس في المقابر (بئر أم قرين) وكذلك تظهر الطقوس الجنائزية في ليبيا، وفي مواقع اخرى من مقابر كريت ومايسنيين في بلاد اليونان [4]، وفي منطقة التبت الجبلية (الصين) وجمهورية منغوليا لازالت تمارس عملية تجريد الموتى من لحومهم حيث تقطع الجثة وترمى في مرتفع جبلي لتأكلها النسور ويطلق على هذه الطريقة (دفن السماء) حسب تعاليم الديانة البوذية [5].

2-الرسوم الصخرية

يمتاز شمال افريقيا عن دول الشرق الادنى بكثرة الرسوم الصخرية ربما لان بعض دول المنطقة تنقصه المادة الصلبة من الحجر اللازم للرسم مثل العراق، ومع هذا فقد عثر على نقوش صخرية في موقعين الأول في الضفة اليمنى من وادي حوران قرب وادي الحسينات، والثاني الضفة اليمنى من الوادي الرئيسي قرب خرائب قصر (Muhaiwir)، وتمثل الرسوم أشكالا حيوانية وادمية تعود هذه الرسوم إلى العصر الحجري الحديث من واقع أحجار الصوان التي عثر عليها قرب النقوش الصخرية، وقد مثلت الاشكال بالحز بوساطة آلة حادة [6]، وتظهر النقوش الصخرية في الشرق الادنى القديم في نقوش مصفوت قرب قرية (حذف) في سفوح جبال عُمان تمثل اشخاصا يؤدون رقصات ويحملون عدة الصيد، ورسوم مصفوت مماثلة إلى نقوش

---

(1) جورج يوحنا دوني: (1986)، ص63 // سيتون لويد: (1980)، ص50-51

(2) أكرم محمد عبد كسار: (1982)، ص 87-89

(3) رشيد الناضوري: (1977)، ص116 و150 و154

(4) Martin Nillsson: (1950). p.122

(5) يعتقد طريقة (دفن السماء) في التبت سببها صعوبة حفر الأرض في مناطق جبلية صخرية، أو اعتقادا بان روح الميت تنتقل إلى السماء، أو ربما عدم توفر الأخشاب اللازمة لحرق الموتى أو غلائها، ولازالت تمارس في المناطق الريفية من جبال التبت.

(6) Jaroslav Tyracek and Rahim.M.Amin: (1981). Pp. 145-148

جطل هويوك في بلاد الاناضول، وعثر على نقوش في هيلي بدولة الامارات العربية المتحدة يعود تاريخها إلى الالف الثالث ق.م [1] .

وقد تميز السكان المغاربة القدماء بالبراعة في تنفيذ الرسوم الصخرية وعبرت عن قدراتهم الفنية، فالأسلحة الممثلة في الرسوم الصخرية بجبال أطلس الأعلى تشبه الأسلحة السومرية في بداية عصر فجر السلالات وبدورها لا تشبه الأسلحة الرومانية، ومن بعدها الأسلحة الاسلامية ويرى (Simoneau) الشبة الواضح بين السلاحين لذا نراه يكتب في تحليله عن الرسوم الصخرية بجبال الاطلس والتي تمثل أسلحة عصر البرونز وعلى وجه الخصوص الخناجر والسيوف مؤكدا قول الباحث (Childe) بأن أصل هذا النوع من الخناجر هو بلاد الرافدين [2].

وتظهر في نقوش الاختام الاسطوانية بالعراق القديم والنقوش الموجودة في جبال الاطلس الكبير تشابها في تنفيذ العربات التي كانت تستعمل للنقل أو الحرب في كل من العراق القديم وشمال افريقيا إلا ان الحيوان الذي كان يجر العربة في العراق كان الحمار البري بينما أستعمل المغاربة القدماء الثيران وفي الرسوم الصحراء الليبية الخيول [3].

ويرى الباحث (الناضوري) أن بعض الرسوم الصخرية المنتشرة في برقة وجنوب طرابلس وكهف وان موهجاج بوادي تشوينت مركز الأكاكوس في ليبيا وفي وهران بالجزائر وجبال الاطلس الكبير تمثل اشكالا فرعونية مصرية فالكباش التي تحمل فوق رؤوسها رموزا بيضوية الشكل تشبه إلى درجة كبيرة الكبش المصري في العصر الفرعوني والذي يحمل على رأسه رمز الشمس ويمثل الإله أمون رع في الدين المصري القديم.

وهناك ايضا رسم صخري لرجل ذي خصلة شعر جانبية ورد ذكرها في النصوص المصرية انها علامة تميز بعض الكهنة المصريين، وقد ورد ذلك في نصوص التوابيت في المملكة الوسطى، كذلك رسوم شخصية تشبه لحد كبير الإله بس (إله السودان) يلبس ريشا وله ذيل كان إله الطرب والسرور وإله للموسيقى فانه يعزف القيثارة، ويظهر بشكل جندي بشوش، اما تمثاله فيظهر له رأس وذيل، ويعتبر من المعبودات المصرية القديمة [4] وصور في الرسوم الصخرية في وضع الجسم وحركة اليدين والوجه البشوش توحي وكأنه يؤدي رقصة معينة [5].

وهناك العديد من الرسوم الصخرية ذات اشكال رمزية أو حيوانية والقليل منها يوضح أشكالا أدمية ربما تعبر عن بعض المفاهيم الاقتصادية والدينية

---

(1) ربيع القيسي: (1975)، ص87-88

(2) Alain Simoneau: (1968). Pp.642-653

(3) Raymond Mauny: (1952). Pp.741-746

(4) واليس سي، اي ،أ بودج .ك.ت: (1989)، ص20

(5) رشيد الناضوري: (1981)، ص139-144

وربما هي خطوة الانسان المغاربي القديم نحو التعبير بالرموز ثم تتطور لتصل إلى الكتابة قبل بداية العصر التاريخي [1].

وتنتشر الرسوم الصخرية في السلاسل الجبلية للصحراء الافريقية الكبرى وبذلك ساعد جفاف الصحراء على بقاء تلك الرسوم لفترة يصعب تحديدها زمنيا، ويمكن تحديد مواقع انتشار النقوش الصخرية في الصحراء الافريقية الكبرى [2] بقوس يمتد من جبل العوينات بين السودان وليبيا ثم جبال تبستي في تشاد ومنتصف القوس هضبة الأكاكوس وفزان في ليبيا، وجبال تاسيلي في الجزائر والنيجر، وجبال الهكار بالجزائر، ونهاية القوس جبال الاطلس الاعلى.

وإذا كان الأثاريون في الشرق الأدنى القديم أعطوا الاهتمام بموضوع تدجين النبات وزراعته، بينما لم يبذل الباحثون الأجانب الذين عملوا في شمال افريقيا أي جهد في هذا الموضوع ولذا فإننا نجهل عن أمر تاريخ بداية الزراعة في المغرب، ومن ثم لا يوجد امامنا أي سبيل لعقد مقارنة بين المنطقتين، ومن ناحية تدجين الحيوان فان المراجع في العراق ومصر وبلاد الاناضول إيران تعتمد على مخلفات الطعام وغيرها لتأريخ الزمن الذي حدث فيه التدجين، أما في دول المغاربية فأن الرسوم الصخرية توضح تدجين الحيوان وقد امكن تاريخه إلى حوالي (3100) ق.م (±) استنادا إلى فحص الكاربون 14 بالنسبة إلى عظام الحيوانات المدجنة، وفي ليبيا في موقع هوا فطيح تم تدجين الحيوان (4000) ق.م (±) واهم الحيوانات المدجنة في الشرق الادنى هو الكلب وهو من فصيلة الذئب، وعثر على أثارة في موقع بالكورة في شمال غرب العراق يحدد كاربون 14 تاريخ (12000) ق.م (±) زمنا لتدجينه، ثم الماعز ذات القرون والاغنام والخنزير وقراءة كاربون 14 حدد (7000) ق.م (±) لتدجين الخنزير ثم الماشية والثور والبقرة ذات السنام ويعود تاريخ تدجينها (6000) ق.م (±) ثم الحمار والحصان وظهرت تماثيل أشكال الحصان وهي منقوشة بنقش بارز وتؤرخ الى (4000) ق.م (±) [3].

أما الحيوانات التي دجنت في شمال افريقيا كان على رأسها البقر والكلب والخراف والحمار [4]، وقد عرف كلا المنطقتين طرقا مختلفة أملتها البيئة لصيد السمك وتجفيفه، وكان السمك إحدى دعائم الغذاء بالمغرب [5]، كما

---

(1) المصدر نفسه: ص139

(2) تم التعرف على مناطق تعد بالمئات تضم رسوما صخرية تقدر بالآلف وهذه المواقع متناثرة في حزام عريض يمتد بين الشرق والغرب للآلاف الكيلومترات، وفي عرض يقع بالتقريب فيما بين دائرتي عرض 18و28 درجه شمال خط الاستواء: محمد مصطفى بازامة: (1973)، ص162-163

(3) Juliet Clutton–Brock: (1980). Pp.37-41

(4) Georges Esperandieu: (1952). Pp.551-558

(5) Michel Ponsich et Miguel Tarradell: (1965). Pp.9-7

اعتمد قسما من سكانه في غذائه خلال الفترة المتأخرة من العصر الحجري الحديث على ما يعرف باسم البَبوش (الحلزون) [1].

ومما سبق نرى التأثيرات الشرق الأدنى القديم في عصر ما قبل التاريخ وفجر الحضارة، قد وصلت غربا إلى المغرب العربي فشكلت هندسته المعمارية والطقوس الدينية وصناعة الفخار، والتعدين، وكان سكان شمال افريقيا بارعين في الملاحة البحرية التي وصلت إلى الجونش وهم سكان جزر الخالدات (الكناري) الأصليين، ونظرا لطول الساحل البحري في دول شمال افريقيا فلعل البحارة هناك هم الذين أوصلوا التأثيرات الحضارية بسفنهم إلى البرتغال واسبانيا وفرنسا وبريطانيا وايرلندة وليس العكس كما كان يعتقد سابقا.

(1) حيوان الببوش بلغة سكان المغرب تعني القواقع الحلزونية التي تعيش على النباتات، ويتم اخراج الحيوان من القوقعة بوساطة شوكة حادة وطريقة اعداده: يتم وضعه يوم كامل بالماء ليفرغ ما في جوفه، ومن بعد يطبخ بالتوابل والفلفل الحار، ويوضع القدر الحار على عربة البائع المتجول، ويتم بيعة بوضعه في إناء صغير وحسب السعر، وعملية البيع تشبه بائعي الحمص المسلوق والشغلم (اللفت) في شوارع بغداد.

الخاتمة

ما ذكر في الفصول السابقة هي اختصار لتاريخ طويل صور رحلة البشرية في الدول المغاربية من أقدم العصور وحتى فجر التاريخ، ومع هذا من خلال الصفحات السابقة توصلت إلى جملة من الآراء استعرضت فيها جانب مهم يعبر عن تساؤلات عدة هل الحضارة المغاربية خلقت نفسها بمعنى ولدت ضمن بيئة وظروف مناخية واقتصادية واجتماعية خاصة تلائم المغاربة، أم خضعت تلك المنطقة لتأثيرات من الشرق الأدنى القديم خاصة من العراق القديم ومصر وكلاهما تتميزان بأصلتهما الحضارية ضمن ظروف الزمان والمكان، ومع هذا كلا الدولتين لم تمنع أو ان تقف بوجه انتقال تأثيرهم الثقافي للدول المجاورة والبعيدة عنهما، وهذا دفع الباحثين منذ مطلع القرن الماضي عند عثورهم على اللقى الاثرية في مناطق مجاورة أو بعيدة يتم تنسيب الأثر إلى مصر أو العراق من حيث المادة أو الفكرة الفنية أو الصناعة أو إعادة الأثر القديم بجذوره الى إحدى الحضارتين في الشرق الأدنى القديم.

عندما نستعرض المخلفات المادية الحجرية والمعدنية، والعمارة الدينية والدنيوية، والفنون الصخرية، ومدى ارتباطها بالتأثيرات الشرقية وليست اوربية كما يدعي الباحثين الأجانب، فالصناعات الحجرية التي تعود للعصر الحجري الحديث مثل الفؤوس الحجرية والشفرات والقاشطات والمثاقب والمهارس والرحي متشابه في الحضارتين، وان الأواني الحجرية التي استعملها قديما السكان المغاربة القدماء لها نظائرها في مصر أكثر من بلاد الرافدين الذي كان يستورد حاجياته من الصخور الصلبة من بلاد الاناضول وجبال زاكروس.

أما الأواني الفخارية من النوع خشن المظهر والتي تشبه أواني فخار حسونة الطبقة (A 1) فكلاهما تمت تشكيل الأواني يدويا وفخرت بطريقة سمجة وخالي من الزخارف، بينما الفخار الشبيه بالكمثري (Cardiale) فهو يشبه فخار (حسونة النموذجي) من حيث الصناعة والزخارف التي نفذت بطريقة الحز بقلم من القصب قبل فخره، وكذلك فخار الكمباني (Campaniform) فهو يشبه فخار حلف والذي انتقل عبر وادي النيل إلى شمال افريقيا.

وعند الحديث عن التعدين فقد عرف المغاربة القدماء النحاس قبل وصول الفينيقيين بينما هناك جدل بين الباحثين حول معدن البرونز ومدى معرفتهم لهذا المعدن وكيفية صناعة السبيكة البرونزية، فكما لاحظنا عثر على حلي برونزية وبضعة رؤوس من الرماح وسيوف وفؤوس برونزية، وإذا اضفنا الرسوم الصخرية ويظهر فيها السيوف والخناجر يجعلنا متأكدين انها صنعت من النحاس أو البرونز فجبال الدول المغاربية تحمل بين طيات صخورها

مختلف المعادن وحتما طريقة التعدين استوردت من مصر التي تملك مناجم سيناء، ومعادن في سلسلة الجبال الشرقية المحاذية للبحر الأحمر.

كما عرف المغاربة العمارة وهي خليط بين المباني الدينية والمقابر معا ومن الصعوبة التميز بينهما، ففي العصور الحجرية استوطنوا الكهوف الطبيعية شأنهم شأن شعوب الشرق الأدنى، ومع الزيادة السكانية حفروا كهوفا صناعية أطلق عليها تسمية (الحوانيت) أو (الحونت)، وهي تقليد لسكنى الكهوف التي ربما كان لها قدسية في نفوسهم، ولو أن بعض البحاثين يرى بان المغاربة القدماء كانوا يفضلون سكنى العراء وان سكناهم الكهوف ربما كانت في فصل الشتاء أو في المراحل الأولى من استيطانهم.

مع فترة فجر التاريخ اتجه المغاربة لدفن موتاهم في مقابر تلية (Tumulus)، فقد عثر على الكثير من هذه المقابر كما عثر على نظائرها في الشرق الأدنى مثل البحرين بلغ عددها مائة الف واطلق عليها تسمية (طعموس) وأيضا عثر في العراق والمملكة العربية السعودية ومصر، وهذا النوع من المقابر كان شائعا آنذاك والاحتمال بان تلك المقابر خصصت في البداية للنخبة الحاكمة في المجتمعات القبلية ثم تطور الامر فيما بعد واستخدمت للدفن الجماعي، ومن أشهر المقابر التلية وجد في المملكة المغربية يدعى (مزورا) وهو ليس بقبر ولا معبد ويأخذ الشكل الدائري، وربما كان مقبب فهو بذلك متأثرا بالأبنية الدائرية لموقع حلف في العراق والابنية الدائرية (الثولوس) (Tholos) عند الاغريق.

بالنسبة للطقوس الجنائزية التي تتضمن رش الرماد على الموتى، أو طلائهم بالمغرة الحمراء (Ocre Rouge) أو قطع بعض الأطراف، وأحيانا تجريد جثث الموتى من اللحوم، أو خلط العظام عند دفنها كلها طقوس كانت تمارس في الشرق الأدنى القديم، وعرفت في المواقع الاثرية في سوريا وفلسطين وبلاد الاناضول ومصر ولم تقتبس من ايبيريا كما ينسب بعض المؤرخين الأجانب.

تبقى الرسوم الصخرية التي تشتهر به الدول المغاربية وضمت مختلف المواضيع الحيوانية والبشرية والرسوم الهندسية والرمزية ونجدها منتشرة في السلاسل الجبلية في الصحراء الافريقية الكبرى أو الاطلس الصحراوي والقليل منه في أطلس التل وساعد جفاف المنطقة في الحفاظ على هذا التراث العريق، ونجد امثله في العراق وحدد بموقعين فقط في الهضبة الغربية، كما عثر على الرسوم الصخرية في بلاد الاناضول، والمملكة العربية السعودية، وايران، ومصر، فالرسوم الصخرية معرض مفتوح للجميع وما يلفت النظر في بعض الرسوم تلك التي تصور الأسلحة وخاصة الخناجر، وهي تشبه الخناجر السومرية من عصر فجر السلالات وليس له نظير في الأسلحة الرومانية أو الإسلامية .

هناك تشابه أيضا بين الرسوم الصخرية من حيث المواضيع والأشكال مع الرسوم المصرية التي نجدها في مقابر الفراعنة التي تمثل الآلهة المصرية، وإذا كانت الأشكال التي تمثل الرسوم الحيوانية كانت اكثر واقعية فأن الأشكال الادمية تأخذ الطابع الرمزي وتصور الاحتفالات أو مشاهد صيد الحيوانات أو ركوب الخيل، وقد حاولت ان أجد في بعض الرسوم التي تمثل نوع من الاحتفالات يرتدي فيها الناس الأقنعة ذات اشكال حيوانية، وتصور احتفالية القفز على الثور ما يشبه ذلك في بلاد الاناضول، وذكرت بانها طقوس دينية، كما توصلت لمفهوم الدين من حيث الخير والشر، وعبادة الشمس والقمر، وتقديم القرابين، بل وتقليد الطبيعة في مشاهد رمزية فهموم الانسان المغاربي وما يتمناه من سقوط الامطار ونمو الأعشاب ليرعى قطيعه وبالتالي يبتعد عنه شبح الجوع والجفاف، فهناك مشاهد صورت على صخور في جبال الأكاكوس بما نطلق عليه في بلاد الرافدين (بالزواج المقدس) والذي يختم بتقديم القرابين شكر للطبيعة أو الآلهة حتى تجود بسخائها فتمطر السماء وينمو العشب لترعى الحيوانات الداجنة.

وإذا كانت بلدان الشرق الأدنى عرفت الكتابة المسمارية والهيروغليفية على الرقم الطينية أو ورق البردي فحفظت لنا تراثنا الحضاري، فان المغاربة لم يتوصلوا إلى كتابة خاصة بهم، وقد جرت دراسات كثيرة عن الكتابة الليبية، والتفيناغ ولكنها لم تتطور مثل مثيلاتها في الشرق ولم يتمكن الباحثين من حل رموزها، ولهذا اعتمد المغاربة على الكتابة الفينيقية ومن بعدها اللاتينية وكان التدوين في اضيق الحدود.

المصادر

1- أ. وادل: الأصول السومرية للحضارة المصرية، ترجمة زهير رمضان، الطبعة الأولى، عمان،1999

2- إبراهيم أحمد زرقانة: الحضارات المصرية في فجر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1948

3- إبراهيم أحمد زرقانة: المغرب العربي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1960

4- ابراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، الجزء الثاني، بغداد، بدون سنة طبع

5- احمد أمين سليم: مصر والعراق – دراسة حضارية، ط 1، بيروت، 2002

6- أحمد حسن الباقوري: مغرب الاستعمار الفرنسي، دار المعارف بمصر، بدون سنة طبع

7- احمد عبيدلي: جوانب من الترابط والانقطاع بين أجزاء منطقة شرق الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 39، كانون الثاني، 1982

8- آدم نكنشتاين و(آخرون): الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، 1986

9- اصطيفان اكصيل: تاريخ شمال افريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء الأول، الرباط، 2007

10- أكرم محمد عبد كسار: عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير، كلية الآداب–قسم الاثار، بغداد، 1982

11- ألن جاردنر: مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، الطبعة الثانية، القاهرة، 1987

12- أم الخير العقون: من مصادر تاريخ المغرب القديم، الرسوم الصخرية، والآثار المصرية، جامعة وهران، قسم التاريخ والفن، بلا تاريخ

13- أم الخيرالعقون: العصر الحجري الحديث في الصحراء الوسط بين المحلية والتأثير الخارجي، المدينة والريف في الجزائر القديمة، بختة مقرانطة، منشورات جامعة معسكر، الجزائر، 2013

14- آنا رويز: روح مصر القديمة، ترجمة اكرام يوسف، القاهرة، 2005

15- انجلو بيشي: نقوش جبل بزيمة، حوليات الاثار الليبية، طرابلس، 1964

16- اندرى بارو: سومر فنونها وحضارتها، ترجمة عيسى سلمان، بغداد، 1979

17- انطوان مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، 1967

18- أنطوان مورتكات: تموز، ترجمة توفيق سليمان، الطبعة الأولى، دمشق، 1985
19- انيس فريحة: دراسات في التاريخ، دار النهار، بيروت، 1980
20- باراديسي، و: النقوش الصخرية لعصور ما قبل التاريخ، ليبيا القديمة، العدد الأول، 1964
21- باربارا باريش: تقرير البعثة الليبية الإيطالية المشتركة لدراسة العصور الحجرية القديمة بالصحراء الليبية لسنة 1981-1982، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، ليبيا القديمة، مجلة سنوية تصدرها مصلحة الاثار الليبية، المجلد 15 و16، روما، 1987
22- باشو، جان ريمون: رواية رحلة إلى مرمرة وقورينة وواحتي اوجلة ومرادة، تعريب مفتاح عبد الله المسوري، بيروت، 1999
23- بالو ليونال: الجزائر في ما قبل التاريخ، ترجمة محمد الصغير غانم، الطبعة الأولى، عين مليلة، 2005
24- باولو غراتسيوزي: نقوش وادي الخيل الصخرية، ليبيا القديمة، المجلد الخامس، 1968
25- بصمه جي فرج: اقوام الشرق الادنى القديم، سومر، المجلد الثالث، الجزء الاول، 1947
26- بن السعدي سليمان: علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن 7 ق م، أطروحة دكتوراه، القسنطينة، 2008-2009
27- بن بو زيد لخضر: الطاسيلي ازجر في ما قبل التاريخ المعتقدات والفن الصخري، بسكرة، 2018
28- بن قيطون حمزة: المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882-1914)، جامعة وهران، وهران، 2014-2015
29- بن مبارك نسيم: الصناعة في نوميديا من 203 إلى 46 ق .م، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2009-2010
30- بهنام أبو الصوف: تجارة العراق القديم، مجلة بين النهرين، العدد 48، 1985
31- بو عزيز يحيى و(اخرون): طرق القوافل والاسواق التجارية في الصحراء الكبرى كما وجدها الاوربيين خلال القرن التاسع عشر، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984
32- تقرير موجز لتنقيبات الاثارية اليابانية في كهوف الطار: سومر، المجلد 43، العدد 1-2، بغداد، 1984
33- تقي الدباغ: الوطن العربي في العصور الحجرية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988

34- جان فيركوتر (وآخرون): الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، أصول مصر، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، 1986
35- جان بوتيرو: الشرق الادنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، 1986
36- جان مازيل: تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، ترجمة ريا الخش، دار الحوار، اللاذقية، 1998
37- عودة التاريخ الأنثروبولوجيا المعرفية العربية، دراسة في الأناسة المعرفية العربية التاريخية واللغوية ووحدتها، الجزء الأول، دمشق، 1997
38- جوان اوتس: بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، 1990
39- جورج حداد: المدخل في تاريخ الحضارات، مكتبة السائح، طرابلس، 1958
40- جورج يوحنا دوني: عمارة الالف السادس قبل الميلاد في تل الصوان، رسالة ماجستير، بغداد، 1986
41- جون ولسن: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة 1955
42- جيمس هنري برستد: انتصار الحضارة، تاريخ الشرق القديم، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، 1969
43- جيمس هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة حسن كمال، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996
44- جين بوترو و(آخرون): الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، جامعة الموصل، 1986
45- جيهان ديزانج و(آخرون): البربر الأصليون، تاريخ افريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات افريقيا القديمة، المشرف على المجلد د. جمال مختار، اليونسكو، باريس، 1985
46- حسن بكر الشريف: الصلات القديمة بين أوربا والبلاد العربية الإفريقية، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، اتحاد المؤرخين العرب، المجلد الأول، العدد التاسع، القاهرة، 2001
47- حسين فهد حماد: موسوعة الآثار التاريخية، حضارات، شعوب، مدن، عصور، حرف، لغات، مطبعة دار أسامة، عمان، 2003
48- حليمي عبد القادر: جغرافية الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1968
49- خالد قلواز وحليلي بن شرقي ولخضر سليم قبوب: دراسة اثرية للأضرحة المورية في شمال افريقيا، اضرحة جبل لخضر بالجدار- تيارت، مجلة تاريخ العلوم، العدد السابع، الجزائر، 2017

50- خلفة عبد الرحمان: الديانة الوثنية المغاربية القديمة، منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146ق .م، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، القسنطينة، 2008
51- رابح لحسن: أضرحة الملوك النوميد والمور: الجزائر، 2004
52- رابح لحسن: مدافن المور والنوميد دراسة أثرية وتاريخية لأهم الأضرحة المغربية المشيده في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، الجزائر، 2002
53- رابح لحسن: مدافن حكام المور والنوميد، دراسة أثرية وتاريخية لأهم الأضرحة المغربية المشيدة في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع ق.م والقرن السابع م، رسالة ماجستير، الجزائر، 1998-1999
54- رالف لنتون: شجرة الحضارة، ترجمة أحمد فخري، الجزء الأول، بيروت، 1961
55- رالف لنتون: شجرة الحضارة، ترجمة احمد فخري، الجزء الثالث، القاهرة، 1988
56- ربيع القيسي: تحريات وتنقيبات اثرية في دولة الامارات العربية المتحدة، سومر، المجلد 31، الجزء 1-2، بغداد، 1975
57- رجب عبد الحميد الاثرم: محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، الطبعة الثالثة، جامعة قار يونس، بنغازي، 1998
58- رشيد الناضوري: المغرب الكبير، العصور القديمة، الجزء الأول، بيروت، 1966
59- رشيد الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن التاريخ الحضاري، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1977
60- رشيد الناضوري: تاريخ المغرب الكبير، العصور القديمة، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1981
61- رضا جواد الهاشمي: الحجارة الاوبسيدية وأصول التجارة، سومر، المجلد 28، الجزء الاول والثاني، بغداد، 1972
62- رضا جواد الهاشمي: جوانب من تاريخ الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، سومر، المجلد 36، الجزء 1-2، بغداد، 1980
63- رضا جواد الهاشمي: الملاحة النهرية في بلاد الرافدين، سومر، مجلد 37، الجزء 1-2، بغداد، 1981
64- زينب غرابي قمار: تونس، المناطق النباتية الهامة في جنوب وشرق البحر المتوسط، الناشرون أ. رادفورد، ج. كاتولو و ب. دي مونتموالن، اسبانيا، 2011
65- سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي: تاريخ الشرق الأدنى القديم إيران والاناضول، وزارة التعليم العالي، بدون سنة طبع

66- سامي سعيد الأحمد: تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1979
67- سامي سعيد الاحمد: حضارات الوطن العربي كخلفية للمدينة اليونانية، بغداد، 1980
68- سامي سعيد الأحمد: تاريخ الخليج العربي من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، جامعة البصرة، 1985
69- سترابون: الكتاب السابع عشر، جغرافية سترابون (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي، 2002
70- سلاطنية عبد الملك: معالم فجر التاريخ بالشرق الجزائري (مدافن الركنية وقلعة بو عطفان)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1998-1999
71- سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الاول، القاهرة، 1940
72- سليم حسن: مصر القديمة: عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية، الجزء السابع، القاهرة، 1950
73- سيتون لويد: اثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد، 1980
74- شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969
75- صادق الحسيني: منجزات ومشاريع مديرية الاثار العامة، سومر، المجلد 22، العدد 1-2، بغداد، 1972
76- صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، جامعة بغداد، 1954
77- صالح بلعيد: في المسألة الأمازيغية، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 1999
78- صلاح رشيد الصالحي: العلاقات الحضارية بين المغرب ووادي الرافدين في عصر فجر التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، 1996
79- صلاح رشيد الصالحي: الاستراتيجية العسكرية للدولة الاشورية، اطروحة الدكتوراه، تحت عنوان (الوحدة الصحراوية) بغداد، 1998
80- صلاح رشيد الصالحي: تاريخ ليبيا القديم، جامعة ناصر، زليتن، 2000-2001
81- صلاح رشيد الصالحي: الفكر الديني في النقوش الصخرية الليبية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 8، بغداد، 2007
82- صلاح رشيد الصالحي: الطب في بلاد الرافدين – السحر والعقلانية في معالجة الأمراض، الكتاب العلمي السنوي الأول، مركز إحياء التراث، العدد الأول، بغداد، 2009-2010

83- صلاح رشيد الصالحي: تاريخ المملكة الحثية، دراسة في تاريخ بلاد الاناضول، الطبعة الثانية، بغداد، 2010
84- صلاح رشيد الصالحي: طير النعام في الحضارات القديمة، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد 24، واسط، 2014
85- صلاح رشيد الصالحي: بلاد الرافدين، دراسة في تاريخ وحضارة العراق القديم، الجزء الأول، بغداد، 2017
86- صلاح رشيد الصالحي: رحلة حنون القرطاجي نحو سواحل غرب افريقيا الأطلسية، بغداد، 2018
87- صموئيل كريمر: من الواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة أحمد فخري مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1956
88- طه باقر: علاقات العراق القديم، سومر، المجلد الرابع، الجزء الاول، 1948
89- طه باقر: عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، ليبيا القديمة، المؤتمر التاريخي 16-23 مارس، بنغازي، 1968
90- عامر سليمان: جوانب من حضارات العراق القديم، العراق في التاريخ، بغداد 1983
91- عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية، القاهرة، 1969
92- عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل بكار، الجزء السادس، دار الفكر، القاهرة، 2000
93- عبد الرزاق قرقاب: العصور الحجرية، تونس عبر التاريخ، الجزء الأول، تونس، 2007
94- عبد العزيز طريح شرف: جغرافية ليبيا، الطبعة الثانية، الإسكندرية، 1971
95- عبد العزيز عثمان: معالم تاريخ الشرق الادنى القديم، الجزء الاول، التاريخ السياسي، القاهرة. 1967
96- عبد الفتاح محمد وهيبة: مصر والعالم القديم، جغرافية تاريخية، الإسكندرية،1975
97- عبد القادر التكريتي: مدافن ومقابر البحرين، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، المجلد 11، العدد 1، بغداد، 1979
98- عبد اللطيف محمد البرغوثي: التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، الجزء الأول، ليبيا، 1971

99- عز الدين غربية: فلسطين تاريخها وحضارتها، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، 1981
100- عزيز طارق ساحد: المعالم الجنائزية بمنطقة سفيان الحضنة الشرقية، رسالة ماجستير في علم الاثار ما قبل التاريخ، الجزائر، 1998
101- عزيز طارق ساحد: التعمير البشري ببلاد المغرب في فترة فجر التاريخ-نموذج المعالم الجنائزية بمناطق الاوراس-دراسة أثرية معمارية، أطروحة دكتوراه في آثار ما قبل التاريخ، معهد الآثار، الجزائر،2008-2009
102- عزيز طارق ساحد: الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ (حالة معارف وآفاق) ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد السادس، الجزائر، 2014
103- علي خيدة: محاولة تنميطية لفخار وخزف موقع تازا برج الأمير عبد القادر القرن 13 هـ / 19 م، رسالة ماجستير، الجزائر، 2006
104- علي فهمي خشيم: نصوص ليبية، طرابلس، 1967
105- علي فهمي خشيم: آلهة مصر العربية، الجزء الأول والثاني، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة-الدار البيضاء، 1990
106- علي فهمي خشيم: سفر العرب الامازيغ، طرابلس، 1995
107- عوض الله الأمين و(آخرون): تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984
108- عويسي سمية: المعالم الجنائزية في المنطقة الجنوبية لولاية الطارف، دراسة وصفية تنميطية، شهادة الماجستير، الجزائر، 2015-2016
109- غابرييل كامبس: البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014
110- غابرييل كامبس: في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة العربي عقون، الجزائر، 2016
111- غوتي منال وسيلة سلاف: العصر الحجري الحديث في الجزائر، شهادة ماجستير غير منشورة، جامعة 8 ماي 1945، الجزائر، 2015-2016
112- فابريسيو موري: تادرارت اكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني و فؤاد الكعبازي، طرابلس، 1988
113- فاضل عبد الواحد علي: صناعة السلاح جذورها الأولى في العصور الحجرية، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 4، جامعة بغداد، بدون تاريخ
114- فدريكو دو اجوستيني: الأطلس العربي، الطبعة الاولى، بيروت، 1968
115- فرانكو ساتين: النقوش الصخرية بالكليبة وزنككرة، ترجمة عيسى سالم، ليبيا القديمة، المجلد الثاني، 1965

116- فرج بصمه جي: أقوام الشرق الادنى القديم، سومر المجلد الثالث، الجزء الأول، بغداد، 1947
117- فرج محمود الراشدي: المغرب القديم "أضواء على عصور ما قبل التاريخ ومشارف التاريخ"، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، العدد 14، بنغازي، 2016
118- فوزي فهيم جاد الله: مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت، ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، 1968
119- قحطان رشيد صالح: الكشاف الاثري في العراق، دار الكتاب للطباعة والنشر، بغداد، 1987
120- قعر المثرد السعيد: الزراعة في بلاد المغرب القديم، ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008
121- ك، ابراهيمي: تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة محمد البشير شنيتي، ورشيد بوريبة، الجزائر، 1982
122- كيحل البشير عطية: المقدسات والمعبودات الطبيعية لدى الانسان المغاربي القديم، المركز الجامعي زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، بدون سنة طبع
123- ليو اوينهايم: بلاد الرافدين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد، 1981
124- ليونال بالو: الجزائر في ما قبل التاريخ ترجمة محمد الصغير غانم، عين مليلة، 2005
125- محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
126- محمد المدلاوي: مبادي المقارنة الحامية السامية على ضوء مفهوم الفصائل الصوتية الطبيعية، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، وجدة، 1990، ص7
127- محمد الصغير غانم: التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه، الجزائر، 1981
128- محمد الصغير غانم: المقبرة الميجاليثية بونوارة (الشرق الجزائري)، جامعة منتوري، قسنطينة، عدد 15 جوان، قسنطينة، 2001
129- محمد الصغير غانم: معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، الجزائر، 2003
130- محمد الصغير غانم: مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، الطبعة الأولى، عين مليلة، 2003
131- محمد الصغير غانم: المعالم الحضارية في الشرق الجزائري فترة فجر التاريخ، الجزائر، 2006

132- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، الجزائر، 2008
133- محمد عزة دروزة: تاريخ الجنس العربي، الجزء الثاني، بيروت، 1376هـ
134- محمد المختار العرباوي: البربر عرب قدامى، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1993
135- محمد المختار العرباوي: اسلاف البربر واطروحات أخلافهم، مجلة التراث العربي، العدد 68، دمشق، 1997
136- محمد الميلي: المسألة الثقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد 41، 7، 1982
137- محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش، الطبعة الثالثة، تونس، 1993
138- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992
139- محمد الهادي حارش: دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب القديم، دار هومة الطبعة الأولى، الجزائر، 2001
140- محمد بن عبد المؤمن: عقائد ما بعد الموت عند بلاد المغرب القديم، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2011-2012
141- محمد بن عبد المؤمن: شعائر الدفن ومعتقد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم أثناء العصور الحجرية وفجر التاريخ، المؤتمر الدولي الأول– الاتجاهات الحديثة في علوم الآثار في الفترة 7-9 ابريل 2014، كلية الآثار – جامعة الفيوم، 2014
142- محمد حسين فنطر: المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني، مجلة إفريقية، 1985
143- محمد حسين فنطر: تونس أرض اللقاء، أرض حضارة، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1992
144- محمد حسين فنطر: اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة؟، مجلة افريقية للدراسات الفينيقية البونية والاثار اللوبية، العدد 12، منشورات المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002
145- محمد خير أورفه لي: وضعية المدينة في بلدان المغرب القديم خلال القرن الأول ق.م، حوليات وزارة الاتصال والثقافة، مديرية التراث الثقافي، الملتقى الرابع للبحث الأثري والدراسات التاريخية، تندوف من 19-إلى 24 نيسان، 1996
146- محمد رشدي جراية: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000ق.م، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2007-2008

147- محمد رشيد الفيل: تطور مناخ العراق منذ بداية البلستيوسين حتى الوقت الحاضر، مجلة كلية الآداب، العدد 11، بغداد، 1968
148- محمد سحنوني: ما قبل التاريخ، الجزائر، 1990
149- محمد سليمان أيوب: جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، الطبعة الأولى، طرابلس، 1969
150- محمد سيد غلاب ويسري الجوهري: الجغرافية التاريخية في عصور ما قبل التاريخ وفجره، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1968
151- محمد شفيق: ثلاثة وثلاثون قرن من تاريخ الأمازيغيين، دار مكتبة الفكر، طرابلس،1988
152- محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، المغرب، 2000
153- محمد صبحي عبد الله الدليمي: العراق وبلاد الشام العلاقات الحضارية والسياسية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر البابلي القديم، اطروحة دكتوراه، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، بغداد، 1990
154- محمد صبري قدسية: عمارة البيوت الدائرية في مطلع العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى، رسالة ماجستير كلية الآداب، قسم الاثار، بغداد، 1995
155- محمد عبد الجليل الصحراوي: عصور ما قبل التاريخ بالمغرب، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقي القديم وحضارته، الرباط، 2007
156- محمد عبد الهادي شعيرة: ليبيا – الاسم ومدلولاته، مجلة كلية الآداب والتربية، الجامعة الليبية، العدد الأول، 1958
157- محمد علي سعد الله: الدهور الحجرية القديمة في مصر والعراق وسوريا، الإسكندرية،2002
158- محمد علي عيسى: الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة، قسم التاريخ، جامعة الفاتح، طرابلس، 2011
159- محمد علي عيسى: الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، من خلال المصادر الاثرية والانثروبولوجية واللغوية، الطبعة الثانية، بنغازي، 2012
160- محمد مختار العرباوي: ظهور البربر بشمال افريقية، دراسات تاريخية، العدد 79-80، دمشق، 2002
161- محمد مختار العرباوي: في مواجهة النزعة البربرية وأخطارها الانقسامية، دمشق 2005
162- محمد مصطفى بازامة: تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973
163- محمد مصطفى بازامة: ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، دار مكتبة الفكر طرابلس، 1975

164- مراد زرارقة: المعالم الجنائزية الميغاليتية وشبه الميغاليتية لمنطقتي البرمة وجبل القرطاس (جنوب قسنطينة)، رسالة ماجستير في علم اثار ما قبل التاريخ، الجزائر، 2005-2006
165- مصطفى رميلي: المعالم الجنائزية لفجر التاريخ بمنطقة اشير، جبال التيطري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر،2002
166- مصطفى كمال عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، 1966
167- مفتاح عبد ربه الشلماني: التغيرات المناخية في الصحراء الكبرى، مؤتمر التصحر والصحراء، سبها، 2007
168- مفتاح عثمان عبد ربه وصالح رجب العقاب: مقبرة النشا بواحة جالو، المؤتمر الجيولوجي بجامعة قار يونس، 2005
169- منير بوشناقي: الضريح الملكي الموريطاني، ترجمة عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1979
170- مؤيد سعيد: الرسوم الجدارية منذ أقدم العصور، حضارة العراق، الجزء الثالث، بغداد، 1985
171- المير إسماعيل على :السلالات البشرية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1992
172- الناجي الأمجد: الخط المغربي والهوية المفقودة، مجلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 33، الرباط 1994
173- نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى، الجزء الأول، الطبعة السادسة، مصر، 1964
174- نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الادنى القديم، الجزء الثالث، ط 2، القاهرة، 1966
175- نعمت اسماعيل علام: فنون الشرق الاوسط والعالم القديم، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1975
176- نعيم فرح: موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، القسم الثاني، دار الفكر، دمشق، 1973
177- هـ. ج. هوغو: الصحراء فيما قبل التاريخ (الفصل الثالث والعشرون) تاريخ إفريقيا العام، المجلد الأول، جين أفريك، اليونسكو، 1980
178- هاري ساكز: عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، بغداد، 1979
179- هاري ساكز: عظمة آشور، ترجمة خالد أسعد عيسى واحمد غسان سباتو، دمشق، 2003
180- هاوكس و ل .وولى: أضواء على العصر الحجري الحديث، ترجمة يسري عبد القادر الجوهري، بيروت، 1967
181- هنري فرانكفورت: فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، الطبعة الثانية، بيروت، 1965

182- هنري لوت: لوحات تاسيلي، ترجمة انيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1967
183- هورست كلنغل: حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة غازي شريف، مراجعة علي يحيى منصور، بغداد، 1985
184- والتر، ب أمري: مصر في العصر العتيق، ترجمة راشد محمد نوير ومحمد علي كمال الدين، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1967
185- واليس السير. أي.أ. بودج .ك. ت: الساكنون على النيل، ترجمة نوري محمد حسين، الطبعة الأولى، بغداد، 1989
186- وائل فكري: موجز موسوعة مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، 2009
187- يان ايلينيك: الفن عند الإنسان البدائي، ترجمة جمال الدين الخضور، دمشق، 1994

References

1- Abbé Henri Breuil:”Les roches peintes du Tassili-n-Ajjer”, Actes du Congrès panafricain de préhistoire, II[e] session, Alger, 1952. Alger – Paris, Arts et Métiers graphiques , 1954
2- Abbè J. Roche: “Note préliminaire sur la Grotte de Taforalt (Maroc oriental. Actes de la Congres Pana-fricain de préhistoire (II[éme] session). 1952
3- Abbé J. Roche: “L’Atérien de la grotte de Taforalt (Maroc oriental)” Bulletin d’Archealoge Marocainne, t. 7. 1967
4- Abd el-Kader Haddouche et Smail Iddir:” Question-nement Sur la Protohistoire d’Alger, N. 6. Alger. 2007
5- Abdelwahed Ben-Ncer: “Etude de la sépulture Iberomaurusienne d’Ifrin’baroud (Rif oriental, Maroc)”, Antropologie, t 7, France. 2004
6- Abel Gruvel: “L’industrie des pêches au Maroc,” Dans Mémoires des Société des sciences naturelles du Maroc no. III. Paris. 1923
7- Adolph Erman: “Life in Ancient Egypt”, Courier Dover Publications. 1972
8- Ahmed Kerzabi: “Tassili N'Ajjer World Heritage Nomination.” Director of OPNT, Ministry of Information and Culture, Alger.1981
9- Ahmed Fakery:” The Egyptian Desert" Volume I, Bahria Oasis”, Cairo, Boulaq Government Press. 1942
10- Alain De Wailly: “Le Kaf El-Baroud et l’anciennetè de l’introduction du Cuivre au Maroc.” Bulletin d’Archèologie Marocaine, t. X. 1976
11- Alain Simoneau:" Recherches sur les gravures rupestres du Haut-Atlas Marcaine” Bulletin de la Société préhistorique française. Études et travaux, tome 65, n°2, 1968
12- Alan Gardner: “Ancient Egyptian Onomastic” Oxford University Press, 1945
13- Alan Cardiner:"Egypt of the Pharaohs,” Oxford. 1964

14- Albert Lejay: “Recherches préhistoriques au Maroc Oriental” Bulletin de la Société Préhistorique Française, 36. N. 1.1939
15- Alberto del-Castillo: “La civilization del vaso Campaniforme (su origen y extensión en Europa,” Barcelona. 1928
16- Albrecht Penck and Eduard Bruckner: “Die Alpen im Eiszeitalter,” (3 Bände) Leipzig, Tauchnitz, 1909
17- Alexander Robert Wilcox: “The Rock Art of Africa”, New York, Holmes et Meier publisher inc. 1984
18- Alexis Denis: “Stéles et Petroglyphes des Abda-Doukkala” Bulletin d’Archeologie Marocain Vol. 7. 1967
19- Alfred Butler: “The ancient Coptic churches of Egypt”. Vol. 2. Oxford: Clarendon Press. 1884
20- Alfred Muzzolini:” Saharan Africa”. In D. S. Whitley (Ed.), Handbook of rock Art research.Walnut Creek, CA: AltaMira. 2001
21- Alfred Muzzolini “Les images rupestres du Sahara”. Toulouse, FRA: Ed. par l’auteur. 1995
22- Alfred Muzzolini:” l'Art rupestre au Sahara” Le monde de l’Art, uncyclopédia Universalis, France. Paris. 2004
23- Alison V. Betts:” The Middle East”. In D. S. Whitley (Ed.), Handbook of rock art research Walnut Creek, CA: Altamira. 2001
24- Amilcare Fantoli: “La Scoperta di Manufatti Litici in Libia” Rivista delle colonie Italiane, Nos. 10–11. 1929 and 1930
25- András Zboray: “Rock art of the Libyan Desert” Published [DVD]. Newbury: Fliegel Jezerniczky Expeditions. 2005
26- András Zboray:” An unpublished shelter with prehistoric engravings of a possible late Pleistocene date in the North-central Sinai (Egypt)”. Sahara, 23, 2012

27- André Jodin:" L'age de Bronze au Marco" Actes des Congres panafricain de Préhistoire" (11) session .1952
28- André Jodin:" les Probléme de la Civilisation du vas Campaniforme au Maroc" Hespéris. t.XLIV. 1957
29- André Jodin: "Les grottes d'El-Khril à Achakar" Bulletin d'Archeologie Marocaine t. 3. 1958-1959
30- André Jodin: "Nouveaux documents sur la civilization du vas Campaniforme au Maroc. Congrés Prehistorique de France XV session –Monaco. 1959
31- André Jodian: "La nécropole Mégalithique d'El-Mriés" Bulletin de Archéologie Marocaine t. V. 1964a
32- André Jodin: "L'Âge du bronze au Maroc: La nécropole mégalithique d'El Mries" Bulletin d'archéologie Marocaine t. V. 1964b
33- André Jodin: "Vases modelés du Musée de Tanger," Bulletin d'Archéologie Marocaine, t. V. 1964c
34- André Jodin:"Les gravures rupestres du Yagour" Bulletin d'Archéologie t. V. Rabat. 1964d
35- André Jodin:"Origine et monde de tribus Meglithiques" Bulletin de Archéologie Mmarocaine. t.V .1964e
36- André Jodin:"Le gisements de cuivre du Maroc" Bulletin d'Archéologie Marocaine t. VI. Rabat. 1966
37- André Jodin:" La datation du mausolée de Souk el-Gour region de Meknès "Bulletin d'Archéologie Marocaine. t. VII. 1967
38- André Parrot: "Acquisitions inedits du Musee du Louvre" Paris, 1953. Pp. 1 ff . pls. I-III : 1953
39- André Simoneau: "Les Poignards Gravès du haut Atlas." Bulletin d'Archèologie Marocaine. t.VIII, Rabat. 1972
40- Andréa dué:"Le Sahara vert et l'Egypte prédynastique la revulution du Néolithique. Premiers vilages Premiers cultures" chapitre premier edition hatire parise. 1994

41- Angelo Ghirelli: "Los monumentos megaliticos de Mezora n África" Revista de Tropas Coloniales, 68. 1930
42- Anne C. Haour:" One hundred years of archaeology in Niger". Journal of World Prehistory, 17. part 2, 2003
43- Antoine Héron de Villefosse: "Note sur la découverte faites à Gabés et à Gafsa." Paris. 1889
44- Archibald Henry Sayce: "The Races of the old Testament," Printed by the White friars Press, second (ed.). London. 1925
45- Armand Luquet: "Contribution à l'atlas Archéologique Maroc: Region de Rharb" Bulletin d'Archéologie Marocaine. t. VI. 1966
46- Armand Ruhlmann: "Enceintes Préhistoriques Marocaines" Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc t. 10. Casablanca. 1936a
47- Armand Ruhlmann: "Les grottes préhistoriques d'El-Khanzira" Publications du service des Antiqutés du Maroc. Publisher, P. Geuthner, 1936b
48- Armand Ruhlmann: "Les Rechérches de préhistoire dans L'exréme Sud Marocaine" Publications du service des Antiquités du Maroc. t. 5. 1939a
49- Armand Ruhlmann: "Le tumulus di sidi Slimane (Gharb)" Bulletin de la Société de préhistoire du Maroc, t 12. 1939b
50- Armand Ruhlmann: "L'homme fossile de Rabat" Hespéris Vol. 32. Paris. 1945
51- Armand Ruhlmann: "Le Maroc Préhistorique" Bulletin de la Société d'histoire Naturelle du Maroc. 1948
52- Armand Ruhlmann:" Le grotte préhistorique de Dar es-Saltan" Hesperis II. 1951
53- Arsène Dumont: "La poterie des Kroumire et des dolmens "Bulletin de la Société d'Anthropologie de Paris. 4 série. t. IX. 1898

54- Arthur Debruge: “Bougie compte rendu des familles faites 1904” Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Département de Constantine. t. XXXIX. 1905
55- Arthur Debruge: “La Préhistoire dans les environs de Tébessa.” Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique du Constantine. t. XLIV. 1910
56- Attilio gaudion: “Les civilisations du Sahara dix Millénaires d'Histoire ,de culture et de grande: Commerce, collection Marabout, Paris: ,Edition Gérard and C ,Verviers.1967
57- Auguste Pomel: “Carte géologique de l’Algérie – Paléontologie, Monographies Algiers,” Publications du service Géologique de l’Algérie. 1893
58- Augustin Holl:” The land of Houlouf: Genesis of a Chadic polity, 1900 B.C.–a.d. 1800” In Memoirs of the Museum of Anthropology. Vol. 35. Ann Arbor: University of Michigan Museum. 2002
59- Augustin Holl:” Saharan rock art, archaeology of Tassilian pastoralist iconography”.Lanham Altamira Press, Rowman and Littlefield. 2004
60- Austen Henry Layard:”Monuments of Nineveh” first series, London. 1853
61- Axel Van Albada and Anne-MichelleVan Albada:”La montagne des hommes-chiens. Art rupestre du Messak Libyen”. Paris: Edition du Seuil. 2000
62- Aydin Dha: "New rock paintings discovered in Latmos" Ankra. 1918
63- Bahnam Abu Al-soof: " Uruk pottery origin and distribution, " Mosul. 1985
64- Barbara Barich:”Northwest Libya from the early to late Holocene: New data on environment and subsistence from the Jebel Gharbi”. Quaternary International, 320, 2014

65- Barbara E. Barich and Grunert, J: “Hamada el- Hamra, Oubari-Murzouk” In Sahara Palaeoenvironment and prehistoric Populations of the Sahara. ed Tillet, T . Paris. and Montreal: L'Harmattan. 1997
66- Béatrix Midant-Reyne: “The Naqada period c. 4000-3200 B.C “Edited Ian Shaw. The Oxford History of Ancient Egypt .Oxford. 2003
67- Bedŕich Hroznŷ: "Ancient history of western Asia, India, Crete” Translated by jindŕich Prochazka. Prugue.1953
68- Benjamin Smith:”Ideas on the later cultural history of the central Sahara”. Sahara, 12, 2000
69- Benjamin Smith:” Rock art research in Africa”. In Paul Lane and Peter Mitchell (Eds.), Handbook of African archaeology. Oxford: Oxford University Press. 2013
70- Berbrugger, A: “Chroniques Archéologiques à Roknia” Revue Africaine. T. VIII. 1864
71- Bernabo Brea L:” La Sicilia prehistorica y sus relaciones con oriente y con la peninsula Ibérica Amputias t.XV-XVI. 1953-1954
72- Bernard Rosenberger: “Les vieilles exploitations miniéres et les anciens centres métallurgiques du Maroc” Revue de geographie du Maroc. n. 17. 1970
73- Bernardo Sáez martin:" sobre una supuesta edad del Bronce en Africa menor y Sáhara " Actes du congres Panafricaine de Prehistoire 11^{em} session .Alger.1952
74- Berthold Laufer: “Ostrich Egg-shell cups of Mesopotamia and the Ostrich in Ancient and Modern Time “Field Museum of Natural History, Chicago. 1926
75- Biagio Pace, Sergio Sergi and Giacomo Caputo:” Scavi sahariani. Ricerche nell’Uadi el-Agial e nell’Oasi di Gat”. Monumenti Antichi XLI. 1951
76- Biagio Pace: "Arte e Civilta della Sicilia Antica" Studi Storici. Vol.1. Roma. 1954

77- Billie Jean Collins: “Hero field Master, King: Animal Mastery in Hittite Texts and Iconography “Edited by Derek B. Counts and Bettina Arnold. Budapest. 2010
78- Bolelli, E, Marçais, J et Paul Pascon: “Note sur les vases de pierre découverts a Souk- el- Khmis des Ait Ouahi (Nord marocaine)“ Bulletin d’Archéologie Marocaine. t. I. 1956
79- Bonnell, M:”Monؤuments greco-punique de la Souma” Recueil de la Sociéte Archéologique de Constantine.t. 49. 1915
80- Bouzouggar, A., Barton, N., Vanhaeren, M., d’Errico, F., Collcutt, S., Higham, T., Hodge, E., Parfitt, S., Rhodes, E., Schwenninger, J-L., Stringer, C., Turner, E., Ward, S., Moutmir, A., Stambouli, A:” 82,000-year-old shell beads from North Africa and implications for the origins of modern human behavior”Proceedings of the Nationa Academ y of Sciencesو 104, 2007
81- Brian Herbert Warmington: “Carthage,” Pelican book. London. 1960
82- Briggs L. Cabot: “Les hommes paléolithiques de Rabat et de Tanger “étude comparative Bulletin de la société d’Histoire Naturelle de l’Afrique du Nord, Vol. 39. Alger. 1948
83- Bruce Howe and Hallam L. Movius: “A Stone age cave site in Tangier “Peabody Museum Harvard University. 1947
84- Bruce Howe: “The Palaeolithic of Tangier, Morocco: Excavations at Cape Ashakar, 19139-1947” Bulletin of the American of Prehistoric Research 22: 1967
85- Bruce Trigger: “Ancient Egypt“, Cambridge University Press. Cambridge. 1996
86- Camille Arambourg, Marcellin Boule, Henri V. Vallois, R. Verneau:” les grottes paléolithiques de Beni-Seghouals (Algérie)", Published by Masson Paris. 1934

87- Camille Arambourge: “Nouvelles observations sur le gisement de l’Ain Hanech, Comptes Rendus de l’Académie des Sciences Vol. 239. 1953
88- Camille Arambourge:” L’Hominien Fossile de Ternifine Algerie.” Comptes Rendus des Séances de l’Académie des Sciences, Vol. 239. Paris, 1954
89- Camille Arambourg et Pierre Biberson: “Decouverte de Vestiges Humains Acheuléen dans la carriére de Sidi Abderrahman près Cazablanc dans comtes Rendus des Séances de l’Académie des Sciences t. 240. 1955
90- Camille Arambourg:” Appendix, A, Observations sur la Faune des Grottes d’Hercule prés de Tanger, Maroc” dans the Palaeolithic of Tanger Morocco. Vol 22. In Howe B (Ed.). 1967
91- Camille Viré: “l’époque libyque dans la basse vallée de l’lsser (Kabyle occidentale)” Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiques. Paris. 1913
92- Capitaine Aymard, A:” Les Touareg”. Paris: Hachette. 1911
93- Capitaine Claude-Antoine Rozet ():” Voyage dans le régence d’Alger”, Alger, t. I. 1833
94- Capitaine Petit. M:”Note sur les Tumuli d’Ain Safra”, Bulletin de la Société de Géographie et d’Archéologie de la Province d’Oran, t.25. 1905
95- Capitaine Voinot, L: “Note sur les Tumuli et quelques vestiges d’anciennes agglomérations de la région d’Oujda”, Bculletin de la société de géographie et d’archéologie de la province d’Oran, t.33, Oran. 1913
96- Capitaine Zeil: “Remarques succuncles sur les tombeaux dils bazinas compris entre Metlaoui, le Berda l’Orbata et le Sehib.” Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiquesc. Paris. 1904
97- Caterina Ottomano: “Analisi mineralogico-petrografiche delle ceramiche di SHM-1” In: Mulazzani, S (Ed.), Le Capsien de Hergla (Tunisie) Culture

environnement et economie, Reports in African Archaeology 4. Africa Magna Verlag, Frankfurt, 2013
98- Cesare Emiliani: "Planet Earth: Cosmology, Geology, and the Evolution of Life and the Environment". Cambridge University Press. Cambridge .1992
99- Charles Brian Montagu McBurney: "La grotte de l'Hyène" L'Anthropologie t. 54. Paris. 1950
100- Charles Brian Montagu McBurney, J. C. Trevor and L. H. Wells: "The Haua Fteah Fossil Jaw" The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol. 83. No. 1. 1953
101- Charles Brian Montagu McBurney and Richard William Hey:"Prehistoric and Pleistocene Geology in Cyrenaican Libya "Cambridge University Press. 1955
102- Charles Brian Montagu McBurney: "The stone age of Northern Africa," Harmondsworth. Published by Pelican Book. London.1960
103- Charles Brian Montagu McBurney: "Haua Freah (Cyrenaica) and the stone age of the south-east Mediterranean. Cambridge University Press. 1967
104- Charles Brian Montagu McBurney: "Libya in History" In Libya in History. Edited by Fawzi F. Gadallah, 1-29. Benghazi: University of Libya. 1968
105- Charles Darwin: "On the Origin of species by means of natural selection or the preservation of favoured races in the struggle for life. London. 1859
106- Charles Reed: "A review of the Archaeological evidence on animal domestication in the prehistoric Near East "Studies in Ancient. Oriental Civiliztion.31. 1960
107- Charles-Joseph Tissot: "Les monuments Mégalithiques et les populations blondes du Maroc" Revue d'Anthropologie, t, 5. Paris. 1876
108- Charles-Joseph Tissot: "Recherches sur la geographie comparée de la Maurétanie tingitane," Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des

inscriptions et Belles- lettres de l'Institute de France, Vol. 9. Paris. 1878
109- Charles Goetz:" La céramique néolithique en Oranie", Bulletin trimestriel de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran, vol. LXIII, 1942
110- Charles Kuentz: "La danse des Autruches", Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie orientale 23 .1924
111- Chester G. Starr: "The origin of Greek Civilization 1100-650 B.C, "New York. 1961
112- Choubert, G et Roche J. Abbé: "Notes sur les industries anciennes du plateau de Salé" dans Bulletin d'Archéologie Marocaine t 1. 1956
113- Christiane Boube-Piccot:" Les bronzes antiques du Maroc". Rabat. 1969
114- Claude Granger: "Voyage dans l'Empire ottoman, 1733-1737" L'Harmattan, Paris, 2006
115- Claude Leredde:"Etude Écologique et Phylogéographies du Tassili et N'jjili", Travaux Institut de recherches Sahariennes de l'Université d'Alger, t 2. 1957
116- Clémentine Gutron:" Mise en place d'une archéologie en Tunisie : Le musée Lavigerie de Saint Louis de Carthage (1875-1932)" In Revue IBLA, Tunis, n° 194, 2004
117- Colonel Edgard Pothier:"Les tumulus de la daïa de Tilghemt" Revue d'Ethnogr. t. V. 1886
118- Corisande Ferwick: "North Africa: History of Archaeology" In N. A. Silberman (ed.) The Oxford Companion to Archaeology. (2nd edition) Oxford: Oxford University Press, 2012
119- David Conwell: ''On ostrich eggs and Libyans Traces of Bronze Age People from Bates ", Expedition, 29. Part. 3. 1987
120- David J. Mattingly:"The Archaeology of Fazzan" Volume 1, Synthesis. Department of Antquities. Tripoli, 2003

121- David S. Whitley:” Introduction to rock art (2nd ed.)”. Walnut Creek, CA: AltaMira Press. 2011
122- David Wengrow: “The Archaeology of Early Egypt: Social Transformations in North-East Africa, C. 10,000 to 2,650 BC “, Cambridge University Press. 2006
123- Denis C. Deeming: “The Ostrich Biology, Production and Health “London, 1999
124- Desmond J. Clark: “The Stone ball: its associations and use by prehistoric man in Africa. In Balout, L (Ed.), Congrès Panafricain de Préhistoire: Actes de la IIe Session. Alger. 1952
125- Didier Pauphilet: “Monument Mégalithique à Maktar “Karthago. t. IV. 1953
126- Dirk Huyge , Dimitri A Vandenberghe , Morgan De Dapper, Florias Mees , Wouter Claes , and John **C**. Darnell: “First evidence of Pleistocene rock art in North Africa: Securing the age of the Qurta petroglyphs (Egypt) through OSL dating”. Antiquity, 85. 2011
127- Dixon Denham, Hugh Clapperton and Walter Ouden: “Narrative of travels and Discoveries in Northern and central Africa” Publisher John Murray. 1828
128- Docteur Pinchon:” Stations de surface et tumuli la region de Bossuet et du Télagh (Oran)” Congr, préhist. De France, XIIE Session. Toulouse-Foix. 1936
129- Docteur Henri Barth: “Voyage decouvertes dans L'Afrique Septentrionale et Central” pendant les années 1849 à 1855. Vol 1. Bruxelles. 1855
130- Dominique Collon: “First Impressions: Cylinder Seals in the Ancient Near East”. The University of Chicago Press, Chicago 1987
131- Donald Harden: “The Phoenicians,” Pelican book. London. 1971

132- Dr Louis Carton: “Découvertes épigraphiques et archéologiques faites en Tunisie.” Mémoire. De la Société des Sciences de Lille. V^{e} série. 1895
133- Dr Louis Carton: “Le sanctuaire de Tanit à El-Kénissia”. In: Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des inscriptions et belles-lettres de l'Institut de France. Première série, Sujets divers d'érudition. Tome 12, 1e partie, 1908
134- Dr. Reboud: “Notes Archéologiques sur les ruines de djlfa” La Revue Africaine. t.I . 1856
135- Duane W. Roller:” The World of Juba II and Kleopatra Selene "Routledge London.2003
136- Edgard Pothier (Colonel): “Les tumulus de la Daia de Tilghment” Revue d’Ethnographie t.V. 1886
137- Edouard Michaud-Bellaire: “Tanger et sa zone” Villes et Tribus du Maroc. Vol. 7. Paris. 1921
138- Eduardo Garcia Hernandez: “Un Abrigo con Pinturas Rupestres en beni-Issef” Mauritania 14. 1941
139- Elizabeth Douglas Van Buren:” The Fauna of Ancient Mesopotamia as Represenin Art “Roma. 1939
140- Emanuele Cancellieri and Savino di Lernia:” Re-entering the central Sahara at the onset of the Holocene: A territorial approach to Early Acacus hunter–gatherers (SW Libya)” .Quaternary International, 320, 2014
141- Émile Masqueray: “Voyages dans l’Aouras”, Bulletin de la Société de Géographie, Paris. 1876
142- Émile-Louis Bertherand (Dr): “Fouilles des dolmens du plateau de Beni Messous” Bulletin de la Socété de Climatol Algér. t. V. 1868
143- Emmanuel Anati: “La Religion des Origines” Trad Patrick Michel Paris. Edition Bayard. 2. Paris. 1999
144- Enrico Ascalone: “Mesopotamia, Assyrians, Sumerians, and Babylonians “London: 2007

145- Ernest A. Wallis Budge: “The Principal Geographical and Mythological Places in the Book of the Dead “British Museum. 1895
146- Ernest G. Gobert: “Les poteries modelées du paysan tunisien”. Revue Tunisienne. 1940
147- Ernest Théodore Hamy (Dr): “Cités et nécropoles de l’Enfida, Tunisie moyenne, études ethnographique et archéologique” Bulletin de Géographie historique et descriptive, t. XX. 1904
148- Ernest-Gustave Gobert et Pierre Cintas: “Les tombes de Jbel Melezza” Revue Tunisienne, n.s. n° 38-40, 1939
149- Ernest-Gustave Gobert: “Le gisement Paléolithique de Sidi-Zin”, Karthago t. I. Tunis 1950
150- Enrique Gozalbes Cravioto and Helena Gozalbes García: “Nuevos datos sobre el círculo megalítico de Mezora (Marruecos).” Almogaren 46-47. Institutum Canarium. 2015-2016
151- Étienne Darrelle (Dr): “Les Haouanet de Tunisie” Bulletin de la Société d’Anthropologie de Paris 5 série, t. X. 1909
152- Étienne Deyrolle: “Haouanet à lits et faces humaines” Bulletin de la société archeologique de Sousse t. II. 1904
153- Fabrizio Mori:” Ricerche paletnologiche nel Fezzan”. Rivista di Scienze Preistoriche, 11, 1956
154- Fabrizio Mori:” Perhistoric Saharan Art cultures in the light of discoveries the Acacus Massif” (Libyan Sahara) .1965a
155- Fabrizio Mori:” Tadrart Acacus. Arte Rupestre e Culture del Sahara Preistorico. Torino, 1965b
156- Fabrizio Mori: “Prehistoric Saharian art discoveries in the Acacus Massif (Libyan Sahara)” In: Libya in History, University of Libya. 1968
157- Fabrizio Mori:” The earliest Saharan rock-engravings”. Antiquity, 48, 1974

158- Fekri Hassan:” Rock art: Cognitive schemata and symbolic interpretation”. In G. Calegari (Ed.), L’Arte d l’Ambiente del Sahara prehistorico: Dati e interpretazioni (pp. 269–282). Milano, Italy: Museo Civico di Storia Naturale .1993
159- Fernand Logeart: “Grottes Funéraires hypogées et caveaux sous roches de Sila Fouilles 1933-1934”. Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologiques de la province de Constantine t. LXIII. 1935-1936
160- Flamand, G. B. M:” Les Pierres écrites (Hadjrat-Maktoubat): Gravures et Inscriptions rupestres du Nord Africain. Paris. 1921
161- Francesca Caputo: “Soavi Sahariani In Libia” 1934
162- Franciscus Buecheler et Alexander Riese (ed.):” Antologia Latina” leipzig, n. 183 .1894
163- Franck Bourdier:”Préhistoire et protohistoire” Bulletin de la Société Préhistorique Française. t. 47. n. 11-12. 1950
164- François Decret et Mhamed Fantar: ”L'Afrique du Nord dans L'Antiquité”,(Ed.) payot , Paris,1998
165- François Soleihavoup:”L’art mystérieux des Têtes Rondes au Sahara”. Paris: Faton.2007
166- Fred Wendorf and Romuald Schild : “The Middle Paleolithic of North Africa " New light on the Northeast African Past, Heinrich – Barth – Institute, Koln , 1992
167- Frédéric Portal: “Comparison of Egyptian Symbols with Those of the Hebrew “, Kessinger Publishing. 2003
168- Frederick Roelker Wulsin:” The Prehistoric archaeology of North-West Africa”, Cambridge Massachusetts 1941, Papers of the Peaboby Museum of African Archeology and Ethnology, Harvard University. XIX, no 1. New York. 1968

169- Frederick Catherwood: “Remains of an Ancient structure et Bless in the Southern Part of the Regency of Tunis”. Transaction of the American Ethnological Society, 1845
170- Frederick Konrad Hornemann: “Journal of Travels … travels from Cairo to Murzouk the Capital of the Kingdom of Fezzan, in Africa, in the Years 1797 – 1798” London. 1802
171- Frederick E. Zeuner: “Dating the Past” London. 1962
172- F. Sattin and G. Gusmano:”La cosiddetta (Mummia) infantile dell Acacus nel quadro delle Costumanze Funebri Preistoriche Mediterranee e Sahariane” Published by the directorat General of Antiquities Museums and Archives, Tripoli. 1964
173- Furon Raymond: “Manuel de Préhistoire general” Paris. 1958
174- Gabriel Camps: “Les dolmens de Beni Messous” Libyca, Anthropologie. Archéologie préhistorique. t. I. 1953
175- Gabriel Camps:” La nécropole de Draria El-Achour” Libyca”, Archéologie, t. III. 1955
176- Gabriel Camps: “Aux origines de la Bérbérie, Massinissa ou les débuts de l’histoire, Libyca”, Imprimerie officielle, 1960
177- Gabriel Camps:” Aux origines de la Berbèrie. Monuments et rites funéraires protohistoriques”. Edit. Arts et Métiers Graphiques. Paris, 1961
178- Gabriel Camps: “Un mausolée marocain, la grande bazina de Souk el-Gour “Bulletin d’Archéologie Marocain t. 4. 1962
179- Gabriel Camps: “A propose d’une étude sur la protohistoire de la Tunisie” Libyca, t. XI. 1963
180- Gabriel Camps: “Les civilisations préhistoriques de l’Afrique du nord et du Sahara,” Paris, 1974
181- Gabriel Camps: “Les Berbères aux marges de l’histoire” Toulouse. 1980

182- Gabriel Camps:” Protohistoire de l’Afrique du nord, questions de terminologie “Magazine L.A.P.E.M.O. 1986.
183- Gabriel Camps:” Le néolithique méditerranéen (techniques et genres de vie) ", édisud .france. 1998
184- Gadallah, Fawzi F: “Problems of pre-Herodotan sources in Libyan history” Libya in History, part 2, Benghazi. 1971
185- Garcia Herandez: “Un abrigo con pinturas rupestres en Beni Issef” Mauritania 14. 1941
186- Gaston Buchet: “Note préliminaire sur quelques sépultures anciennes du Nord-Oust du Maroc” Bulletin de Géographie Historique et Descriptive des travaux historiques et scientifiques, t. III. Paris. 1907
187- Gaston Buchet: “Note préliminaire sur quelques Sépultures anciennes du Nord/Ouest du Maroc” Bulletin de Géographie Historique et Descriptive du Comité des travaux Historicues et scientifiques t. 3. Paris. 1908
188- Gaston Buchet: “Recherches archéologiques au Maroc, III La Caverne des Idoles au sud du Cap Spartel”. Archives Marocaines, Mission Scientifique du Maroc, Vol .XVIII. Paris. 1912
189- Geoffrey Avery Wainwright: “The Meshwesh” Journal of Egyptian Archaeology 48. London. 1962
190- Georg Möller: “Die Ägypten und ihre libyschen Nachbaren” Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. 78. 1924
191- George Edward Bonsor: “The Archaeological expedition along Guadalquivir,” New York. 1931
192- George Francis Lyon: “A Narrative of travels in North Africa” London. 1821
193- George Rawlinson: “The Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World “Vol. I. 1862–1867

194- Georges Souville: “Les Grottes à ossements et industries préhistoriques del’oust d’Alger” Libyca t.I. 1953
195- Georges Souville: “La préhistoire au Maroc” Libyca, t. IV. 1955-1956
196- Georges Souville: “Le Tumulus de Si Allal El-Bahraoui” Libyca. t. VI. VII. 1958-1959
197- Georges Souville: “Une curieuse Hache bronze de la règion des Bèni Snassen.” Bulletin d’Archèologie Marocaine, t. V. 1964
198- Georges Esperandieu: "Domestication et elevage dans le nord de l'Afrique au Neolithique et dans la protohistoire d’apres les figurations rupestres"Actes des Congres panafricain de prehistoire session 11. Edited by L. Balout. Communication no.53, 1952
199- Georges-Barthélémy Médéric Flamand:”Deux Statio-ns Nouvelles des Pierres Ecrites, (Gravures Rupestres) Découvertes dans le Cercle de Djelfa, Sud-Algérois”. L’Anthropologie, t. XXV, 1914
200- Gerard Jacquet:”l'Arche du déluge. Art du Messak: messager du desert”. Edition Vivrance- Gronable. France, 1999. p 19
201- Gérin-Ricard: “Sépulture Libyco-berbère avec bracelets de laiton à décor géométrique. Trouvée près d’Alger” Bulletin Archeologique du Comité des travaux historiques et scientifiques. 1930-1931
202- Gilbert Charles Picard: “Civitas Mactaritana”, Karthago, VIII, 1957
203- Ginette Aumassip:”Chronologie de l'Art rupestre saharien et Nord Africain”,paris: Edition Jacque Gardini, Paris. 1993
204- Gordon V. Childe: “The prehistory of European Society,” London. 1958
205- Gordon V. Childe: "What Happened in History” Penguin books. London, 1964

206- Gordon V. Childe:”New light on the Most Ancient – East “London. 1954
207- Guyon, M: “Notes sur des tombeaux d’origine inconnue situés au Ras Aconater entre Alger et Sidi-Ferruch, Compte rendu de l’Académie. des Sciences. 26 Octobre. 1846
208- Hans Alexander Winkler:” Rock-drawings of southern Upper Egypt I” London: The Egypt Exploration Society. Oxford University press. 1938
209- Hans Leisen, Sabine Krause, Heiko Riemer, Jürgen Seidel, and Erik Büttner:” New and integral approaches to rock art recording as means of analysis and preservation”. In R. Kuper (Ed.), Wadi Sura: The cave of beasts; a rock art site in the Gilf Kebir (SW-Egypt). Köln, DEU: Heinrich-Barth-Institut. 2013
210- Heiko Riemer:”Prehistoric rock art research in the western desert of Egypt”. Archéo-Nil, 19, 2009
211- Hélène Balfet: “La poterie de Ait Smail du Djurjura”. Revue africaine. t.XCIX. 1955
212- Helene J. Kantor: “A Predynastic Ostrich egg with incised decoration “Journal of Near East Studies 7. 1948
213- Henri Breuil:”Les roches peintes du Tassili-n-Ajjer daprés les relevés du Colonel Brenans”. Paris: Art et Métiers Graphiques. 1952
214- Henri Duveyrier: “Les Touareg du Nord “Paris. 1864
215- Henri J. Hogot:” Prehistory of the Sahara” General History of Africa, 1981
216- Henri Lhote: “A La Découverte des Fresques de Tassili” Paris: Arthaud. Paris. 1958
217- Henri Lhote:” L'abbé Breuil et le Sahara” Journal De La Société Des Africanistes 32 n°1, 1962
218- Henri Lhote:” Les Gravures rupestres du Sud-oranais”, Arts et Métiers graphiques, Paris,: 1970

219- Henri Lhote:” Les gravures rupestres du nord-ouest de l’Aïr”. Paris: Arts et Métiers graphiques, Journal des Africanistes,Vol. 42. Paris.1972
220- Henri Lhote:” Les gravures rupestres De l'Atlas Saharien Monts Des Ouled Nail Et région de Djelfa, (Algerie)” Edition Office Du Parc National du Tassili. 1984
221- Henri Duveyrier:” L’exploration du Sahara. Les Touaregs du Nord”. Paris: Challamel. 1864
222- Henri-Victor Vallois: “L’Homme de Sidi Ahmed Lahbib (l’Homme de Berkane)” Libyca t. IV. 1956
223- Henry de Gérin-Ricard: “Sépulture libyco-berbère avec bracelets de laiton à décor géométrique trouvée près d’Alger” Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiques. Paris. 1930-1931
224- Henry Koehler:” La grotte d’Achaker au Cap Spartel” Etudes de Préhistoire Marocaine Vol. I, Bordeaux. 1931
225- Henry Koehler: “La civilisation mégalithique au Maroc “Bulletin de la Société préhistorique Française t. XXIX. Paris .1932
226- Henry Pomart:” Étude sur le Madracen (Tombeau de syphax) et le Kebeur Roumia (Tombeau de la chrétienne). Revue africaine N° 61. 1920
227- Henry Raynaud: “Le Dolmen d’Amerzuast” Bulletin de la Société préhistoire du Maroc, t 11 Année 3e et 4e trim. 1937
228- Henry T. G. James.: “Tutankhamun: The Eternal Splendor of the Boy Pharaoh” Tauris Parke. London. 2001
229- Herbert Harold Read and Janet Watson: “Beginning Geology “London. 1977
230- Hérodote: Histoire , traduit par PH. E. Legrand, 5e édition, Les belles lettres, Paris, 1972
231- Herodotus: (L.C.L) Translated by A. D. Godley. IV. 192

232- Herodotus: “The Histories”, translation by A. D. Godley. Cambridge. Harvard University Press. 1920
233- Hugo Obermaier: “L’äge de l’Art Rupestre de nord-africain” L’Anthropologie. t. XLI. 1931
234- Ian Hodder and Craig Cessford: “Daily Practice and Social Memory at Çatalhöyük”, American Antiquity 69. 2004
235- Ian W. Cornwall: “The World of Ancient Man” London. 1964
236- Itamar Singer: “The "Land of Amurru" and the "Lands of Amurru" in the Šaušgamuwa Treaty". Iraq 53: 1991
237- Jaâfar Ben Nasr:” Nouvelles peintures rupestres inédites à labri d’Aïn Khanfous (Jebel Ousselat: Tunisie centrale)”. Sahara, 14, 2003
238- Jacke Phillips: “Aegyptiaca on the island of Crete in their chronological context” : A critical review. 2 volumes. Contributions to the Chronology of the Eastern Mediterranean 18. Vienna: Österreichische Akademie der Wissenschaften. 2008
239- Jacques Malhomme:”Les gravures rupestres du grand Atlas” Actes de la congrés Panafricain de préhistoire II^{em} Session. 1952
240- Jacques Meunié et Charles Allain: “Quelques gravures et monuments funéraires de L’extréme Sud-East Marocaine” Hesperis. t. XLIII. 1956
241- Jacques-Henri, Drouet: “La necropole de foum El-Rejean. “ Hesperis. t. XIL. 1958
242- Jaime Lira , Anna Linder Holm , Carmen Olaria , Brandström Durling, M., Thomas P. Gilbert,., Hans Ellegren .,Eske Willerslev , Kerstin Lidén , Anders Götherström :” Ancient DNA reveals traces of Iberian Neolithic and Bronze Age lineages in modern Iberian horses. Molecular Ecology, 19. Part 1, 2010

243- Jamel Zoughlami: “Le Néolithique de la dorsale Tunisienne. Kef el guéria et sa region centre des Publications Universitaires. Tunis. 2009
244- Jamel Zoughlami: “Preméres interventions a SHM-1 (Hergla, Tunisie): Les fouilles1969-1971.” In: Mulazzani, S, (Ed.) Le Capsien de Hergla (Tunisie) Culture Environnement et Economie, Reports in African Archaeology 4. Africa Magna Verlag, Frankfurt. 2013
245- James Henry Breasted: “Ancient Records of Egypt”, Part 3. 1906
246- James L. Forde-Johnston: “Neolithic cultures of North Africa” Liverpool University Press. 1959
247- James Mellaart:”Hacilar in illustrated” (London news no 6341), 1961
248- James Mellaart: “Excavations at Çatal Höyük” Anatolian Studies 12. 1962
249- James Mellaart: “Excavations of Hacilar” Edinburgh. 1970
250- James Mellaart: “The Neolithic of near east" London. 1975
251- Jan Jelinek:” Tilizahren, the key site of fezzanese rock art (a)”. Anthropologie, 23. Part. 2, 1985
252- Jan Jelinek:” Sahara. Histoire de l’art rupestre libyen”. Grenoble, FRA: Jérôme Millon. Paris. 2004
253- Jane Callender: “Dorothy Garrod’s excavations in the late Mousterian of Shukbah Cave in Palestine,” Reconsidered. Proceedings of the Prehistoric Society. Vol. 70: 2004
254- Jaroslav Tyráćek and Rahim M. Amin:”Rock pictures (petroglyphs) Near Qaár Muhaiwir Iraqi Western desert, Sumer. Vol 37. No. 1-2. Baghdad. 1981
255- Jean Baptiste Chabot: “Recueil des inscriptions Libyques” Publisher Imprimerie Nationale. 1940

256- Jean Célérier: "La géographie de L'histoire au Maroc," Mémorial H Basset .t.I. Second editions. Paris. 1928
257- Jean Malhomme: "Les petroglyphs du grand Atlas," Act de congrés préhistorique de France. Session XVI. Monaco. 1959). 1965
258- Jean Marçais: "Découverte de restes Humains fossils dans les grès quaternaires de Rabat, (Maroc)" L'Anthropologie T XLIV. 1934
259- Jean Pierre Maître:" Contribution à la préhistoire de l'Ahaggar. Téfedest centrale", Edit. A.M Paris, Mém. du centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques, n° XVII, 1971
260- Jean Pierre Savary: "Monuments en pierres sèches du Fadnoun (Tassili-N'Ajjer)". Mém. du Centre de Recherches Anthropologiques, Prehistoriques et Ethnographiques. n° 6, 1965
261- Jean Pierre Savary: "L'Architecture et l'orientation des Dolmens de Beni-Messous (region d'Alger). Libyca. Anthropologie. Préhistoire. t. 17. Alger. 1969
262- Jean-Loic Le Quellec: "Symbolisme et art rupestre du Sahara central ",France Edition l'Harmattan. Préhistoire et art. Paris. 1993
263- Jean-Loic Le Quellec:" Rock art in Africa: Mythology and legend". Paris: Flammarion. 2004
264- Jean-Loic Le Quellec:" What's new in the Sahara, 2000–2004?" In Paul Bahn, Natalir R. Franklin, and Matthias Strecker (Eds.), Rock art studies. News of the world III. Oxford: Oxbow. 2008
265- Jean-Loïc Le Quellec:" Periodization and chronology of Central-Sahara's rock art" Préhistoires méditerrnéennes 4. 2013
266- Jean-Loic Le Quellec: "Prehistory in North Africa after the Middle Palaeolithic". In The Cambridge world prehistory (3 volume set). Cambridge: Cambridge University Press. 2014

267- Jean-Louis-Génévièv Guiyon:" Note sur des tombeaux d'origine inconnue situés au Ras Aconter entre Alger et Sidi Ferruch". C.r. hebd. de l'Acad. des Sciences, 1846
268- Jean Pierre Maitre:" Contribution à la préhistoire de l'Ahaggar, téfedest centrale. A.M.G. mém. Du Centre de Recherche Anthropologique Préhistorique et Ethnographiqe. n. XVII. 1971
269- Jequetta Hawkes: "Pre-history" New York. New American Libery. 1963
270- Jeremy Keenan:" The lesser gods of the Sahara". Journal of Public Archaeology, 2. part 3, 2002
271- Jeremy Keenan:" Looting the Sahara: The material, intellectual and social implications of the destruction of cultural heritage". Journal of North African Studies, 10. (3–4). 2005
272- João Zilhão: "Early prehistoric navigation in the Western Mediterranean: implications for the Neolithic transition in Iberia and the Maghreb". Eurasian Prehistory.11 (1-2). 2014
273- John D. Evans: " Two phases of prehistoric settlement in the Western Mediterranean," University of London, Institute of Archeology, Thirteenth annual report and Bulletin for 1955-1956
274- Joseph Campardou: "La nécropole de Taza" Bulletin de la Société de géographie et d'Archéologie de la province d'Oran. t. XXXVII. 1917
275- Joseph Dechelette:" Manuel d'archéologie préhistorique, celtique et gallo-romaine. 2, Archéologie celtique ou protohistorique. 2 e partie, Premier âge du fer ou époque de Hallstatt, Paris, Picard, Paris. 1913
276- Jules Poinssot: "Voyage archéologique en Tunisie". Bulletin. des Antiquités Africaines, t. II, 1884

277- Jules René Bourguignat: “Histoire des monuments Mégalithique de la Roknia prés de Hammam Maskhoutine “Paris. 1870
278- Jules René Bourguignat: “Histoire des monuments mégalithiques de Roknia prés de hammam Maskhoutine. Paris. 1868
279- Jules Toutain:”les cultes païens dans l’Empire romain”, Collection Bibliothèque de l’école des hauts études sciences religieuses, édit E. Leroux, Paris. 1920.
280- Julián San Valero Aparisi: “La Cueva de la sersa (bocairent-Valencia)” servicio de Investigacion Préhistorica de Valencia. 1950
281- Juliet Clutton–Brock: "The early History of domesticated Animals in western Asia" Sumer VoL 36, No.1-2. 1980
282- Juliet Clutton-Brock:”The spread of domestic animals in Africa”. In Bassey Andah, Alex Okpoko, Thurstan Shaw, and Paul Sinclair (Eds.), The archaeology of Africa: Food, metals and towns .One World Archaeology (Book 20). London: Routledge. London. 1993
283- Karen Frifelt: "A possible Link between the Jemdet Nasr and the Umm an Nar Graves of Oman, "Journal of Oman Studies no.1.1975
284- Karl Heinz Striedter et Tauveron, M:” Milieux, hommes, et techniques du Sahara préhistorique problèmes actuels “, Paris, l’Harmattan, 1994
285- Kathleen Kenyon: "Jericho Pre-pottery Neolithic B" (Palestine exploration quarterly) .London 1956
286- Kenneth P. Oakley: “Man the Tool- Maker,” London. 1972
287- Kenneth P. Oakley: “Man the Tool Maker” London. 1972

288- Kenneth Stuart Sandford and William Joscelyn Arkell: “Prehistoric survey of Egypt and Western Asia,” Oriental Institute Publications, Vol. 1. Chicago. 1939
289- Lansing Elizabeth:” The Sumerians” London. 1974
290- Laurent Charles Feraud: “Monuments dits celtiques dans la province de Constantine”. Recueille des notices et Mémoires de la Société Archéologique De Constantine, Vol. XII, Pp. 108-132 et. 1863-1864
291- Lawrence Barham and Peter Mitchell:” The first Africans. Cambridge: Cambridge University Press. 2008
292- Leakey, R. E. F, Anna K. Behrensmeyer, Fitch, F. J, Miller, J. A and Leakey, M. D: “New Hominid remains and early artifacts from Northern Kenya “In Nature, London. Vol 226. 1970
293- Leo Frobenius: “Der Kleinafrikanische grabbau “, Praehistorische Zeitschrift, 1916
294- Leo Viktor Frobenius: “Kulturgeschichte Afrikas” Zürich. 1933
295- Léon L’Africain:” Description de l’Afrique”. Edit. A. Epaulard, t. I, nouvelle édition, trad. A. Epaulard, Paris, 1956
296- Leonard C. Woolley: “The Sumerians “Oxford. 1930
297- Leonard Woolley and others: " :Ur Excavations, vol. II" : The R London, The British Museum Press, 1934
298- Léonce Joleaud et Alexandre Joly: “Ruines et vesliges anciens relevés dans les Provinces d’Oran el d’Alger” Revue Afric, t. XLIX. 1910
299- Léonce Joleaud: "Le Ravin de Constantine et les origines de Cirta", Recueil des notices et mémoires de la Société Archéologique Historique et Géographique du département de Constantine (RSAC), Vol 64, 1937
300- Léonce Joleaud:”Ruines et vestiges anciens relevés dans la province de Constantine” Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de Constantine, t. XLV. 1911

301- Lieutenant Compradou, J:” La grotte de Kifan Bel-Gomari à Taza “Bulletin de la Société de la Geogroaphie et de l’Archéalogie de la Province d’Oran Vol. XXXVII. 1917
302- Lieutenant Denis:” Les dolmens de la Tunisie centrale” Bulletin de la Société de Géographie et d’Archéologie d’Oran. t. XV. 1895
303- Lieutenants Hilaire et Renault: “Etudes sur les gisements mégalithiques de la region du Kef et Ksour Thala.” Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiques. Paris. 1898
304- Lionel Balout: “ Les hommes préhistoriques du Maghreb et du Sahara” Gisement N. 53.1954
305- Lionel Balout: “Prehistoire de l’Afrique du Nord”. Essai de Chronologie. Éd. Arts et Métiers Graphiques. Paris. 1955
306- Logeart. F:”Grottes funéraires hypogées et caveaux sous roches de Sila” Fouilles (1993-1934)” Recueil de la Société Archéologique de Constantine. t. LXIII. 1935-1936
307- Lorsque A. Berbrugger: “Chronique archéologique “Revue africaine.t. VIII. 1864
308- Louis Le Breton: “Note sur la Céramique peinte aux environs de Suse el á Suse”. Mémoires de la Mission archéologique en Iran, t. XXX. 1947
309- Louis Léon César Faidherbe (Général): “Recherches anthropologiques sur les tombeaux mégalithiques de Rokina”. Bulletin de l'Académie d'Hippone, t. IV, 1867
310- Louis Seymour Leakey: “Olduvai Gorge” Cambridge University. Press. Cambridge. 1965
311- Louis Voinot: “Les Tumulus d’Oujda” Bulletin de la Société de géographie et Archéologie de la province d’Oran. t.XXX. 1910

312- Lucas, Alfred: “Ancient Egyptian materials and industries”. 4th edition, revised and enlarged by John Richard Harris. 1962
313- Lucien Jacauot: “Relevé des monuments mégalithiques de la region de Sétif “Recueil des Notices et mémoires de la société d’Archéologie de Costantine t. XXXIV. 1900
314- Lucien Jacquot:” Graffiti touaregs de Ngoussa”. Bulletin de la Société Préhistorique Française, 9. part 3 , 1912
315- Luigi Bernabò Brea: “La Sicilia prehistórica y sus relaciones con Oriente y con la peninsula Iberica?” Ampuris t. XV – XVI. 1953-1954
316- Luis Pericot Garcia: “Los sepulcros Magaliticos Catalanes y la cultura pirenaica,” Consejo Superior de Investigaciones Científicas. Barcelona. 1950
317- Malika Hachid:”les pierres écrites de l'Atlas saharien,.algerie: Vol. 1. Edition Enag. Alger. 1983
318- Malika Hachid:” El-Hadjra el-Mektouba” Les Pierres écrites de l’Atlas saharien Alger, éditions Enag 1992
319- Malika Hachid: Les premiers Berbères entre Méditerranée, Tassili et Nil, ed Ima-yes idissud, 2000
320- Majeed Khan:” Rock Art of Saudi Arabia” Saudi Commission for Tourism and Antiquities, Arts 2: Riyadh. 2013
321- Marcel Solignac et Joseph Bosco: “Les pierres écrites de la Berbérie orientale(est Constantinois et Tunisie). Tunis, Barlier. 1928
322- Marcellin Boule: “Les mamifères quaternaires de l’Algérie, d’après les travaux de Pomel. L’anthropo-loqie 10. Paris. 1899
323- Marcellin Boule: “Étude Paléontologique et Archéologique sur la station Paléolothique du lac Karar Algérie”, Journal Anthropologie Vol. 2. Paris. 1900

324- Margaret S. Drower: "Ugarit” Cambridge Ancient History 1-11 fasc 63.1968
325- Marie-Claude Chamla:”Les populations anciennes du Sahara et des regions limitrophes” Etude des restes osseux humains néolithiques et protohistoriques, Mémoires du Centre de Recherches Anthropologiques, Préhistoriques et Ethnographiques, t. 9. Paris. 1968
326- Marie-Gustave Bleicher: “Recherches d’Archéologie préhistoriques dans la province d’Oran et la partie occidentale du Maroc” Matériaux, Vol.10, 2éme ,t.4. Toulouse. 1875
327- Mario Liverani: “The Amorites” In D. J. Wiseman, Peoples of Old Testament Time. London. 1973
328- Martin Douglas: “An annotated Bibliography of tree growth and growth Rings,” University of Arizona Press. USA. 1965
329- Martin Jim Aitken, Tite, M. S and Reid, J: “Thermoluminescent dating (Progress report) Archaeometry Vol 6. London .1963
330- Martin P. Nilssen: “The Minoan-Mycenean Religion and its Survival in Greek religion” Second Edition, London. 1950
331- Martine Vanhove:” The Beja Language Today in Sudan” The State of the Art in Linguistics “ 2006
332- Martinez, J: “O bras des Arts prehistoricas” t. XIV. 1941
333- Mary D. Leakey: “Olduvai Gorge Vol. 3” Excavations in Beds I, II 1960-1963. Cambridge. 1971
334- Maurice Antoine: “Notes déhipréhistoire Marocaine. III station chelléene de la carrière Martin prés d’El-Hank “Bulletin de la Société de la Préhistoire du Maroc 4 année No. 2,3,4, 1930
335- Maurice Antoine: “Répertoire préhistorique dans la Chaouia.” Bulletin de la Société de préhistoire du Maroc. 5ème année n. 1-2. 1931

336- Maurice Antoine:” Notes de Préhistoire marocaine XIV, Un cône de résurgence du Paléalithique Moyen à Tit-Mellil, prés Casablanca” Bulletin de la Société de Préhistoire du Maroc , 12éme année , numéros 1 à 4, 1938
337- Maurice Antoine: “Notes de Préhistoire marocaine. XIX, L’Atérine du Maroc atlantique sa place dans le chronologie nord-africaine. Bulletin de la Sociétéde préhistoire du Maroc, Nouvelle série, no. 1. 1950
338- Maurice Euzennat: “L’archéologie marocaine en 1955-1957”, Bulletin de Archéologie Mmarocaine, t.II. 1957
339- Maurice Reygasse: “Fouilles de Monuments Funéraires du type Chouchet accolés au tombeau de Tin-Hinan a Abelessa (Hoggar)” Bulletin de la Société de Géographie et d’Archéologie de la province d’Oran. t.61. 1940
340- Maurice Reygasse: “Fouilles de Monuments funéraires Préislamiques de l’Afrique du nord”, Arts et Métiers Graphiques. Vol. 1. Paris. 1950
341- Maurice Dunand:"Fouilles de Byblos (A) Neolithique” Bulletin de musée de Beyrouth t.XIII. 1956
342- Mauro Cremaschi, Andrea Zerboni, Anna Maria Mercuri, Linda Olmi, Stefano Biagetti, and Savino di Lernia:” Takarkori rock shelter (SW Libya): An archive of Holocene climate and environmental changes in the central Sahara. Quaternary Science Reviews, 101, 2014
343- Max Mallowan: “Nimrud and its Remains, I “New York, 1966
344- Michel Ponsich et Miguel Tarradell: “Garum et industries antiques de Salaiso dans la Méditerranée Occidental,” Publications Université de Bordeaux. Paris. 1965

345- Michel Ponsich: "Recherches Archéologiques à Tanger et dans sa Région "Publications Centre National de la Recherche Scientifique. Paris. 1970
346- Michelle Wimber: " Makers of Meaning:Plays and Processions in Goddess Cults of the Near East "Pageants and Processions:Images and Idiom as Spectacle Edited by Herman du Toit , Cambridge Scholars Publishing . UK. 2009
347- Miguel Ghirelli: "E tumalo de Beni Maadan Africa" Revista de Tropas Coloniales , Madred . 1931
348- Miguel Tarradell: "El tùmulo de Mezora (Marruecos)." Archivo de Prehistoria Levantina, t. 3. 1952
349- Miguel Tarradell: "Noticia Sobre la excavacion de Gar Cahal," Tamuda. t. 2. 1954
350- Miguel Tarradell: "Avance de la primera campaṅa de excavaciones en Caf That al Gar " Tamuda, t IV . Tetuàn. 1955
351- Mohand Akli Haddadou: "Le Guide de la culture berbère", Editions Ina-Yas, Paris Méditerranée, 2000
352- Monique Longerstay: "Les Représentations picturales de mausolées dans les Houanet du N.O. de la Tunisie ", Ntiquites Africaines t.29. 1993
353- Monique Longestray: "Les Houanet état de question VIe Colloque international, PAU. Octobre 1993. 118e congrès éd du Comitédes travaux historiques et scientifiques, 1995
354- Monsieur Letourneux:"Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale." Arch. für Anthropologie, t. II, 1867
355- Mounir Bouchenaki:" Ancient cities of Algeria", Collection Art and Culture No. 12, Algiers, Ministry of Information and Culture, 1978
356- Mounira Harbi Riahi, Abderrazak Gragued, Gabriel Camps, Ali M'Timet, Jamel Zoughlami: "Atlas

Préhistorique de la Tunisie 8 Maktar, École Française de Rome. 1985
357- Nagata Takesi, Arai, Y and Momose, K: “Secular Variation of the Geomagnetic Total Force during the last 5000 Years,” Publication Journal of Geophysical Research 68. 1963
358- Nick Barton: “Stone Age North Africa”, World Archaeology at the Pitt Rivers Museum a Characterization, Dan Hicks and Alice Stevenson (ed.). Oxford. 2013
359- Nicolas Platon: “Crete” World Publishing. New York. 1966
360- Nicole Lambert et Georges Souville: “La nécropole mégalithique de Tayadirt (Maroc).“ Libyca. t. XV. 1967
361- Nile Green: “Ostrich Eggs and Peacock Feathers: Sacred Objects as Cultural Exchange between Christianity and Islam”. Journal: Al - Masaq Vol. 18, Issue 1, March .2006
362- Norbert Mercier, Jean-Loïc Le Quellec, Malika Hachid, Safia Agsous, and Michel Grenet:” OSL dating of quaternary deposits associated with the parietal art of the Tassili-n-Ajjer plateau (Central Sahara)”. Quaternary Geochronology, 10, 2012
363- Nour-Eddine Saoudi:” les temps préhistoriques en Algérie”, Alger: edition dalimen. 2002
364- Oates David and Joan Oates:” The Rise of civilization “Belgium. 1976
365- Odette du Puigaudeau et Marion Senones: “Le Cimetière de Bir Umm Garn” Journal de la Société des African t. XVII. 1947
366- Odette Du Puygaudeau et Marion Senones:” Un musée d’art rupestre Foum El Hassan et l’Oued Tamanart. Ministère de l'Information, Rabat. 1964
367- Odette Du Puygaudeau et Marion Senones:” Nouvelles gravures rupestres de l’Oued Tamanart

(sud-Marocain)” Bulletin de l’Institut Fondamental d’Afrique Noire t. XXVII. série B n° 1-2. 1965
368- Odette Du Puigaudeau et Marion Senones: “Vases de pierre polie du Maroc et du Sahara,” Bulletin d’Archéologie Marocaine. t. VII. 1967
369- Oric Bates:”The eastern Libyens”. Frank Cass and Co Ltd. London. 1914
370- Otto Rössler: “Der Semitische Charakter der libyschen Sprache. Zeitschrift für Assyriologie 50. 1952
371- Özdogan, Mehmet and Özdogan, Aslı: “Buildings of Cult and the Cult of Buildings” In: Fs Çambel, 1998
372- Paolo Graziosi: “Recherches préhistoriques au Fezzan et dans la Tripolitaine du nord”.L’Anthropologie, 42. part 1–2, 1934
373- Paolo Graziosi: “Rock Art in the Libyan Sahara” Vallecchi Editore; 1st Edition edition .1962
374- Paolo Grazioso:” Lart paléo-épipaléolithique de la Province Mèditerranéenne et ses nouveaux documents d’Afrique du Nord et du Proche-Orient”. In R. Perello (Ed.), Simposio Internacional de Arte Rupestre Barcelona: Instituto de Prehistoria y Arqueología de la Diputación Provincial de Barcelona. 1966
375- Patrick E. McGovern: “Ancient Wine: The search for the origins of viniculture” Published by Princeton University Press. New Jersey. 2003
376- Paul Massiéra: “Note sur une tombe libyque” Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiques. Paris.1935
377- Paul Pallary: “Instructions pour les Recherches préhistoriques dans le Nord-Ouest de l’Afrique, ch: XN, Alger. 1909
378- Paul Pallary: “Recherches préhistoriques effectuées au Maroc” l’Anthropologie , t. 26 . 1915
379- Paul Taçon and Christopher Chippindale:” An archaeology of rock-art through informed Methods and formal methods”. In Chistopher Chippindale and

Paul S.C. Taçon (Eds.), The Archaeology of rock-art. Cambridge: Cambridge University Press. 1998
380- Paul Tommasini: “Le tumuli de l’Arrondissement de Mascara”. Bulletins et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris. 1882
381- Paul Huard et Leone Allard:” Les Figurations rupestres de la région de Djelfa, Sud Algérois, dans Lybica”, Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques, Algiers, vol XXIV, 1976
382- Pauphilet, D: “Monument mégalithique à Mactar”. Karthago, t. IV, 1953
383- Pedro Bosch Gimpera:"Neo-Enéolithique Espagnol et Africain, "Actes de congrès panafricain de Prehistoric" II em session .Alger .1952
384- Peter Andrews: “Theya Molleson and Basak Boz: “The Human Burials at Çatalhöyük,” In: Hodder (ed.). 2005
385- Peter B. de Menocal and Jessica Tierney:”Green Sahara: African humid periods paced by earths orbital changes”. Nature Education Knowledge, 3. (10), 2012
386- Peter J. Sheppard: “Soldiers and Bureaucrats: The Early History prehisoric Archaeology in the Maghreb” Peter Robertshaw (ed.). London. 1990
387- Peter J. Sheppard: “Soldiers and bureaucrats the early history of prehistoric in the Maghreb,” Peter Robertshaw (ed.), A History of African Archaeology, Oxford. 2006
388- Peter Calmeyer: “Reliefbronzen in babylonischem Stil Eine westiranische” Werkstatt 10. Jahrhunderts v. Chr , München 1973
389- Peter Roger Stuart Moorey: “Ancient Mesopotamian Materials and industries”. The Archaeological Evidence. Oxford. 1994

390- Philip E. Smith:” Problems and possibilities of the Prehistoric rock Art of Northern Africa.”. African Historical Studies, 1. part.1, 1968
391- Pierre Bellair: “Mission au Fezzan, Seputures de l’Ouadi El Ajal “Vol 1 of Publications de l'Institut des hautes études de Tunis. 1949
392- Pierre Biberson:” Nouveaux éléments sur les Industries préhistoriques de la carrière de Sidi Abderrahman près Casablanca dans comptes rendus des séances de l’Académie des sciences. t. 237. Paris. 1953a
393- Pierre Biberson:” Premier’s éléments sur la présence de la “Pebble-culture” au Maroc Atlantique,” Actes 4th Congrèss International du quatemaires. Rome. Paris. 1953b
394- Pierre Biberson: “Le gisement de l’Atlanthrope di Sidi-Abderrahman (Casablanca) dans Bulletin d’Archéologie Marocaine t. 1. 1956
395- Pierre Cintas and Ernest-Gustave Gobert:” Smirat” La Revue Tunisienne. Nouvelle série 45-47. 1941
396- Pierre Cintas;” Céramique Punique” Paris. 1950
397- Pierre Cintas: “Nouvelles recherches à Utique “Karthago, t. 5. 1954
398- Pierre Léveque: “Empire et Barbaries, tome III, “Histoire Universelle Larousse. Paris. 1973
399- Pierre-Roland Giot et Georges Souville: “La Hache en bronze de l’Oued Akrech (Maroc).” Libyca XII. 1964
400- Piotr Taracha: “Bull-leaping on a Hittite vase: New light on Anatolia and Minoan religion “Archeologia 53. 2002
401- Pollini, M:” La Sardegna nuragica” Storia e materiali, Corpora delle antichità della Sardegna, Roma. 1950
402- Polybe: Histoire 1.77 trad. D. Roussel. (ed.) Gallimard. Paris. 1970

403- Quintero P. Auturi: “Nueva estacion préhistorica en el Marruecos” Archivo Espańol. de Arqueologia t. XLV. 1941
404- Rasenberger B. “Les vieilles exploitations miniéres et les anciens centers Métallurgiques du Marco" Revue de Geographic du Marco no.17.1970
405- Raymond Furon: “Manuel de Préhistoire Générale”, Paris. 1966
406- Raymond Vaufrey:” Le Capsien des environs de Tébessa,” Recueil de la Société de Préhistoire et d'Archéologie de Tébessa, t. I. 1936-1937
407- Raymond Vaufrey:”L’art rupestre nord-africain” Archives de l’Institut de paléontologie humaine .Mémoire 20. Paris. 1939
408- Raymond Mauny:”Autourdela répartition des chars rupestres du ordouest African "Acted des congress panafricain 2em session .1952
409- Rebout Dr:”Note pour servir à l’étude de la Nécropole Mégalithique de Sigus”, Bulletin de l’académie d’Hippone, t. 18, 1863
410- Refik Duru: “Were the Earliest Cultures at Hacilar Really Aceramic?, “ In: Fs Tahsin Özgüç. 1989
411- Rene Basset: “Recherches sue les religions des Berbères “, Revue de l’histoire des religions. Tome LXI- N° 3. Paris. 1910
412- René Rebuffat:” Route d’Egypte et la Libye intérieure” Studi Maghrebini 3. 1970
413- René Neuville et Armand Ruhlmann: “La place du Paléolithique Ancien dans le Quaternaire Marocaine. Casablanca: Librairic Faraire. 1941
414- René Verneau: “Les Habitants des Iles Canaries “Bulletin de Géographie Historicue et Descriptive du Comitédes Travaux Historiques et scientifioues du Ministère de L’Instruction Publique et des Beaux Arts. t. III .Paris. 1883

415- Rethault, E:”Les Djeddards du Sud Constantinois.” Bulletin de la Société de Géographie d’Alger et de Afrique du Nord. t. XXXVIII. 1933
416- Robert John Braidwood: “The Earliest Village Communities of Southwestern Asia “Journal of World History. 1953
417- Robert John Braidwood: “Prehistoric men” Illinois. 1975
418- Robert Letan: “Un Campement néolithique á Tarfaya” Bulletin d’Archéologie Marocaine. t. VII. Rabat. 1967
419- Robert M. Adams:”The Evolution of Urban Society” Chicago. 1965
420- Roland de Mecquenem: “Idem, Mémoires de la Délégation en Perse 29, Paris, 1943
421- Ronald Wolff: “Chars schematiques de L’oued Eç Çayyad” Bulletin d’Archéologie Marocaine t. X. 1976
422- Rosalie F. Baker and Charles F. Baker: “Ancient Egyptians: People of the Pyramids” Oxford University Press. Oxford. 2001
423- Rüdiger Lutz and Gabriele Lutz:” The secret of the desert: The rock art of the Messak Settafet and Messak Mellet, Libya”. Innsbruck, AUT: Golf. 1995
424- Rym Kéfi, Alain Stevanovitch, Eric Bouzaid, Eliane Béraud-Colomb: Diversité mitochondriale de la population de Taforalt (12.000 ans Maroc): une approche génétique à l'étude du peuplement de l'Afrique du Nordc”, Anthropologie, Vol 43. Part 1. 2005
425- Salem Shaker: “Manuel de linguistique berbère I”, Editions Bouchène, Alger 1991
426- Salima Ikram:”Drawing the world: Petroglyphs from Kharga Oasis”. Archéo-Nil 19. 2009
427- Sallistius: “Bellum Iugurthinum XVII" Translated by F. Richard (ed.) Flammarion. Paris. 1966

428- Samuel Biarnay et Péretié, A: “Recherche Archeologique au Maroc.” Archives Marocaine. t. 18. Paris. 1912
429- Savino di Lernia:” Rock art paintings of the Round Heads phase”. In Savino di Lernia (Ed.), The Uan Afuda cave. Hunter-gatherer societies of Central Sahara Firenze, ITA: All’Insegna del Giglio. 1999
430- Savino di Lernia: “Tendenze e prospettive nello studio dell’arte rupestre Africana”. In Savino di Lernia and Daniela Zampetti (Eds.), La memoria dell’arte. Le pitture rupestri dell’Acacus tra passato e futuro. Rome: All’Insegna del Giglio. 2008
431- Savino di Lernia and Marina Gallinari: “The date and context of Neolithic rock art in the Sahara: Engravings and ceremonial monuments from Messak Settafet (south-west Libya). Antiquity, 84, 2010
432- Savino di Lernia:”Thoughts on the rock art of the Tadrart Acacus Mountains, south-west Libya”. Adoranten. 2012
433- Savino di Lernia:” The emergence and spread of herding in Northern Africa: A critical reappraisal. In P. J. Mitchell and P. J. Lane (Eds.), Oxford handbook of African archaeology Oxford: Oxford University Press. 2013
434- Savino di Lernia:” Save Libyan archaeology. Nature, 517(7536), 29 January. 2015
435- Savino di Lernia, Silvia Bruni, Irina Cislaghi, Mauro Cremaschi, Marina Gallinaro, Vittoria Gugliemi, Anna Maria Mercuri, Giansimone Poggi and Andrea Zerboni:”Colour in context. Pigments and other coloured residues from the early-middle Holocene site of Takarkori (SW Libya)”. Archaeological and Anthropological Sciences, 8, 2016
436- Savino di Lernia:”The Archaeology of Rock Art in Northern Africa” The Oxford Handbook of the

Archaeology and Anthropology of Rock Art Edited by Bruno David and Ian J. McNiven. Oxford. 2017
437- Sheikholeslami, Cynthia May: “The Egyptian Museum at the millennium. Cairo” Supreme Council of Antiquities Press 2000
438- Sidebotham, Steven E., and Willeke Wendrich (eds.): “Berenike 1998: Report of the 1998 excavations at Berenike and the survey of the Egyptian Eastern Desert, including excavations at Wadi Kalalat. CNWS Publications Special Series 4. Leiden: Research School 2000
439- Simone Mulazzanin: “The emergence of the Neolithic in North Africa: A new model for the Eastern Maghreb” Quaternary International XXX. 2015
440- Sinclair Hood: “The Home of the Heroes: The Aegean Before the Greeks,” Down of Civilization. Thames and Huson. London. 1967
441- Sir Arthur Coppel de Prock: “Sketches in Spain and Morocco “Vol. II, London. 1831
442- Slimane Hachi: “Resultats des fouilles récentes d’Afalou bou Rmel (Bejaïa- Algérie), Alger, 1996
443- Stefano Biagetti and Savino di Lernia:” Holocene Deposits of Saharan Rock Shelters: The Case of Takarkori and Other Sites from the Tadrart Acacus Mountains (Southwest Libya)” African Archaeological Review Vol. 30, Issu23. 2013
444- Stefano Biagetti. Emanuele Cancellieri, Mauro Cremaschi, Christi-ne Gauthier, Yves Gauthier, Andrea Zerboni, and Marina Gallinaro:”The Messak Project: Archaeolo-gical research for cultural heritage management in SW Libya”. Journal of African Archaeology, 11. Part. (1), 2013
445- Stephan Kröpelin:”Damage to natural and cultural heritage by petroleum exploration and desert tourism in the Messak Settafet (Central Sahara, Southwest Libya)”. Africa Preistorica, 14, 2002

446- Stéphane Gsell: “Chronique archéologique Africaine” Mélanges de l'école française de Rome 16. 1896a
447- Stéphane Gsell: “Le Tombeau de la Chrétienne” dans C.R. du XIV e Congrés de Association Française pour l'Avancement des Sciences, Carthage. t. II 1896b
448- Stéphane Gsell: “Note d’archéologie Algérienne,” Bulletin Archéologique du Comité des travaux Historiques et Scientifiques, Paris. 1899
449- Stéphane Gsell: “Histoire Ancienne de l’Afrique du Nord” Vol 8. (ed.) Hachette. par suito (HAAN). Paris 1913
450- Stéphane Gsell: “Hérodote: Texte Relatifs a L'histoire de L'afriqur du Nord”, Adolphe jourdanimprimeur-libraire de l'université d'Alger. 1915
451- Stéphane Gsell:" Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord “Paris. 1918
452- Stéphane Gsell: “Histoire ancienne de l’Afrique du Nord” t, VI. 1927
453- Stéphane Gsell: “Histoire ancienne de l'Afrique du Nord”. Edit. Hachette, Paris, t. V, 298 p et .t. VI, Paris. 1929
454- Susan Searight:” Morocco’s Rock Art: Age and Meaning” Arts 2. Casablanca. 2013
455- Susan Searight: “Sites with Paintings in Morocco and the Atlantic Sahara” Casablanca. 2017
456- Tayfun Yildirim: “New scenes on the second relief vase from Hüseyindede and their interpretation in the light of the Hittite representative art “In Archi, A – Franca, R. (eds), VI Congresso Internazionale de Ittitologia Roma 5-9 Settembre 2005. Studi Micenei ed Egeo-Anatolici 50. 2008
457- Théodore Monod:” Contributions à l’étude du Sahara Occidental. Gravures, Peintures et Inscriptions rupestres”. Paris: Publications du Comité d’études historiques et scientifiques de l’Afrique occidentale française. 1938

458- Thomas Shaw: “Voyage dans la régence d’Alger”. Trad. De J.M. Carthy. 2ème édit., Tunis. S.D. 1830
459- Thomas, Angela: “Gurob*:* A New Kingdom town. 2 volumes. Warminster: Aris and Phillip .1981
460- Umberto Paradisi:” Prehistoric art in the Gebel el-Akhdar (Cyrenaica)”. Antiquity 39. 1965
461- Wilhelm Hölscher:”Libyer und Ägypter, Beiträge zur Ethnologie und Geschichte libyscher Völkerschaften” Ägyptischen Forschungen 5. nach den altägyptischen Quellen. Glückstadt, 1955
462- William Culiacan: “The sea peoples of the Levant” In the dawn of Civilization. London. 1961
463- William Davies and Ruth Charles (eds):” Dorothy Garrod and the Progress of the Palaeolithic: Studies in the Prehistoric Archaeology of the Near East and Europe”. Oxford, 1999
464- William Matthew Flinders Petrie: “Prehistoric Egypt. Publ. of the Egypt Research Account and British School of Archaeology in Egypt, XXXI. 1917
465- Winifred Needler:” Predynastic and Archaic Egypt in the Brooklyn Museum” Wilbour Monographs 9. Brooklyn. New York .The Brooklyn Museum.1984
466- Yakimov, V.P: Early Man and the Emergence of Rashes in courier, August-September 1972
467- Yasmina Chaid-Saoudi:”Paléontologues et spécialistes de l’art: un dialogue à entretenir. Algérie, deux millions d’années d’histoire. L’art des origines. Alger. 2003
468- Yassine Karamti:” Patrimoine, Economie et Altérité, Essai sur la muséologie des mémoires entre deux rives”, Paris, Museum National d’Histoire Naturelle, 2009

History of the Maghreb From the earliest times to the dawn of history

Dr. Salah Rasheed Al-Salihi
University of Baghdad

First Edition L2019
Baghdad



خصص هذا الكتاب (تاريخ الدول المغاربية منذ أقدم العصور والى فجر التاريخ) لتغطية جزء من تاريخ ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ضمن فترة تبلورت فيها حضارة الدول المغاربية قبل الوصول الفينيقي وتأسيس دولة قرطاج ، أو الاستيطان اليوناني ، ومن ثم خضوع شمال أفريقيا للاحتلال الروماني ، وبما إن موضوع الكتاب ضمن فترة ما قبل الكتابة فقد اعتمد البحث على الآثار المادية والرسوم الصخرية ، فعدم وجود الكتابة ترك المجال مفتوحاً أمام الباحثين في تحديد الأصول الأولى لحضارة الدول المغاربية ، والمعروف أن أول عمليات الاستكشافات والتنقيبات غير المنظمة والتي تفتقر إلى المنهجية العلمية كانت من لدن الأوربيين ، ولذلك نسبوا الحضارة المادية المغاربية بأنها تأثيرات أوربية وافدة على شمال أفريقيا ، أما في هذا الكتاب ، فقد طرحت فكرة جديدة تتمحور في وجود تأثير حضارة كل من مصر والعراق القديم على الدول المغاربية في فجر التاريخ ، أتمنى أن أكون قد وفقت في طرح الأفكار العلمية والله من وراء القصد .

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٧٥٨ لسنة ٢٠١٩

